المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية التربية وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

# تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

## للقاضي أبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي

(من الآية:60 من سورة الأنعام إلى الآية:157 من سورة الأعراف)

**تحقيق ودراسة**

**الطالب محمود بن عبد الله بن عمر الشنقيطي**

**رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية**

**(الماجستير)**

إشراف

**الأستاذ الدكتور غالب بن محمد الحامضي**

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

عام 1430هـ

## سورة الأنعام

**قولُه ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[60]:**

معناه: هو الذي يقبضكم عن التصرّف بالروم وما تصيرون بالليل في منامك م في قبضته لا تملكون لأنفسكم تصرّفاً في أموركم، والتوفّي في اللغة: هو القبض[1] إلاَّ أنَّ روحَ النائم لا تصير مقبوضة في حال نومه على جهة الحقيقة؛ لأنَّ النائم يستمدّ من الهواء على حسب ما يفعله [في حال المنتبه][2]، ولكن الله تعالى يُحدث في حال النوم في بدن النائم زيادةً ضرباً من الاسترخاء في أعضائه؛ إمَّا بسلب عقله أو بعض من أبعاض ما في البدن من المعاني، وإمَّا بإحداث فعلٍ في البدنِ يكون ذلك الفعل سبباً لراحة البدن وعذابه[3]؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴾[النبأ:9] فلما صار النائم كالميت في أنَّه لا يعقل، [وفي أنَّ تصرّفه لا يقع تميز][4] شبّه بالميت من حيث التوفّي على هذا الوجه[5]، كما ورد في الأخبار عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : (إنَّ النومَ أخ الموتِ وأهلَ الجنَّةِ لا يموتونَ كذلك لا ينامون)[6]، وعلى هذا الوجه

---

١- والتوفي يأتي بمعنى القبض، ومنه: توفّيتُ المال إذا أخذته كلّه، ويأتي بمعنى استيفاء العدد . انظر: تفسير الطبري (212/7)، لسان العرب (398/15).

٢- هكذا في المخطوط. وفي تفسير الطبراني: على حسب ما يفعله المنتبه. انظر: تفسير الطبراني (40/3).

٣- وقد اختلف الناس في حقيقة النوم، وذهبوا في ذلك كلّ مذهبٍ، وأصحّ ما يقال فيه- والله أعلم-: أنَّ النوم من خصائص الروح فيجري عليه حكمها، وقد قال تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:85]. انظر: بحر العلوم (490/1).

٤- ما بين المعقوفتين كتب في المخطوط كما هو مثبتٌ في الأعلى، وفي تفسير الطبراني : وفي أن تصرفه لا يقع على تمييز. انظر: تفسير الطبراني (40/3).

٥- انظر: بحر العلوم (490/1).

٦- أخرجه الطبراني في الأوسط (282/1)، رقم: (919)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (90/7)، والبيهقي في شعب الإيمان (183/4)،رقم: (4745)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (415/10)،

يُتَأَوَّلُ قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ إلى آخر الآية [الزمر:42]، وذهب بعضهم إلى أنَّ الروحَ تخرج عن البدن في المنام ولكن لا تنقطع حركة النائم؛ لأنَّ نظر الروح لم ينقطع عن البدن؛ إذ هو على العود في كلّ حين ووقت وساعة، وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح وإنَّما يخرج منه الذهنُ الذي يقال له بالفارسية: زوَّان[1].

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾: فمعناه: ويعلم ما كسبتم من الخير والشر[2] بالنهار؛ يقال: جرح واجترح بمعنى كسب واكتسب، وأصل الاجتراح إعمال الجوارح[3].

وقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي يُنَبِّهُكم من نومكم في النهار على علمٍ منه بما اجترحتم من قبل وما تجترحون من بعد ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي لتبلغوا الوقت المقدَّر الذي قدَّره الله تعالى بحياتكم فتنقطع أرزاقكم وأعمالكم التي تعملون في الدنيا من خير أو شرٍّ.

وقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: ثم إلى الله مصيركم، ومنقلبكم بعد الموت، إلى موضعٍ لا يملك فيه أحدٌ ضراً ولا نفعاً إلاَّ الله تعالى، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾

---

باب: أهل الجنة لا ينامون: أخرجه الطبراني في الأوسط، والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح.

١- انظر: بحر العلوم (490/1).

٢- وهذا قولٌ مرويٌ عن مجاهد وقتادة، وقيل: بأنَّ المراد بالمعلوم هنا ما كسبوه في النهار من الإثم والذنوب، فكأنَّ القائلين به خصوا الاجتراح بعمل السوء دون الخير، وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- والسدي.

انظر: تفسير الطبري (214/7).

٣- جرح الشيء واجترحه بمعنى كسبه، يقال: لإناث الخيل جوارح، واحدها جارحة؛ لأنَّها تُكسِب أربابها نتاجها، ويقال: ماله جارحة، أي ماله كاسب.

انظر: لسان العرب (423/2).

أي: يخبركم في الآخرة بما كنتم تعملون في الدنيا فيجازى كل عاملٍ ما عمل [1]، ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنَّ الله تعالى لَّما بيَّن في الآية التي قبل هذه الآية ما يختص به من علم الغيب بيَّن في هذه الآية ما يصرّف عليه من باب العلم الذي يعطيناه مرَّة ويسلبه أخرى، وبيَّن إنَّه إنَّما يفعل ذلك لمصالح الدين والدني ا، وأنَّه يحصي علينا أفعالنا ويعرّفنا يوم القيامة جميع ما نكسبه، وهذا التعريف الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية جار مجرى اللطف في الدنيا على ما تقدَّم أنَّ مَنْ عِلِمَ أنَّ الذي لا تخفى عليه خافية يحصي علينا ما يدقُّ وما يجلّ من عمله كان إلى التحرز أقرب [2]، وبالله التوفيق.

**قولُه ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [61]:**

---

١- وعلى هذا أغلب المفسّرين-أعني كون المراد بالبعث الإيقاظ والتنبيه من النوم، وأنَّ عود الضمير على النهار، وأنَّ الأجل المراد به مدة أعمارهم حتى الموت-كابن جرير، وأبي الليث، والرازي، والقرطبي، وبعض أهل اللغة كالزجاج في معانيه، ويرى الزمخشري أنَّ المراد بالبعث : البعث من القبور، وأنَّ الضمير-الهاء-للشأن، وأنَّ الأجل المسمى هو: الأجل الذي ضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم، فيكون المعنى: يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار.

انظر فيما سبق: تفسير الطبري (215/7)، معاني القرآن للزجاج (258/2)، بحر العلوم (490/1)، الكشاف (25/2) مفاتيح الغيب (12/13)، الجامع لأحكام القرآن (5/7).

٢- وقد ذكر غيره وجه مناسبة آخر وهو أنَّ المراد بالآية إثبات البعث بعد عرض وتقرير كمال العلم لله تعالى، قال البقاعي: ولما كان من مفاتح الغيب الموت والبعث الذي ينكرونه، وكان من أدلّته العظيمة النوم والإيقاظ منه، مع ما فيه من الإحسان المتكرّر، وكان مع ذلك تقريراً لكمال القدرة بعد تقريره لكمال العلم. أهــ. المراد منه.

وبنحوه قال الطاهر بن عاشور، وهذا الوجه أظهر- والله تعالى أعلم- لأنَّ المقام مقام محاجّة للمشركين، والأقرب فيه الاهتمام بتقرير ما ينكرونه من الوحدانية أو البعث.

انظر فيما سبق: نظم الدرر (648/2)، التحرير والتنوير (275/7).

معنى الآية والله تعالى أعلم: وهو الغالب لعباده المستعلي عليهم بالقدرة،[1] .

وقوله ﷻ: ﴿ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ لا يجوز أن يكون معناه أنَّه فوق عباده بالمكان؛ لاستحالة إضافة الأماكن إلى الله تعالى[2]، وإنَّما معناه الغلبة والقدرة، ونظيره قول القائل: فلانٌ فوق فلانٍ في العلم والقدرة والرأي[3] **[212/أ]** يُراد به أنَّه أعلم منه وأقدر منه[4] .

وقوله ﷻ: ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ معناه: والمرسل عليكم حفظة فاكتفى

---

١- وسائر عبارات المفسّرين متقاربة في معنى القهر، وكلّها تدور حول الغلبة والاستعباد.
انظر: تفسير الطبري (161/7) ، بحر العلوم (490/1)، زاد المسير (13/3) ، تفسير القرطبي (399/6).

٢- وهذا مبني على مسألة الجهة هل تجوز في حقّ الله تعالى أم لا؟ قال القاضي ابن أبي العز الحنفي : وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجودٌ، وقد يراد به ما هو معدومٌ، ومن المعلوم أنَّه لا موجود إلاَّ الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمرٌ موجودٌ غير الله كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيءٌ و لا يحيط به شيءٌ من المخلوقات- تعالى الله عن ذلك- وإن أريد بالجهة أمرٌ عدميٌ، وهو ما فوق العالم فليس هناك إلاَّ الله وحده، فإذا قيل: إنَّه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيحٌ، ومعناه: أنَّه فوق العالم، حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع، عال عليه. اهـ كلامه-رحمه الله-.
وبهذا المعنى ما ذكره شيخ الإسلام في الرسالة التدمرية.
انظر: الرسالة التدمرية (ص66)،شرح العقيدة الطحاوية (266/1).

٣- وقد ذهب إلى تفسير الفوقية بأنَّها فوقية القهر والغلبة الإمام الطبري في تفسيره، والرازي، والقرطبي، وأبو الليث السمرقندي، وابن الجوزي، والبقاعي، والزمخشري، والطاهر بن عاشور، والشوكاني.
انظر: تفسير الطبري (161/8)، بحر العلوم (490/1)، الكشاف (9/2)، زاد المسير (13/3)، مفاتيح الغيب (13/13)، تفسير القرطبي (399/6)، التحرير والتنوير (165/7)، نظم الدرر (648/2) ، فتح القدير (109/2).

٤- وأمَّا استعلاء الله-ﷻ- وفوقيته فصفةٌ تثبت له على المنهج السليم لأهل السنة والجماعة على ما يليق بجلاله وعظمته مع قطع الطمع عن إدراك كيفيتها، وأدلّة هذه الصفة كثيرةٌ في القرآن والسنة، وكذلك كلّ دليلٍ يدلّ على الاستواء فهو دالٌّ على العلو.
انظر: شرح العقيدة الواسطية (ص82-83).

بالفعل عن الاسم، والحفظة هم الملائكة يحفظون على العباد أعمالَهم [1] على ما تقدم أنَّ في توكيل الملائكة على العباد مصلحة لهم في الدين؛ لكي يعلموا أنَّ معهم من يحصي عليهم ما يأتون من خيرٍ أو شرٍّ، فيكون ذلك ترغيباً في الخير وزجراً عن الشر، وقد ورد في الخبر: (أنَّ على كلِّ واحدٍ منَّا ملكين بالليل وملكين بالنهار، يكتب أحدُهما الحسنات والآخر السيئات، وصاحبُ اليمين أميرٌ على صاحبِ الشمال، فإذا عمل العبد حسنةً كُتِبت له بعشر أمثالِها، وإذا عمل سيئةً فأراد صاحبُ الشمال أن يكتب قال له صاحبُ اليمين: أمسك، فيمسك عنه ست ساعات أو سبع ساعات، فإن هو استغفر الله تعالى لها لم تُكتب عليه، وإن لم يستغفر كُتبت عليه سيئة واحدة) [2]. وقوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ معناه: حتى إذا حضر أحدَكم الموت قبض روحَه ملكُ الموتِ وأعوانُه [3]، وهم لا يقصرون ولا يؤخرونه طرفة عينٍ [4]، والتفريط هو التأخير عن الحد الذي توجبه الحكمة،

---

١- وكذلك يحفظون على الإنسان رزقه وأجله فالحفظ هنا عامٌ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ - كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:10-11]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:11]، وقد روى الطبري هذا التفسير عن قتادة بسندٍ حسنٍ. انظر: تفسير الطبري (216/7)، أضواء البيان (235/2-236)، التفسير الصحيح (245/2).

٢- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (390/5)، رقم: (7049)، وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم: (2237).

٣- وهذا التفسير رواه عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ عن قتادة بما نصّه: [يلي قبضها الرسل، ثم ترفع إليه، يقول: إلى ملك الموت]. تفسير عبد الرزاق (209/2)، وقد روي نحوه عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ومجاهدٍ والنخعي. انظر: الدر المنثور (69/6).

٤- المشهور عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في معنى: ﴿ يُفَرِّطُونَ ﴾ أي: يضيعون، وقد رواه عنه الطبري بسندٍ حسنٍ، وأمَّا ما ذكره المصنّف من أنَّ معناه لا يقصرون أو لا يؤخرون طرفة عين فكلّها معانٍ داخلة تحت معنى التضييع. انظر: تفسير الطبري(218/5)، الدر المنثور (71/6)، التفسير الصحيح (246/2).

والإفراط هو التجاوز عن ذلك الحد[1]، والقصد هو إصابة المقدار، فإن قيل: كيف قال هاهنا: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ وقال في آيةٍ أخرى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة:11]؟ قيل له: قال الحسن[2] ﷺ: إنَّ ملك الموت هو الذي يقبض الأرواح كلَّها وهو القائم بذلك، إلاَّ أنَّ له أعواناً، فتارةً أضاف قبض الروح إلى ملك الموت عليه السلام؛ لأنَّه هو المختص بالقيام بذلك، أو بأن يأمر غيره، وتارةً أضافه إليه وإلى غيره؛ لأنَّهم يصدرون في ذلك عن أمره[3]، وقال مجاهد[4]: جعلت الأرض لملك الموت كالطست يتناول من حيث يشاء، وله أعوانٌ يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم[5]، ويقال: إنَّ أعوان ملك الموت يستخرجون الروح من الأعضاء عضواً عضواً حتى إذا جمعوه في صدره وجعل يغرغر ه قبضه حينئذٍ ملك الموت[6]، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنَّه دخل على مريضٍ يعوده فرأى ملكَ الموت عند رأسه فقال: (يا ملك الموت ارفق به فإنَّه مؤمنٌ، فقال ملك الموت : يا

---

١- انظر: الكشاف (25/2)، البحر المحيط (153/4).

٢- هو: الحسن بن أبي الحسن، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، سيد زمانه علماً وعملاً، توفي سنة: 110هـ. انظر: طبقات المفسرين (150/1)، طبقات القراء (46/1).

٣- لم أقف عليه منسوباً للحسن، وقد ذكره الطبري –رحمه الله- من كلامه هو، وقد ذكر ابن الجوزي ثلاثة أوجهٍ لإزالة الإشكال المتوهم، إمَّا بتجويز إطلاق الجمع على الواحد فالمراد ملك الموت في الآيتين، أو أنَّهم أعوانه ويصدرون عن أمره فأضيف الفعل إليه، أو أنَّ الأعوان لهم النزع، ويتولّى ملك الموت قبض الروح وإخراجها. انظر: تفسير الطبري (216/7)، زاد المسير (56/3).

٤- هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المقرئ المفسّر الإمام، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، لازم ابن عباس، وقرأ عليه، وأخذ عنه، توفي سنة: 102، أو 103، أو 104هـ وهو ساجدٌ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (305/2-308)، سير أعلام النبلاء (449/4).

٥- انظر: تفسير عبد الرزاق (209/2)، العظمة (894/3)، تفسير الطبري (217/5)، الدر المنثور(70/6).

٦- وقد ذكر نحو هذا ابن كثير من غير نسبةٍ، فقال: "وهكذا ورد في الحديث أنَّ أعوانه ينزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت"اهـ.انظر: تفسير ابن كثير (361/6).

محمد ﷺ أبشر وطب نفساً وقرّ عيناً فإنِّي بكلّ مؤمنٍ رفيقٌ، إنِّي لأقبض روح المؤمن فيصرخ أهله فأعتزل في جانب الدار فأقول: ما لي من ذنب وإنِّي لمأمورٌ وإنَّ لي لعودة ثم عودة فالحذر الحذر، وما من أهل بيت مدرٍ ولا وبر في بر ولا بحر إلاَّ وأنا أتصفحهم في كلِّ يومٍ خمس مراتٍ حتى إنِّي لأعلم بصغير هم وكبير هم من هم بأنفسهم، والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة لم قدرت عليها حتى يأمرني الله بقبضها)[1].

**وقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [62]:**

معناه: ثم ردهم الملائكة إلى الموضع الذي لا يملك أحدٌ الحكم فيه إلاَّ الله[2] ﷻ، وقوله ﷻ: ﴿ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ أراد به مالكهم من كل جهةٍ، فإنَّه يملك خلقهم وإنشاءهم وتربيتهم وإماتتهم وإحياءهم وضرهم ونفعهم، وهو الذي دبّر في الابتداء أمرَهم حين أنشأهم، ثم رُدُّوا في الانتهاء إلى تدبير الله تعالى فيهم وحده، ومعنى الحق: هو الذي عبادته حقٌّ، ويعطي الثواب بالحقّ، ويتولى العقاب بالحقّ[3]، وقيل :

---

١- أخرجه أبو الشيخ في العظمة (937/3)، رقم: (473) عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ طرقه تدور على عمرو بن شمر الجعفي، وهو ضعيفٌ ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة والنسائي والبخاري وابن حجر وتركوا حديثه وأنكروه ووصموه بالتشيع وسب الصحابة. انظر: تفسير ابن كثير (361/6)، ميزان الاعتدال (268/3).

٢- ويحتمل أن يراد به الرد إلى تدبيره وحده؛ لأنَّه أنشأهم منفرداً بتدبيرهم، فلمّا مكّنهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثمّ كفهم عنه بالموت، فصاروا مردودين إلى تدبيره.انظر: تفسير ا لماوردي (531/1).

٣- وهو كلامٌ مسلّمٌ به، ولكن الأولى تخصيص الأحقية بالولاية مراعاةً للسياق السابق، فيكون المراد كما قال البقاعي:"الحق: أي الثابت الولاية، وكلّ ولاية غير ولايته من الحفظة وغيرهم عدم". وقال الأستاذ الطاهر بن عاشور: "وأصل الحق: أنَّه الأمر الثابت، فإنَّ كلّ ملك غير ملك الخالقية فهو مشوب بلستقلال مملوكه عنه استقلالاً متفاوتاً، وذلك يوهن الملك ويضعف أحقيته". وما ذكره المصنّف فهو داخلٌ تحت الولاية الكاملة والثابتة لله ﷻ. انظر: نظم الدرر (649/2)، التحرير والتنوير (279/7).

إنَّ هذه أرجأ آية في كتاب الله تعالى؛ لأنَّه لا مردَّ للعبد أحسن من مردِّه إلى الله مولاه[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ كلمة تنبيهٍ أي: اعلموا أنَّ بيده القضاء بين العباد يوم القيامة، يحكم بينهم بما شاء وكيف شاء،[2] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ معناه: إذا حاسب فحسابه سريعٌ؛ لأنَّه تعالى لا يحاسب بعقد ولا يتكلم بآلة فيحجزه الكلام مع بعضهم عن الكلام مع غيره، والله يحاسب الجميع في دفعةٍ واحدةٍ[3]، ومعنى المحاسبة تعريف كلّ واحدٍ ما يستحقه من ثوابٍ أو عقابٍ، حتى

١- وهذا والله أعلم فيه نظرٌ؛ لأنَّ الآية محتملة لمعنيين: الأوَّل: أنَّ المراد بالمردود الملائكة الحفظة، وهذا ليس فيه أي وجه رجاء لغيرهم من المكلفين لفساد القياس بينهما، ووجه فساده ظاهر . والثاني: أنَّ المردود الثقلان بعد أن تتوفاهم الملائكة، والثقلان من أنسٍ وجنٍّ فيهم المسلم والكافر والصالح والفاسق، فإن كان في الآية وجه رجاءٍ فهو نسبي وليس على الإطلاق، بل أظنُّ أنَّ هذا الجزء من الآية فيه وجه تخويفٍ وتهديد مبطنٍ للكفرة الذين ينامون في الليل ويجترحون الآثام في النهار، بقدر ما فيه من وجه رجاء للذين آمنوا وعملوا صالحاً-والله أعلم-. وأمَّا أرجى آية في كتاب الله تعالى فقد ذهب بعضهم إلى أنَّها آية الزمر :﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر:53]، وذهب آخرون إلى أنَّها آية الضحى، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى :5]، والأوَّل مروي عن ابن عمر وابن مسعود، والثاني مروي عن علي-ﷺ-. ووجه الثاني أنَّ النبي -ﷺ- لا يرضى بأحدٍ من أمته يبقى في النار، وأمَّا ما ذكره المؤلّف فهو نوعٌ من التفسير الإشاري.
انظر: تفسير الطبري (15/24، 232/30)، تفسير القرطبي (269/15)، روح البيان (502/26).

٢- هذه الجملة الأخيرة تذييل؛ ولذلك بدئت بأداة الاستفتاح المؤذنة بالتنبيه لأهمية الخبر.
انظر: بحر العلوم (491/1)، التحرير والتنوير (279/7).

٣- وعلى هذا فالمؤلّف-رحمنا الله وإياه- يرى بأنَّ الحساب بمعنى الحكم والفصل، وهناك معنى آخر ذهب إليه بعض المفسرين وهو أنَّ المراد بالحساب حساب عدد الخلق وأعمالهم وآجالهم وإحصائها، ومعرفة مقاديرها، وإليه ذهب الطبري في تفسيره (218/7)، وأمَّا قوله: "لأنَّه لا يحاسب بعقد ولا يتكلّم بآلةٍ" فهو من جملة تعليلاتٍ ذكرها بعض المفسرين كقول بعضهم: لأنَّه لا يحتاج إلى ما يحتاجونه من فكرٍ ورويةٍ وتدبّرٍ، وأمثال هذا الكلام وإن كان المراد منه تقريب المعاني إلى العقول إلاَّ أنَّ في إيراده نظرٌ؛ لأنَّ المكلّف غير مطالبٍ بفهم كيفية المحاسبة، وكذا فالله-ﷻ- لا يقاس على خلقه- تعالى وتعاظم-إنَّما المكلّف مطالبٌ باعتقاد ما أخبر به

روي في الخبر: (أنَّه يكون حسابه معهم في مقدار حلب شاة)[1].

**قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [63]:**

معنى الآية: قل لهم يا محمد ﷺ: من ينجيكم من شدائد البَرِّ والبحرِ وأهوالها، تقول العرب لليوم الذي يأتي فيه شدةٌ: يومٌ مظلمٌ، حتى إنَّهم يقولون : يوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل[2]، ويقال: أراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة أمواج البحر[3]، وقوله : ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أي تدعونه علانية وسراً[4]، [212/ب] والتضرع إظهار الضراعة، وهي شدة الفقر والحاجة إلى الشيء[5]، وفي الخفية قراءتان؛ بكسر الخاء وضمِّها[6]، وفيه أربع لغات:

---

تعالى عن نفسه مجرداً من غير محاولة لإدراكه كيفية المخبَر عنه إن كان من أمور الغيب. والله أعلم.

١- أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي بسنده عن جابر : (183/4).

وانظر: تفسير ابن كثير (262/7).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (259/2).

٣- وفي هذا انقسم المفسرون إلى قسمين فمن رأى أنَّ الظلمات كناية فسّرها بالأهوال والشدائد، ومن رأى أنَّها حقيقة قال: إنَّها جمعت باعتبار مواردها ففي البحر: ظلمة الليل، والسحاب، وأمواج البحر، وفي البر: ظلمة الغبار، وظلمة الغيم، وظلمة الريح.

انظر: مفاتيح الغيب (21/13)، البحر المحيط (154/4)، الكشاف (25/2)، روح المعاني (175/7).

٤- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-وعن الحسن- رحمه الله تعالى- . انظر : الوسيط (282/2)، روح المعاني (179/7).

٥- انظر: معاني القرآن الزجاج (259/2).

٦- والضم قراءة الجمهور، وبالكسر قرأ أبو بكر ابن عياش عن عاصم . انظر : التذكرة في القراءات (326/2)، النشر (259/2).

خُفية، وخِفية، وخِفوة، وخُفوة[1]، وهو نظير قولك: حِثية، وحُثية، وحِثوة، وحُثوة، وقوله ﷻ: ﴿ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ ﴾ في موضع الحال[2]، معناه: قائلين لئن أنجيتنا من هذه الشدائد لنكوننَّ من المؤمنين الموحدين المطيعين، ويقرأ ﴿ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا ﴾ على لفظ المغايبة[3].

**قوله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ [64]:**

معناه: قل الله ينجيكم من شدائد البَرِّ والبحر ومن كل غمٍّ ثمّ أنتم تشركون به الأصنامَ في الرخاء بعد النجاة، وبعد قيام الحجة عليكم[4]، ومن قرأ ﴿ **يُنَجِّيكُم** ﴾ بفتح النون وتشديد الجيم[5] فهو عبارة عن الكثرة، يقال: نجا فلان، إذا نجا بنفسه، وأنجاه فلان، إذا فعل غيره ذلك به، ونجّاه بالتشديد إذا خلّصه مرةً أخرى[6]، والنجاة والنجاة هي السلامة من الهلاك[7].

**قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ**

---

١- والأخيرتان لا تصلحان للقراءة. انظر: معاني القرآن للفرَّاء (338/1).

٢- انظر: البحر المحيط (154/4).

٣- وهي قراءة الكوفيين إلاَّ أنَّ حمزة والكسائي أمالا و لم يمل عاصم.
انظر: التذكرة (326/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (219/7).

٥- وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وهشام عن ابن عامر وأبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني.
انظر: النشر (258/2)، غاية الاختصار (481/2).

٦- انظر: الحجة للقراء السبعة (322/3).

٧- قال في اللسان: النجاء: الخلاص من الشيء، نجا، ينجو نجواً، ونجاءً، ممدود، ونجاةً مقصور. أهـ. لسان العرب (305/15).

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ [65]:

ظاهر هذه الآية راجعٌ إلى مشركي أهل مكة [1]، ومعناها: قل لهم يا محمد ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ كما بعث على قوم نوح ولوط من الطوفان والحجارة [2]، ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾ أي هو القادر على أن يخسف بكم [3]، كما فعل بقارون وقومه، ويقال : أراد بقوله : ﴿ مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ السلطان الجائر، وبقوله : ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾ أن يغلب عليكم سفهاؤكم [4]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾ فمعناه: أو يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء [5]؛ بأن يضرب بعضكم ببعضٍ بما يلقيه بينكم من العداوة وهو أن يعرّف كل فريقٍ قبح ما عليه الفريق الآخر، ويقال: معنى ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ ﴾ أي يكلكم إلى أنفسكم ويخليكم

---

١- وقيل: المعنيُّ بها المسلمون من أمةَّ محمد - ﷺ-، وهو مروي عن أُبَيّ- ﷺ- وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وأمَّا ما ذكره المصنّف من أنَّها في المشركين، فهو ما رجّحه الطبري، وإليه ذهب أبو سليمان الدمشقي، وقال الحسن: إنَّ العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين . انظر : تفسير الطبري (225/7-227)، زاد المسير (89/3-90).

٢- والطوفان والحجارة نوعان من عذاب السماء، وإلاَّ فالأولى حمل الآية على العموم كما روى الطبري بسنده عن السدي قال: من فوقكم: عذابٌ من السماء. انظر: تفسير الطبري (220/7).

٣- وهو مروي عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعن ابن مسعود-ﷺ-. المصدر السابق.

٤- وإلى هذا القول ذهب ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-وقال الطبري: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بالعذاب من فوقهم: الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم: الخسف وما أشبهه... إلى أن قال: وإن كان لما روي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في ذلك وجهٌ صحيحٌ غير أنَّ الكلام إذا تنوزع في تأويله، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحقّ وأولى من غيره ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها . اهـ. المصدر السابق.

٥- وهذا مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-بسندٍ حسنٍ، وعن مجاهد، والسدي . انظر : تفسير الطبري (221/7)، التفسير الصحيح (247/2).

من ألطافه بذنوبكم فتختلفوا حتى يذوق بعضكم شدة بعض بالحرب والقتال، وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ انظر يا محمد ﷺ كيف نبين لهم آيةً على إثر آيةٍ لكي يفقهوا أوامر الله تعالى ثم لا يفقهون، وقال الحسن: نزلت هذه الآية في أهل الصلاة[1]، وعن عبد الله بن عباس[2] أنَّه قال: لما نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بهذه الآية شق عليه مشقَّة شديدة، فقال: يا جبريل ما بقاء أمتي على هذه الخصال الأربع؟ فقال له جبريل عليه السلام: إنَّما أنا عبدٌ مثلك فادع ربَّك واسأله لأمتك، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قام وصلَّى فأحسن الصلاة، ثمَّ سأل ربَّه ألا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم، ولا من تحت أرجلهم، ولا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعضٍ، فنزل جبريل عليه السلام عليه فقال: يا محمد ﷺ إنَّ الله تعالى قد سمع مقالتك لأمتك، وإنَّه قد أجارهم من خصلتين : ألا يبعث عليهم عذاباً من فوقهم، ولا من تحت أرجلهم، ولم يجرهم من الخصلتين الأخيرتين، فقال: يا جبريل ما بقاء أمتي أن يكون فيهم أهواء مختلفة، ويذيق بعضهم بأس بعض فيكون فيهم السيف، فنزل عليه ﷺ جبريل عليه السلام فقال: محمد ﷺ إنَّ الله قد سمع مقالتك ويقول: إنَّا أرسلنا قبلك رسلاً إلى قومهم فصدَّقهم مصدقون وكذَّبهم مكذِّبون، ثم لم يمنعنا أن نبتلي الذين زعموا أنَّا مؤمنون بعد قبض أنبيائهم ببلاء يعرف به صدقهم من كذبهم، قال: ثم نزل: ﴿ الٓمٓ - أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ وَلَقَدۡ فَتَنَّا

---

١- والمراد بأهل الصلاة: المسلمون. والمروي عن الحسن في هذا: أنَّ العذاب للمشركين، وأمَّا اللبس وتفريق الأهواء، وإذاقة بعضهم بأس بعضٍ فهو للمسلمين، وقدر رواه الطبري بسنده عنه . انظر: تفسير الطبري (225/7).

٢- هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة : 68هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (933/3-939)، رقم: (1588)، أسد الغابة (290/3-294)، رقم : (3035)، الإصابة (141/4-151)، رقم: (4784).

ﭐلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ ﴾ [العنكبوت:1-3] إلى آخر الآية، فكانت علامة صدق المؤمنين في إيمانهم اجتنابهم عما نهاهم الله تعالى عنه من الكبائر التي وعد عليها النار، وعلامة الكاذبين انتهاكهم ما حرم الله مما وعد الله عليه النار[1].

**قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ - لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [66-67]:**

معناه: وكذب بالقرآن[2] قومك وهو الحق وهو الصدق، قل : لست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها[3]، وقيل معناه : قل: لا أقدر على أن أحول بينكم وبين الكفر الذي يضرّكم كما يدفع الوكيل الضرر عن موكله[4]، وعن عبد الله بن عباس في معنى قوله : ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ لست بموكلٍ بكم أجبركم على الإيمان[5]، قال: ثم نسخ هذا بآية القتال[6]، وأمَّا قوله : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ

---

١- أخرج السيوطي نحوه في الدر المنثور،وقال : أخرجه ابن مردويه .انظر:بحر العلوم (492/1)،الدر المنثور(82/6).

٢- وهذا القول رواه الطبري وغيره عن السدي أنَّه قال: يقول: كذّبت قريش بالقرآن وهو الحقّ، وروي نحوه عن الحسن البصري، وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ المكذَّب به هو : العذاب المذكور، وإليه نحا الطبري-رحمنا الله وإياهم جميعاً-وقيل المكذب به التعريف المذكور سابقاً، وقد حكاه الماوردي ونسبه لبعض المتأخّرين. انظر: تفسير الطبري (227/7)، تفسير الماوردي (534/1)، المحرر الوجيز (71/6)، زاد المسير (60/3)، الدر المنثور (85/6)، التفسير الصحيح (247/2).

٣- ومثل هذا مروي عن السدي. انظر: تفسير الطبري (227/7)، الدر المنثور (85/6).

٤- وقد ذكره الماوردي ونسبه لبعض المتأخرين، وأورد قولاً ثالثاً مفاده: لست آخذكم بالإيمان إجباراً واضطراراً، ونسبه إلى الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (260/2)، تفسير الماوردي (534/1).

٥- وهذا القول عين القول الثالث المنسوب للزجاج. انظر: المصدرين السابقين.

٦- ورواية النسخ واردةٌ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقد قوّى بعض المفسّرين هذا القول كابن عطية، وابن العربي، وأخرجه السيوطي، ولم يستبعده الألوسي. على أنَّ المراد بالآية: لست مأموراً بإجباركم على الإيمان، وأمَّا إن أريد بالآية نفي حفظ الأعمال والمجازاة بها فهو خبرٌ، والخبر لا يدخله

مُّسۡتَقَرّٞۚ ﴾ فمعناه لكل وعد [213/أ] ووعيد وقت وأجل وغاية[1]، منه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون في الآخرة[2]، وسوف تعلمون ذلك إذا نزل بكم، وإنَّما سمّى الوقت مستقراً؛ لأنَّ الوقت يكون ظرفاً للفعل.

**قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [68]:**

معناه: وإذا رأيت المشركين الذين يكذبون ويستهزئون بك وبالقرآن فأعرض عنهم على وجه الإنكار عليهم وإظهار الكراهة لما يكون منهم ولا تجالسهم إلى أن يتركوا استهزاءهم ويخوضوا في حديثٍ غيرِ القرآن[3]، والخوض في اللغة: هو الدخول في الشيء على وجه التلوُّن به[4]، والخطاب في ظاهر هذه الآية وإن كان للنبي ﷺ ولكن المراد به هو وغيره من المؤمنين[5]، إلاَّ أنَّ غير الأنبياء إنَّما يلزمهم

---

النسخ. انظر: المحرر الوجيز (72/6)، زاد المسير (61/3)، الناسخ والمنسوخ لابن العربي (211/2)، الدر المنثور (86/6)، روح المعاني (182/7).

١- وروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بسندٍ حسنٍ أنَّ معنى المستقر: الحقيقة. انظر: تفسير الطبري (227/7)، الدر المنثور (86/6)، التفسير الصحيح (248/2).

٢- وهذا مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-من طريق محمد بن سعد بسنده، ونحوه عن مجاهد. انظر: تفسير الطبري (227/7)، الدر المنثور (86/6).

٣- وهو مرويٌ عن قتادة، ومجاهد. انظر: تفسير الطبري (228/7)، الدر المنثور (87/6).

٤- قال في اللسان: والخوض: المشي في الماء... والخوض من الكلام: ما فيه من الكذب والباطل. اهـ. والمشي في الماء إنَّما هو دخولٌ فيه وتلوّنٌ وتلبّسٌ به. انظر: لسان العرب (147/7).

٥- وهذا الذي عليه جماهير الأصوليين، وهو: أنَّ الخطاب بصيغة المفرد للنبي-ﷺ-عامٌّ له ولأمّته، إلاَّ ما ظهر اختصاصه به-ﷺ-، كالنكاح والغنائم. وكذا فإنَّ علّة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشمل الرسول-ﷺ-وغيره. انظر: البرهان (367/1-368)، المستصفى (299/3)، المحرر الوجيز (72/6)، سلاسل الذهب (ص:234).

إنكار المعصية إذا كان يؤثر إعراضهم في قبول أهل المعصية منهم، وأمَّا إذا كانوا لا يطمعون في قبول أهل المعصية منهم ويخافون على أنفسهم في الإعراض عنهم فلا يلزمهم الإنكار في مثل هذا الموضع بعد قيام الحجة على ا لذي يرتكب المعصية [1]، وأمَّا الأنبياء عليهم السلام فقد كان يلزمهم الإنكار على كل الأحوال لأنَّا لو جوَّزنا عليهم ترك الإنكار لخوفهم على أنفسهم لم نأمن لأجل الخوف أن لا يكون نبيٌّ من الأنبياء مؤدياً لبعض الشرائع، وذلك يخرج النبي عن كونه حجة أو يُفِرَّ عنه ولا يجوز أن يكون قد بقى على النبي شيءٌ من الرسالة وهو يخاف على نفسه [2]، وأمَّا قوله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ فمعناه: وإمَّا يوقعنَّك الشيطان في النسيان بعد النهي فتجلس معهم فلا شيء عليك في تلك الحال التي تكون فيها ناسياً للنهي، ثم قال: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أي قم إذا ذكرت ودع مجالسة المشركين فتأثم [3]، ومن قرأ: ﴿ وَإِمَّا يُنَسِيَنَّكَ ﴾ بالتشديد ونصب النون [4] فهو لغةٌ ، يقال : نسيته وأنسيته بمعنى واحدٍ [5]، وقد روي أنَّه لما نزلت هذه الآية قال المسلمون : يا رسول الله ﷺ لئن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم لا نستطيع أن نجلس في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت فنزل [6]:

---

١- وأمَّا إن لم تقم الحجة على مرتكب المعصية؛ كجاهل بالتحريم ، ولم يوجد من يقيم عليه الحجة سواه، وجب عليه إعلامه، وإن خاف.-والله أعلم-.

٢- ونحو هذا المعنى ذكره الرازي-رحمه الله- في تفسيره (25/13).

٣- وهذا المعنى مروي عن قتادة، ومجاهد، وسعيد بن جبير.
انظر: تفسير عبد الرزاق (212/2)، تفسير الطبري (228/7)، الدر المنثور (87/6-88).

٤- وهي قراءة ابن عامر. انظر: التذكرة (327/2)، النشر (259/2).

٥- والتحقيق: أنَّك تقول: نسيته، ناسباً النسيان لنفسك، وأُنسيته ناسباً النسيان لغيرك، والمراد به هنا الشيطان. انظر: الحجة للقراء السبعة (324/3).

٦- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ونسبه أبو الليث إلى الكلبي.
انظر: بحر العلوم (493/1)، تفسير البغوي (105/2).

قوله ﷻ: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1] [69]:

معناه: وما على الذين يتقون الشرك والمعاصي من آثامهم ومخالفتهم أمر الله من شيء من العقاب ولكن ذكرهم بالقرآن ذكرى إذا فعلوا ذلك لتكونوا على رجاء تركهم الشرك والاستهزاء[2]، ويجوز أن يكون موضع ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ رفعاً[3] على تقدير: ولكن عليكم أن تذكّروهم بالقرآن، أو ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى.

قوله ﷻ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ

---

١- ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ بعض المفسِّرين رأى أنَّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:140].

وقد روى ابن جرير ذلك عن ابن جريج.

ورَدّ ذلك بعضهم محتجاً بأنَّ الآية خبر، وأنَّها دلّت على أنَّ كلّ عبدٍ يختصّ بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

وممّن استبعد النسخ ابن الجوزي وابن كثيرٍ، وردّه ابن عطية، وقوّاه ابن ال عربي، وقال: إنَّه ليس بخبرٍ وإنَّما هو أمرٌ صريحٌ، ورأى أنَّها منسوخة بالأمر بالقتال.

انظر: تفسير الطبري (230/7)، المحرر الوجيز (74/6)، زاد المسير (63/3)، الناسخ والمنسوخ (211/2-212)، تفسير ابن كثير (278/3)، التفسير الصحيح (249/2).

٢- وعلى هذا التفسير يتأتى وجه النسخ، كما سبق، على أنَّه أمرٌ يدخله النسخ. والله أعلم.

٣- والوجه الأوَّل في إعراب «ذكرى» ذكره المؤلِّف في تفسيره لمعنى الآية، وهو النصب على أنَّها مفعولٌ مطلقٌ، أو على المصدرية.

والثاني: الرفع والتقدير: ولكن هو ذكرى، أو الواجب ذكرى، أو عليهم ذكرى.

انظر: إعراب النحاس (15/2)، الكشاف (27/2)، البحر المحيط (158/4).

حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[1] [70]:

معناه: وذر الكفار الذين اختاروا في دينهم اللعب والباطل والاستهزاء، ويقال : معناه: الذين اتخذوا دينهم بهوى أنفسهم[2]، ومن اتخذ دينه بهوى نفسه فهو عابثٌ لاعبٌ، وقال الفراء[3] في معنى الآية: ليس من قوم إلاَّ ولهم عيدٌ يلهون فيه إلاَّ أمة محمدﷺ فإنَّ أعيادهم صلاةٌ وتكبيرٌ وبرٌّ وخيرٌ[4]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ معناه: وشغلتهم[5] الحياة الدنيا بما فيها من زهرتها وزينتها

---

١- وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ هذه الآية منسوخة كذلك.
وقالوا: إنَّ ناسخها: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[التوبة:5]، وقد روي ذلك عن قتادة- رحمنا الله وإياه-. وقد ردَّه بعضهم بأنَّها كقوله تعالى: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر :11]، المراد منها التهديد، فهي خبرٌ، والخبر لا يدخله النسخ، وهو مرويٌّ عن مجاهد، وإليه ذهب القاضي ابن العربي، وابن عطية، وللرأي الأوَّل مال الطبري-رحمه الله وإيانا-.
انظر: تفسير عبد الرزاق (212/2)، تفسير الطبري (231/7)، المحرر الوجيز (75/6)، الناسخ والمنسوخ (212/2)، الدر المنثور (91/6).

٢- وهو وجهٌ في معنى اتخاذ الدين لعباً ولهواً، وقد أورده بعضهم كالزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي.
انظر: الكشاف (27/2)، زاد المسير (64/3)، مفاتيح الغيب (27/13).

٣- هو: يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفرَّاء، إمام العربية، له مصنفاتٌ كثيرةٌ، توفي بطريق مكة سنة : 207هــ. انظر: طبقات المفسرين (368/2)، سير أعلام النبلاء (118/10).

٤- وهذا التفسير على أنَّ المراد بالدين هنا : العيد. انظر: معاني القرآن للفراء (339/1)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (246/1)، تفسير البغوي (106/2)، زاد المسير (64/3)، فتح القدير (134/2)، روح المعاني (186/7).

٥- لم أقف على أحدٍ من المفسّرين فسّر ﴿ غَرَّتۡهُمُ ﴾ بــ:شغلتهم، وجلّ عباراتهم تتراوح بين معنى الخداع، من الغرور، وهو: الإطماع بما لا يتحصّل-وبين معنى ملئ الأفواه والإشباع من الغَرّ بفتح الغين- وكما لا يخفى فإنَّما ذكر من الخداع والإشباع كلّه شغل لهم عن الآخرة، فهو تفسيرٌ باللاَّزم.
انظر: المحرر الوجيز (75/6)، البحر المحيط (159/4)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي

ونعيمها.

وقوله ﷻ: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ ﴾ أي عظ بالقرآن[1] كراهة أن تبسل نفس بما عملت، ويقال: قبل أن تبسل، ويقال: لئلا تبسل[2]، ومعنى تبسل: تسلم بعملها غير قادرة على التخلص منه [3]، ويقال: ترهن وتحبس[4]، والمبتسل: المستسلم الذي يعلم أنّه لا يقدر على

---

(126/4)، روح المعاني (186/7).

١- وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ الضمير في ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ ﴾ يعود على الدين؛ لأنَّ عود الضمير على أقرب مذكورٍ، والدين آخر مذكورٍ؛ فوجب عوده عليه، وقيل: يعود على الحساب، والأقرب الأوَّل وعليه جماهير المفسّرين؛ لوروده مفسّراً في آية ق: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[ق:45].
انظر: تفسير الطبري (231/7)، المحرر الوجيز (75/6)، زاد المسير (64/3)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (126/4)، روح المعاني (186/7)، فتح القدير (135/2).

٢- وجملة: أن تبسل: في محلّ نصب المفعول لأجله، وقد قدّر المفسّرون لذلك تقديرات ثلاثة : مخافة أن تبسل، كراهة أن تبسل، لئلاَّ تبسل، ولم أقف على من قدّرها بـــ : قبل أن تبسل. وهو غير ممتنعٍ. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (233/7)، بحر العلوم (493/1)، الكشاف (27/2)، تفسير البغوي(106/2)، المحرر الوجيز(75/6)، البحر المحيط(160/4)، تفسير ابن كثير (279/3)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (126/4)، روح المعاني (187/7)، التحرير والتنوير (297/7)، فتح القدير (135/2).

٣- وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، وإليه ذهب الزجاج، وقد روي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، وليس على هذه الرواية المعوّل؛ لأنَّ المروي عنه بسندٍ حسنٍ من طريق علي بن أبي طلحة أنَّ معنى : تبسل: تفضح. انظر: تفسير الطبري (231/7-232)، معاني القرآن للزجاج (261/2)، الدر المنثور (91/6-92)، التفسير الصحيح (249/2).

٤- والقول بأنَّ المراد بها: تحبس مرويٌّ عن قتادة، وابن زيد، وقد روي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في مساءلات نافعٍ بن الأزرق له، والمعوّل عليه عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- هو ما رواه عنه علي ابن أبي طلحة كما سبق، وأمَّا تفسيرها بـــ : ترهن، فهو قول الفراء. انظر: معاني القرآن للفراء (339/1)، تفسير الطبري (232/7).

التخلص[1]، والباسل: الذي لا يقاومه أحدٌ[2]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ ﴾ معناه: ليس لها أحد سوى الله من قريب يمنع العذاب عنها ولا شفيع يشفع لها[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ معناه: لو جاءت مكانها بكل ما كان في الأرض جميعاً افتداءً عن نفسها لا يقبل منها [4]، وسمي الفداء عدلاً؛ لأنَّه مثل الشيء[5]، ويقال لأحد: جاءني الحمل عِدل-بالكسر-؛ لأنَّ كل واحد من العدلين مثل لصاحبه، وقوله ﷻ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ أي أسلموا للهلاك بما كسبوا من الذنوب[6] لهم شرابٌ من ماءٍ حارٍّ قد **[213/ب]** انتهى حرّه[7]، وعذابٌ وجيعٌ بما كانوا يجحدون في الدنيا بمحمد ﷺ والقرآن.

**قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ**

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (261/2)، لسان العرب (53/11).

٢- انظر: معجم مقاييس اللغة (248/1).

٣- أي: ليس لها حين تسلم بذنوبها، فترتهن بما كسبت من آثامها أحد سوى الله ينصرها . انظر: تفسير الطبري (233/7).

٤- وهو مروي عن قتادة، والسدي، وابن زيد، وذهب بعض أهل العلم بالعربية -كما سماهم ابن جرير- إلى أنَّ المراد بالفداء هنا غير المال، وأنَّ المراد به القسط والتوبة . انظر: تفسير عبد الرزاق (212/2)، تفسير الطبري (233/7-234)، تفسير الماوردي (536/1).

٥- أي: يعادل المفْدِيَّ. انظر: تفسير البيضاوي (126/4)، لسان العرب (434/11).

٦- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- والسدي، والثابت من رواية ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ معناه: فُضِحُوا. انظر: تفسير الطبري (235/7)، الدر المنثور (92/6)، التفسير الصحيح (250/2).

٧- الحميم هو: الماء الحارّ. انظر: تفسير الطبري (234/7)، لسان العرب (153/12).

﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [71]:

معناه: قل يا محمد ﷺ: للكفار الذين يدعونكم إلى دين آبائهم أنعبد سوى الله من الأصنام ما لا ينفعنا إن عبدناه في رزقٍ ولا في معاشٍ، ولا يضرنا إن تركناه في رزقٍ ولا في معاشٍ، وقوله ﷻ: ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ عطف على الاستفهام[1] أي كيف نرجع إلى الكفر بعد إذ هدانا الله دينه، وأكرمنا بمعرفته، فيصير مثلنا كمثل الذي هوت به الشياطين فأذهبته ضالاً في الأرض [2]، ويقال : كالذي زينت له الشياطين هواه فهو يعمل في الأرض بالمعاصي[3]، وقوله ﷻ: ﴿ حَيۡرَانَ ﴾ نصب على الحال[4] أي استهوته حال حيرته، ومن قرأ ﴿اسْتَهْوَيٰهُ﴾[5] فإنَّ فعل الجماعة إذا تقدَّم على الاسم جاز التذكير والتأنيث[6] كما في قوله : ﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا ﴾ [61] بالياء والتاء[7]، وقوله ﷻ: ﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ﴾ أي: إلى الطريق: الصراط المستقيم أن إيتنا واتبعنا وأطعنا فإنَّا على الطريق، فيأبى أن يأتيهم ويطيعهم، وقيل إنَّ المراد بالذي استهوته

---

١- وهو قول الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنَّه في محلّ نصبٍ حال، وفيه ضعفٌ .انظر : البحر المحيط (161/4).

٢- وقد روي هذا المعنى عن قتادة بسندٍ صحيحٍ، وعليه أغلب المفسّرين . انظر: تفسير عبد الرزاق (212/2)،تفسير الطبري(236/7)،زاد المسير(66/3)،مفاتيح الغيب (29/13)،الدر المنثور (93/6).

٣- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وبه قال الزجاج.
انظر: تفسير الطبري (237/7)، معاني القرآن للزجاج (262/2)، زاد المسير (66/3).

٤- انظر: إعراب القرآن (16/2)، مشكل إعراب القرآن (271/1)، البحر المحيط (162/4).

٥- وهي قراءة حمزة الزيات بألفٍ ممالةٍ.
انظر: التذكرة في القراءات الثمان (327/2)، التلخيص في القراءات الثمان (ص156).

٦- انظر: الحجة للقراء السبعة (321/3)، الموضح في وجوه القراءات وعللها (475/1-477).

٧- والقراءة بالياء لحمزة وحده. انظر: المصادر السابقة.

الشياطين: عبد الرحمن بن أبي بكر [1] ﷺ كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام وكان الشيطان والكفار يزينون له الكفر إلى أن منَّ الله تعالى عليه بعد ذلك بقبـــول الإسلام [2]، وقوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ معناه: قل لهم: إنَّ دين الله هو دين الإسلام وأمر نا لنخلص بالشهادة لرب العالمين، تقول العرب : أن نفعل، وبأن نفعل، فتكون الباء لإلصاق الفعل، والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل، وإذا قلت : أن نفعل فعلى تقدير حذف الباء، ومن قال : أمرتُك لتفعل، فقد أخبر بالعلَّة التي وقع لها الأمر، المعنى أمرنا بهذا الأمر للإسلام [3] .

**قوله ﷻ: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[72]:**

أوَّل هذه الآية عطف على قوله: ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ [4] أي أمرنا بالإسلام قيل لنا : أسلمـــوا وأقيموا الصلاة بركوعها وسجودها وما يجب من حق الله تعـــالى فيهـــا،

---

١- هو: عبد الرحمن بن أبي الصديق القرشي التيمي، شهد بدراً وأحداً مع قومه كافراً، أسلم قبل الفتح، مات قرب مكة فحمل إلى مكة ودفن بها سنة: 53هـــ. انظر ترجمته في: الاستيعاب (824/3)، أسد الغابة (466/3)، الإصابة (248/1).

٢- و لم يذكره أحدٌ من أهل التفسير بالمأثور مسنداً إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فيما بن يدي من مراجع، والثابت ما وري عن عائشة-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- حين قالت: كذبوا والله، ما نزل فينا من القرآن شيءٌ إلاَّ براءتي. وقد قال الحافظ ابن حجر : ونفي عائشة أصحّ إسناداً، وأولى بالقبول . انظر: المحرر الوجيز (80/6) ، زاد المسير (67/3)، فتح الباري (577/8)، أسباب النزول للسيوطي (ص:337).

٣- معاني القرآن للزجاج (262/2)، زاد المسير (67/3).

٤- وهناك قولٌ بأنَّه معطوفٌ على ﴿ ٱئْتِنَا ﴾ والمعنى: يدعونه إلى الهدى ائتنا وأقيموا الصلاة، وهو بعيدٌ، وقيل: بأنَّه معطوفٌ على ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ وهذان القولان ضعيفان جداً، ولا يقتضيهما نظم الكلام. انظر: معاني القرآن للزجاج (263/2)، المحرر الوجيز (81/6-82)، البحر المحيط (162/4-163).

﴿ وَٱتَّقُوهُ ﴾ أي أطيعوه واتقوا سخطه [1]، ومعنى العطف في أوَّل هذه الآية لا على اعتبار اللفظ وإنَّما هو على اعتبار معنى المأمور [2]؛ نظيره قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[14]، وقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تخويف لهم، أي: تجمعون يوم القيامة إلى موضعٍ لا يكون الحكم فيه إلاَّ لله ﷻ فيجزيكم بأعمالكم.

**قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [73]:**

معناه: أنَّه خلق السماوات والأرض لإقامة أمرٍ حقٍّ وهو الثواب والعقاب في الآخرة و لم يخلقها باطلاً لغير شيءٍ، ويقال: معناه خلقهما لداعي الحكمة لا لداعي الهوى [3]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أراد بهذا الإعادة، وأراد بالأوَّل [4] ابتداء الإيجاد، وذكر خَلَقَ بلفظ الماضي في الأمرين جميعاً؛ لأنَّ ما أمر الله

---

١- قال في اللسان: وقد توقيت، واتقيت الشيء، وتَقَيْتُه أتَّقيه، وأَتْقِيه تُقىً، وتَقِيَّةً، وتقاءاً: حذرته. اهـ. لسان العرب (402/15).

٢- والمأمور به هو: الإسلام وإقامة الصلاة، أي: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة. انظر: زاد المسير(67/3).

٣- والمعنى الأوَّل يشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[ص:27]، وللثاني تشهد آية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[ص:27].

وهناك معنى آخر ذكره بعض كبار المفسّرين، وهو: أنَّه خلق السماوات والأرض بكلامه-ﷻ- الذي هو الحقّ، وهو قوله-ﷻ- لهما: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[فصلت:11].

انظر: تفسير الطبري (239/7)، تفسير الماوردي (537/1)، زاد المسير (67/3).

٤- يعني بالأوَّل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ويظهر أنَّ مراده من هذا ما يلي: أنَّ الله تعالى خلق السماوات والأرض بالحق، وكذلك خلق يوم القيامة بدلالة قوله: وذكر خلق بلفظ الماضي...، والأمران المذكوران هنا: السماوات والأرض، والثاني: يوم يقول كن، وه و يوم القيامة في رأيه؛ إذ عبّر عنه بالإعادة-والله أعلم-، وهو قولٌ ذكره الزجاج.

تعالى بكونه فهو واقع لا محالة، ويقال معناه: وخلق الخلائق يوم يقول، وقيل: واتقوه يوم يقول[1]، وقيل: واذكروا يوم يقول ليوم القيامة: كن فيكون مكونا بإذن الله تعالى، وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في معناه: يوم يقول للصور[2]: كن فتكون السماوات صوراً مثل القرن ينفخ فيه وتبدّل [سماء أخرى][3]، والغرض من الآية –والله أعلم– بيان سرعة البعث كأنّه قال: كيوم نقول للخلق: موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون.

**قوله ﷻ: ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [73]:**

معناه –والله أعلم–: خبره في أمر القيامة حقٌّ كائنٌ، وله الملك يومئذ، وتخصيص ذلك اليوم بالملك؛ لأنّه اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد سوى الله تعالى نفعٌ ولا ضرٌّ[4] كما قال عزّ من قائل: ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار:19]، والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل[5] عليه السلام نفختين، فيفنى الخلائق كلهم بالنفخة الأولى، ويحيون

---

انظر: معاني القرآن للزجاج (263/2).

١– وعلى هذين القولين يكون لفظ يوم منتصباً على الظرفية.

٢– اختلف في الذي يقول له الله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ على ثلاثة أقوال: أوّلها: أنّه يوم القيامة، قاله مقاتل، والثاني: أنّه الصور، قاله الزجاج، والثالث: ما يكون في يوم القيامة من البعث، قاله الزجاج كذلك، ولكنه قوّى الأوّل بالسياق. انظر: معاني القرآن للزجاج (263/2-264)، زاد المسير (68/3).

٣– هو في المخطوط كما أثبت أعلاه، ولعلّ المراد: تُبدّل سماء بأخرى، ولم أقف عليه عن ابن عباس–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–فيما لدي من مراجع.

٤– انظر: تفسير الطبري (241/7).

٥– وعليه جماهير المفسرين، وهو مرويٌ عن ابن مسعود وأبي هريرة– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– وذهب بعض أهل اللغة إلى أنَّ الصور جمع صورة، والأحاديث متعدّدةٌ في إثبات أنَّ الصور "قرن" وهو الأولى. انظر: تفسير الطبري (241/7)، معاني القرآن للزجاج (264/2)، زاد المسير (69/3).

بالنفخة الثانية، فتكون النفخة الأولى لفناء الدنيا، والنفخة الثانية لابتداء الآخرة، وقال الحسن ﵁: الصور: جمع صورة كما يقال سور البناء في جمع السورة [1]، وقيل: لا تنافي بين القولين فإنَّ نفخ الصور يقع في صور العباد فيحيون [2]، وذهب بعضهم إلى أنَّ **[214/أ]** قوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ﴾[3] كأنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ الكونية للخلائق تكون مقارنا[4] للنفخ في الصور، وأنَّ النفخة الثانية تكون علامةً لبعث الخلائق كما قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[5] [الزمر:68] فعلى هذا التأويل يكون أوَّل هذه الآية ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ معترضاً في الكلام، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ فمعناه: وعالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد، وهو الحكيم في أمره العالم بأعمال عباده[6].

**قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [74]:**

معناه: واذكر يا محمد ﷺ[7] ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾، من قرأ بالنصب [8]

---

١- انظر: المصادر السابقة.

٢- وهو جمعٌ حسنٌ لم أقف عليه عند غيره.

٣- انظر: إعراب النحاس (17/2).

٤- العبارة هنا غير واضحة، ولعل المراد أنَّ الكونية للخلائق تكون مقارنةً للنفخ في الصور. والله أعلم.

٥- في المخطوط كتبت الآية: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾، وهو خطأ، وقد أثبت الصواب.

٦- انظر: تفسير الطبري (242/7).

٧- انظر: المصدر السابق.

بالنصب[1] فموضعه خفض بدل من أبيه إلاَّ أنَّه لا ينصرف؛ لأنَّه اسمٌ أعجمي، ومن رفعه[2] فعلى النداء يا آزر، وقد اختلفوا في هذا الاسم؛ قال الحسن والسدي[3] هو اسم أبي إبراهيم[4]، وقال الفرَّاء: هو صفة عيب كأنَّ إبراهيم عليه السلام قال لأبيه : المخطئ[5]، أو قال لأبيه: يا مخطئ، وقيل في تأكيد هذا القول: أنَّ النسابين قد اتفقوا اتفقوا أنَّ اسم أبي إبراهيم تارح بن تاحورا [6]، وليس في اتفاق النسابين على هذا ما يوجب تعلّق أهل الإلحاد بالطعن في هذه الآية بأنَّه قد يكون للمرء اسمان وكنيتان [7]، وكنيتان[7]، وقد يكون له لقبٌ غالبٌ، و لم يطعن أحدٌ من العرب في القرآن من هذا هذا الوجه مع حرصهم على الطعن فيه، ويقال: إنَّ آزر بلغتهم الشيخ الكبير [8]، وعن مجاهد: أنَّ آزر اسم كبير أصنامهم [9] كأنَّ إبراهيم عليه السلام قال لأبيه: آزر ألهاً

---

١- يعني بالنصب هنا حركة الإعراب، وهي الفتحة النائبة عن الكسرة.

٢- وبالرفع قرأ يعقوب، والباقون بالنصب. انظر: النشر (259/2).

٣- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور، صدوقٌ يهم، رمي بالتشيع، توفي سنة : 127هـ. انظر: طبقات المفسرين (110/1)، س ير أعلام النبلاء (264/5).

٤- وإليه ذهب محمد بن إسحاق، والضحاك، وهو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (242/7)، الدر المنثور (102/6-103).

٥- انظر: معاني القرآن للفراء (340/1).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (265/2).

٧- وقد رجّح ابن جرير القول الأوَّل، أعني القول بأنَّ آزر اسم أبيه، وذكر أنَّه المحفوظ من قول أهل العلم، ثمّ قال: غير محالٍ أن يكون له اسمان، كما لكثيرٍ من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثيرٍ منهم، وجائزٌ أن يكون لقباً. والله أعلم. اهـ. تفسير الطبري (244/7).

٨- وبه قال الضحاك، فيما نقله عنه القرطبي أنَّه قال : معنى آزر الشيخ الهِمّ بالفارسية . اهـ. والهِمّ-بكسر الهاء-: بمعنى الفاني أو الهرم. انظر: تفسير القرطبي (22/7).

٩- انظر: تفسير الطبري (243/7)، الدر المنثور (102/6).

أتتخّذ أصناماً آلهةً[1]، إنِّي أراك وقومك في ذهاب عن الحقِّ بيّن الخطأ بعبادتهم الأصنام.

**قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [75]:**

معناه: مثل ما وصفناه من قول إبراهيم لأبيه ما قال نري إبراهيم صلوات الله عليه القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى، وهي ما رأى من السماء والأرض والكواكب والقمر والشمس، يقال في الكلام لمن فعل خيراً أو شرّاً: كذلك أجزيك، ويقال معنى ﴿ كَذَٰلِكَ نُرِىٓ ﴾: مثل إيائنا لإبراهيم عليه السلام قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب[2] كذلك نريه ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والملكوت : عبارة عن أعظم الملك زيدت الواو والتاء فيه للمبالغة كما يقال في المثل: "رهبوت خير من رحموت"[3].

وقوله ﷻ: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ أي نريه الملكوت لما فعل[4]، أو ليستدل بذلك على توحيد الله تعالى، وليثبت على اليقين[5]، رُوي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: أنَّ إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ولد في زمن

١- ولعلّ المراد-والله أعلم-آزر إلهاً أتتخذ بتقديم المفعول به قبل الفعل، وقد ذُكر في تفسير الطبراني أنَّ هذا التأويل المذكور عن مجاهد، يستلزم تقديماً وتأخيراً في اللفظ حتى يستقيم المعنى عليه .والله تعالى أعلم . انظر: تفسير الطبراني (49/3).

٢- وقد ذكر الطبري الوجهين المذكورين، ولم يرجّح، ويظهر لي والله أعلم انَّه لا تنافي بين القولين، فإنَّه إذا أراه دلائل التوحيد، وبصّره بها علم منها بطلان ما عليه أبوه وقومه من الإشراك مع الله - ﷻ-. انظر: تفسير الطبري (244/7)، زاد المسير (71/3).

٣- ومعناه: أن تُرهب خيرٌ من أن تُرحم. انظر: مجمع الأمثال (272/1).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (265/2).

٥- انظر: تفسير الطبري (247/7).

نمرود بن كنعان، وكان لنمرود كهان يخبرونه بما يكون في الأرض، فقالوا له : إنَّه يولد في هذه السنة غلامٌ يُفسد آلهة أهل الأرض، ويُنازعك في ملكك، فقال نمرود: إنَّ دواءَ هذا هيِّنٌ بذبح كلِّ غلامٍ يولد، ووكل بالنساء في أطهارهنّ وحال بينهنَّ وبين أزواجهنّ، وكانوا لا يجامعون الحيض، فرجع أبو إبراهيم إلى أهله فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها، فعلقت فحملت، و لم يبن حملها و لم يعرف أحد أنَّها حامل حتى أخذها الطلق، فخرجت هاربة مخافة أن يطلع على أمرها فيقتل ولدها، فوضعته في نهرٍ يابسٍ ثم لفته في خرقةٍ ووضعته في الحلفاء[1]، ثم رجعت إلى زوجها وأعلمته بذلك، فانطلق إليه وأخذه من ذلك المكان فحفر له سرباً وواراه فيه وسدّ عليه بصخرةٍ مخافة من السباع أن تأكله، وكانت أمُّه تختلف إليه وترضعه حتى فطمته، وكان إذا بكى على أمه جاءه جبريل عليه السلام ووضع إبهامه في فيه فكان يمضغه فيخرج منه اللبن وكان يمصّ سبَّابة نفسه فيخرج منه العسل حتى كبر وكان فيه إلى أن شبَّ وعقل وتكلَّم، فقال ذات يومٍ لأمِّه : من ربي؟ قالت: أنا، قال: من ربُّك؟ قالت: أبوك، قال: من ربُّ أبي؟ قالت: نمرود، قال: من ربُّ نمرود؟ قالت: اسكت، فسكت، وقال لأبيه مثل ذلك، فأجابه بمثل ما أجابته، فلما جنَّ عليه الليل دنا من السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً يقال له الزهرة، فقال: هذا ربِّي، فلما رآه أفل قال: لا أحبّ ربًّا ليس بدائمٍ، ثمَّ نظر فرأى القمر طالعاً في آخر الليل فقال: هذا يسير على هيئة بيِّن معها أنَّه محدث منتقل من مكان إلى مكان قال : لئن لم يهدني ربِّي لأكوننَّ من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس طالعة قد ملأت كل شيء قال: هذا ربِّي هذا أكبر مما قبله، فلما أفلت خرج من باب السرب فجاء إلى قومه فرآهم يعبدون الأصنام **[214/ب]** فقال: إنِّي بريء مما تشركون، وفي بعض

---

١- الحلفاء: نبت أطرافه محددة، كأنَّها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مغايض الماء، والواحدة : حلفة مثل قصبة وقصباء.

انظر: لسان العرب (395/4).

الروايات أنَّ إبراهيم ﷺ خرج من الغار أوَّلاً فنظر إلى السماء والأرض والجبال وتفكر في نفسه وقال: إنَّ لهذه الأشياء خالقاً خلقها وخلقني ، فرأى أضواء الكواكب: الزهرة ...إلى آخر القصة[1].

**قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ [76]:**

معناه: فلما غشيه الليل[2] رأى الزهرة[3]، ويقال: جنَّه الليل وأجنَّه أي ستره، مأخوذ من المجنّ، والاجتنان، جن عليه الليل وأجنَّه الليل، وقيل معنى جنَّ عليه: أظلم عليه، وقوله ﷻ: ﴿هَـٰذَا رَبِّى ۖ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: هذا ربي في ظني؛ لأنَّه كان في حال فكرةٍ واستدلالٍ، وكان ذلك الوقت وقت مهلةٍ له للتروي والنظر، فلما رأى الكوكب في علوّه وضيائه قرر نفسه على ما ينقسم حكمه من كونه ربّاً خالقاً أو مخلوقاً مربوباً، فلما رآه طالعاً آفلاً ومتحركاً زائلاً قضى بأنَّه محدث لمقارنته بأمارات الحدث وأنَّه ليس بربٍّ، والمحدث غير قادرٍ على إحداث الأجسام وأنَّ ذلك مستحيلٌ منه كما استحال ذلك من نفسه؛ إذ كان محدثاً فحكم بمساواته له في جهة الحدوث وامتناع كونه خالقاً ربّاً، ثمَّ لَمَّا طلع القمر فوجد صفته في العِظَمِ والإشراق وانبساط النور قرّر أيضاً نفسه على ما ينقسم حكمه فقال: هذا ربي، فلما ر اعا ه وتأمَّل حاله وجده في معنى الكوكب في الطلوع والأفول فحكم له بحكمه وإن كان أكبر وأضوأ منه، ثم لما رأى الشمس طالعةً في عظمها وإشراقها وتكامل ضيائها،

---

١- ومجموع القصة مروي عن السدي كذلك. انظر: الكشف والبيان(549/2)، تفسير الطبراني(51/3).

٢- والمعاني التي ذكرها للفظة ﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ كلّها بمعنى واحد-والله أعلم-؛ فإنَّ الليل إذا أظلم على الشخص فقد غشيه، ويكون بذلك قد ستره عن الأنظار، ومنه قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[النبأ:10]. انظر: معاني القرآن للفراء (266/2)، تفسير الطبري (246/7).

٣- وهو مروي عن قتادة، وعن السدي هو : المشتري، وليس في تعيينه كبير فائدةٍ . انظر: الدر المنثور (109/6-113).

قال: هذا ربي؛ لأنَّها كانت تخالف الكوكب والقمر في هذه الأوصاف، ثم لما رآها آفلةً منتقلة حكم لها بالحدوث وأنَّها في حكم الكوكب والقمر؛ لوجود دلالة الحدث في الجميع[1]، قالوا: والذي يؤيد هذا التأويل الذي ذكرناه أنَّ قول إبراهيم عليه السلام كان على وجه النظر والتفكر ما ذكره الله عز وجل أنَّه عليه السلام قال في المرة الثانية : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾[2] [77] والقول الثاني : -وهو الأقرب إلى الصحة- أنَّ إبراهيم عليه السلام إنَّما قال هذه الأقوال في حالة الطفولة قبل كمال عقله[3] حين حركته الخواطر للفكر والنظر في دلائل توحيد الله تعالى على ما رويناه عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ أباه كان حفر له سرباً وواراه فيه خوفا من السباع عليه، وكان إبراهيم عليه السلام على فطرة الإسلام قبل هذه الأقوال وبعدها إلى أن تم عقله وعرف الله تعالى حقَّ معرفته فقال عند ذلك : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ

---

١- وهو قولٌ بعيدٌ، وإليه ذهب جلّ أهل الرواية-كما عبّر عنهم الطبري-وقد رجّحه، وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ومحمد بن إسحاق، ووجه استبعاده : أنَّه يبعد أن يختص الله- عز وجل- برسالته من أتى عليه زمن وهو مكلفٌ غير موحدٍ لله موقن بوحدانيته . انظر: تفسير الطبري (249/7)، تفسير القرطبي (25/7)، تفسير ابن كثير (491/3).

٢- وهذا أجاب عنه الزجاج بما نصّه : وهذا لا يوجب ذلك؛ لأنَّ الأنبياء تسأل الله تعالى أن يثبتها على الهدى. اهـــ. معاني القرآن للزجاج (268/2).

٣- وهذا الذي رجّحه المؤلِّف-رحمنا الله وإياه، ليس براجحٍ- حسب ما يظهر من النظر في آراء كبار المفسّرين، وقد استدلّ القائلون به بما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أنَّه قال: فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال: هذا ربي، فعبده حتى غاب، وكذلك الشمس والقمر، فلما تم نظره قال: إنّي بريء مما تشركون.

وهو مردودٌ بما سبق من أنَّه من غير الجائز أن يكون لله تعالى رسولٌ يأتي عليه وقت من الأوقات إلاَّ وهو لله تعالى موحّدٌ، وبه عارفٌ، ومن كلّ معبودٍ سواه بريء. انظر: تفسير الطبري (249/7)، معاني القرآن للزجاج (268/2)، بحر العلوم (496/1)، تفسير القرطبي (25/7)، روح المعاني (199/7).

وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾[79]، فإن قيل: كيف يجوز أن يكون هذا القول من إبراهيم عليه السلام على ابتداء النظر وقد تقدم إنكاره على أبيه وقومه عبادة الأصنام بقوله: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [74]؟ قيل: تقدم الآية في التلاوة لا يوجب أنّها متقدمة في الحال، فلا يمتنع أنَّ إبراهيم عليه السلام أنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام بعد هذا النظر الذي ذكرناه [1]، والله أعلم. والقول الثالث: أنَّ قوله: ﴿ هَـٰذَا رَبِّى ﴾ كان على وجه الإنكار الذي يكون مع ألف الاستفهام فكان قصده عليه السلام من هذا القول استدراج قومه لإقامة الحجة عليهم وتقريبهم إلى الهدى فإنَّهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فلما بلغ إبراهيم عليه السلام المبلغ [به][2] الذي تجب به الحجة على العبد قال: يا قوم هذا ربي، أي في زعمكم، كما قال الله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[22]، قال: فلما أفل الكوكب وتبين أنَّه مسخر مذلل يطلع ويسير على هيئةٍ واحدةٍ قال: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ لا أعظمه تعظيم الربِّ[3].

---

١- وهذا الاعتراض يقوّي ما قدّمناه من نفي وإبطال القول الأوَّل؛ لمعارضته الأدلّة، ولما يس تلزمه من اللوازم الباطلة. وأمَّا ردّ المؤلِّف لهذا الاعتراض بعدم امتناع تقدّم الآية تلاوة وتأخرها في الزمن فلا مانع منه، ولكنه لا يتعدى كونه احتمالاً يفتقر إلى دليلٍ، وترجيحه بغير مرجّحٍ يُعدُّ تحكماً.

٢- لعلّ لفظة «به» هنا زائدة-والله أعلم.

٣- وهذا القول-والله أعلم- هو الذي يظهر لي رجحانه، وهو الذي يُعضِّده الدليل؛ لأنَّ الله -عز وجل- -كما قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- نفى عن إبراهيم-عليه السلام-كون الشرك الماضي بقوله: ﴿ مَاكَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:67]، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:51].

وأمَّا ما قالوه من أنَّ إبراهيم كان ناظراً، وكان ذلك منه قبل البلوغ فباطلٌ بما ثبت في الحديث الصحيح: (من أنَّ كلّ مولودٍ يولد على الفطرة )، وفي الحديث الصحيح الآخر أنَّ الله تعالى قال: (إنِّي

وقوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي ﴾ معناه على هذا القول إن لم يثبتني ربي على الهدى [1]؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أثنى على إبراهيم عليه السلام في آية أخرى بقوله : ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات:84] والسليم الذي لا شك فيه وفي سلامته من كل عيبٍ [2]، واستشهد الفقيه أبو الليث [3] رحمه الله في تأويل قوله تعالى :﴿ هَـٰذَا رَبِّى ﴾ إنَّه على جهة الاحتجاج على المشركين بما روي أنَّ عيسى عليه السلام بعث من الحواريِّين رجلاً إلى ملك فما انتهى إليهم فرآهم يسجدون للصنم فجعل هو يسجد ويصلي عند الصنم ويريهم أنَّه يعبد الصنم تقية وهو يريد عبادة الله تعالى، ثم إنَّ الملك ظهر له عدوّ فقال لهذا الرجل الحواري: أشر علينا بشيء في هذا الأمر، فقال: أن نشفع إلى هذا الذي تعبده [4]، فجعلوا يسجدون له ويشفعون فلا يسمعون منه جواباً**[215/أ]**فقالوا له: إنَّه لا ينفعنا شيئاً، فقال لهم : لم تعبدون ما لا يدفع عنكم ضراً؟ ارجعوا حتى نعبد من ينفعنا، فقالوا: لمن نعبد؟ فقال: لرب السماء، فجعل يدعو ويدعون حتى فرَّج الله تعالى عنهم، فآمن كثير منهم، ورجعوا عما كانوا عليه

---

خلقت عبادي حنفاء).

وأولى الناس بالفطرة السليمة أنبياء الله، وصفوة الأنبياء أولو العزم. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (250/7) ، المحرر الوجيز (91/6)، زاد المسير (74/3)، تفسير ابن كثير (292/3-293)، أضواء البيان (236/2-237).

١- و لم يزل هذا ديدن الأنبياء جميعاً، يسألون الله الهدى والتثبيت، ويتضرعون في دفع الضلال، كما سأل الخليلُ اللهَ في آيةٍ أخرى قائلاً: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:35].
انظر: زاد المسير(74/3).

٢- وعن الحسن: أنَّ السليم: السليم من الشرك. انظر: تفسير ابن كثير (24/3).

٣- هو: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، علامة من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفة، له تصانيف نفيسة في التفسير، والفقه، أصول الدين، توفي سنة : 373هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (322/16)، الأعلام (348/8).

٤- قال في اللسان: شفع إلى، أي: طلب إلى. لسان العرب (183/8).

من الشرك[1]، وبالله التوفيق.

**قوله عَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [77]:**

معناه: لما رأى القمر طالعاً قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾، على ما تقدَّم تفسيره، يقال: بزغ القمر إذا ابتدأ في الطلوع، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ أي لمّا غاب[2] القمر قال إبراهيم ؑ: لئن لم يرشدني ربي إلى دينه ويثبتني على الطريق المستقيم لأكوننَّ من القوم الضالين عن الهدى.

**قوله عَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [78]:**

معناه: لما رأى الشمس طالعةً قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾؛ وإنَّما قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾ مع قوله: ﴿ بَازِغَةً ﴾؛ لأنَّ الشمس تذكر بلفظ التأنيث لتفخيم شأنها لكثرة ضيائها، كما يقال: علاَّمة ونسَّابة، إلاَّ أنَّ إبراهيم ؑ أراد بقوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾ أي هذا الطالع ربي، أو هذا النور ربي[3]، ويجوز أنَّه لم يكن عرف الشمس ما هو، وأنَّه يذكر

---

١- انظر: بحر العلوم (497/1).

٢- وهو مرويٌّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وسعيد بن جبير، وابن إسحاق. انظر: تفسير الطبري (251/7)، الدر المنثور (113/6).

٣- وخلاصة ذلك: أنَّ المشهور في الشمس أنَّها مؤنّثةٌ، وقيل: تذكر وتؤنّث.

فعلى الأخير لا إشكال في تأنيثها مرة وتذكيرها أخرى.

وأمَّا على الأوَّل فيُوجّه بأنَّ إبراهيم أراد بالإشارة: المرئي، أو المنير، أو الطالع، أو على تأويل الشمس بالضياء، أو أنَّه ذُكّر مراعاةً لتذكير الخبر.

انظر: زاد المسير (76/3)، البحر المحيط (172/4)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (136/4).

بلفظ التذكير والتأنيث على ما تقدَّم أنَّه إنَّما قال : ﴿ هَـٰذَا رَبِّى ۖ ﴾ وهو في الغار، أو حال خروجه من الغار[1]، وقوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ ﴾ أي لما غابت الشمس قال إبراهيم عليه السلام: يا قوم إنِّي بريء مما تشركون بالله من الأصنام والأوثان والشمس والقمر والكواكب، قالوا: فمن تعبد أنت إذاً يا إبراهيم؟ فقال[2]:

﴿ إِنِّى وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[79]:

معناه: إنِّي أخلصت ديني وعبادتي[3]، ويقال: جعلت قصدي بعبادتي للذي ابتدأ خلق السماوات والأرض[4]، ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة إلى دين الحق ميلاً لا رجوع فيه[5]، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي لست على دينكم أيها

١- وهذا الوجه -والله أعلم-ضعيفٌ، ومثله ما ذكره أبو حيّان: من أنَّ الأعاجم لا يفرّقون في الضمائر بين المذكر والمؤنّث، والكلام حكاية إبراهيم-عليه السلام- فأُورد كما قاله إبراهيم-عليه السلام-.
وهو بعيدٌ؛ لأنَّ القرآن نزل بلسانٍ عربيٍ مبين، وهو في قمّة الفصاحة، فإن كان لفظ كلام إبراهيم-عليه السلام- لحناً في العربية -سواء كان حال صغره أو حال كبره على أصل لغته- وإن كان كلامه لحناً امتنع وروده في القرآن، وإن لم يكن لحناً-وهو الواقع- خُرّج بمخارجه اللغوية المناسبة كما سبق. والله أعلم. انظر: البحر المحيط (4/172-173).

٢- وإلى كون كلام إبراهيم-عليه السلام- جواباً على سؤال سأله إيَّاه قومه ذهب أبو الليث في تفسيره، ومذهب أغلب المفسّرين أنَّ إبراهيم-عليه السلام- قال ذلك ابتداءً، وهو-والله أعلم- الظاهر.
انظر: تفسير الطبري (7/251)، معاني القرآن للزجاج (2/268)، بحر العلوم (1/469)، تفسير ابن كثير (3/292)، تفسير القرطبي (7/28).

٣- بحر العلوم (1/496).

٤- ولا تضاد بين القولين؛ فإنَّ إخلاص الدين والعبادة يكون بجعلها مقصوداً بها الله تعالى وحده- والله أعلم-وعلى القول الثاني أغلب المفسرين.
انظر: معاني القرآن للزجاج (2/268) ، زاد المسير (3/76)، تفسير القرطبي (7/28).

٥- وأصل الحنف: الميل في القدمين.

المشركون؛ وإنَّما ختم إبراهيم استدلاله على نفي إلهية الكوكب والقمر والشمس بقوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾؛ لأنهَّ علم أنَّ في بطلان إلهية [...][1] إثبات إلهية الله تعالى؛ لأنَّه إذا اقتضى الصنع صانعاً قديماً؛ لاستحالة تسلسل الحوادث لا إلى نهاية[2] وبطل أن يكون جسماً بمثل ما بطل أن تكون الشمس إلهاً صح أنَّه قديمٌ لا يشبه الأشياء ولا تشبهه[3]؛ لأنَّه يجوز على جميع الأشياء المخلوقة التغيير والأفول، ولا يجوز شيء من ذلك على الله تعالى[4].

**قوله ﷻ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [80]:**

وذلك أنَّ قوم إبراهيم عليه السلام خاصموه في مخالفته إيَّاهم في دينهم[5]، وخوفوه بإلهم[6]، وقالوا: أما تخاف آلهتنا وأنت تشتمها أن تخبِّلَك وتفسدَك[1]، وكان سدنة

---

انظر: لسان العرب (56/9)، معاني القرآن للزجاج (268/2).

١- يظهر أنَّ هنا سقط كلامٍ مفاده: هذه الأشياء، أو المخلوقات، أو الحوادث. -والله أعلم-.

٢- أراد باستحالة تسلسل الحوادث لا إلى نهاية: وجوب محدِثٍ لكلّ حادِثٍ، فلو كان ذلك المحدِث حادثاً وجب له محدِثٌ آخر هو حادثٌ... وهكذا. فوجب التسليم للحادث بمحدِث قديم أزلي. والله أعلم.

٣- قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

٤- قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[القصص:88].

٥- وهذا هو الظاهر من السياق؛ لأنَّ لفظ المحاجّة يدلّ على المجادلة، وليس ذلك من التخويف في شيءٍ، وإليه ذهب كثيرٌ من المفسِّرين.

ينظر: تفسير الطبري (252/7)، معاني القرآن للزجاج (268/2)، المحرر الوجيز (93/6)، الكشاف (32/2)، تفسير ابن كثير (293/3)، تفسير القرطبي (28/7)، الدر المنثور (115/6).

٦- وإلى معنى التخويف ذهب بعضهم، وهو مرويٌ عن ابن جريج، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ولعلّ سبب إدخالهم معنى التخويف في المحاجّة، ما يأتي من نفي إبراهيم-عليه السلام- الخوف من آلهتهم، ولكنّ اللفظ لا يحتمله. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (252/7)، زاد المسير (76/3)،

آلهتهم يقولون: إنَّ أهل موضع كذا قد تركوا عبادة الأ صنام فامتحنوا وقحطوا، وإنَّ أهل موضع كذا أحسنوا عبادة الأصنام فرزقوا السَّعَة والخصب، فأجابهم إبراهيم عليه السلام وقال: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾ أي أتخاصمونني في توحيد الله ودينه وقد نصرني الله وعرّفني دينه وتوحيده بما نصب لي من الدلالات [2]، والمحاجة في اللغة: طلب كل واحد من الخصمين الحجة على صاحبه [3]، والأصل في "أتحاجوني" أتحاجونني أدغم إحدى النونين [4]، وأمَّا قوله: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ فمعناه: لا أخاف من هذه الأشياء التي تعبدونها، وهي مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر [5]، وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي ﴾ استثناءٌ منقطعٌ [6]، معناه: ولكن أخاف مشيئة ربي أن يعذبني ببعض ذنوبي أو يبتليني بشيء من محن الدنيا، وموضع «أن» نصب [7] على تقدير: ولا أخاف إلاَّ مشيئة الله تعالى، وقوله : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾

---

الدر المنثور (115/6/6).

١- انظر: بحر العلوم (497/1)، تفسير البغوي (111/2).

٢- ولعلّ المراد بذلك ما رآه من ملكوت السماوات والأرض المذكور سابقاً.

٣- والحجة: هي البرهان، وكلّ ما دوفع به الخصم، وهي : الوجه الذي يحصل به الظفر عند الخصومة . انظر: لسان العرب (226/2).

٤- النون الأولى علامة الرفع،والثانية:نون الوقاية التي تأتي بين الفعل وياء المتكلّم. انظر: البحر المحيط (174/4).

٥- معاني القرآن للزجاج (268/2).

٦- وإليه ذهب ابن عطية، وابن كثير، و ذهب الزمخشري إلى أنّه استثناءٌ متصلٌ، وقدَّر الاستثناء بالأوقات؛ بمعنى: لا أخاف ما تشركون به في وقتٍ إلاَّ وقتاً شاءه الله . والظاهر أنَّ تقديرها بالأحوال أولى كما قدَّره أبو البقاء بـــ: لا أخاف ما تشركون به في حال إلاَّ حال مشيئة ربِّي.
انظر: المحرر الوجيز (94/6)، الكشاف (32/2)، البحر المحيط (174/4)، تفسير ابن كثير (293/3).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (269/2)، إعراب النحاس (19/2).

معناه: أحاط علم ربي بكل شيءٍ[1]، وملأ كلَّ شيءٍ علماً[2]، وهو يعلم أنَّكم على غير الحق، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ تنبيه منه على التفكر فيما كان بقوله لهم[3]:

**قوله ﷻ: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [81]:**

معناه: وكيف أخاف الأصنام التي أشركتموها مع الله تعالى، وهي لا تملك النفع والضر بل لا تعرف من عَبَدَها ولا من ترك عبادها ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله**[215/ب]**الذي يملك النفع والضر ويعلم من يعبده ومن لم يعبده[4] ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ ﴾ أي عذراً وحجةً[5] لكم[1]، ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ أي

---

١- وهذا على أنَّ "علماً" مصدر بمعنى الفاعل، والتقدير: وسع علم ربِّي كلَّ شيءٍ.

٢- ظاهر هذه العبارة غير سائغٍ-والله أعلم-فإمَّا أنَّ مراده أنَّ الله-ﷻ- ملأ كلَّ مخلوقٍ من مخلوقاته علماً، فهذا خلاف الواقع، فبعض المخلوقات موصوفة بالعلم، وبعضها ليس كذلك، وإمَّا أنَّ مراده أنَّ علم الله-ﷻ-ملأ كلَّ شيءٍ، وهو ممتنعٌ فعلم الله- ﷻ- صفةٌ ذاتيةٌ قائمةٌ بذاته-ﷻ-، وصفاته- ﷻ-لا تَحِلّ في خلقه-والله تعالى أعلم-.

٣- وكما يبدو فإنَّ هذا وجهٌ للربط بين آخر الآية ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ وبين الآية التالية ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾.

وذكر غيره وجهاً آخر مضمونه: أنَّه لما قرّر بالحجة ضعف معبوداهم، وأثبت كونها مصنوعة، تعجّب بعد ذلك من ظنّهم به الخوف منها، والله أعلم.

انظر: المحرر الوجيز (95/6)، نظم الدرر (662/2).

٤- وهو مرويٌّ عن ابن إسحاق.

انظر: تفسير الطبري (253/7).

٥- وأغلب عبارات المفسرين تفسّر السلطان بـــ: الحجة والبرهان البين، وأغلبهم لا يُدخلون العذر في معنى السلطان.

وإلى ما ذكره المصنّف ذهب أبو الليث السمرقندي.

أي أهل دين أجدر أن يأمن من العذاب أنا أم أنتم؟ الموحِّد أم المشرك؟ ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، فلم يجيبوا فأنزل الله تعالى[2]:

**قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [82]:**

معناه: الذين أقرّوا وصدّقوا بتوحيد الله و لم يخلطوا إيمانهم بشرك[3] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ من العذاب ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ إلى الحجة، ويقال : إلى الجنة، وقال بعضهم: إنَّ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قول إبراهيم

---

انظر: تفسير الطبري (253/7)، معاني القرآن للزجاج (296/2)، بحر العلوم (497/1)، الكشاف (32/2)، المحرر الوجيز (95/6)، زاد المسير (77/3)، مفاتيح الغيب (60/13)، تفسير القرطبي (253/7)، البحر المحيط (175/4)، تفسير ابن كثير (294/3).

١- ويظهر أنَّ معنى العذر يعتبر لازماً لمعنى الحجة، فالشرك محظورٌ، ولكن إن حصل بناءً على حجة تجيزه من قبل الشارع ففاعله معذورٌ لأجل الحجة التي أجازته له، ولكن يعكر عليه أنَّ الشرك لا يتصور أن تقوم عليه حجةٌ عقليةٌ، فوجب تخصيص التوجيه السابق بالحجج السمعية، والله تعالى أعلم.

٢- يحتمل أن يريد بهذه العبارة أنَّ هذا سبب نزول الآية، ويحتمل أن يكون من باب بيان مناسبة الآية لما بعدها، فإن كان الأوَّل فلم أقف عليه عند غيره.

والوارد في سبب نزولها: أنَّ رجلاً من المشركين حمل على المسلمين فقتل رجلاً ثمّ سأل هل ينفعه الإسلام بعد هذا؟ فقال الرسول- ﷺ-: (نعم)، فحمل على أصحابه فقتل رجلاً ثم آخر ثم قُتل، يقول الراوي: فيرون أنَّ هذه الآية نزلت فيه. وإن كان أراد الثاني فلا مانع منه. والله أعلم.

انظر: أسباب النزول للسيوطي (ص163).

٣- وتفسير الظلم هنا بالشرك هو مذهب جمهور المفسّرين والمحقّقين، ولا ينبغي أن يلتفت لغيره؛ لأنَّ النبي -ﷺ- فسّره به، فوجب اعتماده.

وأمَّا ما ذكره البعض من أنَّ الظلم هنا بمعنى الفسق فهو عين الاعتزال؛ لأنَّ لازم قوله: أنَّ من مات على معصيةٍ مفسّقة ليس له الأمن. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (254/7) ، الكشاف (33/2)، البحر المحيط (176/4)، تفسير ابن كثير (295/3).

عليه السلام على حسب ما جرت به العادة أنَّ العالم قد يورد السؤال على غيره ممن لا يكون عنده علم به، أو يكون عنده علم به ولكن لا يجيب مخافة أن يكون ذلك حجة عليه، فيجيب العالم عن السؤال[1]، ويقال: إنَّ هذا قول المشركين الذين خوّفوا إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّه لما قال: أي الفريقين أحق بالأمن؟ يعني أمَّن يعبد إلهاً وحداً أمَّن يعبد إلهين اثنين؟ جرى على لسانهم ما كان حجةً عليهم[2]، فقالوا: إنَّ من يعبد إلهاً واحداً ويخلص له في العبادة أحقّ بالأمن ممن أشرك مع الله غيره[3]، وعن عبد الله بن مسعود[4] رضي الله عنه أنَّه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليسَ إنَّه بذلكَ ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:13])[5].

**قوله عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [83]:**

---

١- وهذا حكاه الزجاج، والماوردي، ونسبه القرطبي لابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.
انظر: معاني القرآن للزجاج (269/2)، تفسير الماوردي (541/1)، تفسير القرطبي (30/7).

٢- وهذا مروي عن ابن جريج. انظر: تفسير الطبري (255/7)، تفسير الماوردي (541/1).

٣- وهناك قولٌ أهمله المصنّف، ولم يشر إليه، وقد يكون جعله أصلاً، وفرّع بعد ذلك الأقوال الأخرى، ومضمونه: أنَّ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ ﴾ هو كلام الله-عز وجل-حكم به بين إبراهيم وقومه. وهو مرويٌ عن ابن زيد، وابن إسحاق، وقد رجّحه الطبري، وهو الذي يظهر رجحانه، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (254/7)، تفسير الماوردي (541/1).

٤- هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، كان من السابقين الأوَّلين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمواقع كلّها، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، كان ممن جمع القرآن، على عهد النبي ﷺ، روى علماً كثيراً، توفي بالمدينة سنة : 32هـ. انظر: الاستيعاب (987/3-994)، رقم: (1659)، أسد الغابة (384390/3)، الإصابة (233/4-335)، رقم: (4957).

٥- أخرجه البخاري بسنده عن ابن مسعود-رضي الله عنه-. في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، في باب إثم من أشرك بالله وعقوبته، حديث رقم: (6520).

معناه: وتلك المقالة التي حاج بها إبراهيم عليه السلام حجتنا أعطيناها ولقّنّاها إبراهيمَ عليه السلام يحتج بها على قومه [1] ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ ﴾ في الدنيا بالحجة والبصيرة، وفي الآخرة بالثواب والفضيلة [2]، ومن قرأ ﴿ دَرَجَٰتٖ ﴾ بالتنوين لا على الإضافة [3] فمعناه: نرفع من نشاء درجات [4].

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ معناه: إنَّ ربَّك يا محمد ﷺ ذو حكمة في تفضيل بعض الناس على بعض، وتخصيص بعضهم بالنبوة، وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد بالحجة المذكورة في هذه الآية أنَّهم لما خوَّفوا إبراهيم عليه السلام وقالوا له : أما تخاف من آلهتنا أنَّها تخبّلك؟ قال لهم : أو ما تخافون أنتم أنَّكم أشركتم بالله وسَوَّيتم بين الصغير والكبير أن يأخذكم الكبير من آلهتكم أن سوَّيتموه بالصغير في العبادة [5]، فأبطل عليه السلام عليهم حجتهم من حيث رجع عليهم ما أرادوا إلزامه إيَّاه فألزمهم مثله على أصلهم، وأبطل قولهم بقولهم، وفي الآية أوضح دلالة على أنَّ ما

---

١- واختيار المصنّف هنا-والله أعلم- حسنٌ؛ لأنَّ جعل معنى الآية عام في كلّ ما خاصمهم به، وفي كلّ ما استدلّ به على بطلان قولهم، أولى من تخصيصها ببعض ما قاله- عليه السلام-أثناء مخاصمته إيَّاهم، والأخذ بالعموم منقولٌ عن الربيع بن أنس، وخصّه بعضهم كمجاهد بقوله : فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ... الخ. والأولى حمل اللفظ على العموم. انظر: تفسير الطبري (259/7)، زاد المسير (78/3)، الدر المنثور (121/6).

٢- وقد روي عن زيد بن أسلم أنَّ الرفعة هنا: العلم.

والأولى-والله أعلم- حمل اللفظ على كل ما يمكن أن يتحمّله، من العلم، والنبوة، والإمامة، والملك، والحجة والبيان، والأجر، والثواب.

انظر: تفسير القرطبي (30/7)، البحر المحيط (176/4)، الدر المنثور (121/6).

٣- وهي قراءة عاصمٍ وحمزة والكسائي، وخلف العاشر ويعقوب، والباقون قرأوا بإضافة درجات إلى ((من)).

انظر: البحر المحيط (176/4)، النشر (260/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (259/7).

٥- انظر: معاني القرآن للفراء (341/1)، تفسير الماوردي (541/1).

استدلّ به إبراهيم ﷺ على أنَّ الذي يجري عليه الانتقال والزوال والمجيء والذهاب لا يجوز أن يكون خالقاً، ولا يكون إلاَّ محدثاً من حجة الله تعالى أتاها إبراهيم ﷺ على قومه[1]، وفي هذا بيان أنَّ من يعبد من كان بهذه الصفة فهو غير عالمٍ بالله ﷻ وأنَّه بمنزلة من عبد كوكباً أو بعض الأشياء المخلوقة، وفيه دليلٌ أنَّه لا يجوز الاكتفاء بالتقليد في الدين[2]؛ لأنَّه لو جاز لأحد أن يكتفي بالتقليد لكان أولى به إبراهيم ﷺ؛ فلما استدلَّ هو على توحيد الله تعالى احتج به على قومه ثبت بذلك أنَّ علينا مثله[3].

**قوله ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ**

---

١- وإنَّما يصحّ هذا القول بأنَّ الحجة عامة في كلّ ما خاصمهم وجادلهم به كما سبق.

٢- وإلى منع التقليد في أصول الدين ذهب أغلب علماء الأصول كأبي إسحاق الإسفراييني، والآمدي، والجبائي، وغيرهم.

والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ التقليد في أصول الدين جائزٌ؛ لأنَّ صحة إيمان المقلِّد ممّا كاد العلماء أن يتفقوا عليه، ولم يخالف في ذلك إلاَّ قلةٌ ممّن لا يعتدّ بقولهم، كأبي هاشم المعتزلي، ومن تبعه، فإن كان إيمان المقلّد صحيحاً لم يمتنع عليه التقليد في التوصل للتوحيد الذي أثمر عن إيمانه.

انظر: قمع أهل الزيغ والفساد (ص:70)، التقليد في الشريعة الإسلامية (ص:25-29).

٣- وهذا كما سبق إنَّما يتأتى على قول من قال: إنَّ إبراهيم -ﷺ- كان ناظراً، باحثاً عن الإله الحقّ، وهو مردودٌ.

والأولى قول من قال: إنَّه إنَّما كان مناظراً لقومه؛ فعليه: إبراهيم -ﷺ- لم يستدلّ على توحيد الله -ﷻ- بالكوكب والشمس والقمر، والله تعالى أعلم.

ومع ذلك فلو سلّمنا بما ذكره المصنّف فهو شرع من قبلنا، والتوحيد وإفراد الله بالعبادة من الأمور المشتركة بيننا وبين من قبلنا اتفاقاً، ولكن طريقة وصوله إلى الرسل هي الوحي، وليست بالنظر والاستدلال، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:65]، والله أعلم.

انظر: موقع شرع من قبلنا من الأدلة (ص:66).

**وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [84]**:

معنى الآية–والله أعلم–: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ابناً لصلبه، ويعقوب نافلة [1]، ﴿ كُلًّا ﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب هديناهم للنبوة والإسلام [2].

والهداية على ضربين: هداية إصابة الحقِّ: وهي خاصة للرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. وهداية العلم بالحق: وهي هـــداية البيـــان عامة للأنبياء وغيرهم [3].

وقولـــه ﷻ: ﴿ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُ ﴾ معناه: ونوحاً هديناه للنبوة والإسلام من قبل إبراهيم [4]، وفي هذا بيانٌ أنَّه تعالى كما أنعم على إبراهيم عليه السلام بذريته،

---

١- وهذا المعني صريح في آية الأنبياء : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء:72]، وإليه أشار ابن الجوزي.
انظر: زاد المسير (78/3).

٢- وإلى عود الضمير على المذكورين ذهب جمهور المفسِّرين، وبعضهم أعاده على إسحاق ويعقوب دون إبراهيم، وإلى الأوَّل ذهب ابن جرير، والقرطبي، وابن الجوزي، وإلى الثاني ذهب أبو الليث، وأبو حيان، والألوسي–رحمني الله وإياهم جميعاً– والصواب فيما يظهر الثاني–والله تعالى أعلم–.
انظر: تفسير الطبري (260/7)، تفسير القرطبي (30/7)، زاد المسير (78/3)، بحر العلوم (499/1)، البحر المحيط (177/4)، روح المعاني (211/7).

٣- والتقسيم المشتهر عن أهل العلم أنَّ الهداية على قسمين : هداية توفيق، وهداية دلالة؛ والأولى خاصّة بالله تعالى، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[القصص:56]. والثانية: عامة للأنبياء والدعاة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:52]. وأمَّا هذا التقسيم الذي ذكره المصنِّف فلم أقف عليه فيما بحثت فيه من كتب العقيدة والتفسير، ولعلَّه تقسيمٌ باعتبار الواقع؛ فالأنبياء لا شكّ مصيبون للحق إمَّا بوحيٍ أو باجتهادٍ صائبٍ، أو بتصويبٍ من الشارع، بخلاف غيرهم، والله تعالى أعلم. انظر: الرد على البكري (436/1)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (176/2).

٤- انظر: بحر العلوم (499/1)، تفسير ابن كثير (297/3).

فكذلك أنعم عليه بآبائه[1]؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام من ولد نوح عليهما السلام؛ فإنَّ نوحاً عليه السلام كان أبا الأنبياء صلوات الله عليهم بعد الطوفان، ونبوَّة كلا الفريقين مما يكمل النعمة في رفع الدرجة العظيمة [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ [دَاوُۥد] [3] وَسُلَيۡمَـٰنَ ﴾ اختلف المفسرون في الهاء التي في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ قال بعضهم: هي راجعة إلى نوح عليه السلام؛ لأنَّها أقرب **[216/أ]** إلى اسمه؛ ولأنَّه تعالى ذكر في جملة المعطوفين على داود وسليمان من ليس من ذرية إبراهيم وهو من ذرية نوح كيونس عليه السلام الذي لم يكن من ولده، وكلوط الذي كان ابن أخي إبراهيم ولم يكن من ولده[4]، وقال بعضهم: بل هذه الهاء راجعة إلى إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه هو المقصود بالذكر فيما تقدَّم من الآي، وإنَّما ذكر الله تعالى نوحاً عليه السلام؛ لتعلقه برفعة إبراهيم عليه السلام، فعلى هذا القول يجب أن يكون قوله بعد هذه الآية: ﴿ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ ﴾ [86] متعلقاً من ذرية إبراهيم عليه السلام على معنى: وهدينا إسماعيل واليسع ويونس ولوطا عليهم السلام؛ لأنَّ في تلك الآية جمعاً بين من كان من ذرية إبراهيم وبين من لم يكن منهم [5]، ويحتمل أنَّ الله تعالى إنَّما ذكر يونس ولوطاً

---

١- وإلى هذا المعنى أشار أبو حيان في البحر المحيط (177/4).

٢- ومراده بالفريقين: الأبناء، والآباء، الذين ذكروا، وهم: إسحاق ويعقوب ونوح عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

٣- ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

٤- وإلى هذا القول ذهب ابن جرير، واختاره الفرَّاء، والكلبي. انظر: معاني القرآن للفراء (342/1)، تفسير الطبري (260/7)، بحر العلوم (499/1).

٥- وهو قول الضحاك، وساقه الزجاج، ولم يستبعده، وأورده ابن كثير وقال إنَّه: حسن.

وأمَّا دخول لوط فيخرّج على أنَّ إبراهيم كان عمّاً له، والعرب تجعل العمّ أباً كما في آية البقرة: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:133]، ومعلومٌ أنَّ إسماعيل عمّ يعقوب.

انظر: معاني القرآن للزجاج (269/2)، بحر العلوم (499/1)، تفسير ابن كثير (298/3)، تفسير

عليهما السلام على معنى أنَّ لهما اتصالاً بإبراهيم عليه السلام من جهة القرابة وأنعم الله تبارك وتعالى على إبراهيم بإرسال غير ولده من أقاربه كنعمته عليه بإرسال ولده صلوات الله عليه أجمعين[1]، وقوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ معناه: كما تفضلنا على هؤلاء الأنبياء بالنبوة وما يتصل بها من العز والكرامة والتمكن بالحجة البالغة كذلك نتفضل على المحسنين[2]، فإن قيل: قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يقتضي أن تكون الرسالة جزاءً على عملٍ ولا يجوز أن تكون النبوة جزاءً على العمل ولكنها تكليف وابتداء إنعام من قبل الله عز وجل؟ قيل: إنَّ المراد بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الجزاء الذي هو الثواب والكرامة ويدخل في ذلك ما يكون الإحسان سبباً له، ومعلومٌ أنَّ إحسان من ترشح للرسالة هو السبب في أن يختار لها؛ لأنَّه لا بد للرسول من أن يكون متنزهاً عما يدنِّسه وعما ينفر الخلق منه، ولا يتم ذلك إلاَّ بفعله وتكلفه فيصير الإرسال كأنَّه جزاء لذلك على هذا الوجه[3].

---

القرطبي (31/7).

١- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير القرطبي (31/7)، الدر المنثور (122/6)، روح المعاني (212/7).

٢- لعلّ في التعبير عن الجزاء بالتفضل نظر-والله أعلم-؛ لأنَّ الجزاء المراد به: المكافأة على الشيء، إلاَّ إن أريد بالتفضل هنا كونه هو نفس المكافأة، والتفسير الذي عليه الأئمة: أنَّ المراد بالجزاء هنا: التوفيق إلى إصابة الحق، والرفعة، وكلّ إحسانٍ، كما في آية الرحمن: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: 60]. انظر: تفسير الطبري (261/7)، بحر العلوم (499/1)، زاد المسير (79/3)، لسان العرب(145/14).

٣- وهذا الإشكال لا يتأتّى إلاَّ على تفسير الهداية بالهداية للنبوَّة والرسالة، ويجاب عنه بحمل الجزاء على الكرامة والإحسان-والله أعلم- وأمَّا إن فسِّرت الهداية، بالهداية للجنة، أو لحق، فلا داعي لردِّ هذا الإشكال؛ لعدم وروده.
انظر: مفاتيح الغيب (13/65-66).

قوله ﷻ: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [85]:

معنـــاه: ومن ذريـــة إبراهيـــم زكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من المرسلين[1]، قال الضحاك[2]: كان إليـــاس من ولد إسماعيل بن إبراهيم [3]، وقال القتيبي[4]: كان من سبط يوسع بن نون[5]، ويقال: هو الخضر[6]، وقال بعضهم : معنى الآية وهدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس؛ وإنَّما تأولوا الآية على هذا لما روي عن عبد الله بن مسعود أنَّ إلياس هو إدريس عليه السلام[7]، ولا يجوز أن يكون إدريس من من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّ إدريس جد أبي نوح، فلا يكون تأويل هذه الآية على هذه الرواية إلاَّ أن يحمل قوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا ﴾ على أنَّه معطوف على الأنبياء في المنصوبة بلفظ الهداية[8]، وفي الآية حجة على من أنكر في الحسن والحسين أنَّهما ابنا

---

١- وهذا التفسير من المصنِّف يتّسق مع القول بأنَّ المراد بالهداية الهدايةُ للنبوّة، والرسالة.

٢- هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، المفسر، روى عن ابن عباس بواسطة سعيد بن جبير، له كتابٌ في التفسير، توفي سنة: 105هـ. انظر: الأعلام (215/3).

٣- وروي عن ابن إسحاق أنَّه من ولد هارون بن عمران أخي موسى - عليهما السلام-. انظر: تفسير الطبري (291/7)، بحر العلوم (499/1)، تفسير القرطبي (32/7).

٤- القُتَبي: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي، الكاتب، كان رأساً في اللغة، والعربية، وأخبار الناس، ثقةً، ديِّناً فاضلاً، له: تأويل مشكل القرآن. انظر: طبقات المفسرين للداوودي (ص:245).

٥- هكذا كتبت في المخطوط مهملةً-أعني شين يوشع- وهو يوشع بن نون، وقد ذكر ذلك ابن قتيبة في كتابه المعارف ص50.

٦- انظر: البحر المحيط (177/4)، تفسير القرطبي (33/7).

٧- وهذه الرواية أوردها الطبري عن ابن مسعود-رضي الله عنه- وضعّف هذا القول؛ لما يلزم منه من نسبة جد أبي نوح إلى ذريته. انظر: تفسير الطبري (261/7).

٨- بمعنى أنَّه لا بد من حمل المعنى على أنَّ إلياس معطوف على الأسماء المنصوبة بفعل الهداية السابق، لا على أنَّه معطوفٌ على الذرية، سواء أريد بها ذرية نوحٍ، أو ذرية إبراهيم؛ لأنَّه على رواية ابن مسعود يكون جد أبيه-عليهم السلام- والله أعلم.

ابنا رسول الله ﷺ؛ لأنَّه تعالى جعل عيسى عليه السلام ولا أب له من ذرية إبراهيم عليه السلام[1] .

قوله ﷻ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[86]:

معناه: وهدينا إسماعيل بن إبراهيم وليسع وهو تلميذ إلياس وخليفٌ من بعده[2]، وقال محمد بن إسحاق: هو ابن أخي موسى عليه السلام، من قرأ بالتشديد[3]: ﴿واللَّيْسع﴾ ﴿واللَّيْسع﴾ فالاسم منه لَيْسَع أدخلت عليه الألف واللاَّم للتعريف، ومن قرأ بالتخفيف فالاسم منه يسع، سمي بذلك لسعة علمه [4]، قال الفرَّاء: الليسع بالتشديد أشبه بالأسماء من التخفيف والاسم منه ليسع؛ لأنَّ العرب لا تدخل الألف واللام في حرف الاستقبال إلاَّ في لغة شاذة [5]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فمعناه: وكل هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم فضلناهم بالنبوة والإسلام على عالمي زمانهم[6]، ولفظ: "كل" في مثل هذا الموضع يذْكر على وجه النكرة

---

١- وقد أخرج السيوطي هذا الاحتجاج عن يحيى بن معمر، وفي الرواية أنَّ المنكر لذلك كان الحجاج بن يوسف-والله أعلم-. انظر: الدر المنثور (122/6).

٢- وقد ذكر ابن جرير أنَّ اسمه : اليسع بن أخطوب بن العجوز . وروي عن وهب أنَّه: صاحب إلياس . انظر: تفسير الطبري (261/7)، بحر العلوم (499/1، تفسير القرطبي (33/7).

٣- وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر. انظر: النشر (260/2).

٤- وهي قراءة باقي العشرة. انظر: المصدر السابق.

٥- وهو كلامٌ فيه نظر؛ لأنَّ العرب لا تدخل الألف واللاَّم على "يفعل" فيما كان من أسماء العرب، والأسماء الأعجمية تنطق كما سمعت، وعلى كلٍّ فالقراءتان ثابتتان عن النبي- ﷺ- فلا داعي للترجيح بينهما-والله أعلم-.

انظر فيما سبق: معاني القرآن للفراء (342/1)، تفسير الطبري (262/7)، البحر المحيط (178/4).

٦- وقد ذكر بعضهم أنَّ المراد بالعالمين العموم، أي: كلّ ما سوى الله تعالى، قاله أبو حيان، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ التفضيل عامٌّ لكل من ذكر فيلزم أن يكون كلّ واحدٍ منهم أفضل مِنْ كل مَنْ سوى الله- ﷻ- بما في ذلك الأنبياء المذكورون غيره في الآية، وبما في ذلك سيد ولد آدم نبينا محمد- ﷺ- وذلك ممتنع كما لا يخفى-والله أعلم-.

والمراد منه المعرفة، قال سيبويه[1]: هذا مثل قولك: مررت بكلٍّ قائمين، أي: بكل القوم القائمين[2].

**قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [87]:**

معناه: وهدينا بعض آبائهم من قبلهم مثل آدم وشيث[3] وإدريس وبعض ذرياتهم من بعدهم، وهم أولاد يعقوب[4]، ومن جملة ذرياتهم نبينا محمد ﷺ[5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هم إخوة يوسف عليه السلام في عصرهم[6]، ويحتمل أن يكون المراد بهم كل من آمن معهم فإنَّهم كلّهم أدخلوا في هداية الإسلام[7]، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ أي أخلصنا هؤلاء الأنبياء بالنبوة والإخلاص[8]، وجمعنا فيهم

---

انظر: البحر المحيط (178/4).

١- هو: عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام البصريّين، أبو بشر، أصله من البيضاء بأرض فارس، توفي سنة : 161هـ، أو 180هـ، أو 188هـ، أو194هـ.

انظر: بغية الوعاة (229/2-230).

٢- وفي الكتاب العبارة كما يلي : مررت بكل قائما . الكتاب (114/1). انظر: معاني القرآن للزجاج (269/2)، تفسير الطبري (262/7).

٣- شيث: هو ابن آدم، وإليه تنتهي جميع أنساب البشر، وكان خليفة آدم، وأحب ولده إليه، كما ذكر ذلك ابن قتيبة في المعارف (ص:20).

٤- لعل المراد بهم هنا ذرية يعقوب- عليه السلام- عامة من صلبه وإن نزلوا كيوسف وموسى وهارون –عليهم السلام-.

٥- الضمير في: ﴿ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ يعود على الأنبياء السابق ذكرهم في الآيات، لا على أولاد يعقوب؛ لأنَّ نبينا محمد-ﷺ- من أبناء إسماعيل –عليهما السلام-.

٦- والمراد بإخوة يوسف هنا التمثيل لا الحصر. انظر: البحر المحيط (179/4).

٧- وهذا القول لم أقف على قائله. ويظهر أنَّ السياق لا يعضده-والله تعالى أعلم-.

٨- وهذا المعنى مرويّ عن مجاهد.

خصال الجبية[1]، مأخوذ من قولهم : جبيت الماء واجتبيته في الحوض إذا جمعته [2]،
وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ معناه: ثبتناهم على الطريق الحق وهو دين الإسلام[3].

**قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [88]:**

معناه: ذلك الطريق **[216/ب]** المستقيم دين الله[4] يوفق له من يشاء ممن كان أهلاً لذلك، ولو أشرك هؤلاء الأنبياء طرفة عين مع اصطفاء الله تعالى إيَّاهم [لبطل][5] أعمالهم التي كانوا يعملون من الطاعات[6]، فكيف أنتم يا أهل مكة[7]؟

**قوله ﷻ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [89]:**

معـــناه: أولئـــك الأنبيـــاء الذين أعطيناهم الكتاب المنزل من السماء [8]،

---

انظر: تفسير الطبري (262/7)، الدر المنثور (123/6).

١- بمعنى الاجتباء والاصطفاء. انظر: زاد المسير (80/3).

٢- معاني القرآن للزجاج (269/2).

٣- وقد يكون المعنى الأولى أن يُحمل على الهداية ابتداءً إلى الطريق الذي لا عوج فيه، وعليه ا بن جرير، ولا يلزم من تقدُّم الاجتباء أن يكون المراد بالهداية هنا التثبيت على الحقّ؛ لأنَّ العطف بالواو، وهي لمطلق الجمع، ولا تقتضي ترتيباً-والله أعلم-. انظر: تفسير الطبري (262/7).

٤- وقد وري عن ابن عباسٍ نحوه. انظر: زاد المسير (80/3).

٥- هكذا في المخطوط، و الأقيس فيها "بطلت"، ولكن يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع جموع التكسير؛ كقولك: قال العلماء، وقالت العلماء-والله أعلم-.

٦- انظر: تفسير الطبري (263/7)، المحرر الوجيز (100/6)، زاد المسير (80/3).

٧- ما دام الأنبياء على الرغم من كرامتهم ومنزلتهم عند الله لا يقبل منه م عملٌ فيه شركٌ- وحاشاهم- فغيرهم ممن هو دونهم منزلةً من باب أولى. ا
نظر: روح المعاني (215/7).

٨- «أل» في الكتاب للجنس، أي: جنس الكتاب؛ فهو عامٌّ في كلّ كتابٍ أنزل على نبيٍّ، كالتوراة

والحكم بين الناس[1]، وأكرمناهم بالنبوة والرسالة [2]، ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ ﴾ بملّة الإسلام[3] ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني قريشاً[4]، فقد قام بها قوم ﴿ لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴾

والإنجيل، والزبور، والصحف، والقرآن. انظر: تفسير الطبري (263/7)، الكشاف (33/2)، روح المعاني (215/7).

١- أو يراد به العلم والفقه واللّب، وهو مروي عن مجاهد- رحمنا الله وإيَّاه-، والمعنيان متلازمان؛ فالعلم والفقه يحصل منه الحكم والفصل بين الناس. انظر: تفسير الطبري (263/7)، بحر العلوم (499/1)، المحرر الوجيز (100/6)، تفسير القرطبي (34/7).

٢- والنبوةَّ هنا فسَّرها بعضهم بالرسالة، وقال الشهاب الخفاجي: المراد أنَّ النبوَّة وإن كانت أعمَّ فالمراد بها ما يشمل الرسالة؛ لأنَّ المذكورين رسلٌ، وقد يقال: إنَّما ذكر الأعمَّ في النظم؛ لأنَّ بعض من دخل في عموم آبائهم وذرياتهم ليسوا برسلٍ، فلا يرد عليه أن تفسير النبوة بالرسالة غير ظاهرٍ . اهـ . حاشية الشهاب (145/4). وانظر: روح المعاني (215/7).

٣- أرجع بعضهم الضمير إلى آيات الله، وبعضهم إلى الثلاثة المذكورة : الكتاب، والحكم، والنبوة . والأقرب فيما يظهر لي-والله أعلم-.

الثاني؛ لأنَّ السياق يدلّ عليه؛ ولأنَّه عامٌّ يشمل الإيمان بالإسلام، وبكلّ الأديان قبله، وبالرسل الذين قبل محمد ﷺ ضمناً.

انظر: تفسير الطبري (263/7)، زاد المسير (81/3)، تفسير القرطبي (34/7)، تفسير ابن كثير (299/3).

٤- قريش هو: فهر بن بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: جمهرة أنساب العرب ص112.

وهذا القول وهو مرويٌّ عن السديِّ، وقال غيره: إنَّهم أهل مكة، وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقتادة، وعن الحسن أنَّهم الكفار من أمة محمدٍ- ﷺ-. والأقرب- والله أعلم- ما ذهب إليه ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من أنَّ المراد بهم: أهل مكة؛ لأنَّه أعمُّ من الأوَّل، والأولى حمل اللفظ على العموم، وكلّ من كفر غيرهم ملحقٌ بهم؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ. وأمَّا الأخير فهو داخلٌ في الثاني ضمناً، والثاني أوفق للسياق؛ لأنَّ الخطاب للنبي-ﷺ- عن قومه. والله تعالى أعلم.

ينظر فيما سبق: تفسير الطبري (264/7)، معاني القرآن الزجاج (270/2)، زاد المسير (81/3)، تفسير القرطبي (34/7)، حاشية الشهاب (145/4)، الدر المنثور (123/6-124)، روح المعاني (215/7)، التحرير والتنوير (353/7).

وهم أهل المدينة وأتباع النبي ﷺ[1]، ويقال: هم الملائكة[2]؛ وإنَّما قال: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ و لم يقل: فقد قام بها قومٌ، تشريفاً للملة بالإضافة إلى نفسه[3] على معنى أكرمنا ووفقنا [بالإيمان بها][4]، ويقال: معناه: فقد ألزمناها قوماً ﴿ لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ فقاموا بها[5].

**قوله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [90]:**

معناه: أولئك الأنبياء الذين ذكرناهم من قبل[6] هم الذين أكرمهم الله تعالى بالطريقة الحسنة فاقتد بسيرتهم، واصبر كما صبروا حتى تستحقّ من الثواب ما استحقّوا، وأمَّا "الهاء" التي في ﴿ ٱقْتَدِهْ ﴾ فإنَّما تثبت في الوقف لتتبين بها كسرة

---

١- وقد خصّه بعض المفسرين بالأنصار دون غيرهم، وهو مرويٌّ عن ابن عباسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن الضحاك، وابن جريج، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والسُّدي، وابن جبير.
انظر: تفسير الطبري (264/7)، بحر العلوم (499/1)، زاد المسير (81/3)، الدر المنثور (124/6).

٢- وهو قول أبي رجاء العطاردي.
انظر: تفسير الطبري (264/7) ، زاد المسير (81/3) ، الدر المنثور (124/6).

٣- وهو معنى لطيفٌ لم أقف عليه عند غيره.

٤- هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد: للإيمان بها، كما في تفسير الطبراني (58/3).

٥- وإلى الأوَّل ذهب الزجاج، وأبو حيان، فيكون التوكيد هنا استعارةٌ، وإلى نحو الثاني ذهب الماوردي .
انظر: معاني القرآن للزجاج (270/2)، تفسير الماوردي (542/1)، البحر المحيط (179/4).

٦- وكون اسم الإشارة عائداً على الأنبياء هو مذهب من فسّر القوم الموكّلين بالآيات بالأنبياء المذكورين، أو بالأنصار، أو بالملائكة، إلاَّ أنَّ أصحاب القولين الأخيرين جعلوا قوله : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ اعتراضاً، ثمَّ عاد الكلام إلى الأنبياء المذكورين. انظر: تفسير الطبري (265/7).

الدال، فإن وصلت قلت: ﴿ [ٱقۡتَدِهۡ](1) قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴾ والاختيار عند أهل اللغة أن يوقف على هذه الهاء في مثل: ﴿ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ و﴿ حِسَابِيَهۡ ﴾ ونظائرها كثيرة(2)، وقرأ بعضهم بالهاء في الوصل والوقف كما في ﴿ كِتَٰبِيَهۡ ﴾(3)، ومن قرأ بكسر الهاء فهو غلط؛ لأنَّ "هاء" السكت لا تجوز حركتها(4)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ معناه: قل يا محمدﷺ: لا أسألكم على الإيمان والقرآن جُعْلاً ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ يعني القرآن إلاَّ عظة بليغة للجن والإنس(5)، وفي الآية دليلٌ أنَّ شرائع الأنبياء صلوات الله عليهم تلزمنا ما لم نعلم نسخه؛ لأنَّ اسم الهدى(6) يقع على التوحيد والشرائع(7)؛ كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ - ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى

١- في المخطوط كتبت بدون هاء، وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب، بإثبات الهاء لفظاً في الوقف، وحذفها لفظاً في الوصل.
انظر: البحر المحيط (180/4)، النشر (142/2).

٢- انظر: أوضح المسالك (292/3).

٣- وهي قراءة نافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عمرو وعاصم.
انظر: البحر المحيط (180/4)، النشر (142/2).

٤- وهي قراءة هشام وابن ذكوان، فالأوَّل بكسرة، والثاني بكسر مع إشباعٍ. وقد تُخرَّج قراءة هشام وابن ذكوان على أنَّها هاء ضمير المصدر، لا هاء السكت. قاله أبو علي الفارسي. انظر: البحر المحيط (180/4)، أوضح المسالك (295/3)، النشر(142/2)، روح المعاني (217/7).

٥- بحر العلوم (500/1).

٦- أراد به الهدى المذكور في صدر الآية في قوله: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾.

٧- وهي مسألةٌ مشهورةٌ، اختلف فيها العلماء على طرفين ووسط؛ فقومٌ قالوا بالعموم، وخصّ قومٌ التوحيد وأصول الدين، وقومٌ قالوا: إنَّا متعبّدون بشرع من قبلنا فيما دلّ عليه دليلٌ من شرعنا، أصلاً كان أم فرعاً. ولا شكّ أنَّ التوحيد والنبوات مما اتفقت عليه جميع الشرائع. انظر: الإحكام للآمدي (187/4-200)، تفسير القرطبي (36/7)، موقع شرع من قبلنا من الأدلَّة (ص88-116).

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] [البقرة:1-2]، وقال بعض أهل العلم: المراد بقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: الاتباع في أصل الدين؛ لأنَّ شرائع الأنبياء صلوات الله عليهم مختلفة[2]، وبالله التوفيق.

**قوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [91]:**

روي عن عبد الله بن عباس أنَّه قال في معنى هذه الآية: أنَّ مالك بن [الضيف][3] وكان رأس اليهود جاء إلى النبي ﷺ ذات يوم بالمدينة، ويقال: بل كان جاءه من المدينة إلى مكة- والسورة كلها مكية- فقال له: رسول الله ﷺ: (أنشدك الله يا مالك بالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام أتجد فيها أنَّ الله يبغض

١- لم يتضح لي وجه المشابهة؛ إذ أنَّ الراجح في الكتاب المذكور في آية البقرة أنَّه القرآن، وقول من قال إنَّ المراد به التوراة والإنجيل فهو بعيدٌ؛ لأنَّ الكلام دالّ على أنَّ المراد بالمذكورين أمَّة محمد- ﷺ- بدليل قوله بعدها في وصف من اعتبر هذا القرآن هدى لهم حيث قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[البقرة:4] والمخاطب النبي-عليه السلام- بلا شكٍّ، إلاَّ إن كان أراد المشابهة بين الآيتين في أنَّ الهدى المذكور في كلٍّ منهما داخلٌ تحته كلّ أنواع الهدى من توحيدٍ وشرائع فيها صلاح البشر. ومع ذلك فتبقى آية البقرة غير دالّةٍ على أنَّ أمّة محمدٍ-ﷺ-مطالبة بشرع من قبلها، وإن صحّ ذلك فهو مستفادٌ من أدلّةٍ أخرى غير هذه الآية. والله تعالى أعلم.

٢- انظر: بحر العلوم(499/1)،تفسير البيضاوي(146/4)، زاد المسير(81/3)، تفسير القرطبي(35/7).

٣- هكذا في المخطوط: الضيف-بالضاد المعجمة- والصحيح المشهور: الصّيف-بالصاد المهملة- ولعلّه سهوٌ. وهو من يهود بني قينقاع.
انظر أخباره في: السيرة النبوية لابن هشام (ص: 514، 547، 568، 570). وانظر: زاد المسير (83/3)، تفسير ابن كثير (301/3).

الحَبْرَ السمين؟) قـال: نعـم، قال: (فأنـت الحَبْرُ السمين قد سمنت من مأكلتك التي تطعمك اليهود، ولست تصوم )-أي لست تمسك- فضحك به بعض القوم، فغضب مالك ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه فقـال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزلت هذه الآية[1]، ومعناها: ما عظموا الله حق عظمته[2]، وما عرفوا الله حق معرفته[3]؛ إذ جحدوا فقالوا: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍ ﴾ أي من كتاب ولا وحي[4]، قل لهم يا محمد ﷺ: ﴿ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ عليه السلام وهو التوراة ﴿ نُورًا ﴾ أي ضياءً للناس وبيانا [له][5] من الضلالة تكتبونه صحائف تظهرون ما فيها مما ليس فيه صفة رسول الله ﷺ وزمانه ومبعثه ونبوته ﴿ وَتُخۡفُونَ كَثِيرًا ﴾ أي تسترون ما فيه صفة رسول الله ﷺ ونَعْتُه وآية الرجم[6].

وقوله تعالى: ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ ﴾ يحتمل أن يكون

---

١- ذكره السيوطي في أسباب النزول باختلافٍ يسيرٍ في القصة، وكذا الواحدي عن سعيد بن جبير .
وذهب بعض المفسرين إلى أنَّها نزلت في فنحاص اليهودي، أو أنَّها في أهل الكتاب عامَّة، أو في اليهود خاصّةً بدون تعيين، وقيل: في كفار قريشٍ، وهو بعيدٌ، وأصحّها إسناداً ما رواه الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ: أنَّها نزلت في اليهود. والله أعلم.
انظر: تفسير الطبري (268/7)، زاد المسير (82/3)، أسباب النزول للواحدي (ص:147)، أسباب النزول (ص:163)، التفسير الصحيح (256/2).

٢- وهو قول الفرّاء، والزجّاج، وثعلب، وهو مروي عن ابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والحسن.
انظر: معاني القرآن للفراء (343/1)، معاني القرآن للزجاج (271/2)، زاد المسير (83/3).

٣- وهو قول أبي عبيدة.
انظر: مجاز القرآن (200/1)، زاد المسير (83/3).

٤- ﴿ شَيۡءٍ ﴾ هنا نكرة في سياق النفي، وهي تقتضي العموم . فالنفي هنا عامٌّ لكلّ منزل من كتبٍ ووحيٍ . والله أعلم.

٥- هكذا في المخطوط، والأولى أن يكون «لهم»، ولعلّه خطأٌ نسخيٌ.

٦- والصحيح أنَّ هذين مثالان على ما أخفوه مما أُنزل عليهم، وإلاَّ فهو كثيرٌ، كما في الآية.

خطاباً للمسلمين، أي: عُلِّمتم أنتم أيَّها المؤمنون من الأحكام والحدود ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم[1]، والأظهر فيه أنَّه خطابٌ لليهود[2]؛ لأنَّه منسوق على ما سبق، معناه: علمتم بالقرآن ما كنتم أخفيتم قبل نزول القرآن؛ لأنَّهم كانوا قد ضيعوا كثيراً من الأحكام، وكانوا يعاندون ولا يعملون بذلك حتى صاروا كأنَّهم لم يعلموه[3]، وهذا كقوله تعالى: ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل:4]، معناه: زينا لهم أعمالهم التي عليهم أن يعملوا بها فهم يعمهون عن الصواب[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ معناه: أنَّهم إن أجابوك قالوا: علمنا الله، وإلاَّ وإلاَّ فقل: الله علمكم، ويقال معناه: قل الله أنزل الكتاب على موسى عليه السلام[5]، ﴿

---

١- وهو قول مجاهد-رحمني الله وإياه-.
انظر: تفسير الطبري (207/7)، الدر المنثور (128/6).

٢- وعليه جمهور المفسرين.
انظر: معاني القرآن للزجاج (271/2)، البحر المحيط (182/4)، زاد المسير (84/3)، بحر العلوم (500/1)، حاشية الشهاب (150/4).

٣- انظر: المحرر الوجيز (106/6)، حاشية الشهاب (150/4).

٤- والصحيح في معنى الآية-والله أعلم- ما ذكره الطبري من أنَّ معناها: إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة وقيام الساعة حبَّبنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم، فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيّنّاها لهم يتردّدون حيارى، يحسبون أنَّهم يحسنون. اهـ. وعلى هذا فلا وجه للاستدلال بهذه الآية هنا-والله تعالى أعلم-.
انظر: تفسير الطبري (132/19).

٥- والأوَّل بعيد حسب ما يظهر؛ لأنَّ الكلام منصبٌّ على قضيةٍ عظيمةٍ هي نفي إنزال الكتب، مما يلزم منه إبطال الشرائع، والردّ على هذه الفرية جاء بإثبات إنزال كتابٍ على نبيٍّ هو موسى-عليه السلام- باستفهامٍ تقريريٍّ، إجابته مطلوبةٌ ممن افترى هذه الفرية، وقضية التعليم قضيةٌ تابعةٌ لقضية الإنزال. فالجواب يجب أن يكون منصبّاً على القضية الأساسية التي استفهم عنها أوَّلاً. والله تعالى أعلم.
والثاني هو قول ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.
انظر: بحر العلوم (500/1)، زاد المسير (84/2) ، البحر المحيط (182/4)، تفسير ابن كثير (301/3).

ﭽ ﯝ ﯞ ﭼ أي دعهم واتركهم في باطلهم يلهون ويفترون، ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه إنَّما أنت لاعب؛ فإن قيل: لم كان من أنكر إنزال الكتاب غير معظم لله تعالى **[217/أ]** حق تعظيمه؟ قيل: لأنَّه قد نسب إلى الله تعالى إهمال العبادة، ووصفه بأنَّه لم يكلف المكلفين بإنزال ما يتعلق من المصالح بالسمع [1]، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فلمّا رجع مالك بن الصيف من عند رسول الله ﷺ إلى قومه، قالوا: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك زعمت أنَّه ما أنزل الله على بشر من شيء؟ أرأيت كتابنا من جـــاء به إلاَّ بشر؟موسى بـــن عمران ، قال:إنَّه قد أغضبني، فلذلك قلت ما قلـــت، قالوا: إذا غضبت قلت غير الحق؟ والله لا تلي لنا شيئاً فنزعوه مما كان يلي لهـــم وولوا مكانه كعب بن الأشرف [2][3]، وعن محمد بن كعب القرظي [4] أنَّه قال: قالت اليهود: يا محمد ﷺ إنَّ موسى جاءنا بالألواح يحملها من عند الله فأتنا به كما جاءنا موسى نصدقك، فأنزل الله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[النساء:153] الآية، وما فيها من أعمالهم الخبيثة، وكفروا بكل كتاب أنزله الله تعالى، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، وكان رسول الله ﷺ محتبياً فحلّ حُبوته فقال: (ولا على أحد؟)

---

١- وقد يقال إنَّ علّة ذلك عائدةٌ إلى أنَّ المنكرين قومٌ معاندون يعلمون الحق، ويجحدونه، ويفترون على الله الكذب عالمين بذلك، وفاعل هذا الفعل لم يقدر الله حقّ قدره-والله أعلم-.

٢- كعب بن الأشرف الطائي اليهودي ، كان سيداً في بني النضير، بكى أهل بدر من المشركين وشبب بنساء النبي-ﷺ- وأصحابه وأزواجه وبنساء المسلمين، فأمر رسول الله-ﷺ- محمد بن مسلمة ورهطاً معه من الأنصار فقتلوه ليلاً.

انظر ترجمته في معجم الشعراء: (ص:272).

٣- انظر: تفسير الطبري (267/7)، الكشاف (34/2)، تفسير القرطبي (37/7).

٤- هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، ثقةٌ، عالمٌ، ولد سنة : 40هـــ على الصحيح، توفي سنة: 17، أو 19، أو 20 ومائة هجرية. انظر: تقريب التهذيب (ص:891)، رقم: (6297)، وانظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص:9)، رقم: (12).

فقالوا: ولا على أحد فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[1]، وذهب بعض المفسرين على أنَّ المراد بهذه الآية قريش ومعنى قوله:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ما آمنوا بأنَّ الله قدير على كل شيءٍ، وقوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ احتجاج عليهم بما دلَّ الدليل عليه إذ لم يكونوا هم مقرين به، ومعناه: أنَّ صفة محمد ﷺ فيما أنزله الله عليه كصفة موسى عليه السلام فيما أنزل الله عليه وعلى هذا القول يقرأ قوله : ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ ﴾ و﴿ تُبْدُونَهَا ﴾ ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ كل ذلك بالتاء[2]، وقوله ﷻ: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ ﴾ خطاب للعرب أيضاً[3].

**قوله ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [92]:**

معناه: وهذا القرآن الذي كذب به أهل الكتاب ومشركوا قريش كتابٌ مباركٌ أي فيه بركة ومغفرة من الذنوب لمن آمن به، والبركة ثبوت الخير على النماء

---

١- أخرجه الطبري بسنده عن محمد بن كعب القرظي. انظر: تفسير الطبري (267/7).

٢- وهي قراءة سائر القرَّاء، وأبو عمرو وابن كثير يقرآن بالياء. انظر: النشر (260/2).

٣- وهذا القول-أعني أنَّ الخطاب لقريش- ذهب إليه جماعة كالطبري، وابن كثيرٍ . والذي يظهر لي-والله أعلم- أنَّه على هذا القول تكون القراءة بالياء أظهر؛ لأنَّ الحديث مع قريشٍ عن كتابٍ لم ينزل عليهم، وليس بأيديهم، بل هو بأيدي بني إسرائيل، وهو الذي حرّفوه وغيّروه، فالتعبير عنه بالغيب أقرب على هذا القول، والقراءة بالخطاب أوفق مع قول من قال إنَّ الخطاب لليهود . والله أعلم. ومما يقوّي هذا القول كون السورة مكية، وكونها نزلت جملة واحدة. والله تعالى أعلم بالصواب. انظر: تفسير الطبري (268/7)، تفسير ابن كثير (300/3).

والازدياد[1]، وقوله: ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ معناه : هو موافق للتوراة والإنجيل، وسائر كتب الله في أصل الدين، ويقال: أراد بالذي بين يديه النشأة الثانية[2]، وقوله: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ معناه: أنزلناه للبركة ولتخوف به أهل أم القرى[3]، وسميت مكة أمَّ القرى؛ لأنَّها أصل القرى دحيت الأرض من تحتها [4]، ويقال: لأنَّها أعظم القرى شأناً[5]، ويقال: لأنَّها قبلة يؤمها الناس بالصلاة إليها [6]، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ ﴾ معناه : الذين يقرون ويصدقون بالبعث بعد الموت يؤمنون بالقرآن[7]، وفي هذا بيان أنَّ الإيمان بالحساب والجزاء يقتضي الإيمان بالقرآن، ولا ينفع دون الإيمان به، والإيمان بمحمد ﷺ[8]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ أي يداومون على الصلوات الخمس بركوعها وسجودها ومواقيتها[9]، وما يجب من حق الله تعالى فيها[1].

---

١- والبركة: النماء والزيادة. قاله في اللسان (395/10).

٢- وعلى الأوَّل عامَّة المفسّرين، وهو المروي بالسند عن أبي العالية، وذهبت فرقة إلى أنَّ المصدَّق هنا هو الآخرة، وردّه بعض المحقّقين كابن عطية بحجة أنَّ القرآن هو الذي بين يدي القيامة، ولا عكس.
انظر: تفسير الطبري (271/7)، المحرر الوجيز (107/6)، الدر المنثور (129/6)، التفسير الصحيح (256/2).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (271/2).

٤- وهذا القول مرويٌّ عن قتادة. انظر: تفسير الطبري (272/7)، الدر المنثور (130/6).

٥- وهذا قال به الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (271/2.)

٦- وهذا القول ذكره ابن عطية، وابن الجوزي، من غير عزوٍ، وهو تعليلٌ منطقيٌّ غيرُ بعيدٍ . انظر: المحرر الوجيز (107/6)، زاد المسير (85/3)، روح المعاني (222/7).

٧- وهناك قولٌ آخر أنَّ الضمير يراد به النبي – ﷺ–. وحسب ما يظهر لي لا تنافي بين القولين؛ لأنَّ كلاً منهما يلزم منه الآخر. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (272/7)، زاد المسير (85/3).

٨- وفي هذا إيماءٌ وإشارةٌ إلى الرأي الثاني في عود الضمير.

٩- وهو مروي عن قتادة بسندٍ صحيح. انظر: التفسير الصحيح (256/2).

قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [93]:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: نزلت هذا الآية في مالك بن الصيف[2] ومسيلمة الكذاب[3]، الذي كان يدعي النبوة، وفي عبد الله بن سعد بن أبي

---

١- وقد أغفل المصنِّف- رحمه الله وإيانا- ذكر معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾؛ وإنَّما جاء الاهتمام بذكر تفسير هذا الجزء من الآية من جهة أنَّ في بيان معناه سدّاً لباب قد يطرقه، بل طرقه بعض أعداء هذا الدين الحنيف لنفيِ كون هذه الرسالة السماوية، والشريعة السمحة عامةً لكلّ البشر، بل للثقلين جميعاً.

فأقول مستعيناً بالله: تذرَّع بهذه الآية بعض اليهود الذين زعموا أنَّ رسالة محمد-ﷺ- خاصة بقومه من العرب الكائنين بمكةً والقرى التي حولها في الجزيرة. وهو قول-بلا شكّ- باطلٌ من وجوه منها:

1. أنَّ تفسير هذه الآية ثابتٌ عن أئمة التفسير كابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وغيره بالسند المعتبر بأنَّ المراد بما حول مكة: مشارق الأرض ومغاربها. كما روي ذلك عنه من طريق علي بن أبي طلحة.
2. أنَّ اللفظ المذكور يحتمل المعنى الذي ذكرناه وحده، فكيف إذا أضيفت إليه أدلّة أخرى.
3. أنَّ الدليل الذي استدلّوا به واردٌ في القرآن الكريم، وفيه آيات أخرى تؤيِّد ما قلناه؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:28]، بل إنَّ القرآن الكريم خاطبهم-أعني أهل الكتاب- خاصة بما يدلّ على أنَّهم متعبّدون بشريعة محمد- ﷺ- في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ الآية [النساء:47]، ولكنهم كما قال الله تعالى عنهم: يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فهذا ديدنهم، وهذه طريقتهم.
4. أنَّ تخصيص مكة بالذكر سببه: أنَّها مهد الرسالة، ومبدأ الدعوة، وبها أهل النبي -ﷺ- وقومه، وبهم تبدأ الدعوة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:214]. والله تعالى أعلم.

انظر فيما سبق: تفسير الطبري (271/7): الدر المنثور (129/6)، روح المعاني (222/7)، التفسير الصحيح (256/2).

٢- هو مالك بن الصيف المذكور في الآية السابقة، و لم أقف على من قال إنَّ هذه الآية نزلت فيه.

٣- هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي صاحب اليمامة الذي ادَّعى النبوة، قتل يوم اليمامة سنة (11هـ). انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (214/2)، شذرات الذهب (23/1).

السرح[1]، كان عبد الله بن سعد يتكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ القرآن الذي ينزل عليه في بعض الأحيان، و كان إذا أملى عليه رسول الله ﷺ إنَّ الله عزيز حكيم، كتب هو من قبله إنَّ الله غفور رحيم، وقال : هذا وذاك سواء، والله غفورٌ رحيمٌ، والله عزيزٌ حكيمٌ، والله سميعٌ بصيرٌ، فلما نزلت الآية التي في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾[12-14]، أملاها رسول الله ﷺ عليه، فلما أملى قوله:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون:14] عجب عبد الله بن سعد من تفصيل خلق الإنسان فجرى على لسانه ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:14] فقال له رسول الله ﷺ: (أكتب فهكذا أنزل علي ) فشك عدو الله حينئذ، وقال لئن كان محمد ﷺ **[217/ب]** صادقاً فلقد أوحي إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]، ومعناها: أيّ أحدٍ أكفر وأشدّ وأعتى في كفره[3] ممن اختلق على الله كذباً بأن جعل له شريكاً وولداً [1]، قال: و لم ينزل على

---

١- هو: عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث القرشي العامري-ﷺ- أبو يحيى، صحابي، ارتد، ثم عاد فبايع يوم الفتح، وولي لعثمان بعض الأعمال، وأحسن في الفتوح الإسلامية، وتوفي بعد أن صلَّى الصبح قبل التسليمة الثانية سنة: 95هـ، ﷺ. انظر: الإصابة (100/6)، رقم: (4702).

٢- والمشتهر عند أهل التفسير أنَّها نزلت في عبد الله بن سعد، وذهب بعضهم إلى أنَّها نزلت في مسيلمة الكذَّاب، وبعضهم قال بأنَّ من قال : ﴿ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ هو مسيلمة، ومن قال : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ هو عبد الله بن سعد، والتفسير الصحيح إسناداً يعضّد القول بأنَّ قوله تعالى : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ نزل في مسيلمة، كما روي عن قتادة بسندٍ صحيحٍ . ولا شكَّ أنَّ معنى الآية عامٌّ يدخل فيه كلّ من فعل هذا الفعل.

انظر: تفسير عبد الرزاق (213/2)، تفسير الطبري (273/7-274)، أسباب النزول للواحدي (ص:148)،أسباب النزول للسيوطي (ص:164)، التفسير الصحيح (257/2).

٣- ويرى بعض المفسِّرين أنَّ ﴿ مَنْ أَظْلَمُ ﴾ ابتداء وإخبار، بمعنى: لا أحد أظلم. فهو استفهام معناه النفي.

آدمي كتاباً كما قاله المشركون ومالك بن الضيف[2]، والافتراء افتعال خبرٍ لا حقيقة له من قولهم: فريت الأديم إذا قطعته[3] فكأنَّ الكاذب على غيره يقطع على خبرٍ لا حقيقة له، والمراد بقوله: ﴿ أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ ﴾ مسيلمة الكذاب، وقوله: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ ﴾ أراد به عبد الله بن سعد [4]، قال : سأقول مثل ما أنزل الله تعالى[5]، وإنَّما أضاف الإنزال إلى نفسه؛ لأنَّه لما ذكر قوله في مقابلة ما أنزل الله تعالى أجراه على لفظه[6]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ محذوف الجواب معناه: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت لهم عذاباً عظيماً[7]، والظالمون هم الكافرون الكاذبون على الله [8]، ويقال :

---

انظر: تفسير القرطبي (39/7)، البحر المحيط (184/4)، تفسير ابن كثير (301/3).

١- ولا شكَّ أنَّ تعميم المعنى أو لى بحيث تدخل فيه كلّ فريةٍ، كمن ادَّعى أنَّ المسيح ولد الله، أو أنَّ الله فقيرٌ، أو أنَّ يد الله مغلولة، فكلّ ذلك من الافتراء والظلم العظيم. والله أعلم.

٢- وهذا داخلٌ تحت الافتراء والكذب المذكور مذموماً صاحبه في الآية.

٣- انظر: لسان العرب (151/15).

٤- وهذا هو القول بالتفريق الذي تنتظم به الروايات المختلفة الواردة فيما سبق.

٥- وإليه أشار الزجاج حين قال : إنَّه جواب لقولهم: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال:31]. انظر : معاني القرآن للزجاج (272/2).

٦- بمعنى أنَّه لم يقل: سأقول مثل ما أنزل الله، من باب إجراء قوله مجرى الإ نزال، من باب المشاكلة اللفظية. والله تعالى أعلم.

٧- وحَذفُ الجوابِ أبلغ؛ ليذهب ذهن السامع كلّ مذهبٍ . انظر: معاني القرآن للزجاج (272/2)، بحر العلوم (501/1)، المحرر الوجيز (109/6).

٨- وهذا القول أقرب للصواب؛ لأنَّ لفظ : الظالمين، عامٌّ، ويدخل فيه دخولاً أوَّلياً من دلّ عليه السياق، كمن قال: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾، وكمن قال: ﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ ﴾، وكمن قال: ﴿ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ ﴾. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (274/7).

أراد به المنافقين يوم بدرٍ رآهم رسول الله ﷺ في صف المشركين وقد كانوا مسلمين بمكة فأخرجهم أهل مكة مع أنفسهم كرهاً فلما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى المشركين وقالوا: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ﴾ [الأنفال:48]، عنوا به المؤمنين وقاتلوا مع المشركين فقتلوا جميعاً أو عامّتهم[1]، وقوله تعالى: ﴿ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي في سكراته ونزعاته وشدائده[2]؛ يقال لكل من دُفع إلى أمرٍ عظيمٍ : قد غمر فلانا ذلك، وإذا قلت: غَمِرَ فلان على تأويل أنَّه قد كثُر مالُه، أو علمُه، أردت بذلك أنَّه قد صار فيما يملك ويعلم بمنزلة من لا يبصر، قد غمره وغطّاه من كثرته[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ﴾معناه:أنَّ ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب يبسطون أيديهم عليهم بالعذاب[4]فيقبضون أرواحهم بالشدَّة يقولون لهم :﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ من المـــوت، ويقال : من العذاب[5]، أي: خلّصوا أنفسكم ولستم تقدرون على الخلاص؛ كقوله تعالى : ﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ تَرۡجِعُونَهَآ إِن

١- وهذا القول مروي عن ابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق أبي صالحٍ. وأثبت منه ما روي عنه من طريق علي بن أبي طلحة من أنَّه عامٌّ للظالمين.
انظر: تفسير الطبري (275/7)، زاد المسير (87/3)، التفسير الصحيح (257/2).
٢- وهو مروي عن الضحَّاك، وابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (275/7)، زاد المسير (87/3)، الدر المنثور (138/6).
٣- وأصل الغمر: الماء الكثير، وغمرة الشيء: منهمكه، وشدته، كغمرات الهم والحرب والموت . انظر : لسان العرب (29/5).
٤- وهو مروي عن الضحَّاك وأبي صالحٍ، وقيل : باسطوا أيديهم بالضرب، و هو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق علي بن أبي طلحة . وهو الذي يدلّ عليه القرآن كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [الأنفال:50]. وقال الفرَّاء إنَّ البسط هنا لقبض أرواحهم. انظر: معاني القرآن للفراء (345/1)، تفسير الطبري (275/7-276)، زاد المسير (87/3)، أضواء البيان (239/2)، التفسير الصحيح (257/2).
٥- والأوَّل فيه إشارة إلى قول الفرَّاء الذي وَرَدَ آنفاً.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1] [الواقعة:86-87]، ويقال : معنى﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾: فارقوا أرواحكم الخبيثة كما تقول للذي تعذّبه: لأخرجّنّ نفسك، ولأزهقنَ نفسك [2]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ يقال لهم يوم قبض الروح [3]، ويقال: أراد به يوم القيامة حين معاينته اليوم تجزون العذاب الذي تهانون فيه بكذبكم على الله تعالى[4]، وبما كنتم تتعظمون[5] عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن .

**قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [94]:**

عطف على متقدّم[6] معناه: أنّه يقال لهم: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ بلا مالٍ ولا ولدٍ كما خلقكم الله في الابتداء[7]، وفي الخبر أنّهم يحشرون يوم القيامة عُراةً حُفاةً غُرْلاً بُهماً، فقالت عائشة: وا سوأتاه الرجل والمرأة كذلك؟ فقال رسول الله

١- والمعنى كما قال ابن كثير: فهلاّ ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأوّل . اهـ . وهذا يتوافق-والله أعلم- مع القول بأنّ الملائكة تبسط أيديها لقبض الأرواح. انظر: تفسير ابن كثير (548/7).

٢- وهذا يتأتى على قول الفرّاء الذي سبق ذكره، وهو المتسق مع آية الواقعة في المعنى، وبه قال الزجاج . انظر: معاني القرآن للزجاج (272/2).

٣- وهو الذي يقوّيه السياق. انظر: تفسير المحرر الوجيز (110/6)، البحر المحيط (185/4).

٤- انظر: البحر المحيط (185/4).

٥- هكذا في المخطوط والمعنى: تتعاظمون.

٦- ولعلّه معطوفٌ على القول المحذوف في قوله تعالى : ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ والمعنى: أنّ الله تعالى عند قبض الملائكة للكافرين يقول لم: أخرجوا أنفسكم، ثم يقول لهم: ولقد جئتمونا فرادى. والله أعلم. انظر: التحرير والتنوير (381/7).

٧- انظر: تفسير الطبري (277/7).

ﷺ: (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه )[1]، ويقال: معنى ﴿ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ كان بعثكم كخلقكم[2]، كما قال جلّ ذكره : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء:104]، وفرادى: جمع الفرد والفرائد [3]، وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ ﴾ أي: خلّفتم ما أعطيناكم خلف غيركم في دار الدنيا و لم تقدّموها لأنفسكم، وما نرى معكم آلهتكم التي زعمتم أنّهم فيكم شركاء يشفعون لكم ويقرّبونكم إليّ[4]، ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: وصلكم[5]، والبين من الأضداد [6]، الأضداد[6]، ومن قرأ ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ بالنصب[7] فمعناه: تقطَّع ما بينكم أي ما كنتم فيه فيه من الشركة[8]، ﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنّها شفعاؤكم عند الله

---

١- أخرجه الترمذي في سننه (432/5)، رقم: (3332)، من حديث ابن عباسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، قد رُوي من غير وجهٍ عن ابن عباسٍ، رواه سعيد بن جبير أيضاً، وفيه عن عائشة- رضي الله عنها- اهــ. وقال الشيخ الألباني: حسنٌ صحيحٌ. انظر: سنن الترمذي مذيلاً بأحكام الألباني على الأحاديث (423/5)، وقد رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة باختلافٍ في آخره بدلاً من ا لآية قال: (الأمر أشد من أن يهمهم ذاك )، وفي مسلم: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ). انظر: صحيح البخاري (2391/5)، رقم : (6162)، صحيح مسلم: (2194/4)، رقم: (2859). وكذا أخرجه الطبري في تفسيره (278/7).

٢- معاني القرآن للزجاج (273/2).

٣- معاني القرآن للفراء (345/1).

٤- انظر: بحر العلوم (502/1).

٥- وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر، بضم النون على أنَّ الكلمة "بين" التي هي بمعنى الوصل والكاف ضمير المخاطب.
انظر: النشر (260/2).

٦- قال في اللسان: البينُ في كلام العرب جاء على وجهين، يكون البين الفرقة، ويكون الوصل. اهــ.
لسان العرب (62/13). وانظر: المحرر الوجيز (112/6).

٧- وهي قراءة نافع، وأبي جعفر، وحفص عن عاصم، والكسائي. انظر: النشر (260/2).

٨- انظر: المحرر الوجيز (113/6)، البحر المحيط (186/4).

حين لم يقدروا على دفع شيءٍ من العذاب عنكم[1].

**قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [95]:**

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: معناه أنَّ الله خالق الحبِّ والنوى [2]، كقوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [فاطر:1]، أي : خالق السماوات والأرض[3]، وقال الحسن وقتادة[4]: معنى ﴿ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ ﴾ شاقّ الحبة عن السنبلة، والنواة عن النخلة[5]، والحب: جمع حبة، والنوى: جمع نواة، ونظير ذلك الشجرة والشجر، والبرة والبر[6]، وقوله تعالى :﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ معناه: يخرج الإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان [7]، وسميت النطفة

---

١- بحر العلوم (502/1).

٢- وهو مروي عن ابن عباس من طريق محمد بن إسحاق، وكذا روي عن الضحاك . انظر: تفسير الطبري (281/7).

٣- وقد قال الضحَّاك: كل شيء في القرآن: فاطر السماوات والأرض، فهو: خالق السماوات والأرض . انظر: تفسير ابن كثير (532/6).

٤- هو: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، العلاَّمة المفسِّر الحافظ، توفي بالطاعون سنة: 118هـ. انظر: طبقات الداوودي (ص:43)، رقم: (415).

٥- وهو مرويّ كذلك عن السدي، وقد رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد . انظر: تفسير الطبري (280/7)، زاد المسير (90/3)، الدر المنثور (142/6-143).

٦- وهذا النوع من الجمع الذي يفرق بينه وبين مفرده بالتاء، قيل: هو اسم جنس جمعي، وقيل : جمع، وقيل: اسم جمع، والأوَّل رجَّحه جماعةٌ كالأشموني بحجّة أنَّه لا يطلق إلاَّ على ثلاثة فأكثر.
انظر: شرح الأشموني على الألفية (25/1)، توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك (271/1).

٧- وهو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ومجاهد. انظر: تفسير الطبري (282/7)، الدر المنثور (142/6)، التفسير الصحيح (259/2).

ميتاً؛ لأنَّها من جملة الأموات [1]، ويقال: معناه: يخرج النبات **[218/أ]** الغضّ الطري من الحب اليابس، ويخرج الحبّ اليابس من النبات [2]، وكلّ ما يكون نامياً فهو عند أهل اللغة بمنزلة الحي، وما لا يكون نامياً فهو بمنزلة الميت [3]، ويقال: معناه: معناه: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن [4]. وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي الذي يفعل هذا الفعل هو الله ﷻ فمن أين تصرفون عن الحق [5]، والإفك في اللغة: هو القلب عن الشيء والصرف عنه [6]، والغرض من الآية – والله أعلم- الاحتجاج على القوم في أمر البعث الذي تقدَّم ذكره؛ بما يشاهدونه من خلقه؛ ليتفكروا في أنَّ الله الذي خلق هذه الأشياء قادر على بعثهم [7].

**قوله ﷻ: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [96]:**

قال الأكثرون: معناه: شاقّ عمود الصبح عن سواد الليل [8]، قال عبد الله

---

١- انظر: بحر العلوم (258/1).

٢- وهو مروي عن السدّي، وأبي مالك. انظر: تفسير الطبري (282/7)، الدر المنثور (43/6).

٣- قال الطبري: والشجر ما دام على أصوله لم يجفّ، والنبات على ساقه لم ييبس، فإنَّ العرب تسميه حبّاً، فإذا يبس وجفّ، أو قطع من أصله سمّوه ميتاً. اهـ. تفسير الطبري (281/7).

٤- انظر: مجاز القرآن (90/1)، بحر العلوم (258/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (282/7).

٦- قال في اللسان : الإفك: الكذب. ثم قال بعد ذلك : وأَفَكَ الناسَ: كَذَبَهم، وحدَّثهم بالباطل. اهـ . لسان العرب (390/10).

٧- انظر: التحرير والتنوير (387/7).

٨- وهذا الذي ذكره المؤلِّف، أشار إليه الطبري حين نسب هذا القول إلى الأكثرين . وهو مرويّ عن الضحَّاك، ومجاهد، وقتادة، وابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وابن زيد، وبه قال الزمخشري، وجزم به ابن عطية، ورجّحه الطبري.

انظر: تفسير الطبري (282/7)، الكشاف (238/2)، المحرر الوجيز (115/6)، الدر المنثور

ابـــن عباس: معنـــاه: خالـــق الإصباح[1]، وقال الزَّجَّاج[2]: الإصباح والصبح واحدٌ[3] والأصباح جمع الصبح[4]، ويقال: الإِصباح-بكسر الألف- : المصدر [5]، ومعناه الدخول في ضوء النهار، يقال : أصبح فلانٌ إذا دخل في ضوء النهار، وأمسى إذا دخل في ظلمة الليل[6]، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾[7] [الحجر:83]، وقوله : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّيْلِ سَكَنًا ﴾ قرئ هكذا[8]، وقرئ ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾[9] المعنى-والله أعلم-: نوّر النهار بالنور لتبتغوا فيه من فضله، وجعل

---

(144/6).

١- وهي رواية ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق محمد بن سعد عن أبيه عنه بسنده إلى ابن عباس، وأقوى منها رواية القول الأوَّل حيث روي من طريق علي بن أبي طلحة.
انظر: تفسير الطبري (283/7)، التفسير الصحيح (259/2).

٢- هو: محمد بن السُّري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، أخذ عن المبرّد وعن ثعلب، وأخذ عنه الجوهري وغيره، له : معاني القرآن، والاشتقاق، ومختصر النحو، وغيرها، توفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة : 311هـــ، وكان آخر ما سمع منه قبل موته : اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل.
انظر: طبقات الداوودي (ص7-9)، رقم: (10).

٣- معاني القرآن للزجاج (274/2).

٤- لم أقف على الجزء الأخير من العبارة عند الزجاج، وقد ذكره الفرَّاء في معانيه (346/1)، وفي هو اللسان (502/2).

٥- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (346/1)، البحر المحيط (189/4).

٦- قال في اللسان: أصبح القوم: دخلوا في الصَّباح، كما يقال: أمسوا: دخلوا في المساء. لسان العرب (502/2).

٧- قال ابن كثير-رحمه الله تعالى وإيانا-: وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ أي: وقت الصباح. تفسير ابن كثير (545/4).

٨- وهي قراءة نافعٍ، وأبي جعفر، وابنِ كثيرٍ، وأبي عمرو، وابنِ عامر، ويعقوب. انظر: النشر (260/2).

٩- وهي قراءة عاصمٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر. انظر: المصدر السابق.

الليل سكناً لتسكنوا فيه في ظلمته في أوطانكم، والسكن: ما يسكن إليه[1]؛ يقال: فلانٌ سكني أي: أسكن إليه وآلفه، وقوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ﴾ نصبت الشمس على تأويل وجعل[2]؛ لأنَّ في جاعل معنى جعل أي جعل منازل الشمس والقمر بحساب معلومٍ لا تختلف، إذا انتهى أحدهما إلى أقصى منازله رجع [3]؛ فإنَّ الشمس تدور على الفلَكَ كلّه في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يومٍ، والقمر يدور على الفلك كلّه في ثمانية وعشرين يوماً وليلة ويكون مستوراً في ليلتين ثم يعود إلى ما كان[4]، فيعرف الناس بذلك آجالهم وأوقات غلاَّتهم وعباداتهم ومعاملاتهم، ويعرفون بذلك أعمارهم، والحسبان: مصدرٌ[5]؛ تقول العرب: فلانٌ حسبانه على الله، أي: حسابه على الله تعالى، ويقال: إنَّ الحسبان جمع الحساب؛ كما يقال: شهابٌ وشهبانٌ[6]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ معناه: ذلك وصف وصف تدبير المنيع في سلطانه الغالب الذي لا يُغلب العليم بمصالح مملكته[7].

**قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [97]:**

معناه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾ التي تختلف مواضعها من جهة الشمال

---

١- ينظر: زاد المسير (91/3)، لسان العرب (211/13).

٢- انظر: إعراب القرآن للنحاس (23/2).

٣- وعليه أغلب المفسِّرين، ورجَّحه الطبريّ على القول بأنَّ الحسبان هو الضياء.
انظر: مجاز القرآن (201/1)، تفسير الطبري (285/7)، بحر العلوم (503/1)، المحرر الوجيز (115/6)، تفسير القرطبي (45/7)، تفسير ابن كثير (304/3).

٤- انظر: البحر المحيط (190/4).

٥- انظر: إعراب القرآن للنحاس (23/2)، البحر المحيط (190/4).

٦- وهو مذهب أبي عبيدة، ونسب إلى الأخفش. انظر: المصدرين السابقين، مجاز القرآن (201/1).

٧- انظر: تفسير الطبري (284/7).

والجنوب، والصبا والدبور[1]؛ لتعرفوا بها الطرق من بلدٍ إلى بلدٍ، ﴿ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: في المفاوز[2] ولجج البحار بالليالي المظلمة في السفر؛ فإنَّ من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه، ومنها ما يجعله خلفه، ومنها ما يجعله على يمينه، ومنها ما يجعله على يساره؛ ليظهر له الطريق التي تؤديه إلى بغيته.

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ﴾ معناه: قد بين الآيات مفصلة [3] ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، وهذا تذكير بالنعمة عليهم؛ بما جعل لهم من المنفعة في النجوم[4].

**قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [98]:**

معناه: وهو الذي أنشأ خلقكم من نفس آدم عليه السلام وحدها[5]؛ فإنَّ تعالى خلقنا جميعاً منه وخلق أمَّنا حواء من ضلعٍ من أضلاع آدم عليه السلام؛ وإنَّما منَّ علينا بهذا؛ لأنَّ الناس إذا رجعوا لأصلٍ واحدٍ كانوا أقرب إلى أن يألف بعضهم بعضاً منهم إذا رجعوا إلى أصول شتى، وقوله: ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ قال عبد الله بن عباس : لكم مستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء [6]، وقال بعضهم: على

---

١- الصَّبا والدَّبُور: كلٌّ منهما ريحٌ معروفة،والأولى جنوبية، وبها نُصِرَ رسول الله - ﷺ- يوم الخندق . وبالثانية أهلك الله قوم عادٍ. انظر: لسان العرب (449/14)، تفسير ابن كثير (384/6).

٢- المفاوز: جمع مفازةٍ، وهي المَهْلَكَةُ؛ سُمِّيت بذلك من فَوَّز بمعنى هلك، أو من الفوز والنجاة من باب التفاؤل.

انظر: لسان العرب (392/5).

٣- وبنحوه قال القرطبي في تفسيره (46/7).

٤- وإنَّما خصَّ الذين يعلمون؛ لأنَّهم هم المنتفعون بالآيات. انظر: بحر العلوم (503/1)، تفسير القرطبي (46/7).

٥- وهو مروي عن قتادة والسُّدي. انظر: تفسير الطبري (286/7)، التفسير الصحيح (261/2).

٦- وهذه أثبت روايةٍ عن ابن عباس، وإلاَّ فقد روي عنه غيرُها، وهي مرويةٌ عن مجاهدٍ، وعطاء، والسُّدي،

الضد من هذا[1]، إلاَّ أنَّ لفظ المستقر فيمن خلق، والمستودع فيمن لم يخلق أقرب[2]، وقـــال عبد الله بن مسعـــود: مستقر في الرحم، ومستودع في القبر[3]، وقال الحسن: مستقرٌّ في الدنيا، ومستودعٌ في القبر، ومن قرأ: ﴿ فَمُسْتَقِرٌّ ﴾ -بالكسر[4]- فعلى معنى: فمنكم مستقِرٌّ ومنكم مستودع[5]، وقوله: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ ﴾ معناه: قد بينا العلامات الدالّة على توحيد الله تعالى مفصلة لقوم يستدلّون لمعاني الآيات، والفقه في اللغة: هو الفهم لمعنى الكلام، إلاَّ أنَّه جعل في العرف عبارة عن علم الفتيا[6]. على معنى أنَّه استدراك بعض الكلام بالاستنباط عن الأصول؛ ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى بأنَّه فقيه؛ لأنَّه لا يوصف بالعلم على وجه الاستنباط، ولكنه عالم بجميع الأشياء على وجهٍ واحدٍ[7].

**قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ**

---

والسُّدي، والنخعي، وقتادة، والضحَّاك، وابن زيد.

انظر: تفسير الطبري(288/7)، التفسير الصحيح (261/2).

١- وهذا القول منسوبٌ إلى ابن بحر، ولعلّه أبو مسلم الأصبهاني، واسمه محمد بن بحر.
انظر: بحر العلوم (503/1)، زاد المسير (92/3).

٢- ولعلّ هذا يعتبر ترجيحاً منه للقول الأوَّل.

٣- وقد روى هذا القولَ عن ابن مسعود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- الطبري بسنده عن إبراهيم النخعي عنه، وروى عبد الرزاق عنه قولاً آخر بسنده إلى النخعي عنه كذلك أنَّ المستقرّ في الدنيا والمستودع في الآخرة. انظر: تفسير عبد الرزاق (215/2)، تفسير الطبري (287/7).

٤- وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو وروح. انظر: النشر (206/2).

٥- الموضح في وجوه القراءات وعللها (488/1).

٦- قال في اللسان: الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين؛ لسيادته وشرفه. اهـ. المراد منه. لسان العرب (522/13).

٧- والأولى من هذا تقرير عدم إثبات صفةٍ لله ﷻ ما لم تثبت من طريقٍ شرعيٍّ في كتابٍ أو سنَّةٍ، ولا داعي لمناقشة العقائد بالأساليب العقلية. والله تعالى أعلم.

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ [218/ب] وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [99]:

معناه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ماء المطر؛ فإنَّ الله ﷻ ينزل المطر من السماء إلى السحاب، وينزل من السحاب إلى الأرض؛ كما قال جل ذكره :﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق:9]، وكما قال في البَرَدِ : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النور:43]، ولولا السماع لكنا نجوز أن يخلق الله المطر والبَرَد في السحاب؛ بأن يخترعهما فيه، إلاَّ أنَّ السمع منع من ذلك، وهذا يبطل قول المنجمين: إنَّ السحاب بخار الأرض، وإنَّه يصّاعد من الأرض ويجتمع في الهواء ثم يتحلل منه المطر[1]؛ لأنَّ بخار الأرض لا يجتمع إلاَّ إذا صادف سقفاً أملس مثل سقف الحمام[2] فيمنعه من النفوذ ويتحلّل منه الماء ، وأمَّا إذا لم يكن كذلك وصعد إلى الجوّ فيجب أن يتفرّق في الجوّ ولا يجتمع[3]، فلو كان السحاب بخار الأرض لكان لا لا يسيل منه ما يجري الأنهار والأودية إلاَّ ما ارتفع من البحور، ولا يجوز أن يكون قد ارتفع من البحر؛ لأنَّ ماء البحر ملحٌ أجاجٌ وماء المطر عذبٌ زلالٌ[4]، ولو كان

---

١- وقد تبنَّى هذا القول أبو علي الجبائي- حيث نسبه إليه غيرُ واحدٍ- واحتجّ له بغير ما دليلٍ، شرعاً، وعقلاً.

انظر: مفاتيح الغيب (106/13)، روح المعاني (237/7).

٢- الحمَّام: واحد الحمَّامات المبنية؛ ليغتسل فيها الناس، وتعرف حالياً بحمَّامات البخار.

انظر: لسان العرب (150/12).

٣- وهذا أحد الأدلَّة التي أوردها الجُبَّائي على قوله.

انظر: مفاتيح الغيب (106/3)، روح المعاني (237/7).

٤- فعلى هذا يلزم من قال بهذا القول أن تكون الأنهار والأودية تجري بماء ملحٍ أجاجٍ، وذلك خلاف

البَرَد ماء قد جمد في الهواء لكان لا يأتي البَرَد بعد النيروز [1] في وقت الربيع؛ لأنَّ في ذلك الوقت لا يجمد شيء في الهواء، ومعلومٌ أنَّ أكثر ما يأتي البَرَد دائماً يأتي في وقت الربيع وينذر مجيئه في الشتاء[2]، وقوله ﷻ: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ معناه: فأخرجنا بالمطر نبات كلّ صنفٍ من صنوف الحبوب معاشاً لهم، كما يقال : رزق كلّ حيٍّ من الأحياء[3]، ويقال: معناه: أخرجنا بالمطر كل صنف من صنوف النبات، فيكون هذا إضافة الشيء إلى نفسه [4]؛ كقوله : ﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة:95]، وإن كان الحق هو اليقين[5]، فإن قيل: كيف قال الله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فجعل المطر سبباً للنبات، والفاعل بالسبب يكون مستعيناً بفعل السبب على فعل المسبّب والله جل ذكره مستغنٍ ع ن الأسباب؟ قيل: إنَّما قال الله ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾؛ لأنَّ المطر سببٌ يؤدِّي إلى النبات وليس بمولودٍ له،

---

الواقع.

١- ويوم النيروز: هو يوم الزينة المذكور على قول، وهو أوَّل أيام السنة عند القبط، وعيدٌ عند الفرس . انظر: لسان العرب (416/5).

٢- وقيل: إنَّ المراد بالإنزال من السماء: من السحاب؛ لأنَّ العرب تسمّي كلّ ما علا سماءً، وقيل : أي: من جانب السماء.

انظر: مفاتيح الغيب (107/3)، تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب عليه (164/4)، روح المعاني (237/7).

٣- وكذلك الثمار، وخلاصة هذا القول: أخرجنا بالماء نبات كلّ شيءٍ مما ينبت من حبوبٍ وثمارٍ. انظر: المحرر الوجيز (117/6)، زاد المسير (93/3).

٤- وهذا كذلك تابعٌ للأوَّل، ووجه المفارقة أنَّ المؤلِّف- رحمنا الله وإياه- أراد بالأوَّل الحبوب التي تتحصّل من النبات، وبالثاني: النبات الذي تتحصّل منه الحبوب. وهناك قولٌ أغفله المؤلِّف، مفاده أنَّ المراد بنبات كل شيء: الرزق الذي يحصل به نبات المخلوقات ونموّها، وقد اختاره الطبري.

انظر: تفسير الطبري (292/7)، والمصدرين السابقين.

٥- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (347/1).

والله تعال قادرٌ على إنبات النبات بدون المطرٍ؛ وإنَّما يكون الفاعل بالسبب مستعيناً بذلك السبب إذا لم يمكنه ذلك الشيء إلاَّ بذلك السبب؛ كما أنَّ الإ نسان إذا لم يمكنه أن يصعد السطح إلاَّ بالسلم كان السلم آلة له في الصعود، والطائر إذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له؛ لأنَّه يمكنه أن يصعد السطح بدون السلم، ثم إنَّما أجرى الله تعالى على العادة بأن لا ينبت كثيراً من الحبوب إلا عن بذر وما يعهد؛ لأنَّ في خلق تلك الحبوب على هذه الجملة مصلحة للمكلفين؛ من حيث يطلبون هذه النعم بوجوه المشاقّ فيدعوهم ذلك إلى التحرز من مضار المعصية وتحمل الكلفة لطلب ثواب الطاعة [1]، وقوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ معناه: أخرجنا من المطر[2] نباتاً أخضر، وهو ساق السنبلة، يقال: خضر الشيء واخضرّ، فهو خضر وأخضر، كما يقال: عوِر وأعورّ فهو عور وأعورٌ [3]، وفي المثل: "أَرِنيها نَمِرَة أُرِكَهَا مَطِرَة"[4] يريدون: أرني السماء أنمر أُرِكَها تُمْطِر، وقولــه : ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ معناه: نخرج من ساق السنبلة حبّاً قد رَكِبَ بعضُه بعضــاً [5]، وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا ﴾ معناه: من النخل من الكَفَري [6] عذوق قريبة المتناول،

---

١- وهذا جوابٌ حسنٌ، ولم أقف عليه عند غيره مما اطلعت عليه من تفاسير.

٢- وقيل: الضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ يعود على النبات. انظر: زاد المسير (93/3)، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب عليه (164/4).

٣- معاني القرآن للزجاج (275/2).

٤- أي: أرني السحابة فيها سواد وبياض فأريكها ماطرة، يضرب في صحة مخيلة الشيء، وصحة الدلالة عليه.

انظر: جمهرة الأمثال: 54/1، المستقصى في الأمثال (144/1)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (27/3)

٥- وبه قال السُّدي، واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (292/7).

٦- وهو وعاء طلع النخل. ويقال له: الجُفُرِيُّ كذلك، وقيل: هو الطلع حين ينشقّ. انظر: لسان العرب (144/5)، تفسير القرطبي (48/7).

والقنوان: جمع القنو، مثل صنو وصنوان، والقنو : عذق النخلة، وهو كباسته[1]، وتثنية القنو قنوان – بكسر النون–[2]، والعَذق –بفتح العين– : النخلة[3]، قال الزَّجَّاج: وفي الآية محذوف؛ فإنَّه لم يقل : دانية وغير دانية، وهي التي تكون بعيدة المتناول؛ وإنَّما حذف؛ لأنَّ المقابلة تدلّ عليه، كما قال تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل:81]، و لم يقل: وتقيكم البَرْد[4]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ فهو نسق على قولـــه : ﴿ خَضِرًا ﴾[5]، أي: أخرجنا جنات أي بساتين وأشجار ملتفـــة، وكلّ نباتٍ متكاتـــفٍ يستر بعضه بعضاً جنةٌ؛ من جنَّ إذا ستر[6]، وقوله: ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ مـــعناه: وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان[7] ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ معناه: منها ما يشبه غيره في الصورة واللّون،

---

١– انظر: مجاز القرآن (202/1)، معاني القرآن للزجاج (275/2)، لسان العرب (238/10).

٢– وكذلك جمعه إلاَّ أنَّ نون الجمع لا تلزم الكسر. انظر: مجاز القرآن (202/1).

٣– انظر: لسان العرب (238/10).

٤– معاني القرآن للزجاج (275/2).

٥– وقد يقال: إنَّها معطوفة على نبات؛ بمعنى: فأخرجنا به نبات كل شيء وأخرجنا به جنات.
انظر: معاني القرآن للزجاج (276/2)، إعراب القرآن للنحاس (24/2)، المحرر الوجيز (118/6)، البحر المحيط (193/4).

٦– انظر: معاني القرآن للزجاج (276/2)، لسان العرب (92/13).

٧– وعلى المعنى الذي ذكره المؤلِّف يكون ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ معطوفان على ﴿ نَبَاتَ ﴾ أو على ﴿ خَضِرًا ﴾ أو على ﴿ حَبًّا ﴾ كما ذكر الأخير ابن عطية–رحمني الله وإيَّاه– وقد يكون منصوباً على الاختصاص؛ لعزة هذين الصنفين عند العرب. وهذا رجّحه الزمخشريُّ–رحمني الله وإيَّاه–، ومال أبو حيَّان–رحمني الله وإيَّاه– إلى الأوَّل.
انظر: معاني القرآن للفرَّاء (438/1)، الكشاف (40/2)، المحرر الوجيز (119/6)، زاد المسير (93/3)، البحر المحيط (194/4)، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب عليه (166/4).

ومنها ما لا يشبهه[1]، ويقال: مشتبهاً في المنظر واللّون وغير متشابهٍ في الطعم [2]، مثل الرمان الحامض والحلو، وهذا يبطل قول القائلين بالطبع [3]؛ لأنَّه لو كانت هذه الثمار بالطبع لكان لا يجو ز اختلاف صورها وألوانها وأطعمتها، مع كون الأرض والماء والهواء واحدٌ[4]، فلما اختلف ذلك دلّ على أنَّه إنَّما خالف بينها قادرٌ مختارٌ[5]، مختارٌ[5]، وقيل في الفائدة في الجمع بين شجر الزيتون وشجر الرمان في هذه الآية؛ لأنَّهما شجرتان يشمل ورقهما على الغصن من أوَّله إلى آ خره، تشتبه أوراقهما **[219/أ]** وتختلف ثمارهما[6]، وقرأ الأعمش[7]: "وجنَّاتٌ"، و"الزيتونُ" -بالرفع- بالرفع-[8] عطف على قوله: ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ

---

١- وهذا القول ذكره ابن الجوزي و لم ينسبه، و لم أقف عليه مسنداً عن أحدٍ من المتقدِّمين . انظر : زاد المسير (94/3)، روح المعاني (240/7).

٢- وقد نسب ابن الجوزي هذا القول إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق أبي صالحٍ، وقريبٌ منه ما نسبه الماوردي إلى الكلبي، وقد جوَّزه الطبري و لم يروه مسنداً. انظر: تفسير الطبري (294/7)، تفسير الماوردي (549/1)، زاد المسير (94/3).

٣- الطبع: ما يقع على الإنسان بغير إرادته. وقيل: الطبع: الجبلّة التي خُلق الناس عليها. ولعلَّ المصنِّف يقصد بالقائلين بالطبع: الزاعمون أنَّ الطبيعة هي القوة الفاعلة في المخلوقات . انظر : التعريفات (ص:64)، بداية باب الطاء.

٤- كما قال تعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:4].

٥- قادرٌ على فعل ما يريد، مختارٌ لكلّ خلقه ما أراد. وهو الله ﷻ.

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (276/2)، تفسير القرطبي (49/7)، البحر المحيط (194/4).

٧- هو سليمان بن مهران، الإمام العلم، أبو محمد الأسدي الكاهلي، الكوفي المقرئ، رأى أنس بن مالك-ﷺ- يصلّي، وأخذ عن أبي وائل، وزيد بن وهب، وزر بن حبيش، ومجاهد وغيرهم، قرأ عليه حمزة، وحدَّث عنه شعبة، وسفيان، ووكيع، وأبو نعيم، وخلقٌ، توفي في ربيع الأوَّل سنة: 148هـ. انظر: طبقات القرَّاء (83/1)، رقم: (39).

٨- و لم يوافقه فيها الشنبوذي- راوٍ له- وهذا المذكور في لفظ ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾، وأمَّا رفع ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ ﴾ فلم أجد

ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ معناه: انظروا إلى خروج الثمر نظر الاعتبار إذا عقد وهو غض وينعه إذا نضج وأخذ اللون من بين أصفر أبيض وأحمر، ومن قرأ: ﴿ ثُمۡرِهِۦٓ ﴾[1] فهو اسم الجنس[2]، ومن قرأ: ﴿ ثُمُرِهِۦٓ ﴾[3] أراد جمع الجمع؛ لأنَّ الثُمُر جمع الثمار كلّها؛ يقال: حمار وحُمُر[4]، والينع: النضج[5]، يقال: ينع الثمر وأينع إذا أدرك[6]، وقيل: إنَّ الينع: جمع اليانع وهو المدرك من الثمر، كما أنَّ التُجر: جمع التاجر[7]؛ كأنَّه قال: انظروا إلى الثمر في ابتداء طلوعه وانظروا إليه في انتهاء حاله وقت إدراكه.

---

من قال برفعها، بل قال السمين الحلبي: ﴿ ٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ لم يقرأ هما أحدٌ إلاَّ منصوبين.
انظر: الدر المصون (78/5)، المبهج في القراءات السبع المتممة بابن محيصن والأعمش ويعقوب وخلف (253/2)، معجم القراءات القرآنية (116/2).

١- بضم الثاء وسكون الميم، وهي قراءة طائفة، كما ذكر أبو حيان، وا بن عطية، وهي تابعة لقراءة الضم في الاثنين، وسكنت النون طلباً للتخفيف، وبها قرأ الحسن. انظر:البحر المحيط(195/4)، المحرر الوجيز (119/6)،الدر المصون(80/5)،معجم القراءات القرآنية (117/2)،إملاء ما منَّ به الرحمن(255/1).

٢- ولعلّه أراد بهذا التوجيه قراءة الجمهور ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾-بفتحتين-؛ إذ هي التي يمكن توجيهها على أنَّها اسم جنسٍ، وهو الذي يفرّق بينه وبين مفرده بالتاء، وقد سبق الحديث عنه، أمَّا القراءة بضمة فسكون فطلباً للخفّة كما سبق. انظر: معاني القرآن للزجاج (276/2)، الموضح في وجوه القراءات وعللها (489/1)، النشر (260/2).

٣- وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف العاشر.
انظر: النشر (260/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (295/7)، معاني القرآن للزجاج (276/2)، الموضح (489/1).

٥- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقتادة، والسدي، والضحَّاك.
انظر: تفسير الطبري (2195/7)، الدر المنثور (159/6))، التفسير الصحيح (261/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (276/2).

٧- انظر: مجاز القرآن (202/1).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يقرّون ويصدّ قون بالله ﷻ[1] وهذه الآياتُ دالّة للمؤمنين وغيرهم، إلاَّ أنَّه تعال خصَّهم بالذكر؛ لأنَّهم هم الذين ينتفعون بالاستدلال بها[2].

**قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [100]:**

قال عبد الله بن عباس: إنَّ هذه الآية في الزنادقة قالوا: إنَّ الله تعالى وإبليس لعنه الله أخَوَانِ؛ فالله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام وكلّ خير، وإبليس خالق السباع والحيات وكلّ شر[3]، فذلك قوله ﷻ:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾، ﴾، وقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴾ [الصافات :158]، وقال مقاتل[4]: نزلت الآية في جهينة[5] وخزاعة قالوا: إنَّ صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن

---

١- ونسب لابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّه قال: يصدقون أنَّ الذي أخرج النبات قادرٌ على أن يحيي الموتى. وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد. والقولان متداخلان في المعنى.
انظر: زاد المسير (96/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (296/7)، مفاتيح الغيب (112/3).

٣- ذكره أبو الليث في تفسيره، ونسبه الواحدي إلى الكلبي، وعزاه ابن الجوزي إلى ابن السائب، والأكثرون على نسبته إلى الكلبي كصنيع الواحدي، والقرطبي، البغوي، وأبي حيان، وأبي الليث السمرقندي، ولم أجد من صرَّح بنسبته إلى ابن عباس إلاَّ الفخر الرازي، والألوسي، ومعلومٌ أنَّ الكلبي يروي عن ابن عباس .انظر: بحر العلوم (504/1)، زاد المسير (96/3)، البحر المحيط (195/4)، تفسير البغوي (119/2)، تفسير القرطبي (53/7)، مفاتيح الغيب (113/13)، أسباب النزول للواحدي (ص:148)، روح المعاني (241/7).

٤- هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي، أبو الحسن، المفسِّر، كان من العلماء الأجلاَّء، ومن أوعية العلم، بحراً في التفسير، ورمي بالتجسيم، توفي سنة: 150هـ.
انظر: طبقات الداوودي (ص:330)، رقم: (642)،

٥- نسبة إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم. انظر: جمهرة أنساب العرب ص444.

الجن بنات الرحمن[1]، وسموا جنا لاستتارهم عن أبصار الناس[2]، وقـال بعضهم : إنَّما قـال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾؛ لأنَّ قريشاً كانوا يقولون : إنَّ الله تعالى صاهر إلى سروات[3] الجنّ وحدث بينهما الملائكة[4]، وقال الزَّجَّاج- رحمه الله- : معنى الآية: أنَّ الكفار أطاعوا الجن فيما سوَّلت لهم كطاعتهم الله تعالى فجعلوهم شركاء لله، وكان بعضه ينسب للجنّ الأفعال التي لا تكون إلاَّ لله تعالى[5]، وقوله: ﴿ ٱلْجِنَّ ﴾ منصوباً لكونه بدلاً من ﴿ شُرَكَآءَ ﴾[6]، وقيل: إنَّه منصوب؛ لأنَّه مفعول ثان[7]؛ على تقدير: وجعلوا الجنّ شركاء لله[8]، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ

---

١- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.
انظر: تفسير مقاتل (581/1)، أسباب النزول للسيوطي (ص:315).

٢- لسان العرب (92/13).

٣- سرواتٍ: جمع سَرَاةٍ، وسراة كلّ قومٍ سادتهم، والمرتفعون فيهم انظر: لسان العرب (377/14).

٤- وهذا المعنى أخرجه البيهقي في الشعب عن مجاهد- رحمنا الله وإياهما-، وكذا روى مثله عن أبي عمران الجوني ناسباً المقولة لليهود.انظر: شعب الإيمان، فصل في معرفة الملائكة (166/1)، رقم : (141)، أسباب النزول للسيوطي (ص:316).

٥- معاني القرآن للزجاج (277/2).

٦- وهذا الإعراب منعه أبو حيان بحجة أنَّ شرط البدل أن يكون على نية تكرار العامل، وهذا لا يصح هنا ألبتة.
انظر: البحر المحيط (196/4).

٧- والتقدير على هذا الإعراب يوافق النظم القرآني بتقديم شركاء على الجنّ حتى يصحّ أن يكون الجنّ مفعولاً ثانياً. وقد أجازه الحوفي.
انظر: المصدر السابق.

٨- وهذا التقدير لا يتوافق والإعراب السابق، وإنَّما يصحّ على قول الزمخشري، وابن عطية : إنَّه مفعولٌ أوَّل، وشركاء مفعولٌ ثان، والتقديم حصل على رأي الزمخشري لفائدة، هي استعظام أن يُتخذ لله شريك.
انظر: معاني القرآن للزجاج (277/2)، إعراب القرآن للنحاس (25/2)، الكشاف (40/2)، المحرر الوجيز (120/6)، البحر المحيط (196/4).

ﱡﭐﭐﭐﭐﭐﭐﭐﱠ [الزخرف:19]، والهاء والميم في ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف:19]، والهاء والميم في ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ يجوز أن تكون عائدة إلى أهل الشرك، ويجوز أن تكون عائدة على الجنّ [1]؛ على معنى: أنَّ الله خلق الجنَّ فكيف يكونون شركاء لله تعالى؟ وقوله تعالـــى: ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ معناه: وكذبوا بنسبة البنات والبنين إلى الله تعالى؛ فإنَّ مشركي العرب قالوا: إنَّ الملائكة بنات الله، والنصارى قالوا: إنَّ المسيح ابن الله، واليهود قالوا: إنَّ العزير ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، يقال: خرق واخترق واختلق وافتعل وافترى إذا كذب[2]، وقال بعضهم: معنى وخرقوا: إنَّهم لما نسبوا إلى الله ﷻ الولد فقد أثبتوا خروج الولد منه، وإذا أثبتوا خروج الولد منه فقد أثبتوا فيه الخرق[3]، وقوله: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ معناه: بجهلهم بلا حجةٍ[4]، وقوله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ كلمة تنزيه وتبعيد لله جلّ ذكره عن كلّ سوء[5]، أي: سبحوه أيها المؤمنون عما يقول عليه الجاهلون، وقوله: ﴿ وَتَعَٰلَىٰ ﴾ من العلوّ، أي: استعلى عما وصفوه به[6]، ويجوز في باب صفات الله: تعالى وعلا، ولا يجوز: ارتفع؛ لأنَّ العلوّ قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضي الجهة والمكان[7]، ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنَّ الله

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (277/2)، المحرر الوجيز (120/6)، الكشاف (40/2).

٢- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (348/1)، مجاز القرآن (203/2)، معاني القرآن للزجاج (278/2).

٣- و لم أقف على هذا القول، وضعفه ظاهرٌ؛ فإنَّ إسنادَ الخرق في الآية كان إلى المفترين بواو الجماعة، وفعل الخرق واقعٌ على البنين والبنات، لا على الله ﷻ. والله تعالى أعلم. وللاستزادة ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة "خرق"، (ص:180)، مفاتيح الغيب (116/13-117).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (278/2)، بحر العلوم (504/1)، زاد المسير (97/3).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (278/2)، لسان العرب (470/2).

٦- والمعنى: تقدَّس، وتنزَّه، وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالّون من الأولاد والأنداد، والنظراء، والشركاء. تفسير ابن كثير (308/3).

٧- والمانع الصحيح من إثبات الارتفاع للَّه ﷻ ليس ما ذكر، وإنَّما لأنَّ الله ﷻ أثبت لنفسه صفة العلوّ دون

الله تعالى لما ذكر في الآية المتقدِّمة دلائل توحيده وبيّن أنَّه هو المستحق للألهية دون غيره ذكر من بعد أنَّ من الكفار من يثبت لله سبحانه شركاء لا تُرى ولا يُرى شيءٌ من آثارها وذلك أعجب في الجهل من عبادة الصنم؛ لأنَّ عابد الصنم وإن كان عابداً لما لا ينفع ولا يضر فقد عبد شخصاً ماثلاً يراه ولم يجعل للصنم نسباً من الله تعالى، وليس كذلك من جعل الجنّ شركاء الله تعالى؛ لأنَّه يعبد ما لا يُرى ولا يُرى أثره ثم جعل له نسباً بينه وبين الله تعالى بالبعضية، فلما كان هذا أدخل في الجهل من هذا الوجه خصّهم جلّ ذكره بالذكر[1].

**قوله ﷻ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [101]:**

معنى الآية: مبدع السماوات والأرض ومنشئها ابتداءً لا على مثالٍ سبق[2]، ومنه البدعة[3]؛ لأنَّه لا يكون لها مثال ماض، والفعيل إذا كان بمعنى مفعل لم يكن إلاَّ متعدياً[4]، وإذا لم يكن بمعنى مفعل فقد لا يكون متعدياً؛ كطويل وقصير، وقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ معناه: من أين يكون له ولد؟ وكيف يكون له ولد

---

دون صفة الارتفاع، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، بإثبات ما أثبت الله ﷻ لنفسه بطريق الشرع، وعدم تعدِّي ذلك، وقد تقدَّم تفصيل هذه المسألة عند عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾. والله تعالى أعلم.

١- ومع ذلك فإنَّ عبدة الأصنام عبدوها طاعةً للجن والشياطين، كما قال تعالى على لسان إبراهيم-عليه السلام-: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾[مريم:44]، مع أنَّ أباه كان يعبد الأصنام، فلما كانت عبادته للأصنام ناتجة عن أمر الشيطان صارت عبادة للشيطان. انظر: تفسير ابن كثير (307/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (298/7)، بحر العلوم (504/1)، مفردات ألفاظ القرآن ص :110، مادة"بدع".

٣- قال في اللسان: والبدعة: الحدث. وقال: بدع الشيء، يَبْدَعُه، بَدْعاً، وابتدعه: أنشأه وبدأه. اهـ. المراد منه. لسان العرب (6/8)، وانظر: تفسير ابن كثير (308/3).

٤- التعدي هنا يراد به أنَّه ينصب مفعولاً.

و لم تكن له زوجة؟ [219/ب]ولا يكون الولد إلاّ من زوجة [1]، وقولهﮋ:﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ نفي للزوجة والولد ، أي : كيف يكون له ولدٌ وصاحبةٌ وقد خلق الأشياء كلّها؟ وكيف يصحّ أن يكون شيء من خلقه صاحبة له أو ولداً [2]؟! وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ معناه: هو بكلّ شيءٍ من خلق العباد ومصالحهم وجهل الكفار وعنادهم عالم [3].

**قوله ﮋ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [102]:**

معناه: أنَّ الذي خلق الأشياء كلّها وعَلِمَها وأشركتم به هو الله ربكم لا إله غيره خالق كل شيء من الخلق فأطيعوه ووحدوه ولا تشركوا بينه وبين غيره في العبادة، وهو على كلّ شيء حافظ [4]، فإن قيل : إذا كان الله تعالى مالك لكل شيء فلا يكون المالك للشيء وكيلاً فيه فكيف قال : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾؟ قيل: إنَّ الله تعالى خلق جميع ما خلق لمنفعة غيره لا لمنفعة نفسه، والوكيل: من يعمل لمنفعة غيره دون نفسه [5].

**قوله ﮋ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾**

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (278/2)، بحر العلوم (504/1).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (278/2)، زاد المسير (98/3).

٣- وكلّ ما ذكره داخلٌ تحت العموم الذي أفادته «كلّ شيء»، ولكن خصّ المصنّف ما أورده بالذكر لتعلّقه بالسياق السابق. والله تعالى أعلم.

٤- انظر: تفسير الطبري (299/7)، تفسير ابن كثير (308/7-309).

٥- وكذلك من تمام ملك الله، وكمال عدله أنّه ﷻ لم يخلق خلقه ويهملهم، بل تكفّل بأرزاقهم، وأقواتهم، وسياستهم، وتدبير شؤونهم، فمن هذا الوجه كان- جلَّ وعلا- حفيظاً على ملكه. والله تعالى أعلم بالصواب.

**[103]**:

قال الزَّجَّاج: معنى الإدراك في اللغة: هو الإحاطة بحقيقة الشيء[1]، فيكون معنى الآية: لا تدرك الأبصار كنهه ومائيته[2]، ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ فيعلم كنهها ومائيتها فإنَّه لا يعلم أحدٌ أنَّ الإنسان لم صار يبصر بعينيه من دون أن يبصر من غيرهما، وما الشيء الذي يصير الإنسان به مبصراً، وكيف حقيقة البصير؟ فكأنَّ الله تعالى أعلم أنَّ خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه تعالى الله ولا يحيطون بعلمه، فكيف يحيطون بالله ﷻ؟[3]، ومن حمل الآية على هذا التأويل لم يكن فيه ما ينفي الرؤية في الآخرة؛ لأنَّ معنى الرؤية غير معنى الإحاطة بحقي قة الشيء[4]، وقال بعض المفسّرين: إنَّ الإدراك إذا قرن بالبصر كان المراد منه الرؤية؛ فإنَّه يقال : أدركت ببصري ورأيت ببصري لمعنى واحد[5]، كما يقال: أدركت بأذني وسمعت بأذني لمعنى لمعنى واحد، قالوا: وأصل الإدراك اللحوق؛ نحو قولك: أدركت زمان فلانٍ، وأدرك فلانٌ أبا حنيفة، وأدرك الزرع والثمر، وأدرك الغلام إذا لحق حال الرجال، وإدراك البصر للشيء لحوقه له برؤيته إيَّاه[6]، إلاَّ أنَّه لا يمتنع أن تكون هذه الآية عامة من

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (279/2).

٢- كنه كلَّ شيء غايته، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الكنه : جوهر الشيء. واللئنه : نهاية الشيء وحقيقته. والماهية: ما يسأل عنه بما هو، وهي : «مابهِ» الشيء هو هو، وهو منسوب إلى "ما" والأصل "المائية" قلبت الهمزة هاءً؛ لئلا يشتبه بالمصدر المأخوذ من لفظ ما، والأظهر أنَّه نسبة إلى "ما هو"جعلت الكلمتان كلمةً واحدةً. انظر: تهذيب اللغة (23/6)، التعاريف (ص:90)، أوَّل باب الميم.

٣- انظر: زاد المسير (99/3).

٤- وعليه جماهير العلماء، وهو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعطية العوفي، وغيرِهما. انظر : تفسير الطبري (302/7)، الدر المنثور (162/6).

٥- وعلى هذا المعنى تكون الرؤية المنفية في الدنيا، وهو مروي عن الحسن، وإسماعيل بن علية. انظر: تفسير الطبري (299/7)، الدر المنثور (163/6).

٦- قال في اللسان: الدرك: اللحاق. اهـ. المراد منه. لسان العرب (419/10).

جهة اللفظ والمراد منها الخصوص توفيقاً [بين][1] هذه الآية وبين قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ-إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2][القيامة:22-23]، وقوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ معناه: وهو اللطيف بعباده في التدبير، الخبير بمصالحهم.

**قوله ﷻ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [104]:**

معناه: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان [3]، والبصائر: جمع بصيرة، وهي الحجة البينة التي توجب الإبصار للنفس [4]، وقوله ﷻ: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ معناه: فلنفسه نفعه[5]، ﴿ وَمَنْ عَمِىَ ﴾ عن الحق والقرآن[6] فعلى نفسه ضرر ذلك[7]، ذلك[7]، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ برقيب، أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، فإنَّ الله ﷻ يجازيكم على أعمالكم، ويقال: لست عليكم بحفيظ فأحول بينكم وبين إضراركم بأنفسكم[8].

---

١- ما بين المعقوفتين ليس من المخطوط، ولابد من إضافته ليتم المعنى.

٢- انظر: تفسير الطبري (299/7)، روح المعاني (245/7)، وللتوسع والاستزادة ينظر : كتاب المواقف للإيجي (200/2) وما بعدها.

٣- معاني القرآن للزجاج (279/2).

٤- وهو مروي عن قتادة-رحمنا الله وإياه-.
انظر: تفسير الطبري (304/7)، الدر المنثور (164/6)، التفسير الصحيح (263/2).

٥- أي: لنفسه نفع ذلك الإبصار.
انظر: معاني القرآن للزجاج (279/2)، زاد المسير (99/3).

٦- الأوجه أن يكون العمى متعلقاً بالمذكور السابق دون غيره، مع أنَّ القرآن داخلٌ في عموم الحق، إلاَّ أنَّ حمله على القرآن وحده أولى مراعاة للسياق. والله تعالى أعلم بالصواب.

٧- انظر: المصدرين السابقين.

٨- وإلى الأوَّل ذهب الزمخشري، والطبري، وابن كثير- رحمهم الله تعالى وإيانا-، وبه قال البغوي-رحمه

قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [105]:

معناه: مثل ما صرّفنا الآيات وبيَّناها فيما تُلي عليك نصرّف الآيات ونبيّنها في المستقبل؛ كيلا يقولوا : تخلُقه من تلقاء نفسك، ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ أي: ولئلاَّ يقولوا: درست[1]؛ كما في قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء:176]، معناه أن لا تضلوا، وكقوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾[المائدة:19]معناه: لئلاَّ تقولوا، و يكون معنى قوله:﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ ولِئلاَّ يقولوا: قرأت كتب أهل الكتاب، أي: تعلّمت من جبر ويسار، وكانا عالمين بمكة عبرانيين، فقال أهل مكة : إنَّما يتعلَّم منهما[2]،ومن قرأ﴿ دَارَسْتَ ﴾[3]فمعناه: ذاكرت أهل الكتاب[4]، ويقرأ﴿ دَرَسَتْ ﴾[1] أي: هذه

---

الله-، والثاني اختيار القرطبي-رحمه الله- فيما يظهر. والذي عليه أكثر المفسِّرين أنَّ المراد بذلك: لست بمسلّط عليكم، أجبركم على الإيمان، وآخذكم به أخذ الوكيل والحفيظ، وأنَّها نسخت بآية السيف . وإليه ذهب ابن الجوزي، وأبو الليث، والزجاج، وابن عطية، وحكاه الفخر الرازي عن جماهير المفسِّرين.

انظر: تفسير الطبري (305/7)، الكشاف (42/2، تفسير ابن كثير (312/3)، تفسير القرطبي (58/7)، زاد المسير (299/2)، المحرر الوجيز (124/6)، مفاتيح الغيب (134/13)، تفسير البغوي (120/2، بحر العلوم (505/1)، معاني القرآن للزجاج (279/2)، البحر المحيط (200/4).

١- وهو مروي عن السدي-رحمنا الله وإياها-، وهو قول الماوردي-رحمه الله-. انظر: تفسير الطبري (305/7)، تفسير الماوردي (551/1)، إعراب القرآن للنحاس (26/2).

٢- وهو مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا_. انظر: تفسير الطبري (306/7/7) ، بحر العلوم (505/1)، التفسير الصحيح (464/2).

٣- وهي قراءة ابن كثيرٍ، وأبي عمرو. انظر: البحر المحيط (200/4)، النشر: (261/2).

٤- انظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (491/1)، البحر المحيط (200/4).

الأخبار التي تتلوها علينا قديمةٌ قد درست أي : مضت و امَّحت[2]، وذكر الأخْفَش[3]: ﴿ دَرُسَتۡ ﴾ -بضم الراء-[4] ومعناها: درَست إلاَّ أنَّ ضمَّ الراء أشدّ مبالغة[5]، ويقرأ ﴿ دُرِسَتۡ ﴾ -بضم الدال وكسر الراء- [6] أي: قُرِئت[7]، وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ معنى اللاَّم في قولـــه : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾ بمعنى العاقبة، وأهل اللغة يسمّون هذه اللاَّم لام الصيرورة[8]؛ والمعنى: نصرف الآيات ليصير أمرهم إلى أن يقولوا، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾ [القصص:8]، وهم لم يلتقطوه وهم يطلبون أن يعاديهم، ولكن كانت عاقبة الأمر إلى **[220/أ]** أن صار لهم عدوّاً وحَزَناً، ويقول الرجل لغيره : ما كتبت هذا الكتاب إلاَّ لحتفك، وهو لم يكن كتبه لحتفه، ولكن لما أدى إلى حتفه قال : ما كتبت هذا الكتاب إلاَّ لحتفك [9]، وقولـــه: ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ظاهر

---

١- وهي قراءة ابن عامر ويعقوب. انظر: النشر: (261/2).

٢- انظر: تفسير الطبري (305/7/7)، معاني القرآن للزجاج (280/2)، الموضح (491/1).

٣- هو: سعيد بن مَسْعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط، قرأ اللغة على سيبويه، وكان أسنَّ منه، وكان معتزلياً، حدّث عن الكلبي، والنخعي، وهشام بن عروة، وعنه : أبو حاتم السجستاني، صنَّف: تفسير معاني القرآن، والأوسط في النحو، والعروض، وغيرها، وهو أحفظ من أخذ عن سيبويه، توفي سنة : 15 أو 21 أو 10 ومائتين. انظر: طبقات الداوردي (ص:185-186)، ترجمة رقم: 185.

٤- وهي قراءة الحسن-رحمنا الله وإياه-. انظر: الدر المصون (97/5)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص:271، معجم القراءات القرآنية (121/2).

٥- انظر: الدر المصون (97/5).

٦- وهي قراءة ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وزيد بن علي، وقتادة، والحسن. انظر: المحتسب (226/1)، الدر المصون (97/5).

٧- وقد يكون المراد بهذه القراءة: عفت وتنوسيت. انظر: المحتسب (226/1).

٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (280/2)، زاد المسير (100/3).

٩- وإلى القول بأنَّها لام العاقبة ذهب النحاس، وقوّاه ابن عطية، وهو قول جمهور البصريّين، وذكر أبو

المراد[1].

**قوله ﷻ: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [106]:**

معناه: اعمل بما أنزل إليك في القرآن من حلاله وحرامه، وهذا حين دُعي إلى ملّة آبائه[2]. وقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ يجوز أن يكون معناه : لا إله إلاَّ هو أنزله [3]، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ قيل: معناه: اتركهم في ضلالتهم، وهذا منسوخٌ بآية السيف[4]، وقيل: معناه: أعرض عنهم استجهالاً لهم[5].

---

حيَّان أنَّها لام الأمر والفعل مجزومٌ بها.

انظر: معاني القرآن للزجاج (280/2)، إعراب النحاس (26/2)، المحرر الوجيز (124/6-125)، البحر المحيط (201/4).

١- قال البيضاوي-رحمنا الله وإياه-: ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ ﴾ اللاَّم على أصله؛ لأنَّ التبيين مقصودُ التصريف. اهـ، المراد. فاللاَّم في ﴿ لِنُبَيِّنَهُۥ ﴾ معناها لأجل أن نبينه لقومٍ يعلمون؛ إذ هم المنتفعون به، فغيرهم فيه كالعدم. انظر: تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب عليه (177/4).

٢- بحر العلوم (506/1).

٣- والأظهر-والله أعلم- أنَّه اعتراضٌ لتأكيد إيجاب الاتباع، أو إشارةٌ للتوحيد، وهو على رأس الوحي الواجب اتباعه، أو هو حالٌ مؤكِّد من ﴿ رَّبِّكَ ﴾ بمعنى منفرداً في الألوهية، وواجب الاتباع.

انظر: تفسير البيضاوي (177/4)، البحر المحيط (201/4)، روح المعاني (259/7).

٤- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وكذا روي عن السدي.

انظر: تفسير الطبري (308/7)، زاد المسير (101/3)، تفسير القرطبي (60/7)، الدر المنثور (167/6-168).

٥- وكلّ من وقفت على قوله من المفسّرين يرى القول الأوَّل، كالطبري، وابن عطية، وأبي الليث، وابن الجوزي، وابن كثير، والقرطبي، والشوكاني.

والقول الثاني أشار إلى معناه البيضاوي بقوله : ولا تحتفل بأهوائهم، ولا تلتفت إلى آرائهم . اهـ، والبغوي بقوله: فلا تجادلهم. اهـ.

انظر: تفسير الطبري (208/7)، المحرر الوجيز (126/6)، بحر العلوم (506/1)، زاد المسير

**قوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [107]:**

معناه: لو شاء الله لوفّقهم للإيمان، ويقال : لو شاء الله لأنزل عليهم آيةً تضطرهم إلى الإيمان [1]، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ ﴾ تمنعهم مما يضرهم[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ معناه: وما أمرناك أن تلزمهم الإيمان شاءوا أو أبوا فإنَّك لا يمكنك أن تفعل ذلك بهم [3]؛ وإنَّما الله تعالى هو الذي يقدر على فعل هذا ولكنه لم يفعل حتى لا يزول التكليف [4]، وإنَّما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما؛ فإنَّ الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره، والوكيل بالشيء هو الذي يجلب الخير إليه[5]، وبالله التوفيق.

---

(101/3)، تفسير ابن كثير (314/3)، تفسير القرطبي (60/7)، فتح القدير (156/2)، تفسير البيضاوي (177/4-178)، تفسير البغوي (121/2).

١- والأوَّل مرويٌّ نحوُه عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقد أورده الزجاج، ومعه القول الثاني، وزاد قولاً ثالثاً مفاده: لو شاء لأستأصلهم،فقطع سبب شركهم.
انظر: تفسير الطبري (309/7)، معاني القرآن للزجاج (280/2)، التفسير الصحيح (264/2).

٢- ويدخل فيه الحفظ ممَّا يضرّهم في الدين والدنيا، وبهذا التعميم ساغ لبعض المفسرين أن يفسّرها بـ : ما جعلناك عليهم رقيباً تمنعهم من الإشراك، وقد يكون المعنى : لا يمكنك حفظهم من عذاب الله، وهو قول عطاء. انظر: بحر العلوم(506/1) ، تفسير البغوي(121/2)، تفسير القرطبي(60/7)، البحر المحيط(201/4).

٣- والمعنى يحتمل ما ذُكر، وهو داخلٌ ضمن قول من قال : لست عليهم بقيِّم تقوم بإصلاح شؤونهم في أرزاقهم، وأمورهم في دينهم ودنياهم، وقد يكون المعنى: لست عليهم بمسلّط.
انظر: تفسير الطبري (309/7)، بحر العلوم (506/1).

٤- كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المائدة:48] ، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [هود:118].

٥- والأقرب-حسب ما يظهر- ما ذكره أبو حيان، من أنَّ الحفيظ هو المسلّط من قبل الله، والوكيل هو

**قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [108]:**

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وذلك حين قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ-لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء:98-99]، قال المشركون للنبي ﷺ: لئن لم تنته عن سبّ آلهتنا وعيبها لنهجونّ إلهك الذي تعبده، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]، ومعناها: ولا تسبوا معبوديهم الذين يعبدونهم من دون الله فيسبوا الله اعتداءً وظلماً، وقوله: ﴿ عَدۡوَۢا ﴾ نصب على المصدر، أي يعدون عدوا، ويقال: نصب على إرادة اللاَّم، أي : يسبون للعدو[2]، وقوله تعالى : ﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ أي: بجهلهم يحملهم الغيظ على أن يسبوا معبودكم[3]، وفي هذا دليل على أنَّ الإنسان إذا أراد أن يأمر غيره بالمعروف وهو يعلم أنَّ المأمور يقع بذلك في شرٍّ مما هو فيه من

---

المتسلّط من تلقاء نفسه، فيكون المعنى: لست مأموراً منَّا بأن تكون حفيظاً عليهم، ولا أنت وكيلٌ عليهم من تلقاء نفسك. والله تعالى أعلم.

انظر: البحر المحيط (201/4).

١- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق أبي صالحٍ، وأقوى منه إسناداً ما روي عنه من طريق علي بن أبي طلحة، وهو كالمذكور إلاَّ أنَّه ليس فيه ذكر لآية الأنبياء، بل كان قول قريش ابتداءً. انظر: تفسير الطبري (309/7)، أسباب النزول للواحدي ص: 148، زاد المسير (102/3)، أسباب النزول للسيوطي ص:165، أثر رقم: (488).

٢- والوجهان ذكرهما النحاس.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (26/2).

٣- فإنَّهم وإن كانوا مؤمنين بوجوده وربوبيته إلاَّ أنَّ الغيظ ربما حملهم على فعل ما ينافي العقل . انظر : البحر المحيط (202/4).

شتمٍ أو ضربٍ أو قتلٍ كان الأولى أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه [1]، وقد قرأ بعضهم: ﴿ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2] ومعناه: أعداء نصب على الحال [3]، وأمَّا قوله تعالـــى: ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ قال الحسن ﷺ: معناه: كما أمرناكم بحسن الدعاء إلى الله تعالى، وتزيين الحق في قلوب الناس بالحجة، كذلك زيَّنا للأمم المتقدِّمين أعمالهم التي أمرناهم بها وندبناهم إليها [4]، ويقال: معناه: كما زيَّنا لك دينك وعملك كذلك زيَّنا لكلّ أمّةٍ عملهم الذي يعملونه؛ بميل الطباع إليه، مجازاةً لهم على فعلهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء:155]، وكما قال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾[5][فاطر:8]، وقال بعضهم: معنى الآية: زينا لكلّ أهل دِينٍ ما ينبغي أن يعملوه إلاَّ أنَّ منهم من لم ينتبه لجهله واعتدائه، وهذا كما يقال للمتخلف: اعمل عملك وليس هذا عملك، وهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَارَقُواْ دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام:159]، فجعل الإسلام دينهم وإن كانوا تاركين له [6]، وقوله تعـــالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ معناه: إليه مصيرهم ومنقلبهم، فيجزيهم

---

١- بحر العلوم (506/1).

٢- بفتح العين وضمِّ الدال، وتشديد الواو منصوبةً، وهي روايةٌ شاذّةٌ عن ابن كثيرٍ، والمتواتر عنه قراءة الجمهور، بفتح العين وتسكين الدال. انظر: الكشاف: (43/2)، البحر المحيط (202/4)، النشر: (261/2).

٣- وهو واحدٌ يؤدي إلى جمعٍ كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:77]. انظر: إعراب القرآن للنحاس (26/2)، المحرر الوجيز (126/6).

٤- ذكره الماوردي منسوباً إلى الحسن-رحمنا الله وإياه-.
انظر: تفسير الماوردي (552/1).

٥- وهذا القول رجّحه الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (281/2).

٦- وهذا القول لم أقف على من قال به غير المصنّف-رحمني الله وإياه-، وهو قولٌ حسنٌ لاعتماده فيه على آيةٍ أخرى.

بما كانوا يعملون في دار الدنيا[1].

**قوله ﷻ: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [109]:**

معناه: حلفوا بالله[2]، وقوله: ﴿ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ أي: اجتهدوا في المبالغة في اليمين[3]، ويقال: كانوا يحلفون بالله وبغيره من الأصنام والأوثان، وكانوا إذا حلفوا بالله سموه جهد اليمين [4]، وقوله: ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴾ معناه: لئن جاءهم علامة لنبوتك ليقرنّ وليصدقنّ بها، وعنوا بالآية الآيات التي يقترحونها عليه، قل لهم يا محمد صلى الله عليه : إنَّ مجيء الآيات من عند الله إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها؛ وإنَّما ينزل على حسب المصلحة، وبقدر مـــا تقوم به الحجة [5]، وقوله تعـــالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ خطاب للمؤمنين[6]، أي: وما يدريكم أيها المؤمنون أنّها إذا جاءت لا يؤمنون؛ لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة، ومن قرأها ﴿ أَنَّهَا ﴾ -بالنصب-[7] فمعناه: في [220/ب] في مذهب الخليل[1] وسيبويه: لعلّها إذا جاءت،

---

١- انظر: تفسير الطبري (311/7).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (281/2)، لسان العرب (478/12).

٣- معاني القرآن للزجاج (281/2)

٤- وقد ذكر البغوي أنَّه مرويٌّ عن الكلبي ومجاهد . انظر: بحر العلوم (506/1)، تفسير البغوي (122/2)، تفسير القرطبي (62/7).

٥- انظر: المصادر السابقة.

٦- وهذا القول اختاره الطبري ورجّحه، بعد أن أورد القول بأنَّ الخطاب للمشركين المقسمين، والأخير مرويٌّ عن مجاهد، وعبد الله بن زيد-رحمنا الله وإياهما-، والأوَّل قول الكلبي-رحمه الله-. انظر: تفسير الطبري (312/7-314)، بحر العلوم (506/1)

٧- وهي قراءة نافعٍ، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، وشعبة عن عاصم من طريق إسحاق الأزرق، والكسائي وأبي كريب. انظر: النشر: (261/2).

جاءت، وهذا كما تقول لغيرك: إيتِ معي إلى السوق أنَّك تشتري كذا معناه : لعلّك تشتري كذا[2]، ومن قرأها ﴿ إِنَّهَا ﴾ -بالكسر-[3] فهو على الاستئناف، وخبره : لا يؤمنون[4]، وقرأ بعضهم: ﴿ لَا تُؤْمِنُونَ ﴾ بالمخاطبة[5]؛ معناه: وما يشعركم يا أهل مكة أنَّها إذا جاءت لا تؤمنون[6].

**قوله ﷻ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [110]:**

قال بعضهم معناه: نترك أفئدتهم وأبصارهم منقلبة كما هي في الحيرة التي بهم والغفلة التي فيهم فلا نوفّقهم مجازاةً لهم فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أوَّل ما رأوا من الآيات[7]، وقال بعضهم : معنى نقلّب أفئدتهم وأبصارهم : على جمر جهنّم

١- هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن، صاحب العربية والعروض، وهو أستاذ سيبويه، وعامة ما حكاه فعنه، كان زاهداً، آيةً في الذكاء، يحجّ سنةً ويغزو سنة، توفي رحمه الله سنة: (175هـ)، أو (176هـ)، وله أربع وسبعون سنة.

انظر: أخبار النحويين البصريين: ص 54-65، وفيات الأعيان (244/2-248).

٢- انظر: معاني القرآن للأخفش (501/2)، معاني القرآن للفراء (350/1)، معاني القرآن للزجاج (282/2).

٣- وهي قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وخلف، وابن كثير، وشعبة عن عاصم من طريق العليمي . انظر : النشر: (261/2).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (282/2)، المحرر الوجيز (128/6).

٥- وهي قراءة ابن عامر، وحمزة الزيات. انظر: البحر المحيط (203/4)، النشر (261/2).

٦- أو هو التفاتٌ ورجوعٌ عن الغيبة إلى الخطاب، وهذا على القول بأنَّ المخاطب في ﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ المؤمنون، وأمَّا ما ذكره المصنِّف فيتأتى على أنَّ الخطاب كلّه للمشركين أوَّلاً وآخراً، أو على أنَّ الأوَّل للمؤمنين، ثمَّ استأنف خطاباً آخر للكفار.

انظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (493/1)، المحرر الوجيز (128/6).

٧- انظر: بحر العلوم (507/1)، المحرر الوجيز (130/6)، زاد المسير (105/3-106)، البحر المحيط (205/4).

ونارها، والكاف في قوله : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ للمجازاة؛ أي جزاءً على ترك الإيمان وعقوبةً عليه [1]، وهذا كما تقول للذي ترك الشكر لنعمتك : أحرمك الإحسان كما لم تشكر أوَّل مرّةٍ [2]، وقوله تعالى : ﴿ وَنَذَرُهُمْ ﴾ معناه: ونتركهم[3] في ضلالتهم وعماهم يتحيّرون ويتردّدون؛ يقال : عَمِه الرجل إذا تردَّد تردُّد الأعمى المتحيّر في طريقه[4]، فإن قيل: على هذا التأويل الأخير فكيف يجوز أن يكون بعض الآية في بيان حكم الآخرة وبعضها في بيان حكم الدنيا؟ [5] قيل: مثل هذا جائزٌ كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾[الغاشية:2] وأراد به في الآخرة ثم قال: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية:3] وأراد به في الدنيا، ثم قال : ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:4] وأراد به في الآخرة[6].

**قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [111]:**

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: نزلت هذه الآية في رهطٍ من أهل مكة من المستهزئين، وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث

---

١- وهذا القول أورده الماوردي، وقال به الجبَّائي، وضعّفه الفخر الرازي.
انظر: تفسير الماوردي (553/1)، البحر المحيط (206/4)، مفاتيح الغيب (147/13).

٢- بمعنى أنَّ الكاف كاف الجزاء. انظر: مفاتيح الغيب (148/13).

٣- وهو من وَذِرَه يَذَرُه، بمعنى تَرَكَه، ولا مصدر له من لفظه ؛ لأنَّ العرب أماتت مصدره، وماضيه، فتقول: يذره تركاً، ولا تقول: يذره وذراً. انظر: لسان العرب (281/5).

٤- العمه: التحير، والتردد. انظر: لسان العرب (519/13).

٥- وهذا يدلّ على أنَّ المصنِّف يرجّح الرأي القائل بأنَّ المراد بالتقليب: تقليبهم في نار جهنّم يوم القيامة، وقد أورده عددٌ من المفسّرين غير من سبق ذكرهم، كابن عطية، والقرطبي-رحمنا الله وإياهما-.
انظر: المحرر الوجيز (130/6)، تفسير القرطبي (65/7).

٦- انظر: تفسير ابن كثير (384/8)، تفسير القرطبي (65/7).

وغيرهم قالوا: يا محمد ﷺ: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل فنؤمن بك، وأرنا الملائكة يشهدون أنَّك رسو ل الله ﷺ، وأنَّ الله تعالى بعثك، وأتنا بالله والملائكة قبيلاً أي : كفيلاً على ما تقول إنَّه الحقّ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قال: وهي جواب المؤمنين حين قالوا : لعلهم يؤمنون إذا جاءهم الآياتُ [1]، ومعنى الآية-والله أعلم-: ولو أنَّنا نزلنا إليهم الملائكة معاً للشهادة على نبوتك كما سألوك، وكلّمهم الموتى أنَّك رسول الله ﷺ وأنَّ القرآن كلامه، وجمعنا عندهم كلّ شيء من الطيور والوحوش والسباع وسائر الدوابّ كفلاً يكفلون بصحة ما يقول محمد ﷺ ليؤمنوا ما كانوا ليؤمنوا بك [2] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ معناه: إلاَّ أن يوفقهم الله للإيمان، ويقال : معنـــاه: إلاَّ أن يضطرهم إلـــى الإيمان [3]،﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ أنَّ الله تعالى قادرٌ على ذلك [4]، ويجوز أن يكون معنى ﴿ قُبُلًا ﴾: تقابلهم

---

١- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق ابن إسحاق.
انظر: تفسير الطبري (164/15)، أسباب النزول للسيوطي ص: 235، أثر رقم: (703).

٢- وهذا التفسير على قراءة ﴿ قُبُلًا ﴾-بضمتين-على اعتبار أنَّ ﴿ قُبُلًا ﴾ جمع قبيل بمعنى: الكفيل، وهو اختيار الفرَّاء، معتمداً فيه على آية: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾[الإسراء:92]، قال فيها: يضمنون ذلك. انظر: معاني القرآن للفرَّاء (350/1)، زاد المسير (107/3).

٣- والأوَّل اختيار الطبري، وأبي الليث، والثاني منسوبٌ إلى الحسن البصري، واختاره الزمخشري، ولا يخفى فساده؛ فهو مبني على القول بأنَّ أكثر ما شاءه الله لم يقع، فقد شاء الإيمان، والصلاح، والتوحيد، للخلق، وقد حصل لبعضهم دون بعض، فعليه المشيئة غير كائنةٍ في حق من لم يؤمن، وكذا في حق العاصي، وهكذا، والرد عليه يسير بمجرّد التفريق بين المشيئة الكونية، والشرعية، فالأولى نافذةٌ لا محالة، والثانية قد تنفذ، وقد تتخلف، حسب مشيئة الله الكونية القدرية.انظر: تفسير الطبري (1/8)، بحر العلوم (508/1)، تفسير الماوردي (554/1)،المحرر الوجيز (131/6)، الكش اف (45/2)، وفي الهامش تعليق ابن المنير في كتابه: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال.

٤- وقد يكون جهلهم متعلق باعتقادهم بأنَّ مجيء الآية مستلزم لإيمانهم ولا بدَّ، والحقيقة أنَّ إيمانهم متعلّق بمشيئة الله لا بمجيء الآيات. المحرر الوجيز (132/6)، زاد المسير (170/3).

وتواجههم من المقابلة [1]، ويقال : معناه: جماعة جماعة على معنى أنَّ القُبُل جمع القبيل، والقبيل جمع القبيلة، كسفينة وسفين وسُفن [2]، ومن قرأ : ﴿ قُبْلًا ﴾ - بتسكين الباء- [3] فهو كما يقال: صحْف في صحف، وكتْب في كتب [4]، ومن قرأ ﴿ قِبَلًا ﴾-بكسر القاف- [5] فمعناه: عياناً [6]، أي: لو ناطقتهم الأرض والسماء والطير والوحوش والسباع أنَّ محمد ﷺ رسول الله وأنَّ ما أتاكم به حقٌّ، وقالوا لهم ذلك معاينةً ومشافهةً ما كانوا ليؤمنوا إلاَّ أن يشاء الله [7].

**قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [112]:**

معناه: كما جعلنا لك ولأمّتك أعداءً مثل أبي جهل وأصحابِه كذلك جعلنا لمن يقدمك من الأنبياء صلوات الله عليه وأممهم أعداء [8]، واختلفوا في معنى هذا الجعل : قال بعضهم: أمرنا هؤلاء الأنبياء صلوات ا لله عليهم بمعاداهم وبيّنا لهم عداوة أولئك

---

١- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق محمد بن سعد، وكذا روي عن ابن زيد .
انظر: تفسير الطبري (3/8)، زاد المسير (107/3).

٢- وهو مرويٌ عن ابن جريج، ومجاهد، وهو اختيار أبي عبيدة.
انظر: مجاز القرآن (204/1)، تفسير الطبري (3/8).

٣- وهي قراءة الحسن، وأبي رجاء، وأبي حيوة . انظر: إعراب القرآن للنحاس (28/2)، البحر المحيط (210/4)، معجم القراءات (127/2).

٤- انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (258/1).

٥- وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر.
انظر: الروضة في القراءات الإحدى عشرة (650/2)، النشر: (261/2).

٦- انظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (494/1).

٧- انظر: تفسير الطبري (2/8)، بحر العلوم (507/1)، تفسير البغوي (123/2).

٨- تفسير الطبري (3/8)، بحر العلوم (508/1).

لهم، وهو مثل أن يقول القائل : قد جعلت لكلّ طائفةٍ من جندي أعداءً يعادونهم، وجعلت لكلّ واحدٍ من جندي قِرناً يقاتله، وقال بعضهم : أراد بهذا الجعل التخلية بينهم وبين عداوتهم [1]، وقوله: ﴿ شَيَـٰطِينَ ﴾ نصب على البدل من العدو ومفسر له، ويجوز أن يكون عدوا منصوباً على أنَّه مفعول **[221/أ]** ثان [2]؛ قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في معنى هذه الآية : وذلك أنَّ إبليس لعنه الله قسم جنده فريقين، فبعث فريقاً منهم إلى الإنس، وفريقاً إلى الجنّ، فشياطين الإنس وشياطين الجنّ يلتقي بعضهم ببعض فيقول بعضهم لبعض : أضللت صاحبي بكذا وكذا أتيته من قِبَل الشهوات واللَّذات من المراكب واللباس والطعام والشراب، فإن أعياني من وجهٍ أتيته من وجهٍ آخر فأَضِلَّ صاحبك بمثله [3]، فذلك قوله تعــالى : ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾، أي: يلقي بعضهم إلى بعضٍ بالسرعة، ويملي بعضهم على بعض [4] ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهو: القول المموّه الذي يكون فيه تزيين الأعمال القبيحة [5].

قولــه ﷻ: ﴿ غُرُورًا ﴾ نصب على المصدر [6] كأنَّه قال: يغرّون به غروراً،

---

١- وقد ذكر الماوردي الوجهين من غير نسبة في تفسيره النكت والعيون (554/1).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (284/2)، إعراب القرآن للنحاس (28/2).

٣- وهو مرويٌ كذلك عن السدّي، وعكرمة، ومقاتل.
انظر: معاني القرآن للفراء (351/1)، تفسير الطبري (4/8)، بحر العلوم (508/1)، تفسير ابن كثير (320/3)، الدر المنثور (174/6).

٤- ومعنى الإيحاء هنا إمَّا بمعنى : الوسوسة، أو الإشارة، أو الأمر . وما ذكره المصنِّف داخلٌ ضمن المذكور هنا-والله أعلم-.
انظر: تفسير الماوردي (555/1).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (284/2)، بحر العلوم (508/1)، مجاز القرآن (205/1).

٦- وهو إمَّا مصدر من الفعل «يوحي»، وهو ما أشار إليه المصنّف بتقديره للجملة، أو هو مصدرٌ في موضع الحال، بمعنى: «غارّين».

وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ الشياطين اسمٌ لكلّ عاتٍ متمرّدٍ ؛ من الجنّ شياطين، ومن الإنس شياطين [1]، كما ورد في الخبر عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه أنَّ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فأمرني أن أصلّي ركعتين فصلّيت فجلست إليه فقال لي: (يأ أبا ذرّ تعوّذ بالله من شياطين الإنس والجنّ )، فقلت: يا رسول الله ﷺ: أو من ا لإنس شياطين؟ فقال رسول الله ﷺ: (أو ما تقرأ قوله: شياطين الإنس والجن؟) [2]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ فمعناه: لو شاء ربك أن يمنع الشياطين من الوسوسة ما فعلوه، ولكن يمتحن عباده بما يعلم أنَّه أبلغ في الحكمة، وأجزل في الثواب، وقوله تعالى:﴿ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ معناه: اتركهم وافترائهم وكذبهم عليّ استجهالاً لهم فإنّي أنا القادر عليهم [3].

**قوله ﷻ: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ [113]:**

أوَّل هذه الآية عطف على قوله: ﴿ غُرُورٗاۚ ﴾ [4]، أي: يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول للغرور ولتميل إليه أفئدة الذين لا يقرّون ولا يصدّقون بالبعث بعد

---

انظر: إعراب القرآن للنحاس (28/2)، البحر المحيط (210/4)، المحرر الوجيز (133/6).

١- وهو مرويٌ عن قتادة، والحسن.

انظر: تفسير الطبري (5/8)، تفسير الماوردي (555/1).

٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي أمامة الباهلي- رضي الله عنه- ، وقال الحافظ الهيثمي فيه: ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف، وأخرج النسائي طرفاً منه م ن حديث أبي ذر- رضي الله عنه-، وقال فيه الحافظ الهيثمي: وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط.

انظر: مسند أحمد بن حنبل، (618/36)، رقم: (22288)، سنن النسائي (669/8)، رقم (5522)، مجمع الزوائد (193/1)، رقم: (725، 726).

٣- انظر: تفسير الطبري (6/8).

٤- انظر: المحرر الوجيز (134/6)، البحر المحيط (210/4).

الموت[1]؛ ولكي يرضوا القول المزخرف ويكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام وهو ما قضى عليهم في اللوح المحفوظ[2]، يقال: [اقترف فلان ديناً، إذا عمل ديناً ][3]، وقيل معنى: ﴿ وَلِيَقۡتَرِفُواْ ﴾ أي: ليختلقوا ويكذبوا [4]، ومن قرأ ﴿ وَلۡيَرۡضَوۡهُ وَلۡيَقۡتَرِفُواْ ﴾-بجزم اللاَّم-[5] على لفظ الأمر فمعناه: التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[فصلت:40]، ونحو ذلك من الآيات[6].

**قوله ﷻ: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ**

---

١- انظر: تفسير الطبري (6/8)، تفسير الماوردي (555/1).

٢- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن السدّي، وابن زيد.
انظر: معاني القرآن للفراء (351/1)، تفسير الطبري (8/8)، معاني القرآن للزجاج (285/2)، التفسير الصحيح (267/2).

٣- ما بين المعقوفتين كتب هكذا في المخطوط، ولعلّ الصواب «ذنباً» بدلاً من «دينا»؛ إذ التعبير به لا يستقيم، وفي معاني الزجاج العبارة هكذا: "اقترف فلانٌ ذنباً، أي: قد عمل ذنباً".
انظر: معاني القرآن للزجاج (285/2).

٤- وقد حكاه الطبري، ولم ينسبه، والماوردي، وقال: وهو محتملٌ، والزجاج.
انظر: تفسير الطبري(7/8)، معاني القرآن للزجاج (285/2)، تفسير الماوردي (555/1).

٥- وهي قراءة الحسن، وابن شرف.
انظر: المحتسب (227/1)، إعراب القراءات الشواذ (509/1-510).

٦- وهذا المذكور فيه نظر؛ لأنَّ اللاَّم هنا لام كي، لا لام الأمر، وتسكينها من باب التخفيف، والوارد عن الحسن فيها تسكين اللاَّمات الثلاثة في المذكورتين، وفي ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ﴾، ولا شكّ أنَّ «لتصغى» وإن سكنت لامها فلا يمكن اعتبارها لام أمرٍ؛ لأنَّ الفعل غير مجزومٌ، والكلمتان التاليتان نظيرتان للأولى، فوجب الحكم للجميع بحكمٍ واحدٍ.
انظر: المحتسب (227/2-228، إملاء ما منَّ به الرحمن (258/1)، الدر المصون (117/5)، معجم القراءات للخطيب (528/2).

**ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [114]:**

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وذلك أنَّ نفراً من أهل مكة قالوا : يا محمد ﷺ اجعل بيننا وبينك حكماً من اليهود والنصارى فإنَّهم قرءوا الكتب قبلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية [1]، ومعناها: قل لهم يا محمد ﷺ: أفغير الله أطلب ربّاً ومعبوداً يساوي حكمه حكم الله تعالى، فأجعله حَكَماً، وهو الذي أنزل إليكم القرآن مبيناً أمره ونهيه بلغةٍ تعرفونها، أُنزِلَ متفرقاً سورةً سُورةً وآيةً آيةً [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾ معناه: الذين أكرمناهم بعلم التوراة وهم عبد الله بن سلام [3] وأصحابه يعلمون أنَّ القرآن منزل من ربّك بما تقدَّم لهم من البشارة في كتبهم أنَّ الله تعالى يبعث في آخر الزمان نبياً من ولد إسماعيل عليه السلام وينزل عليه القرآن [4]، وقوله تعالى: ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي بما أقام لهم من البراهين على ذلك، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ معناه: لا تكوننَّ يا محمد ﷺ من الشاكِّين في أنَّهم يعلمون ذلك، ويقال: هذا خطابٌ للنبي ﷺ والمراد به غيره، وكأنَّه قال: لا تكوننّ أيها الجاهل بأمر محمد ﷺ من الشاكِّين في أمره [5].

---

١- انظر: تفسير الماوردي (556/1)، البحر المحيط (211/4).

٢- انظر: تفسير الطبري (8/8)، تفسير البغوي (125/2)، تفسير ابن كثير (322/3).

٣- هو: عبد الله بن سلاَّم بن الحارث الإسرائيلي، ثمَّ الأنصاري، كان حليفاً للقواقل من الخزرج، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف- على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ، بشره رسول الله-ﷺ- بالجنة، كما في حديث سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-، توفي-رضي الله عنه- بالمدينة سنة: 43هـ.
انظر: الاستيعاب (921/3-923)، أسد الغابة (265/3-266)، الإصابة (108/6).

٤- وعليه جمهور المفسّرين، وعن عطاء: أنَّ المراد بمن آتاهم الله الكتاب: الرؤساء من أصحاب محمد-ﷺ-، والأوَّل أولى، وأشبه بالسياق، وأوفق مع سبب النزول المذكور-والله أعلم-.
انظر: تفسير الطبري (8/8)، بحر العلوم (509/1)، زاد المسير (110/3)، تفسير القرطبي (70/7).

٥- والأوَّل اختاره الطبري، وابن كثيرٍ، والقرطبي، والبغوي، وإلى الثاني ذهب أبو الليث.

**قوله ﷻ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [115]:**

معناه: تمت إلزام الحجة على وجه الحكمة، لا نقصان في ذلك، تقول العرب للقصيدة من الشعر: هذه كلمة فلانٍ[1]، وقوله تعالى: ﴿ صِدْقًا ﴾ معناه: أنَّ مَخبَره على ما أخبر به فيما وعد و أوعد ﴿ وَعَدْلاً ۚ ﴾ أي أحكامه كلّها عدل[2]، ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ ﴾ أي: لا مغيِّر لحكمه ودينه، فإنَّ اليهود والنصارى **[221/ب]** وإن غيّروا التوراة والإنجيل لم يمكنهم أن يأتوا بحكم حتى يقوم مقام حكمه[3]، ويقال معنى: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ ﴾ بنقضه بعض القرآن بعضاً[4]، وجاء في الخبر أنَّ كلمة العدل والصدق قول: لا إله إلاَّ الله[5]، ويقال معنى الآية: وجب قول ربّك بأنَّه ناصر محمدا ﷺ وأنَّ عاقبة الأمر له صدقاً وعدلاً لا مغير لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[6][غافر:51] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ظاهر المراد.

---

انظر: تفسير الطبري (8/8)، بحر العلوم (509/1)، تفسير البغوي (125/1/2)، تفسير القرطبي (70/7)، تفسير ابن كثير (322/3).

١- انظر: تفسير الطبري (9/8)، زاد المسير (110/3).

٢- وهذا القول انتظم القولين الواردين في صدقاً وعدلاً، إمَّا صدقاً في وعده ووعيده، وعدلاً في أمره ونهيه، أو صدقاً في ما حكاه، عدلاً فيما قضاه، والأخير معنى قول قتادة.

انظر: تفسير الماوردي (556/1)، زاد المسير (111/3).

٣- وهذا محكيٌ عن قتادة. انظر: تفسير القرطبي (71/7).

٤- بمعنى: لا ينقض بعضه بعضاً، ولا يشبه كلام البشر. بحر العلوم (509/1).

٥- وهو مرويٌ عن أنس-ﷺ- مرفوعاً، كما ذكره أبو الليث، والحافظ السيوطي. انظر : بحر ال علوم (509/1)، الدر المنثور (179/6).

٦- ذكره أبو الليث السمرقندي. بحر العلوم (509/1).

قوله ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [116]:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وذلك أنَّ أهل مكة كانوا يستحلُّون أكل الميتة ويدعون المسلمين إلى أكلها، وكانوا يقولون: إنَّما ذبح اللهُ تعالى هو أحلّ مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية [1]، ومعنا ها: إن تطع يا محمد ﷺ أكثر من في الأرض يصرفوك عن دين الله وحكمه [2]، وإنَّما قال: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنَّ أكثر أهل الأرض كفارٌ ضلاَّلٌ [3]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ معناه: إنَّ أكثرهم يتبعون أكابرهم بالشك؛ يتبعونهم فيما لا يعلمون أنَّه على الحق [4].

وإنَّما يعذبون على هذا الظنَّ؛ لأنَّهم اقتصروا على الظنَّ والجهل واتبعوا أهواءهم، ولم يتفكروا في طلب الحق [5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ معناه: ما هم إلاَّ إلاَّ كاذبون في قولهم: ما قتل اللهُ أحقُّ [أن تأكلون] [6] مما قتلتم أنتم بسكاكينكم [7].

بسكاكينكم [7].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾

١- انظر: معاني القرآن للفراء (352/1)، المحرر الوجيز (137/6)، زاد المسير (111/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (10/8).

٣- انظر: معاني القرآن للفراء (352/1)، بحر العلوم (509/1)، المحرر الوجيز (137/6).

٤- انظر: بحر العلوم (509/1).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (285/2-286)، بحر العلوم (509/1).

٦- هكذا في المخطوط، وهو لحن؛ لأنَّ الفعل منصوبٌ بـــ«أن»، فتكون علامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة؛ إذ اتصلت به واو الجماعة، ولعلّه سهوٌ من الناسخ. والله أعلم.

٧- انظر: مجاز القرآن (206/1)، تفسير الطبري (10/8)، بحر العلوم (509/1)، تفسير القرطبي(71/7).

[117]:

معناه: إنَّ ربّك يا محمد ﷺ هو أعلم بمن يضل عن سبيله عن دين الإسلام وشرائعه وهو أعلم بالمهتدين بمحمد ﷺ والإسلام[1]، ويقال: إنَّ قوله: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ رفع بالابتداء ولفظه لفظ الاستفهام المعنى: إنَّ ربّك هو أعلم أي الناس أضل[2]، وإنَّما قال: أعلم؛ لأنَّ الله تعالى يعلم الشيء من كلّ جهاته، وغيره يعلم الشيء من بعض جهاته.

قوله ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [118]:

عطف على ما دلّ عليه الكلام الذي قبله؛ كأنَّه قال: كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح[3]، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ للترغيب في اعتقاد صحة إباحته في أكله للاستعانة بذلك في طاعة الله تعالى، فأمَّا أكله للتلذّذ به فمباحٌ، ويقال: إنَّ المراد بالآية قصر النفس على ذبائح دون الميتة وغيرها[4].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [119]:

---

١- وهذا القول بأنَّ «مَن» في موضع جر على إسقاط حرف الجر وإبقاء عمله، ضَعَّفه ابن عطية، وأبو حيان. انظر: المحرر الوجيز (137/6)، البحر المحيط (213/4).

٢- وهذا مذهب أبي زكريا الفرَّاء، والزجاج، واختاره أبو جعفر النحاس. انظر: معاني القرآن للفرَّاء (352/1)، معاني القرآن للزجاج (286/2)، إعراب القرآن للنحاس (29/2.

٣- وبنحوه قال الزمخشري حين أشار إلى هذا المعنى بقوله: ﴿فَكُلُوا۟﴾ مسبّب عن إنكار اتباع المضلين، الذي يحلّون الحرام، ويحرّمون الحلال. اهـ. الكشاف (46/2).

٤- وهذا الأخير أجود وإليه أشار جماهير المفسرين، مما اطلعت عليه، وأمَّا المعنى الأوَّل فصحيحٌ، وإنَّما يستفاد من أدلّةٍ أخرى من الشرع-والله أعلم-.

انظر: تفسير الطبري (11/8)، بحر العلوم (509/1.)

معناه: أي شيء لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، وموضع أن نصب؛ لأنَّ في سقطت فو صل المعنى إلى أن فنصبها [1]، ويجوز أن يكون موضعه خفضاً على إضمار في [2]، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ معناه: وقد بيّن لكم ما حرّم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير على ما تقدَّم ذكره في سورة المائدة [3]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ معناه: إلاَّ ما دعتكم الضرورة إلى أكله فقد رخّص لكم حينئذٍ [4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ يعني الكفار ليأكلون الميتة والذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عمداً، والتي يذبحونها لألهتهم بلا علمٍ عندهم ولا بصيرةٍ، يتبعون الهوى والشهوة في ذلك [5]، ومن قرأ ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ -بضم الياء- [6] معناه: أنَّهم يصرفون يصرفون الناس عن الهدى بالدعاء إلى أكل الميتة على وجه الجدال والخداع [7]، وقولـــه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ معناه: إنَّه أعلم بعقوبة المتجاوزين عن الحلال إلى الحرام، وليس من الغرض التوبيخ على ترك الحلال؛ لأنَّ المباح إذا لم يتناوله المكلّف لا يقال له : مالك لا تفعل؟ وإنَّ ما الغرض من الآية التوبيخ على العدول من الحلال إلى الحرام، وترك التمييز بين الحلال والحرام، وهذا كقوله تعالى :

---

١- وإليه ذهب الزجاج والنحاس. انظر: معاني القرآن للزجاج (286/2)، إعراب القرآن للنحاس (29/2).

٢- وقد نقل الزجاج عن سيبويه إجازة مثل هذا، مع أنَّ النصب عنده أجود.
انظر: معاني القرآن للزجاج (286/2).

٣- انظر: تفسير الطبري (12/8)، بحر العلوم (509/1).

٤- انظر: تفسير الطبري (13/8).

٥- وهذا المعنى يتأتى على قراءة نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ ويعقوب وأبي جعفر- بفتح الياء- من «ضَلَّ» الثلاثي، فهم في أنفسهم قد ضلّوا بذبحهم على غير اسم الله تقرباً لآلهتم الباطلة.
انظر: معاني القرآن للزجاج (287/2)، الموضح (498/1-499)، النشر (262/2).

٦- وهي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. انظر: النشر (262/2).

٧- انظر: الموضح (498/1)، المحرر الوجيز (138/6)، زاد المسير (113/3).

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ - وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ [الشعراء:165-166] ليس هو ذمّ على ترك النكاح، ولكنه ذمّ على ترك التمييز بين ما أحلّه الله وبين ما حرمه[1] [222/أ].

قوله ﷻ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [120]:

معناه: لا تقربوا ما حرَّم الله عليكم جهراً ولا سراً [2]، ويقال: أراد بظاهر الإثم الزنا الظاهر وبباطنه الزنا السر، فإنَّ العرب كانوا يرون الزنا ظاهراً معصية، ولا يرون الزنا في الخفية معصية [3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ معناه: إنَّ الذين يعملون المعصية ظاهراً وباطناً ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ أي سيعاقبون في الآخرة بما كانوا يكسبون في الدنيا من المعاصي والفواحش[4].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [121]:

ظاهر أوَّل الآية يقتضي تحريم كلّ شيء لم يذكر اسم الله تعالى عليه ميتة كان أو مذبوحاً وأي طعام من الأطعمة، إلاَّ أنَّ الناس تأوّلوا الآية على الذبائح لما روي عن

---

١- وإلى هذا المعنى أشار أبو الليث والبغوي-رحمني الله وإياهما-.
انظر: بحر العلوم (510/1)، تفسير البغوي (126/2/2).

٢- وبه قال قتادة، والربيع بن أنس، ومجاهد.
انظر: معاني القرآن للزجاج (287/2)، تفسير الطبري (13/8-14)، التفسير الصحيح (269/2).

٣- وبه قال السدّي، والضّحاك.
انظر: تفسير الطبري (14/8)، تفسير الماوردي (557/1).

٤- انظر: بحر العلوم (510/1).

المفسرين في ذلك[1]، وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أخصّ بالذبائح التي لا يسمّى الله ﷻ عليها؛ لأنَّ الميتة لا تتأتى عليها التسمية ولا تؤثر التسمية في إباحتها، وكذلك ما ذبح لغير الله تعالى لا تأثير فيه لتسمية الله تعالى[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يقتضي تحريماً متعلّقاً بترك التسمية، وعن عبد الله بن عمر[3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه أتى على قصّابٍ ذبح شاةً ونسي أن يذكر اسم الله تعالى عليها فأمر ابن عمر رضي الله عنه غلامه أن يقوم عنده فإذا جاء إنسانٌ يشتري قال: إنَّ ابن عمر رضي الله عنه يقول: إنَّه لم يذكّها فلا تشتـــروا[4]، قال ابن سيرين[5]: إذا ترك التسمية ناسياً لم تؤكل[1].

---

١- والأولى الأخذ بالعموم بإدخال ما يمكن إدخاله من الإفراد في الحكم، كالميتة، وما ذبح لغير الله، وكل ما يصح إدخاله تحت الحكم-والله أعلم-.

انظر: بحر العلوم (510/1)، تفسير البغوي (127/2).

٢- ومع ذلك فهي مفتقرة للتسمية، بمعنى أنَّها لم يذكر عليها اسم الله، وهذا عين ما ذكر في الآية، والقول بأنَّ الميتة داخلةٌ فيما لم يذكر اسم الله عليه مرويٌّ عن ابن عباسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وبأنَّ ما ذبح لغير الله كذلك مرويٌّ عن عطاء.

وسبب النزول يقوّي ما ذكره ابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

انظر: تفسير الطبري (19/8)، تفسير الماوردي (557/1)، تفسير البغوي (127/1/2)، المحرر الوجيز (140/6)، أسباب النزول للسيوطي ص: 166-167، أثر رقم: (492).

٣- هو: عبد الله بن عمر بن الخاطب بن نفيل العدوي، أسلم صغيراً، قيل: قبل إسلام أبيه، هاجر قبل أبيه، استصغر يوم بدرٍ وأحدٍ، وأوَّل مشاهده الخندق، وما بعدها، كان كثير الاتباع لآثار النبي- ﷺ-فينزل منازله ويصلّي في كلّ مكان صلى فيه، كان من أكثر الصحابة روايةً عن النبي-ﷺ-، توفي-رضي الله عنه- سنة: (73هـ).

انظر: الاستيعاب (950/3-954)، أسد الغابة (340/3-345).

٤- أورده الجصاص في أحكام القرآن (6/3)، ولم أجده عند غيره.

٥- هو: محمد بن سيرين، أبو بكر البصري، كان أبوه مولى لأنس- رضي الله عنه-، وكانت أمَّه صفية مولاةً للصديق-رضي الله عنه-، روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن الزبير، وأنس-رضي الله عنه-، وعنه: قتادة، وخالد الحذّاء، وأيوب السختياني، وغيرهم، كان من الفقهاء، المعبّرين، ذا ورعٍ، توفي رحمه الله تاسع شوال يوم

إلاَّ أنَّ أكثر أهل العلم على أنَّ نسيان التسمية لا يوجب التحريم، وهكذا روي عن علي وعبد الله بن عباس ومجاهد وعطاء بن أبي رباح [2] وسعيد بن المسيب [3] ﭬ أجمعين أنَّهم قالوا : إذا ترك التسمية ناسياً فلا بأس بأكلها [4]؛ ولهذه الأخبار استحسن أصحابنا رحمهم الله في نسيان التسمية أنَّه لا يوجب التحريم [5] على معنى أنَّ خطاب الآية يتناول العامد إذ الناسي في حال نسيانه لا يكون مكلّفاً بتسمية [6]،

---

الجمعة سنة عشر ومائة.

انظر: وفيات الأعيان (181/4).

١- ووافقه أبو ثور، وهو مذهب داود الظاهري. انظر: المجموع (411/8).

٢- هو: عطاء ابن أبي رباح- أسلم- وقيل: سالم بن صفوان، مولى بني فِهر، المكي، من أج لاء الفقهاء، وتابعي مكة وزهّادها، سمع جابراً، وابن عباس، وابن الزبير، وخلقاً من الصحابة-ﭬ-، توفي سنة: أربع عشرة أو خمس عشرة ومائة، عن مائة سنة حج فيها سبعين حجةً-رحمنا الله وإياه-.
انظر: وفيات الأعيان (261/3-263).

٣- هو: أبو محمد سعيد بن المسيِّب بن حزن المخزومي القرشي المدني، أحد الفقهاء السبعة، سيّد التابعين، جمع بين الحديث، والفقه، والزهد، والعبادة، والورع، سمع سعد بن أبي وقّاص، وأبا هريرة، وأزواج النبي -ﷺ-ﭬ. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر-ﭬ-، وتوفي -رحمه الله وإيانا- بالمدينة سنة إحدى، أو اثنين، أو ثلاث، أو أربع، أو خمس وتسعين للهجرة.
انظر: وفيات الأعيان (375/2-378).

٤- انظر: الاستذكار (460/5).

٥- وأراد بأصحابه السادة الحنفية؛ إذ مذهبهم إباحة الذبيحة المتروك عليها التسمية نسياناً.
والشافعية ذهبوا إلى جوازها نسياناً كان أم عمداً.
وعن أحمد فيها ثلاث روايات أصحها إباحة الذبيحة التي لم يسمّ عليها نسياناً دون الصيد.
وعن الإمام مالك فيها روايتان الصحيح منهما أنَّ التسمية شرطٌ للإباحة مع الذكر دون النسيان.
انظر: تفسير الطبري (75/7-76)، أحكام القرآن للجصاص (5/3-6)، الاستذكار (459/5-461)، بداية المجتهد (117/4-121)، المجموع (410/8-411)، الذخيرة (134/4).

٦- بمعنى أنَّ النسيان عذرٌ شرعي معتبر، كما في الحديث «عفي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه».

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ فمعناه: إنَّ أكله لفسق [1]، ويقال: أراد به ترك التسمية، ولا يمتنع أن يكون راجعاً إلى الأمرين [2]، وقيل: إنَّ الفسق اسم للمذبوح على غير اسم الله تعالى؛ لأنَّه فُسِقَ به حين ذُبح على غير وجه الحق [3]، وهو كقوله: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[الأنعام:145] أي: ذبح على اسم غير الله جل ذكره [4]، فإن فإن قال قائل: لو كان المراد بالآية ترك المسلم التسمية لو جب أن يكون كلّ من استباح أكله فاسقاً فلما اتفق الجميع أنَّ المسلم التارك للتسمية عامداً غير مستحقٍّ لتسمية الفسق دلّ أنَّ المراد بالآية الميتة، أو ذبائح المشركين، قيل : ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ عائد على الجميع من المسلمين وغيرهم وهكذا نقول فيمن اعتقد استصحاب التسمية ثم تركها، وإلى هذا أشار ﷺ في حديث عدي بن حاتم [5] حيث حيث قال له: (إذا أرسلت كلبك المعلم وسمّيت الله تعالى فكل، وإن شاركه كلب آخر فلا تأكل، فإنَّك إنَّما سمّيت على كلبك و لم تسمّ على كلب غيرك ) [6] إلاَّ أنَّ

---

١- وهذا اختيار الطبري، وأبي الليث.

انظر: تفسير الطبري (20/8)، بحر العلوم (510/1)، المحرر الوجيز (140/6).

٢- وليس منه مانعٌ، وفيه أخذٌ بالعموم، وهو أولى. والله أعلم.

٣- أو على المبالغة فيسمَّى المذبوح فسقاً.

انظر: الكشاف (47/2)، الدر المصون (132/5).

٤- انظر: تفسير البغوي (127/2/2).

٥- هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس الطائي، وفد على النبي- ﷺ- ليسلم سنة تسع أو عشر، شهد فتوح العراق، ووقعة القادسية، ويوم الجسر، وغيرها، شهد الجمل، وصفّين مع علي-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وتوفي بالكوفة أيام المختار سنة سبع أو ثمان أو تسع وستين، وله مائة وعشرون سنة-رضي الله عنه-.

انظر: أسد الغابة (10/4)، الإصابة (125/4).

٦- وهو حديثٌ مشهورٌ في باب الصيد، أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح، باب إذا وجد مع الصيد كلباً آخر، حديث رقم: (5168)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلّمة، حديث رقم: (3).

الدلالة قامت على أنَّ من تأوَّل هذه الآية واعتقد أنَّها في الميتة وذبائح المشركين لم يكن فاسقاً بخروجه عن حكم الآية بالتأويل[1].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: معناه: إنَّ الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من الإنس وهم أبو الأحوص الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وغيرهما من أهل مكة كانوا يخاصمون النبي ﷺ في أكل الميتة واستحلالها على ما تقدَّم ذكره [2]، والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس في الخفية [3]، فإن قيل: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ يدلّ على أنَّ المراد بالآية الميتة، وأنَّ المراد بالذكر في أوَّل الآية الذكر بالقلب؛ لأنَّه لا تحلّ إلاَّ ذبيحة من يذكر الله ﷻ بقلبه، ولا يتقرب بالذبيحة إلى غير الله وهم المؤمنون وأهل الكتاب، قيل: خصوص آخر الآية لا يمنع عموم أوَّلها، وقد بيّنا أنَّ اشتراط التسمية يمنع أن يدخل تحت الآية ما لا تأثير للتسمية فيه أصلاً وهو الميتة وما أهل به لغير الله، فاحتمل أن يكون قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ ابتداء كلامٍ[4].

وأمَّا قوله تعـــالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ فمعناه: إن أطعتموهم في أكل

---

وما ذكره المصنّف معنى جزء من الحديث، وإلاَّ فالحديث أطول من المذكور.

١- والذي أفهمه من هذه العبارة أنَّ من تأوَّل هذه الآية على الميتة، وذبائح المشركين، لم يضرّه الأكل من متروك التسمية ولو عمداً، وأمَّا ما ذكره من الاتفاق على أنَّ المسلم التارك للتسمية عمداً لا يستحق تسمية الفسق فغير مسلَّم، فمن يرى إعادة الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ إلى الأكل مما لم يذكر عليه اسم الله، يلزم منه فسق فاعله، والقائلون به كثر؛ كالطبري، وابن الجوزي، وأبي الليث، وابن عطية، وابن كثير، وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (20/8) ، بحر العلوم (510/1)، المحرر الوجيز (140/6)، زاد المسير (115/3)، تفسير ابن كثير (324/3).

٢- ومثله مرويٌ عن قتادة-رحمنا الله وإياه-.

انظر: تفسير الطبري (17/8)، تفسير الماوردي (558/1)، الدر المنثور (187/6).

٣- قال في اللسان: الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي. اهـ. (379/15).

٤- انظر: أحكام القرآن للجصاص (6/3).

الميتة واستحلالها من غير اضطرار إنَّكم لمشركون مثلهم [(1)]، وفي هذا بيان أنَّ من أحلّ شيئاً مما حرَّم الله تعالى أو حرَّم شيئاً مما أحلّ الله تعالى فهو مشركٌ [(2)]، وإنَّما سمّي [222/ب] مشركاً لأنَّه اتبع غير الله فأشرك بالله غيره [(3)].

**قوله ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [122]:**

روي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ الآية نزلت في عمار بن ياسر [(4)] وأبي جهل ابن هشام [(5)(6)]، ويقال إنَّ المراد بالآية النبي ﷺ وأبو جهلٍ [(7)]، معنى الآيةِ: أو من كان كافراً فهديناه بالمعرفة والإسلام، وجعلنا له نوراً وهو نور الإيمان والقرآن والحكمة يمضي بذلك النور فيما بين الناس كمثل من هو في الضلالة

---

١- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن السدّي نحوه.
انظر: تفسير الطبري (21/8)، التفسير الصحيح (269/2).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (287/2)، بحر العلوم (510/1).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (287/2)، تفسير ابن كثير (329/3-330).

٤- هو: عمار بن ياسر عامر بن مالك العنسي، أبو اليقظان، حليف بني مخزوم، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد المشاهد كلّها، استشهد في صفّين مع علي- رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا- سنة: (37هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب (1135/3)، أسد الغابة (205/4)، الإصابة (575/4).:

٥- هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، كان رأس الكفر في قريش، وأشدهم على رسول الله-ﷺ- والمسلمين، قتل ببدرٍ. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (715/2)،

٦- وهذا مرويٌ عن عكرمة، والكلبي، ورواه أبو صالح عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.
انظر: تفسير الطبري (22/8)، تفسير البغوي (128/2)، زاد المسير (116/2).

٧- وهذا القول نسبه ابن الجوزي إلى مقاتل، وروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّها نزلت في حمزة-ﷺ- وأبي جهل، وذهب زيد بن أسلم، والضحاك إلى أنَّها نزلت في عمر بن الخطاب- ﷺ-وأبي جهل.
انظر: تفسير الطبري (22/8)، معاني القرآن للزجاج (288/2)، أسباب النزول للواحدي ص: 150-151، زاد المسير (116/3)، أسباب النزول للسيوطي ص: 167، أثر رقم (493-494).

وظلمات الكفر ليس بخارجٍ منها أبداً[1]، بيّن الله تعالى بهذه الآيات أنَّ أبا جهلٍ ليس بخارجٍ من الضلالة أبداً[2]، والواو في هذه الآية واو عطفٍ دخل عليها ألف الاستفهام[3] على معنى هل يستوي هذان بل لا يستويان، وقوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ زيادة في الكلام ويراد به كاف التشبيه كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى:11] أي: ليس كهو شيء[4]، ويقال: معنى قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾: مثل من في الظلمات[5]، وقيل: إنَّما قال جلّ ذكره: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ ليدلّ قوله تعالى: ﴿مَّثَلُهُۥ﴾ على أنَّه ممن يُضرب به المثل في كونه في الظلمات، وإنَّما يُضرب المثل بمن بلغ الغاية في الشيء، وأمَّا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ فمعناه: كما زين لأبي جهلٍ عمله الذي كان يعمله كذلك زين للكافرين أعمالهم التي يعملونها مجازاةً لهم على كفرهم[6]، وقال الحسن رضي الله عنه: ما زيّنها لهم إلاَّ الشيطان[7]، وذهب بعض المفسّرين إلى إلى أنَّ معنى هذه الآية أنَّ من كان في الحقيقة نطفة مواتاً ثمّ أحياه الله تعالى ثمّ جعل

---

١- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن مجاهد مثله. انظر: تفسير الطبري (23/8)، تفسير الماوردي (558/1-559)، التفسير الصحيح (270/2).

٢- لأنَّه هو الذي نزلت فيه الآية بلا خلاف، فيدخل في حكمها دخولاً أوّلياً، حتى لو حملت على العموم، وممّن ذهب إلى العموم: ابن كثير في تفسيره. انظر: تفسير ابن كثير (330/3).

٣- انظر: إعراب القرآن للنحاس (30/2) ، المحرر الوجيز (142/6)، الدر المصون (133/5).

٤- وهذه الكاف قيل: إنَّها أصلية زيدت للتأكيد والمعنى: ليس شيءٌ مثلَه، وقيل: إنَّ الزائد هو «مثل»، وضعّفه ابن أبي العز بحجة أنَّ القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم، وعلى القول الثاني يتأتّى المعنى الذي ذكره المصنِّف. وقد سبق إيراد وجه ضعفه، والأوّل اختاره الزجاج، و إلى الثاني ذهب ابن قتيبة.

انظر: معاني القرآن للزجاج (395/4)، زاد المسير(276/7)، شرح الطحاوية ص:97.

٥- انظر: تفسير البغوي (128/2)، زاد المسير (117/3).

٦- انظر: تفسير الطبري (23/8)، بحر العلوم (511/1).

٧- وذهب غيره إلى أنَّ الله-عز وجل- هو الذي زيّنها لهم. انظر: الكشاف (48/2)، البحر المحيط (216/4)، الدر المصون (134/5).

له نوراً بالعقل والحجج حتى صار يتقلّب بنوره في منافع دينه ودنياه ليس كمن هو في الظلمات لا يخرج منها أبداً[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [123]:**

معناه – والله أعلم–: كما جعلنا في كل قرية ذا نورٍ يمشي في الناس بنوره[2] كذلك جعلنا في كلّ قريةٍ رؤساءها وأغنياءها وعظماء أهلها مجرميها[3]، ويقال: معناه: جعلنا في أهل مكة عظماءهم مجرميها كذلك جعلنا في كل قرية[4]، وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ معناه: ليصير أمرهم إلى أن يمكروا بالتكبر وتكذيب الرسل[5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: أنَّ ذلك المكر يحيق بهم؛ لأنَّهم بمكرهم يكذبوك[6]، وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعلمون أنَّ وبال

---

١- وهذا المعنى أورده الماوردي، ثم قال: حكاه ابن بحر. تفسير الماوردي (558/1).

٢- وهذا المعني بعطف أوَّل هذه الآية على أوَّل التي قبلها أورده أبو حيَّان إشارةً، ولم يعزه، وجمهور المفسّرين على خلافه. انظر: البحر المحيط (216/4-217).

٣- والجامع لهذه المعاني: عظماؤها، وهو مرويٌّ عن مجاهد، وقتادة. انظر: تفسير الطبري (24/8)، الدر المنثور (194/6).

٤- وإلى هذا المعنى ذهب جمهور المفسّرين، وبعضهم ذهب إلى أنَّ المراد: كما زينا للكافرين عملهم جعلنا في كلّ قريةٍ أكابر مجرميها، والأكثرون على الأوَّل.
انظر: معاني القرآن للزجاج (288/2)،تفسير الطبري (24/8)، بحر العلوم (511/1)، تفسير القرطبي (79/7)، تفسير البغوي (128/2)، الكشاف (48/2)، تفسير البيضاوي (197/4)، تفسير ابن كثير (331/3)، نظم الدرر (708/2)، فتح القدير (165/2)، تفسير المنار (32/8).

٥- والمكر: الخديعة، والاحتيال للممكور به بالغدر ليورّطه الماكر به مكروها من الأمر، واللاَّم للصيرورة.
انظر: مجاز القرآن (260/1)، تفسير الطبري (25/8)، المحرر الوجيز (143/6).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (228/2)، الكشاف (48/2)، زاد المسير (118/3).

وبال مكرهم يرجع إليهم[1].

**قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾ [124]:**

معناه: وإذا جاءت الأكابر الذين سبق ذكرهم[2]، ويقال: إذا جاءت كفار مكة[3]﴿ءَايَةٞ﴾ أي: دلالةٌ واضحةٌ على نبوّة رسول الله ﷺ قالوا: لن نصدّق حتى نُعطى من الآيات مثل ما أعطي رسل الله من المعجزات والدلائل[4] يقول الله جلّ ذكره: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ أي: هو أعلم إلى من يرسل ومن يختصّ بالرسالة ومن هو أهلٌ لها، وهذا جواب تم نيهم أن يكونوا رسلاً حيث أنفوا أن يكونوا أتباعاً للرسل بعد قيام حجة النبي ﷺ عليهم بيّن الله تعالى إنَّه إنَّما يجعل الرسالة عند من يقوم بأدائها ولا يجعلها عند من يضيع ولا يصبر على المكاره[5]، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾[6] [الزخرف:31]، وقيل: إنَّما لم يجعل الله تعالى الرسل من الرؤساء والأغنياء لأنَّ الناس يتبعوهم وإن لم يأتوا بحججٍ فيقول من بعدهم: إنَّما اتبعوهم لأنَّهم أكابر ورؤساء[7]،

---

١- انظر: تفسير البغوي (128/2)، البحر المحيط (218/4).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (289/2).

٣- انظر: بحر العلوم (511/1).

٤- انظر: تفسير الطبري (25/8)، معاني القرآن للزجاج (289/2).

٥- انظر: تفسير الطبري (25/8)، تفسير القرطبي (80/7)، الكشاف (49/2).

٦- حيث إنَّهم في هذه الآية تمنّوا أن تكون الرسالة لرجل من العظماء المطاعين، كالوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي.

انظر: تفسير ابن كثير (226/7)، أسباب النزول للسيوطي ص: 209، أثر رقم: (635).

ورؤساء[1]، وقوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ وعيد لهم معناه: سيصيب الذين اكتسبوا الجرم مذلةٌ وهوانٌ ثابتٌ لهم عند الله[2]، ويقال: معنى قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عند الله[3]، قال الزجاج: لا يجوز أن تكون «مِنْ» محذوفة من ﴿عِندَ﴾إنَّما تحذف منها في؛ لأنَّك إذا قلت: زيد عند عمرو وأردت به في حضرة عمرو جاز[4]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ فمعناه: سيصيبهم عذابٌ شديدٌ بكفرهم وتكذيبهم الرسل[5]، قال عبد الله بن عباس ﷺ: ثمّ رجع إلى ذكر عمّارٍ ﷺ وأبي جهلٍ فقال جلّ ذكره[6]:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ **[125]**:

معنى الآية على ما روي عن عبد الله **[223/أ]** بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فمن يرد الله أن يوفّقه للإسلام يوسع قلبه، ويليّنه لقبول الإسلام، ومن يرد أن يخذله، ويتركه في ضلالة الكفر ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾[7]، قال: والحَرَجُ: موضع الشجر الملتف[8]؛ يعني: أنَّ قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة، كما لا

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (289/2)، المحرر الوجيز (144/6).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (289/2)،

٣- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (353/1)، بحر العلوم (511/1).

٤- معاني القرآن للزجاج (289/2)،

٥- انظر: تفسير الطبري (26/8)، بحر العلوم (511/1).

٦- لم أقف على هذا القول مروياً عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-ولا منسوباً إليه. والله أعلم.

٧- وهو مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق ابن سعد، ونحوه مرويٌ عن السدّي. انظر: تفسير الطبري (28/8)، الدر المنثور (200/6)، التفسير الصحيح (271/2).

٨- القائل هو عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

تصل الراعية إلى الموضع الذي يلتف فيه الشجر[1]، وقال أهل اللغة: الحَرَجُ: أضيق الضيق[2]، وعن مجاهدٍ ﷺ أنَّه قال: الحَرَجُ: الشكّ[3]، وفي قوله: ﴿حَرَجًا﴾ قراءتان: من قرأ: ﴿حَرِجا﴾ - بكسر الراء-[4] فهو بمنزلة قولك: دنِف - بكسر النون-[5]، من قرأ: ﴿حَرَجًا﴾ -بفتح الراء -[6] فهو بمنزلة قولهم: رجلٌ دنَفٌ أي: ذو دنَف؛ لأنَّ حَرَجا ودنَفاً ليسا من أسماء الفاعلين، إنَّما ذلك بمنزلة قولك: رجلٌ عدلٌ، أي: ذو عدلٍ[7]، وفي قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ثلاث قراءاتٍ؛ إحداهنَّ: ﴿كأنَّما يَصْعَدُ﴾ -بتسكين الصاد-[8] المعنى: لا يجد مخرجاً يميناً ولا شمالاً فكأنَّه من الضيق يصعد إلى السماء ولا يستطيعه[9]، والقراءة الثانية: ﴿يَصَّعَّدُ﴾-بتشديد الصاد-[10] أي: يتصعّد أدغمت التاء في الصاد[1]، والقراءة الثالثة: ﴿يصَّاعَدُ﴾[2] على

---

انظر: معاني القرآن للفرَّاء (353/1)، معاني القرآن للزجاج (890/2)، بحر العلوم (512/1).

١- وبهذا المعنى أجاب الراعي المدلجي عمرَ-ﷺ- حين سأله عن الحرجة.

انظر: تفسير الطبري (28/8)، معاني القرآن للزجاج (290/2)، تفسير البغوي (129/2).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (290/2).

٣- ونحوه مرويٌّ عن السدّي.

انظر: تفسير الطبري (28/8).

٤- وهي قراءة نافعٍ، وأبي جعفر، وشعبة عن عاصمٍ.

انظر: البحر المحيط (220/4)، النشر (262/2).

٥- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (354/1)، الموضح (502/1)، الدر المصون (143/5).

٦- وهي قراءة باقي العشرة. انظر: الروضة (654/2)، النشر (262/2).

٧- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (354/1)، معاني القرآن للزجاج (290/2)، البحر المحيط (220/4)، الدر المصون (143/5).

٨- وهي قراءة ابن كثيرٍ. انظر: البحر المحيط (220/4)، الدر المصون (146/5)، النشر (262/2).

٩- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (354/1)، الموضح (502/1).

١٠- وهي قراءة الجميع عدا ابن كثيرٍ، وعاصمٍ في رواية شعبة عنه. انظر: الروضة (655/2)، البحر المحيط (221/4)، النشر (262/2).

على معنى يتصاعد أي : كأنَّه من ضيق صدره تكلف الصعود إلى السمـــاء بغير آلة[3]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ فمعناه: مثل ما قصصنا عليك يجعل ا لله اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة [4]، على الذين لا يصدقون ولا يرغبون في التوحيد، روي أنَّه لّما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ﷺ كيف يشرح الله صدره للإسلام؟ قال: (إذا دخل النور في القلب انشرح واستوسع)، قالوا: وما علامة ذلك؟ قال : (التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت )[5]، وقد اختلف أهل التأويل فيما ذكره عبد الله بن عباس في هذه الآية ذهب بعضهم إلى أنَّ معناه : من يرد الله أن يهديه إلى الإيمان يشرح صدره له، ومن يرد أن يضله عن الإيمان يجعل صدره ضيقاً بالإيمان، إلاَّ أنَّ إطلاق هذا التأويل يرجع إلى قول أهل الجبر [6]، وذهب بعضهم إلى أنَّ المراد بالأوَّل أنَّ

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (290/2)، الدر المصون (146/5).

٢- وهي رواية شعبة عن عاصم.
انظر: البحر المحيط (220/4)، الدر المصون (146/5)، النشر(262/2).

٣- انظر: الدر المصون (146/5)، الموضح (502/1).

٤- وتفسير الرجس باللعنة قول الزجاج، وروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق علي بن أبي طلحة أنَّ الرجس: هو الشيطان، وروى عنه أبو صالحٍ أنَّه المأثم، والأوَّل أصح.
انظر: معاني القرآن للزجاج (290/2)، تفسير الطبري (31/8)، زاد المسير (121/3)، التفسير الصحيح (272/2).

٥- أخرجه البيقهي في الشعب عن ابن مسعود- ﷺ- في الحادي والسبعين، باب في الزهد وقر الأمل، (352/7)، حديث رقم: (10552)، وفيه أبو جعفر المدائني، وهو عبد الله بن المسور، قال الذهبي فيه: ليس بثقةٍ، ونقل عن أحمد قوله: أحاديثه موضوعة، كما في ميزان الاعتدال (504/2).
وكذا أخرجه الطبري في تفسيره بسنده عن ابن مسعود - ﷺ- مرفوعاً، وعن عبد الله بن المسور مرسلاً، (27/8).
وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (197/6).

٦- وهو قول الجهم بن صفوان ، وتبعه فيه الجهمية المنتسبون له، ومذهبهم في هذا الباب يتلخّص في الغلو في إثبات القدر، وجعل الإنسان كالريشة في مهبّ الريح، وأفعاله بمثابة حركات الأشجار، بمعنى أنَّه

الذي يكون طالباً للحق يريد الله أن يسهّل عليه طريق الحق والوصول إلى الإيمان فيشرح صدره للإسلام لإقامة الدلالات، كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت:69]، وقال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾[محمدﷺ:17] والمراد بالثاني أنَّ الذي يكون طالباً للباطل يصعب عليه طريق الوصول إلى الإيمان فيجعل الله صدره ضيقاً حرجاً بإقامة الدلالات على خلاف ما يطلبه [1]، وذهب بعض المفسّرين في معنى قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ معناه: من يرد أن يهديه في الآخرة إلى الثواب ونيل الكرامة يشرح صدره للإسلام في الدنيا بالدلالات ويجعل شرح صدره في الدنيا جزءا من ثوابه فيعجّله له في الدنيا، ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه ونيل كرامته في الآخرة يجعل صدره ضيّقاً حرجاً في الدنيا عقوبةً له على كفره من دون أن يكون ذلك حائلاً بينه وبين الإيمان بل ربما يكون ذلك داعياً إلى الإقلاع عن الكفر، فإنَّ من ضاق صدره بالشيء كان ذالك داعياً له للإقلاع عنه [2]، قال: والدليل على أنَّ الهدى يذكر لمعنى الهداية إلى الثواب قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ -

---

مسيّرٌ غير مخيّرٍ. والذي يظهر -والله أعلم- أنّه ليس هناك وجه دلالةٍ لهم على قولهم هذا الاية؛ لأنَّ الله- ﷻ- علم بعلمه الأزلي ما العباد فاعلون، فهو بنفوسهم أعلم، فعلم المستحق للهداية، وعلم نقيضه، فيسّر لكلٍّ منهم طريق خاتمته ومآله، للأوَّل بإرسال الرسل، وإقامة البراهين والحجج، وللثاني بالطبع على قلبه، وتزيين عمله له، وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له، ومع ذلك أعطى للعبد إرادةً ومشيئةً يختار بها طريقه، فلم يعد لأحدٍ حجة.

انظر: تفسير الطبري (30/8)، بحر العلوم (512/1)، البحر المحيط (203/4)، تفسير المنار (44/8-46)، شرح العقيدة الواسطية من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص:182.

١- وهذا القول وإن اختلفت عبارته عن الأوَّل فهما متداخلان، فإن علم الله من العبد صلاحاً وقبولاً للحق شرح صدره له، فإذا رأى الدلالات القائمة في كلّ شيءٍ حوله أذعن مباشرةً وقبل الحق، والعكس صحيحٌ.

٢- وقد ذكره الماوردي من غير نسبةٍ. انظر: تفسير الماوردي (560/1).

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد ﷺ 4-5] ومعـــلومٌ أنَّ الهداية بعد القتل لا تكون إلاَّ إلى الثـــواب، فإنَّه لا تكليف على أحدٍ بعد الموت [1]، والدليل على أنَّ شـــرح الصَّدر في الدنيا يكون ثواباً قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ - ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ - وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[2] [الشرح:1-4] ومعلوم أنَّ وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمّل أعباء الرسالة، وكذلك شرح الصدر الذي هو مقرونٌ بوضع الوزر، قال: والدليل على صحة هذا التأويل قوله ﷻ في سياق هذه الآية : ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والرجس: العقوبة[3]، فبيّن تعالى بهذا أنَّ الإضلال المذكور في أوَّل هذه ا لآية كان عقوبةً على الكفر، قال : وليس لأحدٍ أن يقول: إنَّا نرى أكثر الكفار طيبة القلوب على الكفر فكيف يصحّ هذا التأويل؟

وذلك أنَّ في الآية إخباراً أنَّه جلّ ذكره يجعل صدر الكافر ضيقاً، وليس في الآية أنَّه متى يفعل فنحن نقول إنَّه لابد أن يفعل فأما في [وقت يفعل][4] فإنَّه يفعله في الوقت الذي يعلم أنَّ فعله فيه أصلح[5].

## قوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [126]:

قيل: إنَّ قوله تعالى :﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الإسلام [6]، وقد قيل: هو إشارة إلى بيان

---

١- انظر: تفسير ابن كثير (309/7).

٢- انظر: المصدر السابق (429/8).

٣- وهو قول ابن زيد، وعطاء، وأبي عبيدة، وأصحّ ما روي في معناها، ما أسنده الطبري إلى ابن عباسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق علي بن أبي طلحة من أنَّ معنى الرجس: الشيطان. انظر: مجاز القرآن (206/1)، تفسير الطبري (31/8)، زاد المسير (121/3)، التفسير الصحيح (272/2).

٤- هكذا في المخطوط، ولعل المراد: في أي وقتٍ يفعل. والله تعالى أعلم.

٥- وهذا الكلام نقله الرازي عن الجبّائي. انظر: مفاتيح الغيب (179/13).

٦- وهو منسوبٌ للكلبي، وقول ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وعطاء بمعناه.

انظر: تفسير الطبري (32/8)، تفسير الماوردي (561/1)، زاد المسير (121/3، 122)..

القرآن[1]، وسمَّى ذلك مستقيماً لأنَّه يستقيم بمن يسلكه فلا يعوجّ بـه حتى يورده إلى الجنة [223/ب]، وقوله ﷻ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ معناه: أتينا بآية على إثر آيةٍ مفصلة مبينة لعلهم يتعظون بآيات الله ويتفكرون في دلالات القرآن فلم يبق لأحدٍ عذر في التخلف عن الإيمان بعد هذا البيان[2].

قوله ﷻ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [127]:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الله السلام، وداره الجنة، كأنَّه قيل: لهم جنة الله[3]، وقال الفرَّاء والزجاج: لهم دار السلامة الدائمة من كلّ آفةٍ وبليّةٍ[4]، ويقال: دار السلام هي التي يسلّم أهلها بعضهم على بعضٍ[5]، وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ معناه: مضمونٌ عند ربّهم يعطيهم، كقولك: لفلان عندي حقّ أي: مضمونٌ عندي أعطيه[6]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ أي: وهو ربّهم الذي يتولّى أمرهم بنصرهم في الدنيا وإكرامهم في الآخرة بما كانوا يعملون من الطاعة[7].

قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ

---

١- وهو منسوبٌ لابن مسعود-ﷺ-، واختاره ابن جرير.
انظر: تفسير الطبري (32/8)، زاد المسير (121/3).

٢- بحر العلوم (513/1).

٣- وهو مرويٌ عن السدّي، والحسن، وقتادة.
انظر: تفسير الطبري (32/8)، زاد المسير (122/3)، الدر المنثور (201/6).

٤- و لم أجده عن الفرَّاء، وهو عند الزجاج في معانيه (291/2).

٥- وهذا عزاه ابن الجوزي لأبي سليمان الدمشقي. انظر: زاد المسير (122/3).

٦- وبه قال الزمخشري، وقيل: بمعنى: في ضيافته، كما تقول: نحن اليوم عند فلانٍ بمعنى: في ضيافته.
انظر: الكشاف (49/2)، البحر المحيط (222/4)، تفسير القرطبي (83/7).

٧- وهو منسوبٌ إلى الحسين بن الفضل. انظر: تفسير البغوي (130/2).

**خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [128]:**

معناه: ويوم يحشر الخلائق كلهم للحساب والجزاء يقول : يا معشر الجن قد استكثرتم ممن أضللتموه أي : أضللتم كثيراً من الإنس وكُثُر متبعوكم منهم [1]، وقال قرناء الجن من الإنس : ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾، أمَّا استمتاع الإنس بالجن : ما روي عن الحسن وابن جريج [2] أنَّ العرب كانوا إذا سافروا ونزلوا وادياً خافوا على أنفسهم وقالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيتون في جوار منهم، وكانوا يرون ذالك استجارة بالجنّ[3]، وأمَّا استمتاع الجنّ بالإنس فكان عظماء الجنّ الجنّ يقولون قد سدنا الإنس مع الجنّ حتى أنَّ الإنس يعوذون بنا ويزدادون بذلك شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم [4]، وقوله تعالى : ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ ﴾ معناه: أدركنا ميقاتنا الذي وقّت لنا [5]، قيل: إنَّ المراد به وقت البعث [6]، وقيل: المراد به الأجل الذي هو وقت الموت [7]، وفي هذا دليل أنَّه لا يكون للمقتول أجلان

---

١- انظر: تفسير الطبري (33/8)، بحر العلوم (513/1)، زاد المسير (123/3).

٢- هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي الرومي، مولاهم المكي، الإمام الحافظ المجتهد، فقيه الحرم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، أخذ عن عطاء، وسمع من مجاهد، توفي سنة : (150هـ). انظر: طبقات الداوودي (353/1)، ترجمة رقم : (306). شذرات الذهب (226/1).

٣- وقد رواه أبو صالح عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهو قول الفرَّاء، والزجاج.
انظر: معاني القرآن للفرَّاء (354/1)، معاني القرآن للزجاج (291/2)، تفسير الطبري (33/8)، زاد المسير (123/3)، الدر المنثور (202/6).

٤- انظر: المصادر السابقة.

٥- تفسير الطبري (34/8).

٦- وهذا قاله المارودي. انظر: تفسيره (563/1).

٧- وهو مرويٌ عن السدّي، والحسن، واختاره ابن جرير.
انظر: تفسير الطبري (34/8) ، تفسير الماوردي (563/1).

بخلاف ما يقول بعض القوم إنَّ المقتول لو لم يقتل لكان يبقى حياً لا محالة [1]؛ لأنَّه قد في هؤلاء مقتولون وقد أخبروا كلهم أنَّهم بلغوا أجلهم الذي أجّله الله لهم [2]، وقوله تعـــالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ معناه: قال الله تعالى: النار مقرّكم ومنزلكم [3]، فإنَّكم قد أقررتم على أنفسكم باستحقاق العذاب ولزوم الحق عليكم، وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ قال عبد الله بن عباس: فكان ما شاء الله تعالى أبداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [4] وقال بعضهم: أراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ ما بين البعث من القبر إلى وقت الفراغ من الحساب فإنَّه لا يكون عليهم عذاب في ذلك الوقت، وقيل: أراد به إلاَّ ما شاء الله أن يعذّبهم من صنوف العذاب [5]، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ - خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هود:106-107]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ معناه: إنَّه حكيمٌ في عقابهم، عليمٌ بقدر ما استحقوا من العقوبة.

## قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [129]:

---

١- وهو قول المعتزلة، وهو باطلٌ؛ لأنَّه غير لائقٍ بالله- ﷻ- أن يكتب له أجلا يعلم أنَّه لا يبلغه البتة، أو يجعل أجله أحد أجلين، كفعل الجاهل بالعواقب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. انظر: شرح الطحاوية ص:100.

٢- العبارة كما هي في المخطوط، والمراد منها: أن قد يكون في هؤلاء القائلين إنَّهم بلغوا آجالهم مقتولٌ، فصرّح بأنَّه بلغ أجله مع كونه مقتولاً. والله أعلم. وفي تفسير الطبراني: لأنَّه قد كان في هؤلاء مقتولون. انظر: تفسير الطبراني (86/3).

٣- انظر: بحر العلوم (513/1).

٤- وهذا القول رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهو داخلٌ تحت ما ذكره الفرَّاء من أنَّ هذا الاستثناء من الاستثناء الذي لا يفعله قائله، فيطلقه وعزمه على الفعل الأوَّل.
انظر: معاني القرآن للفرَّاء (28/2)، زاد المسير (160/4).

٥- وهذان القولان ذكرهما الزجاج، وابن الجوزي، واختار الطبري الأوَّل منهما.
انظر: معاني القرآن للزجاج (292/2)، تفسير الطبري (34/8)، زاد المسير (124/3).

قال بعضهم: معنى الآية: مثل ما قصصنا من تسليط الجن على الإنس نسلّط بعض المجرمين على بعض بأعمالهم التي يعملو نها في الدنيا من الشر، ثمّ ننتقم منهم جميعاً في الآخرة بالنار[1]، وقال بعضهم : معنى الآية : كما أنزلنا بالجن والإنس الذين تقدَّم ذكرهم العذاب الدائم الذي لا محيص لهم عنه كذلك نَكِل بعض الظالمين إلى بعض على هذا الحد فلا يجدون غياثاً ولا ملجأ من حيث عصوا ربهم [2]، ويقال: معنى نولّي: نجعل بعضهم أولياء بعضٍ [3]، ويقال : معناه: كذلك نتابع بين الظالمين بإدخالهم النار؛ من التوالي [4]، قال عبد الله بن عباس : إذا رضي الله تعالى عن قومٍ ولّى أمرهم خيارهم وإذا سخط على قومٍ ولّى أمرهم شرارهم [5]، وقال الفضيل بن عياض[6]: إذا رأيت الظالم ينتقم من ظالمٍ فقف وانظر متعجباً[7] [8].

قوله ﷻ: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ

---

١- وهذا القول مرويٌ عن ابن زيدٍ. انظر: تفسير الطبري (35/8)، زاد المسير (124/3).

٢- وهذا القول ذكره الماوردي بلا نسبةٍ، وأورده القرطبي كذلك.
انظر: تفسير الماوردي (563/1)، تفسير القرطبي (85/7).

٣- وهذا القول مروي عن قتادة بسندٍ حسنٍ.
انظر: تفسير الطبري (34/8)، التفسير الصحيح (272/2).

٤- وهو مروي عن قتادة كذلك، والأوَّل أقوى منه إسناداً. انظر: المصدرين السابقين.

٥- وقد روى الثعلبي هذه الرواية عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق الكلبي عن أبي صالحٍ عنه، وهي طريقٌ ضعيفةٌ؛ لأنَّ الكلبي متهمٌ بالكذب.
انظر: الكشف والبيان (577/2)، تقريب التهذيب (ص:847)، رقم: (5938).

٦- هو: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، الطالقاني الأصل، الزاهد المشهور، قدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثمَّ انتقل إلى مكة وجاور بها حتى مات-رحمه الله- سنة: 187هـ.
انظر: وفيلت الأعيان (47/4-48)، شذرات الذهب (316/1-318).

٧- بحر العلوم (513/1)، تفسير القرطبي (85/7).

٨- وفي إيراد هذين الأثرين إشارةٌ إلى اختيار المؤلِّف للقول الأوَّل على أنَّ معنى التولية: التسليط.

**أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ [130]**:

في الآية بيان أنَّ الله تعالى بيّن لهم في الآخرة أنَّه أزاح عللهم في **[224/أ]** الآجل[1] ليعلموا أنَّهم إنَّما أوتوا من قبل أنفسهم وأنَّهم لا عذر لهم فيما جنوا على أنفسهم، ومعنى الآية: يقول لهم يوم القيامة يا معشر الجنّ والإنس لماذا فعلتم ما فعلتم؟ ألم يأتكم رسلٌ منكم يقرءون عليكم القرآن [2]، ويخوفونكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ وهو يوم القيامة؟ قال عبد الله ب ن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كانت الرسل تُبعث إلى الإنس وبُعث محمد ﷺ إلى الجنّ والإنس[3]، قال[4]: وهو كقولـه تعالى: تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:55]، وإنَّما يخرج من المالح منهما دون العذب، وكذلك الرسل من الإنس[5]، وقيل: لا يمتنع، أي: [أتقدم][6] ذكر الفريقين الفريقين أن يكون «منكم»[7] يرجع إلى آخرهما؛ لأنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ يقتضي من بعضكم[8]، وقال بعضهم: رسل الجنّ هم السبعة الذين سمعوا القرآن من

---

١- ولعلّه أراد بالعلل هنا أعذارهم، وما تعلّلوا به في عدم إسلامهم.

٢- والأولى في هذا الموضع التعميم كصنيع الطبري حين جعل المعنى في :﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى﴾: يخبرونكم بما أوحي إليهم. اهـ. والقرآن داخلٌ تحت عموم ما أوحي إلى الرسل.
انظر: تفسير الطبري (35/8).

٣- انظر: بحر العلوم (514/1)، تفسير القرطبي (86/7).

٤- وظاهر لفظ المصرِّف أنَّ القائل هنا ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-والذي وقفت عليه أنَّه من كلام الزجاج-رحمه الله وإيانا. انظر: معاني القرآن للزجاج (292/2).

٥- المصدر السابق.

٦- هكذا في المخطوط، بألفٍ قبل الفعل «تقدم».

٧- أي: الضمير الوارد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ في لفظة ﴿مِّنكُمْ﴾.

٨- وهذا اختيار الزجاج، وبه أخذ البيضاوي، وضعّف ابن عطية غيره. انظر: معاني القرآن ل لزجاج (292/2)، المحرر الوجيز (152/6)، تفسير البيضاوي (205/4).

رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم منذرين[1] ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ إلى آخر الآية [الأحقاف:30]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ فمعناه: أنَّهم لا يجدون جواباً إلاَّ الاعتراف بذنوبهم، يقولون : أقررنا على أنفسنا أنَّهم بلغوا الرسالة فكفرنا بهم، يقول الله تعالى : ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: غرتهم بزهرتها ونعيمها، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: أقرّوا في الآخرة أنَّهم كانوا كافرين في الدنيا[2].

قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [131]:

معناه: ذلك الأمر، ويقال : أراد به الإشارة إلى إرسال الرسل [3]، وقوله تعالى : ﴿أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ﴾ معناه: فعلنا ذلك لأجل أنَّه لم يكن ربَّك معذّب أهل القرى بشركهم وذنوبهم وأهلها غافلون عن الأمر والنهي وتبليغ الرسل [4]، أي: لم نهلكهم بذنوبهم قبل أن يأتيهم رسول يبيّن لهم وينهاهم عمَّاهم عليه من المعصية، فإن رجعوا وإلاَّ عذّبهم الله تعالى، ويقال : معنى قوله تعالى : ﴿بِظُلۡمٍ﴾ أي: لا يهلكهم بظلمٍ منه عليهم، ولا يعذّبهم وهم غافلون عما كلفوا من غير إقامة الحجة بما يقبح ويحسن

---

١- وبه قال مقاتل، والضحاك، وبنحوه قال مجاهد، إلاَّ أنَّه جعل من بلّغ القرآن بعد سماعه نذيراً، لا رسولاً، والأخير أجمع للأدلّة، والله أعلم.
انظر: تفسير مقاتل (370/1)، زاد المسير (125/3)، تفسير ابن أبي حاتم (20/4)، (7929)، بحر العلوم (513/1)، الدر المنثور (205/6)، التفسير الصحيح (273/2).

٢- انظر: تفسير الطبري (37/8).

٣- اسم الإشارة هنا إمَّا في موضع رفعٍ فيكون المعنى: ذلك الأمر، وهو اختيار سيبويه، أو كما ذكر الفرَّاء أنَّه يجوز نصبه فيكون المعنى: فعل الله ذلك، وعلى جميع القولين المعنى يرجع إلى إرسال الرسل.
انظر: معاني القرآن للفرَّاء (355/1)، معاني القرآن للزجاج (293/2)، معاني القرآن وإعرابه للنحاس (31/2).

٤- وهذا المعنى على الرأي الذي ذكره الفرَّاء بجواز كون اسم الإشارة في موضع نصبٍ على تقدير فعلٍ قبله. انظر: المصادر السابقة.

ومن غير بيّنة لهم من الرسل، ومن غير خواطر يوردها عليهم في قلوبهم[1].

قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [132]:

معناه: لكل عاملٍ من الفريقين مراتب في عمله لأهل الخير درجاتٌ في الجنة بعضها فوق بعضٍ، ولأهل الشر دركاتٌ في النار بعضها أشدّ عذاباً من بعضٍ[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لا يجري عليه السهو عن طاعة المطيعين ومعصية العاصين، فيجزي كلّ عاملٍ ما عَمِل[3].

قوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [133]:

وذلك أنَّ الله تعالى لما بيّن بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ أنّه يجازي كلّ عاملٍ بقدر عمله من ثوابٍ أو عقابٍ، وأنّه لا جوْر وأنّه لا ظُلم فيما يقضي به بين عباده، أتبع ذلك بما يجرى مجرى العلّة التي عندها لابدّ أن يكون كذلك[4] فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ أي: هو الغني عن إيمان العباد وعن طاعتهم، والغني هو الذي لا يحتاج إلى شيءٍ فيكون وجود كلّ شيءٍ وعدمه عنده

---

١- وهذا معنى قول مجاهد، واختاره الطبري، والقولان متداخلان، فإهلاكهم مع غفلتهم عن الأمر والنهي نظير إهلاكهم من غير إقامة الحجة، وكلاهما منفيٌّ عن الله تعالى.
انظر: تفسير الطبري (37/8)، تفسير الماوردي (563/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (38/8)، بحر العلوم (514/1).

٣- انظر: بحر العلوم (514/1).

٤- والمراد-والله أعلم- أنّه مجازٍ لكلّ عاملٍ بما عمل، من غير جورٍ، ولا ظلمٍ، تعالى عن ذلك؛ لأنّه غنيٌّ عن العباد، لا تزيد طاعتهم في ملكه، ولا تنقص معصيتهم منه، وإنّما يحصي عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها، وقريبٌ من هذا المعنى ذكره الأستاذ ابن عاشور في تفسيره (85/8). وانظر: البحر المحيط (227/4).

سواءٌ[1]، وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ بيان أنَّه تعالى مع كونه غنياً عن شكر العباد وطاعتهم ذو إنعامٍ عليهم وإذا اجتمع في صفته أنَّه غني عنهم فلابدَّ أن يكون فاعلاً لما يستحقه العبد على قدر درجته واستحقاقه[2]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾معناه:إن يشأ يهلككم يا أهل مكة ويخلق من بعد إهلاككم خلقاً آخر خيراً وأطوع لله منكم[3]، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ أي: مثل ما ابتدأ خلقكم قرناً بعد قرنٍ من أولاد قومٍ هالكين[4].

**قوله ﷻ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [134]:**

معناه: إنَّ الذي تخافون من البعث والعذاب لكائن لا خل ف فيه وما أنتم بفائتين أن ندرككم، أي لستم تقدرون أن يعجز الله عن إدراككم[5].

**قوله ﷻ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [135]:**

معناه: قل لهم يا محمد: اثبتوا على حالكم، وعلى عملكم القبيح الذي

---

١- والغنى صفةٌ ذاتيةٌ لله -ﷻ-؛ لأنَّه لا يفتقر إلى شيءٍ من جهةٍ من الجهات، وغناه عن طاعة المطيعين داخلٌ في ما ذكر. انظر: بحر العلوم (514/1)، المحرر الوجيز (154/6)، تفسير ابن كثير (342/3).

٢- والذي يظهر لي-والله أعلم- أنَّ ما ذكره: من أنَّ الغنى عن العباد يلزم منه فعل ما يستحقّه العبد غير دقيقٍ؛ فإنَّ الغنى عنهم إنَّما هو عقلاً أنفى للظلم الناتج عن الافتقار إلى بعضهم دون بعضٍ، وإنَّما عدل الله -ﷻ- المتمثّل في مجازاة المحسنين بالإحسان والمسيئين بعكسه مستفادٌ مما أخبر به - تعالى- عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله- ﷺ- بأنَّه لا يظلم مثقال ذرّةٍ،، وأنَّه لا يظلم أ حداً، وأنَّه ليس بظلاَّمٍ للعبيد، وأنَّه-ﷻ- هو الحكم العدل.

٣- وتخصيص الكلام بأهل مكة قولٌ للبعض، والقول بالعموم أولى. انظر: تفسير الطبري (38/8)، تفسير البغوي (132/2)، زاد المسير (127/3)، البحر المحيط (228/4).

٤- انظر: تفسير الطبري (38/8).

٥- انظر: مجاز القرآن (206/1)، بحر العلوم (515/1).

أنتـــم عليه، وعلى منازلكم إنَّي عاملٌ في أمـــري على منزلتي[1]، وهذا على سبيل الـــوعيد والتهديد[2]، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ دليلٌ على ذلك، ومعناه: ســـوف يتبيّن لكم أيّنا تكون له العاقبة المحمودة في الدنيـــا والآخرة[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[224/ب] معناه: إنَّه لا يظفـــر الظالمون بمرادهم[4]، ومن قرأ: ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾[5] فعلى لفظ الجماعة[6]، ومن قرأ: ﴿يَكُونُ﴾ بالياء[7]؛ فلأنَّ تأنيث العاقبة ليس بحقيقي[8].

**قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[136]:**

روي عن عبد الله بن عباس أنَّه قال: وذلك أنَّ أهل الجاهلية كانوا إذا حرثوا حرثاً جعلوا لله تعالى حظاً، فقالوا: ما دون هذا الحظّ لآلهتنا ينفق عليها وعلى سدنة البيت خدَّام الأصنام، وما وراء هذا الحظّ لله نتصدّق به على أهل الحاجة والمسكنة والسائلين، فكانوا إذا أرسلوا الماء فيما سمّوه لله- تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً- فانفجر منه إلى الذي جعلوه لآلهتهم تركوه وقالوا: هذا أحوج والله تعالى غني عنه، وإذا انفجر الماء من الذي جعلوه لآلهتم ردّوه وقالوا: ليس لآلهتنا بدٌّ من النفقة،

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (293/2)، تفسير الماوردي (566/1).
٢- انظر: تفسير الطبري (39/8)، معاني القرآن للزجاج (294/2).
٣- انظر: المصدرين السابقين.
٤- انظر: تفسير الطبري (40/8).
٥- وهي رواية شعبة عن عاصم. انظر: البحر المحيط (228/4)، النشر (263/2).
٦- انظر: البحر المحيط (228/4)، الدر المصون (158/5).
٧- وهي قراءة حمزة والكسائي و خلف العاشر. انظر: النشر (263/2).
٨- انظر: الموضح (505/1)، المحرر الوجيز (155/6).

وكانوا إذا هلك الذي لآلهتهم وكثر الذي لله أخذوا الذي لله تعالى وأنفقوه على الأصنام، وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا: لو شاء الله تعالى لأربى الذي له، وكذلك كانوا يفعلون في الأنعام في الثمانية الأزواج ونحوها فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]، ومعناها: وجعل المشركون من أهل مكة لله تعالى مما خلق من الزرع والأنعام نصيباً، أي: جعلوا من ذلك نصيباً لله تعالى ونصيباً لشركائهم، فاقتصر على ذكر أحد النصيبين في ابتداء الآية؛ لأنَّ في الكلام دليلاً على الآخر[2]، ومعنى الذرء: إظهار الخلق بالاختراع[3]، وقد يسمى ما يلتقى الزرع حرثاً، كما قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:223]، فعلى هذا يجوز أن يكون معنى الحرث: الأرض التي تزرع[4]، وقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا لِلَّهِ﴾ أي: قالوا هذا النصيب لله تعالى بقولهم، لم يأمرهم الله تعالى بذلك، ﴿وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ أي: هذا النصيب الآخر لآلهتنا، ومن قرأ ﴿بِزُعْمِهِمْ﴾ بضم الزاي[5]، وفيه لغةٌ أخرى بكسر الزاي[6]، أي: كما يقال: وَدّ ووِدّ ووُدّ، وسَقطْ وسُقطْ وسِقطْ[7]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا

---

١- وأغلب ما في هذا الأثر مروي عن ابن عباس بسندٍ حسنٍ من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالحٍ عن علي بن أبي طلحة عن أبي طلحة-ﷺ-، وبعض ألفاظه من قوله: «فإذا هلك الذي لآلهتهم وكثر الذي لله أخذوه وأنفقوه...»، مروي عن السدي.
انظر: تفسير الطبري (41/40/8)، بحر العلوم (516/1)، الدر المنثور (210/6-211)، التفسير الصحيح (274/2-275).

٢- انظر: بحر العلوم (516/1)، تفسير البغوي (133/2).

٣- انظر: مجاز القرآن (260/1)، تفسير الطبري (40/8)، بحر العلوم (516/1).

٤- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص226، مادة: حرث.

٥- وهي قراءة الكسائي. انظر: الدر المصون (159/5)، النشر (263/2).

٦- وهي لغة لبعض قيس، وبني تميم، ولم يقرأ بها. انظر: المحرر الوجيز (155/6)، البحر المحيط (230/4)، الدر المصون (159/5).

٧- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (356/1)، الموضح (505/1)، الدر المصون (159/5).

﴿كَانَ لِشُرَكَآيِهِمْ﴾ معناه: ما كان من نصيب آلهتهم فلا يرجع إلى الذي جعلوه لله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ فهو يرجع إلى الذي جعلوه لشركائهم[1] ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس ما يقضون؛ يُوَفِّرون نصيب الأصنام وينقصون نصيب الرحمن، فبئس الحكم حكمهم في الاشتراك والقسمة أن قالوا : إنَّ الله تعالى غني، فَلِمَ جعلوا الأصنام شركاءه؟ وإن جعلوا الأصنام شركاءه فَلِمَ عدلوا عن التسوية في القسمة؟ ولكنهم يضمون إلى الكفر والتكذيب للرسل ما هم عليه من الجهل الذي لا غاية بعده مع إقرارهم بالله تعالى وبأنَّه هو الخالق لهذه الأمور[2]. وبالله التوفيق.

قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [137]:

في الآية بيان أنَّ بعض أحوال هؤلاء الكفار في الجهل وقبح الطريقة مُشَاكِل للبعض، قال عبد الله بن عباس[3]: إنَّ أهل الجاهلية كانوا يدفنون بناتهم أحياء كراهية كراهية للبنات[4]، وكان الرجل منهم يقوم فيحلف بالله تعالى لئن ولد له كذا، وكذا

---

١- وهذا المعنى راجعٌ إلى المروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (42/8)، بحر العلوم (516/1).

٢- انظر: تفسير ابن كثير (344/3).

٣- وهذا الأثر لم أجده مروياً عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- والمروي عنه في هذه الآية: أنَّه قال: زينوا لهم قتل أولادهم. وإسناده حسن. انظر: تفسير الطبري (43/8)، الدر المنثور (213/6)، التفسير الصحيح (275/2).

٤- وهو قريبٌ من المروي عن مجاهد، والسدي- رحمنا الله وإياهما-. انظر: تفسير الطبري (43/8)، بحر العلوم (516/1)، تفسير الماوردي (567/1)، الدر المنثور (213/6).

وكذا غلاماً لينحرنّ أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله [1]، قال: وكان لآلهتهم خدام يقومون عليهم؛ هم الذين كانوا يزينون للمشركين قتل أولادهم [2]، ومعنى الآية: مثل ذلك الفعـــل القبيح الذي تقدَّم ذكره زين لكثير من من المشركين دفن بناهم تحت التراب أحيـــاء كراهية لهنَّ ومخافة الفقر [3]، وقوله تعالى: ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أي: قرناؤهم وشياطينهـــم [4]، ويقال: هم السّدنة خُدَّامُ الأصنام، ومن قرأ: ﴿زُيِّنَ﴾ بضم الزاي وضم القتل على فعل ما لم يسم فاعله [5] كان الشركاء محمولين على المعنى على الفاعل كأنَّه قال: زين، ثم قال: شركاؤهم على إضمار زيّنه؛ بيانا للمزيِّن [6]، كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح [7]

أي: ليبك عليه الضارع والمختبط، ومن قرأ ﴿زَيَّنَ﴾ بنصب الزاي ونصب

---

١- والعبارة هنا غير دقيقةٍ، فعبد الله لم يكن موجوداً حين حلف عبد المطلب ليذبحنّ أحد أبنائه إن وهبه الله عشرة من الذكور، فاليمين لم يكن على معيّنٍ، ولكن لَمَّا أراد البرّ بقسمه وقع السهم على عبد الله، وهذا القول منسوبٌ إلى الكلبي. انظر: تفسير الماوردي (567/1)، تفسير البغوي (143/2).

٢- وهو قول الفراء، ومنسوبٌ إلى الكلبي. انظر: تفسير البغوي (134/1)، معاني القرآن ل لفرَّاء (357/1)، تفسير الماوردي (567/1).

٣- وهو قول السدي ومجاهد-رحمنا الله وإياهما- كما سبق.

٤- وهو مروي عن السديّ، وابن زيد، ومجاهد، ونسب إلى الحسن- رحمنا الله وإيَّاهم أجمعين- . انظر: تفسير الطبري (43/8)، تفسير الماوردي (567/1).

٥- وهذه القراءة غير متواترةٍ، والمصنّف- رحمنا الله وإيَّاه- لم يتمّ قيودها، وهي بضم الزاي على البناء للمجهول، ورفع القتل على أنَّه نائب فاعلٍ، وخفض «أولادهم» على الإضافة، ورفع «شركاؤهم»، وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعبد الملك قاضي الجند، صاحب ابن عامر.
انظر: البحر المحيط (231/4)، الدر المصون (177/5).

٦- انظر: المصدرين السابقين.

٧- نسبه سيبويه في الكتاب للحارث بن نهيك (345/1).

القتل[1] فهو ظاهر، وقرأ ابن عامر[2] ﴿زُيِّنَ﴾ بضم الزاي و﴿قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ﴾ بضم اللاّم ونصب الدال[3] و﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بالكسر[4] ومعنى ذلك على التقديم والتأخير، كأنَّه قال: زُيِّن لكثيرٍ من المشركين قتل شركائِهم أولادَهم[5]، فيكون معنى الشركاء الكفار [القاتلين المتقدمين منهم والباقين][6]، وقرأ بعضهم [225/أ] ﴿أَوْلَادِهِمِ شُرَكَائِهِم﴾ كلاهما بالكسر[7]، فيكون الشركاء من نعت الأولاد؛ لأنَّ أولادهم شركاؤهم في أموالهم، معناه: زين لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم الذين هم شركاؤهم في أموالهم[8]، وقوله تعالى: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ معناه: ليهلكوهم[9]، ويجوز أن

---

١- على بناء الفعل للمعلوم "زَيَّنَ"، و"قتلَ" بالنصب على أنَّه مفعولٌ به مقدَّم، وهو مضاف لـــ "أولادهم" المجرور بالإضافة ، و"شركاؤهم": فاعل مؤخّر.

وهي قراءة العشرة خلا ابن عامر.

انظر: النشر (265/2).

٢- هو: عبد الله بن عامر اليحصبي، الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، أبو عمران بن عامر بن يزيد بن ربيعة، يكنى أبا عامر، أو أبا نعيم، ونسبه ثابتٌ ليحصب بن دهمان، بطن من حمير، وحمير بن قحطان، قرأ على معاوية، وواثلة بن الأسقع، وعرض على أبي الدرداء- ﷺ- وولي قضاء دمشق، له حديثٌ في صحيح مسلم، وتوفي رحمه الله في المحرم من عام 118هـــ.

انظر: طبقات القرَّاء (59/1-68)، غاية النهاية (380/1-381).

٣- أي: بضم اللاَّم في "قتل"، ونصب الدال في "أولادهم".

٤- انظر: الموضح (505/1)، البحر المحيط (231/4)، النشر (263/2).

٥- انظر: الموضح (506/1)، التبيان (541/1)، الدر المصون (162/5).

٦- ما بين المعقوفتين من الجموع حقه الرفع بالواو، وهو كذلك في تفسير الطبراني بالواو (90/3).

٧- وهي محكيةٌ عن فرقةٍ من أهل الشام. انظر: إعراب القرآن للنحاس (33/2)، تفسير الطبري (44/8)، المحرر الوجيز (158/6)، الدر المصون (178/5).

٨- المصادر السابقة.

٩- انظر: تفسير الطبري (43/8)، بحر العلوم (516/1).

تكون هذه اللاَّم لام العاقبة فإنَّه لم يكن غرضهم بذلك الأمر إهلاكهم [1]، ويجوز أن أن تكون لام العرض؛ لأنَّه قد كان فيهم معاندون وغير معاندين فغلّب صفة المعاندين على صفة غيرهم [2]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ معناه: وليخلّطوا أو يشبّهوا عليهم دين أبيهم إسماعيل [3] عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ معناه: ولو شاء الله أن يمنعهم عن دفن البنات أحياءاً ما فعلوه [4]، وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ معناه: اتركهم وافتراءهم على الله تعالى أنَّه جلّ ذكره أمرهم بدفن البنات أحياء، فإنَّ الله تعالى مع قدرته عليهم، تركهم فاتركهم أنت إنَّ لهم موعداً يحاسبون فيه [5].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [138]:**

معناه: وقالوا: هذه الأنعام والحرث التي جعلوا بعضها لله تعالى عن ذلك وبعضها للأوثان حجراً أي حرام [6] من قوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:22] أي: حراماً

---

١- وفرّق الزمخشري فقال: إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل، وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة. اهـ. فإنَّ السدنة زيّنوا لهم ذلك غير عالمين بما يصير إليه فكانت العاقبة هلاكهم. انظر: الكشاف (54/2).

٢- وكلّ أقوال المفسرين التي أطلعت عليها تدور حول القولين الأوَّلين، و لم أقف على من جعل اللاَّم هنا للعرض، وقد يكون رأياً خاصاً بالمصنّف-رحمنا الله وإيَّاه-.

٣- انظر: تفسير الطبري (43/8)، بحر العلوم (516/1)، تفسير البغوي (134/2).

٤- وهو الظاهر؛ لأنَّ قتل الأولاد هو المصرّح به، والمحدَّث عنه. انظر: تفسير الطبري (43/8)، البحر المحيط (233/4).

٥- انظر: بحر العلوم (516/1)، زاد المسير (131/3).

٦- وهو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن مجاهد، والسدي، والضحاك، وقتادة مثله . انظر: تفسير الطبري (46/8)، المحرر الوجيز (159/6).

محرّماً[1]، وأصل الحجر المنع فكأنه منع بتحريمه[2]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ معناه: لا يأكلها ولا يذوقها إلاَّ من نأذن له في أكلها وهم الرجال دون النساء[3]، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بقولهم[4]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي البحيرة والسائبة والحام حرّموا الركوب عليها [5]، فأمَّا الوصيلة فإنَّها كانت من الغنم خاصة[6]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ معناه: وأنعام أخر أخر وكانوا يذبحونها لأصنامهم تقرّباً إليها زعموا أنَّ الله تعالى أمرهم بذلك، ويقال : هي التي كانوا يذبحونها من دون ذكر اسم الله تعالى عليها [7]، وقال أبو وائل[8]: هي هي الأنعام التي كانوا لا يحجون عليها [9]، وقوله تعالى: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ نصب على

---

١- انظر: تفسير الماوردي (568/1).

٢- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص220، مادة: حجر، لسان العرب (165/4).

٣- انظر: بحر العلوم (516/1).

٤- وكان مالك بن عوف هو الذي يفتيهم بجواز البعض، وتحريم البعض، وهو زعم باطلٌ لا حجة فيه .
انظر: معاني القرآن للزجاج (294/1)، بحر العلوم (516/1).

٥- والبحيرة: هي التي تتابع لها خمسة أبطن، فتشق أذنها فلا تركب ولا تحلب، والسائبة: هي التي تتابع لها عشر إناثٍ ليس بينهنّ ذكرٌ، فتُسيَّب، فلا يركب ظهرها، ولا يحلب لبنها إلاَّ لضيفٍ، والحام: هو البعير الذي نتج من ظهره عشرة أبطن، فيقال: حمى ظهره، ويخلى. انظر: تفسير الطبري (88/7)، تفسير الماوردي (492/1-493).

٦- انظر: تفسير الماوردي (493/1).

٧- والقولان ذكرهما الماوردي من غير نسبةٍ.
انظر: تفسير الماوردي (568/1)، زاد المسير (132/3).

٨- هو: شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي، أدرك النبي -ﷺ- ولم يلقه، وسمع عمر، وعثمان، وعلياً، وابن مسعود، وعماراً، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم من الصحابة-ﷺ- ثقة، سكن الكوفة، وقاتل مع عليٍّ-ﷺ- بالنهروان، وتوفي رحمه الله في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة.
انظر: تاريخ بغداد (269/9)، وفيات الأعيان (476/2)، تقريب التهذيب ص439، (2832).

٩- انظر: تفسير الطبري (47/8)، الدر المنثور (215/6).

معنى: لا يذكرون اسم الله عليها كذباً على الله أنَّه أمرهم بذلك، وسمَّاه سيبويه مفعولاً به[1]، وقال: إنَّما انتصب على معنى يقولون هذه الأفعال افتراءً على الله تعالى تعالى أنَّه أمرهم بذلك[2]، وقيل: هو نصب على المصدر، على تقدير: افْتَرَوْا على الله الله افتراءً[3]، وقال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِم﴾ أي سيكافيهم بكذبهم وافترائهم على الله تعالى[4]، وقد بيّن الله تعالى بهذه الآية أنَّ الكفار عمدوا إلى نَعَم لا فصل بينه وبين غيره فحرّموا قدراً منه إلاَّ على خدم آلهتهم، وألحقوا بذلك نَعَماً لا يذكرون اسم الله تعالى عليها في كذبهم على الله تعالى وتمسكهم بالهوى فيما يَحِلُّ ويَحْرُم، وعدولهم عن طريقة العلم والدين[5].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [139]:**

معناه: وقال أهل الجاهلية: إنَّ الأجنّة التي في بطون هذه الأنعام[6] التي زعموا أنَّها

---

١- والمنقول عن سيبويه أنَّه يراه مفعولاً له، لا مفعولاً به، وهو في المخطوط بالباء.
انظر: معاني القرآن للزجاج (294/2).

٢- انظر: المصدر السابق.

٣- انظر: إعراب النحاس (34/2)، المحرر الوجيز (160/5)، التبيان (542/1)، البحر المحيط (233/4).

٤- انظر: تفسير الطبري (47/8).

٥- وما ذكره المصنف آخراً في تفسير الآية هو بمثابة المعنى الإجمالي. وقد سبق تفصيل المعنى. وبالله التوفيق.

٦- وهذا القول مروي عن مجاهد، والسدي في أصحّ ما روي عنه.
والمروي عن ابن عباس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، وعن قتادة أنَّ المراد بما في بطونها: اللّبن، فيشربه الرجال دون النساء. وذكر الطبري أنَّ اللفظ يعمهما. والأجنة هي التي في البطن حقيقة أمَّا اللّبن ففي الضرع.

أنَّها لأوثانهم[1] إذا انفصلت عن الأمهات فهي ﴿خَالِصَةٌ﴾ أي: حلالٌ لرجالنا[2] ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: على نسائنا ما دامت تلك حية[3]، وأمَّا تأنيث ﴿خَالِصَةٌ﴾ فعلى المعنى كأنَّهم قالوا: جماعة ما في بطون هذه الأنعام، أو الأنعام التي في بطون هذه الأنعام[4]، وأمَّا تذكير قوله: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾؛ فلأنَّه مردودٌ على لفظ ما[5]، ومن نَصَبَ الخالصة على القطع[6]، فتقديره: ما في بطون هذه الأنعام لذكورنا خالصاً[7]، وقرأ بعضهم ﴿خَالِصُهُ﴾ على الإضافة إلى الهاء[8]، وأمَّا قوله: ﴿وَإِن يَكُن

---

انظر: تفسير الطبري (8/47-48)، المحرر الوجيز (6/161)، البحر المحيط (4/234)، التفسير الصحيح (2/276).

١- والمراد بها ما سبق ذكره من البحائر والسوائب والوصائل والحماة.

٢- وهذا ليس بمعنى خالصة؛ وإنَّما هو لازم المعنى، فمعنى قولك: هذا الشيء خالصة لك، أي: خالصٌ لك خاصة. فالمعنى هنا أنَّ الأنعام المذكورة ما في بطونها من الأجنة خاص أكله بالرجال؛ فهو حلالٌ لهم دون النساء. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص292 مادة: خلص، لسان العرب (7/26).

٣- والإشارة هنا عائدة-والله أعلم- على الأجنة التي في بطون الأنعام السابق ذكرها.

٤- وهذا مذهب الزجاج، وذهب الفراء إلى أنَّ التأنيث حصل لكون الأنعام مؤنثة فما في بطونها مثلها، وذهب جماعة منهم ابن عطية -وهو مذهبٌ منسوبٌ للكسائي- إلى أنَّ الهاء فيه للمبالغة كما في نسّابة وعلاَّمة، وهو اختيار ابن جرير .انظر: معاني القرآن للفراء (1/358)، معاني القرآن للزجاج (2/294)، تفسير الطبري (8/49)، المحرر الوجيز (6/161).

٥- المراد به أنَّ لفظ «محرّم» ذكّر؛ لأنَّه يعود على لفظ ما الواردة في قوله: ﴿مَا فِى بُطُونِ﴾ ولفظها مذكر؛ فهي اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي. والحاصل أنَّه حمل ﴿خَالِصَةٌ﴾ على المعنى، ثم حمل ﴿مُحَرَّمٌ﴾ على اللفظ، وليس له نظيرٌ في القرآن كما ذكره السمين.

انظر: معاني القرآن للزجاج (2/295)، الدر المصون (5/184).

٦- والقائل بالنصب على القطع هو الفرَّاء، وهي قراءة قتادة، والأعرج، وابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: معاني القرآن للفرَّاء (1/358)، إعراب النحاس (2/34)، الدر المصون (5/184).

٧- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (1/358).

٨- أي: ﴿خَالِصُهُ﴾ بإضافة لفظ خالص إلى هاء الغيبة. وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، والزهري،

مَّيۡـتَةً ﴾ فمعناه: قالوا: وإن تكن أجنة هذه الأنعام ميتةً [1] ﴿فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ ﴾ الرجال والنساء[2]، ومن قرأ ﴿تَكُنۡ مَيۡتَةٌ﴾ بالتاء ورفع الميتة[3] فعلى معنى يحدث ويقع كما في قوله ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ ﴾[4][البقرة:280]، ومن قرأ ﴿يَكُن﴾ بالياء[5] فعلى لفظ ما، أي : إن يكن ما في البطون، وتأنيث الميتة على المعنى [6]، وأمَّا قوله : ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ فمعناه: سيجزيهم في الآخرة بوصفهم الذي وصفوا في هذه الأنعام، إلاَّ أنَّه لما حذف الباء انتصب[7]، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَصۡفَهُمۡۚ﴾ منصوباً على معنى سيجزيهم جزاء وصفهم[8]، إلاَّ أنَّه حذف الجزاء وأجرى إعرابه على

---

وعكرمة، وابن يعمر، وأبي حيوة . ويوجه بأنَّه بدلٌ من «ما»، أو مبتدأ، خبره: لذكورنا، والجملة خبر «ما». انظر: زاد المسير (133/3)، البحر المحيط (234/4).

١- و«يكن» هنا جاء بصيغة التذكير حملاً على لفظ «ما»، أو لأنَّ الفاعل المسند إليه الفعل مؤنثٌ تأنيثاً غير حقيقيٍّ فجاز تذكيرفعله. انظر: معاني القرآن للأخفش (504/2)، معاني القرآن للزجاج (295/2)، الموضح في وجوه القراءات وعللها (508/1-809).

٢- انظر: تفسير الطبري (50/8)، بحر العلوم (517/1).

٣- وهي قراءة ابن عامر وأبي جعفر. انظر: النشر (265/2-266).

٤- أي: على اعتبار «كان» المتصرفة هنا تامة، بمعنى الحدوث والوجود والوقوع، أي : إن وُجدت ميتة، ومثله: إن وجد ذو عسرة . انظر: معاني القرآن للزجاج (295/2)، زاد المسير (133/3)، البحر المحيط (235/4).

٥- وهي قراءة العشرة، غير ابن عامر، وشعبة عن عاصم، وأبي جعفر . انظر: الدر المصون (186/5)، النشر (265/2).

٦- انظر: الدر المصون (186/5)، النشر (265/2).

٧- انظر: تفسير الطبري (50/8)، بحر العلوم (517/1).

٨- وعلى هذا القول جماعةٌ من المفسّرين.
انظر: معاني القرآن للزجاج (295/2)، تفسير البغوي (135/2)، تفسير البيضاوي (212/4)، البحر المحيط (235/4).

وصفهم[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ معناه: إنَّه حكيم في مجازاتهم، عليمٌ بمقدار جزائهم[2].

قوله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ [ أ /ب] مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [140]:

معناه: قد غُبِنَ[3] الذين دفنوا بناتهم أحياءً جهلاً منهم من غير علمٍ ولا بيان حجةٍ[4]، ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: حرّموا على أنفسهم ما أعطاهم الله تعالى من الرزق من الأنعام والحرث، يعني: أنَّ هؤلاء الكفار بجهلهم يقتلون البنات أحياءً مخافة الفقر والإنفاق، ثم يجعلون طائفة من أموالهم لهذه الأوثان ويحرمونها على إناث أولادهم، وقوله تعالى: ﴿ٱفْتِرَآءً﴾ معناه: يفترون ذلك افتراءً على الله أنَّ الله تعالى حرّم هذه الأشياء[5]، قال عبد الله بن عباس: نزلت هذه الآية في ربيعة[6] ومضر[7]

---

١- بمعنى أن «وصفهم» حذف مضافه، فانتصب لفظاً.

٢- انظر: البحر المحيط (235/4).

٣- تقول: رجلٌ مغبونٌ، أي: مخدوع، ويدلّ الغبن على ضعف الرأي، فهنا يكون الغابن لهم أو الخادع لهم: عقولهم، أو الشيطان، أو بعضهم لبعض، والله أعلم.
انظر: لسان العرب (309/13).

٤- فإنَّ من قتل ولده منهم قد خسر ولده في الدنيا، وخسر بعض ماله بتحريمه بعضه على نفسه وعلى أهله، وخسر في الآخرة رضوان الله والجنة، بكذبه وافترائه على الله، وقد يكون الخسران هنا إشارة إلى هلاكهم، فمن فعل مثل فعلهم فقد أهلك نفسه.
انظر: تفسير الطبري (51/8)، تفسير ابن كثير (347/3).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (294/2)، بحر العلوم (517/1-518).

٦- نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان.
انظر: نسب معد واليمن الكبير (17/1)،

ومضر[1] وأحياء العرب الذين كانوا يدفنون بناهم في الجاهلية أحياء إلاَّ ما كان من بني كنانة[2] فإنَّهم كانوا لا يفعلون ذلك [3]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ معناه: قد ضلوا في فعلهم هذا عن الهدى[4]، وما كانوا مهتدين من الضلالة[5].

**قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [141]:**

أول هذه الآية راجع إلى ما قبلها كأنه قال: افتروا على الله الكذب وهو المحدث لهذه الأشياء، الفاعل لما لا يقدر أحد على الإتيان بمثله [6]، ومعنى الآية: وهو الذي

---

١- نسبة إلى مضر بن نزار بن معدَّ بن عدنان.
انظر: الأنساب للسمعاني (313/4)، لب اللباب في تحرير الأنساب (261/2).

٢- نسبة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص11.

٣- و لم أجده مروياً عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بسندٍ متصلٍ، ولكن نسبه إليه بعض المفسّرين كابن الجوزي، وهو مسطورٌ في تنوير المقباس المنسوب لابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقد روى الطبري نحوه عن عكرمة.
انظر: تفسير الطبري (51/8)، زاد المسير (143/3)، تنوير المقباس ص157.

٤- والقول بأنَّ الضلال متعلِّقٌ بفعلهم المذكور في الآية هو اختيار الطبري-رحمنا الله وإيَّاه- وروي عن أبي رزين أنَّه كان يرى أنَّ قوله قد ضلوا المراد به: قبل فعلهم هذا.
انظر: تفسير الطبري (51/8).

٥- والمعنى-والله تعالى أعلم- وما كانوا مهتدين إلى الحق قبل هذا الفعل الذي ضلُّوا به عن الحق. وهذا المعنى يقوّي ما ذكره الطبري في أنَّ ضلالهم متعلّقٌ بقتل أولادهم، وتحريم بعض ما أُحِلَّ لهم.
انظر: تفسير الطبري (51/8)، المحرر الوجيز (136/6).

٦- وكون الله-ﷻ- هو الخالق لما ذكر في الآية دليلٌ على استحقاقه للربوبية المستلزمة للإفراد بالعبادة، وكذا فإنَّ في ذكر خلق الله لهذه النعم تذكيراً بمنّة الله-ﷻ- عليهم بنعمٍ لا تحصى، وفيه تنبيهٌ لهم إلى وجوب الرجوع إلى الحقّ، بذكر هذه النعم بعد ذكر سوء تصرّفهم في ما أنعم الله به عليهم. انظر: نظم الدرر (726/2)، التحرير والتنوير (117/8).

ابتدأ خلق بساتين [1] ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ وهي الكروم رفع بعض أغصانها على بعض [2]، ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ وهي الشجر والزرع وكلٌّ ما لا يرتفع بعضه على بعض هكذا روي عن ابن عباس والحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا [3]، ويقال معنى ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما يرفع له حيطان، ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما لا يجعل عليه حائط [4]، وأصل العَرْشِ: الرفعُ، ومنه العَرْشُ الذي هو السرير؛ سمي بذلك لارتفاعه [5]، ومنه قوله تعالى: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:259، الكهف :42، الحج :45]، أي: ساقطة حيطانها على سقوفها [6]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ معناه: وأنشأ النخل والزرع [7]، وهذا تخصيص بعض ما دخل في عموم الأوَّل [8]؛ لكونهما أعمُّ نفعاً من جملة ما يكون في البساتين، وقوله: ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾، أي: مختلفاً حمله [9] من الألوان كلّها، ومختلفاً

---

١- انظر: تفسير الطبري (52/8)، معاني القرآن للزجاج (296/2).

٢- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (359/1)، بحر العلوم (518/1)، تفسير البغوي (135/2).

٣- وهو مرويٌّ عن ابن عباس، وعنه أيضاً أنَّ المعروش ما أنبته الناس، وغيره، ما خرج في البراري والجبال من الثمر، وعنه كذلك، أنَّ المعروش وغير المعروش: الكرم، منه ما عرش، ومنه ما لم يعرش، وأثبتها عنه إسناداً -ﷺ- الثاني؛ إذ رواه الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة عنه . وهو إسنادٌ حسنٌ. انظر: تفسير الطبري (52/8)، زاد المسير (134/3)، تفسير ابن كثير (347/3)، التفسير الصحيح (277/2).

٤- وهذا القول ذكره المارودي من غير نسبةٍ. انظر: تفسير الماوردي (569/1).

٥- انظر: تفسير الماوردي (569/1)، لسان العرب (313/6).

٦- انظر: المصدرين السابقين.

٧- بحر العلوم (518/1)، تفسير البغوي (135/2).

٨- إذ النخل والزرع داخلان في عموم الجنات.

٩- هكذا كتب في المخطوط، ولعلّ المراد «حِمْله»، أي: ما يحمله النخل أو الزرع من الثمر، وهو- أعني الثمر- المراد بالأكل هنا.

انظر: تفسير الطبري (52/8)، بحر العلوم (518/1).

في الطعم من الحلو والحامض والمزّ، والجيد والرديء، وقوله : ﴿مُخۡتَلِفًا﴾ نصب على الحال[1]، أي: أنشأه في حال اختلاف أكله، المعنى: أنشأه [مقدار][2] اختلاف أكله، أكله، سمي ذلك حال التقدير؛ كما يقال: لتدخُلُنّ منزل زيدٍ آكلين شاربين، ويقال: مرّ بي رجلٌ بيده صقرٌ صائداً به غداً[3]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ وَٱلرُّمَّانَ﴾ فمعناه: وأنشأ شجر الزيتون والرمان [4] ﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ أي: منها ما هو متشابهٍ، ومنها ما هو غير متشابهٍ [5]، ويقال: متشابهاً في النظر وغير متشابهٍ في الطعم [6]؛ نحو الرمانتين لونهما واحدٌ وطعمهما مختلفٌ، وقوله تعالى : ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أذن في الأكل وإباحة، لا أمر إيجاب [7]، والفائدة في في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ إباحة الأكل منه قبل إخراج الحقِّ الذي وجب في ذلك المال شائعاً للمساكين[8]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ معناه: أعطوا أعطوا حقَّ الله تعالى يوم يحصد، قال عبد الله بن عباس والحس ن: أراد العشر فيما سقته السماء، ونصف العشر فيما سقي بغرب أو دالية [9](1)، وظاهر هذه الآية حجة

١- انظر: إعراب النحاس (35/2)، التبيان (543/1).

٢- هكذا في المخطوط، ولعلّه خطأ نسخي، والصواب: «مقدِّراً». انظر: معاني القرآن للزجاج (296/2)، المحرر الوجيز (163/6)، الدر المصون (187/5-188)، الكشاف (56/2).

٣- انظر: المصادر السابقة.

٤- انظر: تفسير الطبري (52/8)، روح المعاني (38).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (297/2).

٦- وهذا رواه أبو صالحٍ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وذكره الطبري . انظر : تفسير الطبري (294/7)، زاد المسير (93/3).

٧- انظر: المحرر الوجيز (163/6)، زاد المسير (153/3)، روح المعاني (38/8).

٨- انظر: مفاتيح الغيب (212/13)، روح المعاني (38/8).

٩- والمراد بذلك الزكاة المفروضة، وقد روي هذا القول عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من غير ما وجهٍ، وكذا عن الحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومحمد بن الحنفية، وطاووس، وسعيد بن

حجة لأبي حنيفة[2] رحمه الله في وجوب العشر في القليل والكثير، والحبوب وسائر الخضر[3]، وقال عبد الله بن عمر : معنى قولـــه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾: ما يتطوع به الإنسان عند رفع الغلّة والتصدق به[4]، وقال إبراهيم النخعي[5]: هذه الآية منسوخة بالعشر ونصف العشر[6]، فكأنَّه يجعل المذكور في الآية حقّاً آخر في المال واجباً سوى

---

المسيب، وهو مرويٌّ عن أنس بن مالك-ﷺ- وعليه جماهير المفسّرين.

انظر: تفسير الطبري (8/53-54-55)، زاد المسير (3/135)، تفسير الماوردي (1/570).

١- الغَرْب-بسكون الراء وغين مفتوحة-: الدلو العظيمة المتخذة من جلد ثور. والدالية: شيءٌ يُتخذ من خوصٍ أوخشبٍ يُستقى به بحبالٍ تُشَدُّ في رأس جذعٍ طويلٍ.

انظر: لسان العرب (1/642، 4/264).

٢- هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الفقيه الكوفي، ولد سنة : 80هـــ، أدرك أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وعامر بن واثلة- ﷺ-، ولم يأخذ عنهم، كان عالماً عاملاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقياً، كثير الخشوع، أراده المنصور على القضاء فأبى، وحبسه أياماً لذلك، وأراده يزيد بن هبيرة على قضاء الكوفة فأبى، فضربه لذلك مائة سوطٍ وعشرة أسواطٍ وهو على الامتناع، توفي-رحمه الله- سنة: 150هـــ.

انظر: وفيات الأعيان (5/405-414)، شذرات الذهب (1/227-229).

٣- وهو مذهب أبي حنيفة-رحمه الله تعالى- وخالفه الجمهور من الشافعية، والمالكية، والحنابلة، فأوجبه المالكية في كلّ ما يُقتات ويُدّخر، وبه قالت الشافعية، وأوجبه أحمد في أظهر الأقوال عنه فيما كان مكيلاً، وقول أبي حنيفة رُوي عن عمر بن عبد العزيز-ﷺ- وعن النخعي، وهو قول حمّاد بن سلمة شيخ الإمام أبي حنيفة- رحمهم الله أجمعين- . انظر: تفسير القرطبي (7/100-101)، بدائع الصنائع (2/505)، المبسوط (3/3-4)، المحيط البرهاني (2/325).

٤- وقد رواه الطبري عنه-ﷺ- وهو مرويٌّ عن مجاهد، وعطاء، والربيع بن أنس، وسعيد بن جبير، والسدي، وأبي العالية.

انظر: تفسير الطبري (8/56-57)، الدر المنثور (6/222-223-225).

٥- هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمر، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة المشاهير، تابعيٌّ، رأى عائشة-رضي الله عنها- ولم يثبت له منها سماعٌ، توفي سنة: 95هـــ أو 96هـــ . انظر : وفيات الأعيان (1/25)، شذرات الذهب (1/111).

٦- وممن يرى نسخ هذه الآية ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وسعيد بن جبير، والسدي.

العشر، ونصف العشر، وفي قوله تعالى : ﴿ حَصَادِهِۦ ﴾ قراءتان، بكسر الحاء وفتحها[1]، وهذا كما يقال جِداد وجَداد [2]، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ قيل: إنَّه خطابٌ للأئمة ، أي: لا تأخذوا فوق حقّكم[3]، وقيل: هو خطابٌ لأرباب الأموال، أي: لا تتصدقوا بالجميع فلا تبقوا للعيال شيئاً [4]، قال عبد الله بن عباس : كان الرجل يعطي عند الحصاد ما شاء للمسكين والمحتاج واليتيم والفقير، وكان رجالٌ عند صرمهم يتسارعون بالمعروف، فعمد ثابت بن قيس ابن شمّاس [5] من بينهم خاصّة فصرم خمسمائة نخلة ثم قسمها في يومٍ واحدٍ و لم يترك لأهله شيئاً[6]، فكره الله تعالى ذلك فنزل فيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: لا

---

والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ ما ورد في السنة من العشر ونصفه قد يُحمل على بيان المجمل، وأمَّا نسخها بفرض الزكاة كما ورد عن ابن جبير فهو أقوى من الأوَّل؛ لأنَّ الآية مكيةٌ، والزكاة لم تفرض إلاَّ في السنة الثانية للهجرة. انظر: الراسخ والمنسوخ لابن العربي (217/2)، الدر المنثور (222/6).

١- وقراءة الفتح قرأ بها أبو عمرو البصري، ويعقوب وابن عامر وعاصم، والباقون بالكسر . انظر: الدر المصون (189/5)، النشر (266/1).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (297/2)، إعراب النحاس (35/2)، الدر المصون (189/5).

٣- وهو مرويٌّ عن ابن زيد وأبيه. انظر: تفسير الطبري (61/8)، الدر المنثور (227/6).

٤- وهذا القول مرويٌّ عن أبي العالية، والسدي، وابن جريج . انظر: تفسير الطبري (61/8)، تفسير الماوردي (570/1).

٥- هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصاري الخزرجي، خطيب الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، بشّره النبي -ﷺ- بالجنة في قصةٍ مشهورة، ثبت يوم اليمامة لما انكشف الناس وقاتل حتى استشهد -رضي الله عنه- بها.

انظر: الاستيعاب (200/1)، رقم: (250)، أسد الغابة (275/1)، رقم: (569)، الإصابة في تمييز الصحابة (395/1)، رقم: (905).

٦- وهو مرويٌّ كذلك عن ابن جريج، و لم أجده مروياً عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مسنداً سوى ما ورد منه في التفسير المنسوب إليه- رضي الله عنه-، أو ما ذكره البغوي أنَّ الكلبيَّ رواه عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (61/8)، تنوير المقباس ص158، تفسير البغوي (136/2).

تجاوزوا الحد فتحتاجوا إلى ما عند الناس، وقال بعضهم : معنى الإسراف الإنفاق في معصية الله تعالى[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يدلّ على ذلك[2] وما روي [226/أ]عن عثمان بن الأسود [3] أنَّه قال: سمعت مجاهداً ونحن نطوف بالبيت فرفع رأسه إلى أبي قبيس فقال: لو كان أبو قبيس هذا ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً ، ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله تعالى كان مسرفاً[4]، وقيل: معنى قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ لا تنقصوا عن لعشر ونصف العشر، فتمنعوا الصدقة وتأكلوا حق المساكين[5].

**قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [142]:**

معنى الآية: وأنشأ لكم ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ﴾ قال عبد الله بن عباس الحمولة: كبار الإبل التي يمكن الحمل عليها، والفرش : صغارها التي لا يمكن الحمل عليها[6]، وسميت فرشاً لاستوائها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش من

---

١- وهو مرويٌّ عن مجاهد، ونسبه ابن الجوزي للزهري- رحمنا الله وإيَّاهم-. انظر: زاد المسير (136/3)، الدر المنثور (126/6).

٢- بمعنى أنَّ الله-ﷻ- لا يبغض المنفق في سبيله ولو أسرف في ذلك، وإنَّما يبغض الإنفاق في المعصية، وهذا من المؤلِّف-رحمه الله وإيَّانا- نوع استدلال لهذا القول، وتقوية له.

٣- هو: عثمان بن الأسود بن موسى بن باذان، المكي، مولى بني جمح، من متقني أهل مكة، حدّث عن طاووس ومجاهد وعطاء، وحدث عنه الثوري وابن المبارك، وثّقه يحيى القطان، توفي سنة: 147هـ، وقيل: 150هـ. انظر: مشاهير علماء الأمصار ص230، رقم: (1148)، سير أعلام النبلاء (339/6)، رقم: (141).

٤- انظر: تفسير ابن أبي حاتم (30/4)، الدر المنثور (226/6).

٥- وهذا القول مرويٌّ عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي . انظر: تفسير الطبري (61/8)، زاد المسير (163/3).

٦- وهو مرويٌّ كذلك عن ابن مسعود-ﷺ-، ومجاهد، والحسن. انظر: تفسير الطبري (62/8-63).

الفرش[1]، وقيل: سميت فرشاً لقربها من الأرض[2]، وتسمى الغنم فرشاً[3]، وعن عبد الله بن عباس في رواية أخرى : أنَّ الحَمُولة كل ما يحمل من الإبل والخيل والبقر والحمار والبغل[4]، إلاَّ أنَّ الرواية الأولى أصحّ[5]؛ لأنَّ اسم النعم لا يقع على الخيل والبغال[6]، ويقال: أراد بالفرش ما يفرش من الثياب والبسط التي تعمـــل من الوبر[7]، إلاَّ أنَّ القول الأوَّل هو الأقرب؛ لأنَّ الله تعالى ذكر في الآية التي بعد هذه الآية ثمانية أزواج، ومعناها : أنشأ الله تعالى من الحمولة والفرش ثمانية أزواج[8]،

---

١- انظر: الكشاف (56/2)، تفسير ابن كثير (350/3).

٢- انظر: المصدرين السابقين.

٣- انظر: لسان العرب (326/1).

٤- وتتمة الرواية: «وأماَّ الفرش: فالغنم»، وقد رواها عنه الإمام الطبري من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قولٌ مرويٌّ عن قتادة، والربيع بن أنس، والسدي.
انظر: تفسير الطبري (63/8)، زاد المسير (137/3).

٥- وهذا غير مسلَّم؛ إذ الرواية الثانية أقوى إسناداً إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- حيث رواها الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه-رضي الله عنه- وهي من أصحّ الطرق عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- إلاَّ إن أراد بالصحة هنا: صحة المعنى لا ثبوت الرواية.

٦- وهو استدلالٌ جيدٌ من المؤلِّف، وذكر ابن عطية أنَّ إيراد ابن عباسٍ للخيل والبغال والحمير هنا مع الأنعام تفسير منه لمعنى اللفظة لا من حيث هي في هذه الآية، ولا مدخل في الآية لغير الأنعام . وبهذا يزول الإشكال الوارد في تعارض الروايتين عنه-رضي الله عنه-. انظر: المحرر الوجيز (165/6).

٧- وكذا من الصوف أو الجلد أو الشعر. وهذا ذكره الماوردي بلا نسبةٍ لقائلٍ.
انظر: تفسير الماوردي (571/1).

٨- وهذا الاستدلال أورده الزجاج، وهو معتمدٌ فيه على إعراب ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۖ﴾ بأنَّه منصوبٌ بإضمار أنشأ؛ فهو بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرۡشًاۚ﴾.
وهو مذهب الأخفش، وتابعه فيه الزجاج.
وفي نصبه أوجهٌ أخر؛ كنصبه على البدلية من «ما» في قوله: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ وكإضمار فعلٍ قبله يقدَّرُ بـــ: ﴿كُلُواْ﴾ دلّ عليه ما قبله.
انظر: معاني القرآن للأخفش (506/2)، معاني القرآن ل لزجاج (298/2)، إعراب النحاس

وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: إذن في الأكل من الأنعام والحرث [1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ معناه: لا تتبعوا طرق الشيطان فإنَّه لا يدعوكم إلاَّ إلى المعصية [2]، وقيل معناه: لا تتبعوا ما يتخطّى بكم الشيطان من تحليلٍ أو تحريمٍ [3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ معناه: إنَّه لكم عدوّ ظاهر العداوة قد أبان عداوته لأبيكم آدم عليه السلام [4]، ويقال: أبان عداوته لكم في حزبه وأوليائه من الشياطين [5].

**قوله عز وجل: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[143]:**

وأنشأ لكم [6] ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي: أصنافٍ [7]، ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً

---

(36/2).

١- انظر: تفسير الطبري (64/8)، بحر العلوم (519/1).

٢- انظر: المصدرين السابقين.

٣- بمعنى أنَّ الشيطان يتخطى الحلال إلى الحرام، أو يتخطى بتحريم الحلال، وتحليل الحرام.
انظر: معاني القرآن للزجاج (298/2)، تفسير الماوردي (571/1-572).

٤- وهذا القول مرويٌّ عن ابن زيد. انظر: تفسير الطبري (64/8).

٥- وهذا القول منسوبٌ إلى الحسن البصري.
انظر: تفسير الماوردي (572/1).

٦- وقد سبق الكلام على أنَّ هذا التقدير ذهب إليه الأخفش الأوسط، وكذا الكسائي. انظر: معاني القرآن للأخفش (506/2)، إعراب النحاس (36/2).

٧- وإطلاق الزوج على الصنف فيه نظرٌ؛ فالزوج هو الواحد الذي معه آخر من جنسه، وهاهنا ذكر في الآية أربعة أصنافٍ كل اثنين منها صنفٌ واحدٌ، وواحد كلّ صنفٍ زوجٌ أو فردٌ، فهي ثمانية أفرادٍ، أو أزواجٍ، وليست ثمانية أصنافٍ بل أربعة. والله تعالى أعلم.

وأنثى يعني بالذكر زوجا وبالأنثى زوجاً، يقال لكل من له قرين زوج [1]، كما قلنا في قوله تعالى : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] [البقرة:35]، وقوله تعالى :﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: زوجين اثنين ذكراً وأنثى ، والضأن ذوات الإلية، وهو جمع ضائن كما يقال: تاجِر وتجر[3]، وقيل: واحده ضائنةٌ[4]، والمعز ذوات الأذناب القصار [5]، وفيه وفيه قراءتان بتسكين العين[6] وفتح العين[7]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ معناه: قل لهم يا محمد ﷺ: من أين جاء هذا التحريم الذي تذكرونه أيّها الكفار في الولد السابع في الغنم إنَّه حرامٌ على النساء [8]، أحرّم الله الذكر من الضأن والذكر من المعز فحرم ولدهما كحرمة الذكور أم حرّم الأنثيين من الضأن والمعز فحرم ولدهما كحرمة الإناث فإن جاء هذا من قبل ذكورهما فيجب أن يكون كل ذكر حراماً عليكم، وإن جاء من قبل الأنثيين؟ فيجب أن تكون كلّ أنثى حراماً عليكم، وإن جاء من قبل اشتمال أرحام الأنثيين عليه؟ فيجب أن يكون كلّ أولادهما من الذكر والأنثى حراماً عليكم؛ لأنَّ الأرحام تشتمل عليهما جميعاً [9]،

---

١- بشرط أن يكونا من جنسٍ واحدٍ، كما سبق ذكره. انظر: الكشاف (57/2)، زاد المسير (137/3).

٢- فحواء وآدم من جنسٍ واحدٍ. كما في القيد السابق.

٣- وهي ذوات الصوف من الغنم. انظر: معاني القرآن للزجاج (229/2)، زاد المسير (138/3).

٤- والصحيح أنَّ «ضائنة» واحد المؤنّث منها . انظر: معاني القرآن للأخفش (507/2)، تفسير البغوي (137/2)، تفسير القرطبي (113/7).

٥- وهي ذوات الشعر من الغنم. انظر: زاد المسير (138/3).

٦- وهي قراءة نافعٍ، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ورواية هشام من طريق الداجوني . انظر : النشر (266/1).

٧- وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، وابن عامر، إلاَّ في رواية هشام عنه من طريق الداجوني، وهما لغتان في جمع ماعز. انظر: النشر (266/2)، الدر المصون (194/5).

٨- وكانوا يخصصون الولد الخامس أو السابع بالتحريم. انظر: تفسير البغوي (137/2).

٩- انظر: تفسير الطبري (66/8)، معاني القرآن للزجاج (299/2)، بحر العلوم (520/1)، تفسير

والألف في قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ ألف استفهام دخلت على ألفٍ منصوبةٍ وأذهبت حركتها في الإدراج فأُدخلت المدّة دليلاً على الاستفهام، ولو حذف ألف الاستفهام كان أم التي بعدها دليلاً على الاستفهام أيضاً [1]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾ فمعناه: قل للكافرين: خبروني بعلمٍ وفسروا لي ما حرّم الله عليكم ببيانٍ وحجةٍ إن كنتم صادقين في مقالتكم إنَّ الله حرم الوصيلة ونحوها [2]، وإنَّما قال: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ لأنَّ الصدق لا يمكن إلاَّ بعلم [3].

**قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [144]:**

معناه: وأنشأ من ﴿ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكراً وأنثى من جملة الثمانية الأزواج، ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ ذكراً وأنثى، ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ﴾ أي قل لهم يا محمد ﷺ: إنَّكم تحرّمون الولد الخامس من الإبل والبقر على النساء فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قبل الذكور أم من ق بل **[226/ب]** الإناث أم من قبل الماء الذي اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ أي: أم شاهدتم الله تعالى حرَّم هذه الأشياء التي تحرّموها وأمركم بتحريمها، يعني: إذا كنتم لا تقرّون بنبيٍّ من الأنبياء فمن أين علمتم بتحريم الله تعالى ذلك؟ أشهدتم تح ريمه؟ [4] وفي هذا كلّه

---

البغوي (137/2).

١- إعراب النحاس (36/2).

٢- انظر: الكشاف (57/2)، تفسير ابن كثير (351/3)، البحر المحيط (242/4).

٣- وهم لا علم عندهم، ولا حجة فيما حرّموا وأحلّوا، فهم غير صادقين.

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (299/2)، تفسير الطبري (68/8)، زاد المسير (193/3).

دليل إثبات القول بالقياس [1]؛ لأنَّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يناظرهم ويبيّن بالحجة فساد قولهم وبطلان اعتقادهم، فَيُطْلَبُون فيما كانوا يدّعون من التحريم بالحجة التي تكون طريقاً إلى العلم، إمَّا من حيث المشاهدة، وإمَّا من حيث الدليل ا لذي يشترك العقلاء في إدراك الحقّ به [2]، وقد روي أنَّه لَّما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على أبي الأحوص الجشمي مالك بن عوف وكان هو الذي يحرّم لهم الحرام، وكانوا يرجعون فيه إليه، فسكت مالكٌ وتحيّر في الجواب، فقال له النبي ﷺ: (مَالَكَ يا مالِكُ لا تتكلمَّ)؟ فقال له مالك: بل تكلّم أنت وأستمع [3]، فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ إلى آخر الآية، وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ والتعجب معناه: أيُّ أحد أعتى وأجرى [4] على الله تعالى ممن اختلق على الله كذباً ليصرف الناس عن دينه وحكمه بالجهل [5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: لا يهديهم إلى الحجة فيما افتروا على الله تعالى، ويقال : لا يهديهم إلى جنته وثوابه [6]، فلمَّا نزلت هذه الآية قال مالك بن عوف: فما هذا التحريم الذي حرَّمه آباؤنا من السائبة والوصيلة والبحيرة والحام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ ﴾[145] إلى آخر الآية، فقرأ النبي ﷺ الآية، ثم قال: (يا مالك أسلم)، فقال: إنَّ لي أمراء من قومي فأخبرهم عنك، فأتى قومه فقالوا: كيف رأيت؟

---

١- حيث طولبوا بتعيين العلّة التي جرى عليها حكم تحريم هذه الأنعام، هل هي الذكورة؟ أم الأنوثة؟ أم اشتمال الأرحام؟ حتى يلزمهم إجراء الحكم على كلّ فردٍ انطبقت عليه العلّة. وهذا كلّه من القياس.

٢- وفيه كذلك إثباتٌ للمناظرة في العلم، وفيه كذلك دليلٌ على أنَّ القياس إذا خالفه النص بطل القول به. انظر: بحر العلوم (519/1)، تفسير القرطبي (114/7).

٣- انظر: بحر العلوم (516/1)، تفسير البغوي (137/2).

٤- هكذا كتبت «أجرى» والمراد: «أجرأ» ، ولعلّه أبدل الهمزة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها.

٥- وقد يكون معنى الاستفهام: النفي. والمعنى: لا أحد أظلم. انظر: تفسير ابن كثير (352/3)، البحر المحيط (242/4).

٦- انظر: تفسير الطبري (68/8)، بحر العلوم (520/1)، مفاتيح الغيب (218/13).

فقال: رأيت رجلا معلماً، وذكر لهم، فقالوا : إنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّة وإنَّا على آثارهم مهتدون[1].

**قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [145]:**

معناه: قل لهم يا محمد: لا أجد فيما أوحي إلي من القرآن شيئاً محرماً علي آكل يأكله إلاَّ أن يكون ميتة لم تذكّ[2]، وهي التي تموت حتف أنفها[3]. من قرأ بالياء[4] إلاَّ أن يكون المأكول[5]، ومن قرأ بالتاء[6] فعلى معنى إلاَّ أن تكون تلك الأشياء ميتة[7]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ فمعناه: دماً سائلاً مصبوباً، وكانوا إذا ذبحوا أكلوا الدم كما يأكلون اللحم[8]، وفي الآية دليلٌ أنَّ الدم إذا لم يكن سائلاً مثل الدم الذي يكون في عروق اللحم المُذكَّى فإنَّه لا يكون محرّماً، هكذا قال

---

١- وهذا الأثر لم أجده عند غير البغوي، وأبي الليث، ولم يرد في الأثرين الجزء المتعلّق بدعوة النبي - ﷺ- لمالك إلى الإسلام.
انظر: بحر العلوم (516/1)، تفسير البغوي (137/2).
٢- انظر: تفسير الطبري (69/8).
٣- على أن يكون موهّا من غير تذكية. انظر: تفسير ابن كثير (481/1).
٤- وهي قراءة نافعٍ، وأبي عمرو، وعاصم، والكسائي، ورواية هشام من طريق المفسر عن الداجوني عن أصحاب هشام عنه. وقراءة يعقوب وخلف.
انظر: النشر (266/1).
٥- انظر: بحر العلوم (521/1)، تفسير البغوي (138/2).
٦- وهي قراءة ابن كثير، وأبي جعفر، وحمزة، وابن عامر من غير الطريق المذكورة عن هشام في القراءة الأخرى. انظر: النشر (266/2).
٧- أو على تقدير: تكون الجثة ميتة أو النفس ميتة.
انظر: تفسير البغوي (138/2)، الموضح (511/1).
٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (300/2).

عكرمة[1] وقتادة[2]، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ فيه بيان أنَّ لحم الخنزير لا يحرم لكونه ميتة، ولكن يحرم لعينه[3]، وقوله تعالى: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ عطف على قوله: ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾، فالمراد بالفسق المذبوح للصنم، وهو الذي يرفع على ذبحه اسمٌ غير الله مأخوذٌ من الإهلال الذي هو رفع الصوت،

ومنه إهلال المحرم بالحج[4]، ومنه قوله ﷺ: (إذا استهل الصبي ورث، وصلي عليه)[5]، وأمَّا الرِّجْسُ فمعناه: الحرام[6]. وكلما استقذرته، فهو رجسٌ نجس، والرجس العذاب أيضاً في غير هذا الموضع[7]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ

---

١- هو: أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أصله من البربر من أهل المغرب، حدَّث عن ابن عباسٍ، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد، والحسن بن علي، وعائشة-رضي الله عنهم أجمعين-، وتوفي سنة: 107هـ.
انظر: وفيات الأعيان (265/3)، شذرات الذهب (246/1).

٢- وقد روى هذا القول عنهما الطبري، وعبد الرزاق في تفسيريهما، وهو مرويّ كذلك عن أبي مجلز وعائشة-رضي الله عنها-، ونقل ابن عطية الإجماع عليه.
انظر: تفسير عبد الرزاق (220/2-221)، تفسير الطبري (70/8-71)، تفسير الماوردي (573/1)، المحرر الوجيز (170/6).

٣- وذلك لذكره معطوفاً على الميتة، والدم المسفوح. وهنا وفي آية المائدة، وذلك يدلّ على أنَّه صنفٌ مستقلٌّ من أصناف المحرّمات، والضمير في فإنَّه يعود على لحم الخنزير، ومعنى «رجس»: حرام.
انظر: بحر العلوم (521/1).

٤- قال في اللسان: أهلّ الرجل واستهلّ، إذا رفع صوته. وقال: والإهلال بالحج: رفع الصوت بالتلبية. اهـ. لسان العرب (701/11).

٥- أخرجه أبو داود في السنن من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، في كتاب الفرائض، في باب: المولود يستهلّ ثمَّ يموت، حديث رقم: (2920)، بلفظ: (إذا استهل المولود ورث)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب الفرائض، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

٦- انظر: بحر العلوم (521/1).

٧- كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:125].

وَلَا عَادٍ ﴾ فمعناه: من دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرّمات غير طالب التلذذ بتناوله، ولا مجاوزٍ قدر المباح منه [1]، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إذ رخصّ لكم في تناول هذه الأشياء عند الضرورة ، ويقل معناه : إنَّه غفورٌ رحيمٌ لا يأخذ بالذنب بعد التوبة منه، فكيف يأخذ بما رخّص لكم فيه؟ فإنَّ قيل : لم قصر التحريم في هذه الآية على الأشياء المذكورة فيه مع أنَّه تعالى قد حرّم أشياء غيرها في أوَّل سورة المائدة؟ قيل: إنَّ هذه الآية مكية نزلت في جواب الذين جادلوا رسول الله ﷺ في تحريم البحيرة ونحوها، فكانت هذه الأربع المحرَّمات المذكورات في هذه الآية محرمة يوم المجادلة، ثمّ نزل بعد هذه الآية تحريم غيرها بقوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ في أوَّل سورة المائدة :[3][2]، ويقال: في تلك الآية ذكر الأسباب التي بها يصير الحيوان ميتةً، وفي هذه الآية ذكر تحريم **[227/أ]** الميتة على الإطلاق، فتناولت هذه الآية كلما يصير ميتة لسبب من الأسباب [3]، وهذه الآية لا تمنع ثبوت تحريم شيء آخر بخبر الآحاد أو القياس على المحرَّمات المنصوصة باتفاق الفقهاء على تحريم أشياء غير مذكورة في هذه ا لآية كالخمر[4] ولحم القرد[5] والنجاسات[6]، وأمَّا الخبر

---

انظر: مجاز القرآن (206/1)، تفسير الطبري (31/8-32)، البحر المحط (220/4).

١- انظر: تفسير الطبري (72/8).

٢- وهذا مذهب الجمهور: أنَّ الآية غير مستوعبة للمحرّمات من الأطعمة، وإنَّما جاء فيها ما حُرِّم ممّا هو داخلٌ ضمن ما دار الحديث عنه في الآيات السابقة.

انظر: تفسير الماوردي (547/1)، تفسير البغوي (138/2)، البحر المحيط (243/4).

٣- وهذا الوجه ذكر نحوه الماوردي في تفسيره (574/15).

٤- والخمر محرمة بنصّ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:90].

٥- ونقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أكل القرد وتحريم بيعه . انظر: الاس تذكار (520/5)، المغني (66/11).

٦- انظر: الإقناع لطالب الانتفاع (303/4).

المروي عن رسول الله ﷺ أنَّه: (نهى عن أكل كلّ ذي نابٍ من السباع، وكلّ ذي مخلبٍ من الطير)[1]، فهو بمنزلة آية من كتاب الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:7].

**قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [146]:**

في هذه الآية بيان ما حرَّم الله سبحانه على اليهود، وهي كالجواب لقول كفار قريشٍ: إنَّ في التوراة أشياء محرّمة لا تحرّمها يا محمد[2]، ومعنى الآية- والله أعلم-: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مالوا عن الهدى وتسموا باليهودية[3] ﴿حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ قال عبد الله بن عباس: أراد به ما لا يكون منفرج الأصابع مثل الإبل والنعام والبط والأوز وما شاكل ذلك[4]، وقيل: أراد به ما يصيد بالظفر مثل النسور والبزاة

---

١- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم كلّ ذي نابٍ من السباع، حديث رقم: (1934).

٢- وفيه نظرٌ-والله أعلم- فإن قريشاً لم يكونوا أهل كتابٍ، بل كانوا أمّيين بنصّ القرآن، ولم يكن عندهم من علم أهل الكتاب شيئاً، إلاَّ القلّة منهم، والمشهور من هؤلاء-كورقة بن نوفل، وزيد بن نفيل- كانوا قد ماتوا في أوَّل الإسلام، أو قبل البعثة، فعليه يبعد صدور مثل هذا السؤال منهم.

وأوجه منه ما ذكره البقاعي من أنَّ لفظ ﴿طَاعِمٖ﴾ نكرةٌ في سياق النفي، يَعُمُّ كلّ طاعمٍ من أهل شرعنا وغيرهم، وكان -سبحانه- قد حرّم على اليهود أشياء غير ما تقدَّم، فاقتضت إحاطة العلم إيراد ما حرّم على اليهود الداخلين تحت عموم لفظ ﴿طَاعِمٖ﴾. والله أعلم.

انظر: نظم الدرر (736/2).

٣- انظر: بحر العلوم (124/1).

٤- وهو قولٌ مرويٌ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طرقٍ عدّةٍ، ومرويٌ كذلك عن مجاهدٍ، وقتادة، والسديِّ، وابن جبيرٍ. انظر: تفسير الطبري (72/8-73).

وما شاكل ذلك من السباع والكلاب [1]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ أي: وحرَّمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما [2] ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ من الشحم وهو السمن، وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ معناه: أو ما حمله الحوايا وهي المباعر [3] والأمعاء التي عليها الشحم من داخلتها [4]، واحدها حاوية وحاوياء وحويه سميت بذلك؛ لأنَّها تحوي ما في البطن [5]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أراد به ما يكون من الشحم المخالط للحم على عظم الجنب [6]، فأمَّا الإلية فقد كانت داخلة في التحريم [7]؛ لأنَّ الاستثناء ودخول أو في هذه

---

١- وهذا القول لم أقف على قائله، وقد يُعترضُ عليه بأنَّ ذا الظفر من الطير وذا الناب من السباع تحريمه غير خاص باليهود، بل تشاركهم فيه هذه الأمة، وقد يخرّج هذا القول باحتمال حذف المضاف، والتقدير: ما صاده ذو الظفر. فيكون المحرّم ما صاده ذو الظفر. وقال أبو حيّان بعد إيراد هذا القول: وهو خلاف الظاهر. اهـ.
انظر: البحر المحيط (245/4).

٢- وهذه الشحوم إمَّا أن تكون شحوم الثروب، وهو الشحم الرقيق على الكرش، أو تكون شحوم الثروب والكلى، أو هي شحوم لم تختلط بعظمٍ ولا على عظمٍ.
وبالأوَّل قال قتادة، وبالثاني قال السديّ، وبالأخير قال ابن زيد.
والظاهر أنَّ المراد بالشحوم: كلّ شحم في البقر والغنم غير ما استثناه في الآية، وإليه ذهب الطبري.
انظر: تفسير الطبري (74/8)، بحر العلوم (521/1)، تفسير الماوردي (475/1).

٣- والقول بأنَّ الحوايا هي المباعر مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ومجاهدٍ، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك. انظر: تفسير الطبري (75/8-76)، تفسير الماوردي (575/1).

٤- وهذا القول مرويّ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. انظر: المصدرين السابقين.

٥- انظر: تفسير الطبري (75/8)، معاني القرآن للزجاج (301/2).

٦- وهذا القول أورده الماوردي بلا نسبةٍ. وفي تخصيص ذلك بعظم الجنب تجاوزٌ لظاهر النص؛ فإنَّ في البقر والغنم شحمٌ مختلطٌ بعظمٍ غير عظم الجنب، كالقوائم والرأس والعين، كما روي عن ابن جريج. انظر: تفسير الطبري (76/8).

٧- والصحيح أنَّها داخلةٌ في الاستثناء من التحريم؛ لأنَّ شحم الإلية بالعصعص، وهو عظمٌ، وقد روي ذلك عن ابن جريجٍ كما سبق. انظر: معاني القرآن للزجاج (301/2)، تفسير الطبري (76/8)،

الكلمات بليغه في معنى الآحاد كأنَّه أخرج كلّ واحدٍ منهما على الانفراد عن التحريم[1]، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:24] أراد به أنَّ كلّ هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا واعص هذا، وإذا قلت لا تطع زيداً أو عمراً أو خالداً فقد نهيت عن طاعة جماعتهم وآحادهم، وإذا ذكرت حرف الواو فإن أطاع الذي خاطبته زيداً على حده لم يكن عصاك[2]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ معناه: ذلك التحريم عاقبناهم به بظلمهم[3]،﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما نقول إنَّ هذه الأشياء كانت حلالاً في الأصل فحرّمناها على اليهود لمعصيتهم ومخالفتهم لأنبيائهم[4]، وقيل: إنَّ التحريم كان عقوبة لأوليائهم ثمّ عمّهم الله تعالى بالتحريم مصلحةً لهم، ثم نسخ تحريم ذلك في شريعة نبيّنا محمد ﷺ كما نسخ كثير من شرائعهم، والنصارى على أنَّ ذلك إنَّما نسخ في أيّام المسيح عليه السلام[5]، وكانت اليهود

---

تفسير الماوردي (575/1).

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (302/2).

٢- وقد يكون لفظ: ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ و﴿مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ معطوفاً نسقاً على ﴿شُحُومَهُمَآ﴾ لا على المستثنى من التحريم، فيكون المعنى: حرّمت عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظمٍ، إلاَّ ما حملت الظهور فإنَّه غير محرّم.

والصحيح أنَّ الحوايا وما اختلط بعظمٍ معطوفان على المستثنى من التحريم ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾.

ويظهر لي أنَّه اختيار المصنِّف.

وإلى الأوَّل مال الزجاج. وإلى الثاني ذهب الكسائي وابن عطية والقرطبي، وهو الظاهر.

وعلى الأوَّل تكون أو للإباحة، وعلى الثاني تكون للتنويع.

انظر: معاني القرآن للزجاج (2/301-302)، التبيان (546/1)، الكشاف (58/2)، الدر المصون (5/203-204-205)، تفسير القرطبي (126/7)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (220/4)، روح المعاني (48/8).

٣- بحر العلوم (521/1).

٤- انظر: بحر العلوم (1/521-522).

٥- وهذا التفصيل في من وقع عليه التحريم منهم لم أقف على قائله، ولعلّه من الروايات الإسرائيلية، من

مع هذا التحريم يجملون الشحوم فيبيعونها ويستحلّون ثمنها، كما قال النبي ﷺ: (لعن الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فجملوها[1] فباعوها فأكلوا ثمنها، إنَّ الله تعالى إذا حرّم شيئاً حرّم بيعه وأكل ثمنه )[2]، وقد روي أنَّه لّما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (هذا ما أوحى الله تعالى إلي أنَّه محرّم منه على المسلمين ومنه على اليهود ) فقال المشركون: إنَّك لم تصب فيما قلت[3].

**قال الله ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [147]:**

معناه: إن أنكروا و لم يقبلوا قولك ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ بالإمهال وبأن لم يعاجلكم بالعقوبة [4]، وقيل : إنَّ هذا استدعاء إلى التوبة[5]، ويقال معنى الآية : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ اليهود في أنَّ هذه الأشياء كانت حلالاً في الأصل، ويقال: إن كذبوك فقالوا: ما حرّم ذلك علينا بظلمنا ولكن حرّمنا

---

النوع الذي لا يُحكم عليه بالصدق أو بالكذب. والله تعالى أعلم.

١- أي: أذابوها، والجميل: هو الشحم المذاب . انظر : فتح البا ري (415/4)ن لسان العرب (123/11).

٢- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البيوع، باب : النهي عن بيع الخمر والميتة، حديث رقم: (3488). وأوَّل الحديث إلى قوله : «فأكلوا ثمنها» أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة، ولا يباع ودكه، حديث رقم : (2111)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، حديث رقم: (1583)، وزيادة أبي داود صححها الألباني في غاية المرام (192/1)، حديث رقم: (318).

٣- وهو منسوبٌ لابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-وذكره بعض المفسرين من غير عزو. انظر: تفسير مقاتل (376/1)، زاد المسير (144/3).

٤- انظر: بحر العلوم (522/1)، تفسير البغوي (139/2)، المحرر الوجيز (174/6).

٥- وهذا المعنى نقله أبو حيَّان وابن كثير. انظر: البحر المحيط (247/4)، تفسير ابن كثير (357/3).

على أنفسنا ما حرّمه إسرائيل [1]، ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معناه: ولا يردّ عذابه عن المشركين واليهود إذا جاء وقت العذاب [2].

**قوله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ[وَلَا لَوْلَوْ/ب] وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [148]:**

روي عن عبد الله بن عباس في معنى الآية: سيقول الذين أشركوا لو شاء الله أن لا نشرك ما أشركنا ولا آباؤنا قبلنا الذين استنَّنَّاهم [3]، ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ على أنفسنا ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من الحرث والأنعام [4]، ولكنه شاء لنا الشرك والتحريم [5]، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: هكذا كذّب الذين من قبلهم رسلهم كما كذّبك

---

١- والقول بأنَّ المراد بالآية اليهود مرويٌّ عن مجاهد، والسدي. والأوَّل من القولين المذكورين المتلخّص في أنَّ اليهود زعموا أنَّ هذه المحرّمات كانت حراماً في الأصل ذكره أبو الليث. وأمَّا القول الثاني فهو مروي عن السدي بتمامه.

انظر: تفسير الطبري (77/8)، بحر العلوم (522/1).

٢- والتعميم أولى كما فعل ابن جرير، حيث عمّم لفظ «المجرمين» على كلّ من اجترح السيئات واكتسب السيئات، وإن كان دخول من كان السياق عنهم دخولاً أولياً سواءٌ كانوا اليهود أم المشركون.

انظر: تفسير الطبري (77/8)، زاد المسير (144/3).

٣- وهذه الرواية لم أقف عليها مروية عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ولا منسوبة إليه -رضي الله عنه-.

والمروي عنه في هذه الآية قول المشركين: إنَّ عبادتهم للأصنام تقربهم من الله زلفى، فأخبرهم الله أنَّها لا تقرّبهم، ثمَّ أخبرهم أنَّه لو شاء لجمعهم على الهدى أجمعين.

انظر: تفسير الطبري (78/8)، التفسير الصحيح (282/2).

٤- تفسير الطبري (78/8-79)، بحر العلوم (522/1).

٥- وعلى طريقة الجبر قالوا قولتهم، وخلفهم الجبرية القدرية فساروا على طريقتهم في الاحتجاج بالقدر على المعائب. والله تعالى المستعان.

قومك[1]، ومن قرأ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَبَ﴾ بالتخفيف[2] فمعناه: كما كذب قومك على الله تعالى كذَب مَنْ قبلهم من الأ مم على الله تعالى ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا[3]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: قل لهم يا محمد: هل عندكم من بيانٍ وحجّةٍ غير ما في القرآن فتبينوه لنا[4]، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني: ظنّهم في تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما أنتم إلاَّ تكذبون على الله تعالى[5]، وقد اختلف اختلف أه ل التأويل في هذه الآية على قولين، أمَّا أحد القولين : فهو أنَّ الكفر والمعاصي تكون بمشيئة الله تعالى، كما تكون بعلمه[6]، إلاَّ أنَّ تأويل هذه الآية على هذا القول ينقسم على وجهين، أحدهما : أنَّ الكفار قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ على وجه الاستهزاء، وكذّبهم الله تعالى في ذلك، وإن كانت المشيئة حقاً[7]. كما قال في سورة المنافقين ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [1]: وكذّبهم الله تعالى في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وإن كان ذلك

---

١- انظر: بحر العلوم (522/1)، البحر المحيط (248/4).

٢- وهذه القراءة أو ردها أبو حيان، والسمين الحلبي بلا نسبة، وليست في المتواتر . انظر: البحر المحيط (248/4)، الدر المصون (211/5).

٣- وفيه تهديدٌ للمخاطبين غير خفيّ. انظر: بحر العلوم (522/1).

٤- والمعنى: هل عندكم بينة وبرهان على صحة دعواكم أنَّ الله رضي ما أنتم عليه من الشرك، وم ن تحريم الحلال؟ انظر: تفسير الطبري (79/8)، بحر العلوم (522/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (79/8).

٦- وهذا هو الحق الذي لا محيص عنه، فلا شيء يمكن حدوثه في ملك الله -ﷻ- إلاَّ وقد شاءه الله، إمَّا بمشيئةٍ كونيةٍ قدريةٍ، أو بمشيئةٍ شرعيةٍ، وكذلك فإنَّ الله-ﷻ- وسع عله كلّ شيءٍ، فلا تخفى عليه خافيةٌ.

٧- أراد بها المشيئة الكونية القدرية، وهذا القول ذهب إليه أبو الليث، وذكره ابن عطية عن بعض المفسّرين. انظر: بحر العلوم (522/1)، المحرر الوجيز (175/6).

حقّاً؛ لأنَّهم قالوه على وجه الاستهزاء [1]، قال الزجاج: جعلوا هذا القول حجة لهم في إقامتهم على شركهم فأعلم الله تعالى أن ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾[2]، قالوا: ومن الحجة عليهم في هذا أنَّ الله ﷻ يفعل ما يشاء وهو قادرٌ على أن يهدي الخلق أجمعين ولكن ليس للعباد على الله تعالى أن يفعل بهم كل ما يقدر عليه[3]، وهذا معنى قوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:49]، وحجّته وحجّته أبلغ من أن تدركها الخلائق لحقيقتها [4]، [ويقال ويقال][5] للكفار: أليس الذين هم على دين يخالف دينكم هم على ما شاء الله تعالى؟ فلم تسمّونهم ضالّين؟[6] ضالّين؟[6] والوجه الثاني: أنَّ المشيئة قد توضع موضع الأمر، كما يُعلم أنَّ الإنسان إذا عاتب غيره في أمرٍ من الأمور، وقال له: أنت الذي سبّب هذا، وقال: لو لم تشأ لم أفعله، يريد بذلك أنَّك أمرتني بهذا، فيحتمل أنَّ هؤلاء الكفار أرادوا بقولهم : ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ لو أمرنا الله تعالى بأن لا نشرك لكنا لا نشرك، فإنَّهم كانوا يدّعون أنَّ الذي يفعلونه إنَّما يفعلونه بأمر الله تعالى، كما قال الله تعالى :

---

١- والثابت عند جماهير المفسّرين أنَّهم لم يقولوا هذه المقالة استهزاءً، وإنَّما قالوها وقاية لأنفسهم وأموالهم؛ بدلالة قوله تعالى بعدها: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾[المنافقون:2]. انظر: تفسير ابن كثير (8125).

٢- معاني القرآن للزجاج (302/2).

٣- إذ ليس للخلق على الله أن يفعل بهم الأصلح في حقهم. انظر: معاني القرآن للزجاج (303/2).

٤- وفيه نظرٌ؛ لأنَّ الله-ﷻ- لم يكن ليحتج على الخلق بحجةٍ لا يمكنهم إدراكها، فالحجة هنا المخاطب بها: المكلّفون، وهذا عند جميع المفسّرين بما فيهم المؤلف- رحمه الله-كما سيأتي، إلاَّ أن يكون المراد هنا حكمته في هداية بعض خلقه، وإضلال بعضهم. وهذه الحكمة لا يدركها العقل. والله تع الى أعلم بالصواب.

٥- هكذا في المخطوط. بتكرير الكلمة، والمؤكد كون المراد إحداهما.

٦- بمعنى أنَّهم ضلوا وهم مع ذلك على ما شاء الله، فكيف تحتجون بكونكم مشركين وضالين على ما شاء الله لكم قدراً.

انظر: معاني القرآن للزجاج (302/2).

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف:28]، قالوا: والدليل أنَّ المراد بالآية هذا القول قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام:138]، أي: حرامٌ وإنَّما يكون التحريم بالقول الذي هو الأمر دون المشيئة التي هي الإرادة، ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام:144] والوصية إنَّما تكون في القول [1]، وأمَّا القول الثاني : فهو أنَّ الكفر والمعاصي لا تكون بمشيئة الله تعالى كما لا تكون بأمره [2]، ومعنى الآية على هذا القول سيقول المشركون على جهة الاحتجاج لكفرهم: لو شاء الله أن لا نشرك ما أشركنا [3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ عطف على الضمير المتصل فإنَّ معناه ما أشركنا نحن ولا آباؤنا [4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ أراد به تحريم الحرث والأنعام [5]، وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ

١- وهذا المعنى ذكره الماوردي منسوباً إلى الكلبي، وابن الجوزي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - من رواية أبي صالحٍ عنه.
انظر: تفسير الماوردي (22/2)، زاد المسير (185/3).

٢- وهو المعنى الذي ذهب إليه الزمخشري، على مذهبه في نفي القدر، وإثبات خلق العبد لفعل نفسه؛ تنزيهاً لله-ﷻ- عن أن يشاء القبيح. وهو مذهبٌ باطلٌ كما لا يخفى على ناظرٍ بغيته الحق.
انظر: الكشاف (59/2)، مفاتيح الغيب (225/13-226-227)، البحر المحيط (248/4).

٣- وهو كلامٌ معناه حقّ إلاَّ أنَّ مرادهم به باطلٌ . فلا شكّ أنَّ الله هو المالك لكلّ شيءٍ، ولا شكّ كذلك أنَّه لا يمكن بحالٍ أن يحدث حادثٌ في ملكه يخالف مشيئته . ولكنّ المشركين أرادوا بهذه المقالة سلب مشيئة الاختيار التي وهبهم الله إيَّاها عن أنفسهم حتى يعتذروا عمّا فعلوه من شركٍ وضلالٍ بكونهم مجبورين عليه. ولا ريب في بطلان هذه النتيجة؛ لكونها مبنية على مقدّمةٍ باطلةٍ. فإنَّ الله-ﷻ-جعل لهم اختياراً، وأقام عليهم الحجة بإرسال الرسل، ومع ذلك فقد علم بعلمه الأزلي ما هم فاعلون من الكفر والمعاصي، ثمّ شاءه قدراً لا شرعاً، ثمّ خلقهم وخلق أفعالهم. والله تعالى أعلم.

٤- انظر: بحر العلوم (522/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (78/8)، بحر العلوم (522/1).

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كما كذب قومك كذلك كُذِّبَ من كانوا من قبلهم من الرسل[1]، قالوا: وهذا يدلّ على أنَّ النبي ﷺ والرسل الذين كانوا قبله دعوا إلى خلاف قول هؤلاء المشركين، وقراءة التخفيف ﴿كَذَبَ﴾ أوكد في بطلان قول الكفار[2]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ معناه: حتى أصابوا العذاب المعجّل مع ما ادُّخِرَ من العذاب في الآخرة[3]؛ إذ الذوق أوَّل إدراك الشيء، ولا يذاق العذاب إلاَّ على الباطل[4]، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ معناه: أنَّه ليس لكم بهذا الذي تقولونه علم[5]، وهذا يدلّ على أنَّ قول الكفار: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ لم يكن على وجه الاستهزاء؛ لأنَّ من استهزأ بغيره فقال: إنَّك أمير، أو رئيس لا يكون جوابه أن يقول: هل لك بهذا علم، وهل أنت في هذا إلاَّ متبع للظن[6]، قالوا: ولو كانوا صادقين في قولهم لم يجز أن يكذبهم الله تعالى لأنَّ تكذيب الصادق يكون

١- بمعنى أنَّه كما كذّب المشركون نبينا-ﷺ- فكذلك كذّب الأقوام السابقون أنبياءهم، أو أنَّهم قالوا بمثل مقالة المشركين للنبي-ﷺ- لأنبيائهم.
انظر: تفسير الطبري (79/8)، المحرّر الوجيز (175/6)، زاد المسير (145/3).

٢- وهي قراءةٌ شاذّةٌ كما سبق بيانها، وهي مع كونها دالّة على كذب الكفار في مقولتهم، غير دالّة على تكذيب الله-ﷻ-لهم في إثباتهم أنَّه لا يمكن إشراكهم إلاَّ بمشيئة الله -ﷻ-، كما قال الطبري-رحمه الله-وإنَّما هي إثباتٌ لكذبهم في أنَّه يلزم من إثبات مشيئة الله- ﷻ- سلب اختيار العبد، ومشيئته التي أعطاها الله-ﷻ- له. ويلزم منه إبطال الشرائع، والنبوات. وهو باطلٌ؛فلذلك أثبت كذبهم في هذه القراءة. انظر: تفسير الطبري (79/8)، مفاتيح الغيب (228/13).

٣- انظر: زاد المسير (145/3).

٤- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص332، مادة ذوق.

٥- وعلى تفسير المؤلّف يكون الاستفهام هنا للنفي، وقد يكون الاستفهام أريد به التهكم، وبيان أنَّ مثل قولهم لا يمكن أن يكون عن علمٍ صحيحٍ.
انظر: الكشاف (59/2).

٦- وهذا منه-رحمه الله- استبعادٌ للقول الأوَّل، الذي سبق الحديث عنه.

كذباً[1]، فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فليس تكذيباً لهم في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؛ إذ هذا حق صدق ولا يجوز أن يكذّبهم الله **[228/أ]** تعالى فيه، ولكن كان تكذيباً في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ معناه: نعلم إنَّك لرسول الله، كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18]، أي: علم الله تعالى ذلك[2]، وهم لم يكونوا عالمين بذلك[3]، وقالوا: والمشيئة لا تختص بالقول إلاَّ أنَّ مشيئة أحدنا لغيره تارة تظهر بالأمر، وتارة بغير الأمر فكان القوم كاذبين في دعواهم المشيئة والأمر جميعاً، وهذا كلّه كلام هذه الطائفة الثانية[4]، إلاَّ أنَّ من الطائفة الأولى من أجاب عن أكثر هذه الأسئلة بقوله: إنَّ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى آخر الآية راجعٌ إلى الكفار، ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ راجع إلى ما قبله، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:27] فإنَّ قوله: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ راجعٌ إلى الرهبانية لا إلى الرأفة والرحمة[5]، وقيل: إنَّ مشيئة المعاصي إذا أضيفت إلى الله تعالى

---

١- وهذه حجة المعتزلة في تقرير مذهبهم القائل بنفي القدر؛ فإنَّ الله-ﷻ- قد كذّب المشركين مع أنَّهم قالوا ما يثبت مشيئة الله -ﷻ-، فلو كانت مقولتهم حقّاً لما كذّبهم-ﷻ-.
والرد عليه قد سبق بيانه بجعل الكذب متعلّقاً بالاحتجاج بمشيئة الله-ﷻ-على الكفر والمعاصي.
انظر: الكشاف (59/2)، مفاتيح الغيب (228/13).)

٢- انظر: بحر العلوم (253/1).

٣- يقصد بهم المنافقين الزاعمين بأنَّهم عالمين بأنَّ محمداً رسول الله-ﷺ-.

٤- وهذا كلام المعتزلة ومن وافقهم من نفاة القدر، توضيحاً لمذهبهم.

٥- بمعنى: أنَّ في أوَّل الآية معنى انتهى عند قوله تعالى: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾، ثم استؤنف كلامٌ جديدٌ من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وهو وإن كان ظاهر العطف على ما قبله إلاَّ أنَّه استئنافٌ لكلامٍ جديدٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾[الحديث:27] فهي جملةٌ استئنافيةٌ؛ إذ الرَّهبانية لا علاقة لها بالرحمة والرأفة المذكورين قبلها، حيث أنَّها هي المبتدع دونها.

كان معناها الخذلان مجازاةً للعبد على سوء فعله وإصراره على المعصية [1]، وقد تقدَّم في هذه السورة ما يدلّ على ذلك، وبالله التوفيق، وكـــان أبو حنيفـــة رحمه الله يقـــول: بالمن والخذلان ويكره الجبر والتفويض [2]، وسئل زيد بن علي [3] ﷺ هل أراد الله تعالى أن يُعصَى؟ فقال : أيعصى عنوة [4]، وهذا إشارةٌ إلى إثبات المشيئة لا على معنى الجبر [5]، والله أعلم.

**قوله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [149]:**

قال عبد الله بن عباس: معناه: أنَّ الله تعالى أبلغكم حجَّته وهو ما أحلّه الله تعالى من الثمانية الأزواج فلو شاء لوفقكّم لدينه وأكرمكم بمعرفته [6]، وقال الحسن: معناه: معناه: قد قامت عليكم الحجة، وجاءكم الرسول فلو شاء لأجبركم على الإيمان [7]،

١- والصحيح الذي عليه منهج السلف أنَّ مشيئة المعاصي حاصلة في حقِّ الله- ﷻ- مع كونه لم يأمر بها، بل أمر بخلافها؛ إذ هي مشيئةٌ كونيةٌ قدريةٌ، تخالف المشيئة الشرعية.

٢- ومذهب أبي حنيفة-ﷺ-في القدر كمذهب السلف، ولعلّ المراد بالمنّ والخذلان هنا : منُّ الله على المهتدي بأن وفّقه للهداية، وخذلانه للضال بأن لم يوفّقه للهداية، وكلاهما واقعٌ بإرادته ومشيئته، إلاَّ أنَّ الأوَّل وافق المشيئتين القدرية والشرعية، والأخير وافق القدرية منهما . وقد نقل الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة قوله بمذهب السلف في باب القدر.
انظر: تاريخ بغداد (331/13).

٣- هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، كان- ﷺ-يوالي أبا بكر وعمر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وصوّب فعل أبي بكر-ﷺ- في فدك. قتل سنة: 122هـ، أو 121هـ.
انظر: فوات الوفيات (422/1)، (160)، مقاتل الطالبيين ص144، الأعلام (59/3).

٤- رواه الإمام اللاَّلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (686/4)، أثر رقم: (1264).

٥- حيث أثبت زيد-ﷺ- مشيئة الله-ﷻ- حيث نفى عنه أن يعصى عنوة، ونفى الجبر بإثباته المعصية بمشيئة الله-ﷻ- على الرغم من كونه لم يأمر بها. والله تعالى أعلم.

٦- لم أقف على هذه الرواية عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مسندة، ولا منسوبة إليه، والمروي عنه فيها قوله: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (43/4).

٧- وهذا القول كذلك لم أقف عليه عن الحسن، وفي إيراد الإجبار هنا ما فيه؛ لأنَّ الحقّ في معنى الهداية

والحجة في اللغة : هي البيّنة التي تقتضي شهادتها تصحيح الحكم [1]، والأصل فيها القصد من حجّ إذا قصد، والمحتج بمنزلة القاصد ليثبت الحكم [2]، ووصف الحجة بأنّها بالغة أنّها تبلغ بالبيان والعبادة غاية المراد [3].

**قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: [150]:**

معناه: قل لهم يا محمد: هاتوا وقرّبوا شهداءكم الذين يشهدون أنَّ الله حرَّم هذه الأشياء [4]، فإن شهدوا بأنَّ الله حرَّمها فلا تشهد أنت يا محمد ﷺ معهم؛ لأنّهم لا يشهدون إلاَّ بالباطل [5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: لا تعمل بهوى الذين جحدوا بك وبالقرآن، ولا بهوى الذين لا يقرّون ولا يصدّقون بالبعث بعد الموت ، وإنَّما فصل بين الفريقين؛ لأنَّ من الكفار من يؤمن بالبعث كأهل الكتاب، ومنهم من لا يؤمن بذلك كعبدة الأوثان [6]، وقوله تعالى : ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يسوون بالله تعالى في الطاعة [7]، قال سيبويه:والأصل في "هلم"

---

هنا: التوفيق للتوحيد، لا الإجبار عليه . انظر: تفسير الطبري (80/8)، بحر العلوم (522/1)، المحرر الوجيز (176/6)، البحر المحيط (249/4).

١- قال في اللسان: الحجة: البرهان، وقيل: الحجة: ما دوفع به الخصم. اهـ. لسان العرب (226/2).

٢- انظر: المصدر السابق.

٣- انظر: تفسير الطبري (80/8)، تفسير البغوي (140/2).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (303/2).

٥- انظر: تفسير الطبري (80/8)، بحر العلوم (522/1).

٦- انظر: البحر المحيط (249/4)، روح المعاني (53/8).

٧- وفي العبادة كذلك. انظر: تفسير الطبري (81/8).

"هاء" ضمت إليها "لم" وجعلتا كالكلمة الواحدة ومعناها: هاتوا شهداءكم[1]، وقد تذكر هلمَّ بمعنى تعالوا[2]. ونظير ذلك: عليك زيداً وعليك زيد[3]، ومثله من الفعل رجع ورجعته[4]، فإن قيل: كيف يكون معنى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ يطلب منهم الشهود ثم يقول: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؟ قيل: قال الحسن ﷺ: أراد تعالى بذلك قل هاتوا شهداءكم من غيركم يشهدون بقولكم، و لم يكن أحدٌ من غير العرب يشهد على ذلك؛ لأنَّه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم مخالفة لشرائع غيرهم[5]، وأمَّا اعتقاد المذاهب بالهوى فقد يكون من وجوه، أحدها : هوى يسبق إليه، وقد يكون الهوى بشبهةٍ دخلت في نفسه مع زواجر عقله عنها، ومنها هوى ترك الاستقصاء للمشقة، ومنها هوى الشيء على ما جرت به عادته؛ لإلفهِله، وكلّ ذلك متميز مما استحسنه الإنسان بعقله.

قوله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا

---

١- وهذا القول ضعّفه الزجاج، وذكر الفرَّاء أنَّ أصلها «هل» ضمّ إليها «أُم» ونقلت حركة الهمزة بعد إسقاطها إلى اللاَّم قبلها.
انظر: الكتاب (365/3)، معاني القرآن للزجاج (303/2)، إعراب النحاس (39/2)، زاد المسير (146/2).

٢- وكلمة هلمّ في اللسان بمعنى: أقبِل. انظر: لسان العرب (617/12).

٣- حيث إنَّ هلمّ بمعنى هاتوا تعدّت إلى المفعول، وعلى معنى تعالوا هي لازمة، كما هو الحال في اسم الفعل عليك، نصب أوَّلاً مفعولاً، وجاء أخيراً لازماً.
انظر: المحرر الوجيز (176/6)، الدر المصون (213/5).

٤- وهنا كذلك جاء الفعل الأوَّل لازماً، والثاني متعدياً، كالحال في هلمّ.

٥- و لم أقف على هذا القول عن الحسن، وقد ذكره الألوسي خلواً من العزو، وقد نسب أبو حيَّان إلى الحسن أنَّه قال في الآية: «أحضروا شهداءكم من أنفسكم». والله تعالى أعلم بالصواب. انظر: البحر المحيط (249/4)، روح المعاني (53/8).

تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **[151]**:

معناه قل لهم يا محمد لمالك بن عوف وأصحابه [1]: هلمّوا واجتمعوا أقرأ عليكم الذي حرَّم ربّكم[2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ معناه: أوصيكم وآمركم ألا تشركوا بالله، ويقال: أتل عليكم ألا تُشركوا[3]؛ لأنَّهم إذا حرّموا ما أحلّ الله لهم فقد جعلوا غير الله **[228/ب]** في القبول منه بمنزلته ﷻ، وصاروا بذلك مشركين[4]، ويقال معناه: حرَّم عليكم أن تشركوا كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:12][5]. وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ أي: وأوصاكم بالوالدين أي بالإحسان إلى الوالدين برّاً بهما، وعطفاً عليهما [6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ أي: لا تدفنوا بناتكم أحياءً تحت التراب مخافة

---

١- وهذا إشارة من المؤلّف إلى أنَّ المراد بهذه الآية قومٌ مخصّصون، وهم: الذين سبق الخطاب معهم في مسألة تحريم السوائب والبحائر، ومالك بن عوف سبق الحديث عن كونه هو الذي بحّر البحائر، مع العلم بأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فحكم الآية عامٌّ في المذكورين وغيرهم. والوجه الذي ذكره المصنّف تبع فيه أبا اللَّيث السمرقندي، وإلى التعميم ذهب ابن عطية- رحمنا الله وإيَّاهما-. انظر: بحر العلوم (523/1)، المحرر الوجيز (177/6).

٢- انظر: تفسير البغوي (140/2).

٣- والقولان ذكرهما الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (304/2)، زاد المسير (147/3).

٤- وهذا من المصنِّف-رحمنا الله وإيَّاه- بيانٌ لوجه الشرك الحاصل منهم في الآيات السابقة، وإلاَّ فشركهم يشمل جميع أنواع العبادة، من ذبحٍ، ونذرٍ، واستعاذةٍ، ودعاءٍ، وغيرها.

٥- وعلى هذا القول تكون «لا» زائدة، وضعّفه أبو حيّان؛ إذ التحريم منحصرٌ في الشرك، وما بعده غير داخلٍ في التحريم.
انظر: زاد المسير (147/3)، البحر المحيط (251/4)، الدر المصون (215/5).

٦- انظر: تفسير الماوردي (567/1).

الفقر[1]، والإملاق في اللغة: نفاد الزاد والنفقة، يقال: أملق الرجل، إذا نفد زاده ونفقته[2]، ومنه المَلَق: وهو بذل المجهود في تحصيل المراد[3]، وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي: علينا رزقكم ورزقهم جميعاً[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: لا تقربوا الزنا معلنين ولا مسرّين متخذي أخدان[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: لا تقتلوا النفس التي حرَّم الله قتلها إلاَّ بإحدى خلالٍ ثلاثٍ: زناً بعد إحصانٍ، أو كفرٍ بعد إيمانٍ، أو قتل نفسٍ بغير حقٍّ[6]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ أي: هذا الذي ذكر لكم لكم أمركم الله في كتابه لكي تفعلوا ما أمرتم به[7].

**قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [152]:**

---

١- والمراد بهذه الآية: النهي عن قتل الأولاد نتيجة فقرٍ حاصلٍ، والنهيُ عن قتلهم خشية فقرٍ في الآجل مذكورٌ في آية سبحان: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء:31] انظر: تفسير ابن كثير (362/3).

٢- انظر: مجاز القرآن (208/1)، لسان العرب (347/10).

٣- انظر: تفسير الماوردي (576/1).

٤- وبدأ برزق المخاطبين هنا؛لأنَّ الفقر حاصلٌ، وفي الآية الأخرى قدَّم رزق الأولاد؛ لأنَّ الفقر متوقّع حصوله بسببهم. وعلى كلٍّ: فرزق العباد كلهّم على خالقهم. انظر: تفسير الماوردي (576)، البحر المحيط (251/4-252)، تفسير ابن كثير (362/3).

٥- وهو مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقتادة. انظر: تفسير الطبري (83/8)، تفسير ابن أبي حاتم (45/4)، الدر المنثور (254/6).

٦- انظر: تفسير الطبري (84/8)، بحر العلوم (523/1).

٧- انظر: بحر العلوم (523/1)

معنـــاه: لا تقربوا مال اليتيم الذي لا أب له إلاَّ لحفظـــه وتثميره وإصلاحه [(1)]، وقـــوله تعـــالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: قـــال ربيعة [(2)]، وزيـــد بن أسلم [(3)]، والشعـــبي[(4)]: هو بلـــوغ الحلم [(5)]، وقـــال السُّـــدي: هـــو أن يبلـــغ ثلاثين سنة[(6)]، ويقال: أن يكمل له ثماني عشرة سنة [(7)]، وجعل أبو حنيفة رحمه الله غاية الأشدّ في هذا خمسا وعشرين سنة [(8)] فإذا بلغها دفع إليه ماله ما لم يكن معتوهاً [(9)]،

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (304/2)، تفسير الماوردي (577/1)، تفسير القرطبي (134/7).

٢- هو: ربيعة بن أبي عبد الرحمن- فرُّوخ- مولى آل المنكدر التيميين- تيم قريش- المعروف بـ :ربيعة الرأي، فقيه المدينة، أدرك جماعةً من الصحابة، وعنه أخذ الإمام مالكٌ، توفي سنة : 133هـ، أو 136هـ-رحمه الله-.

انظر: وفيات الأعيان (288/3-290)، سير أعلام النبلاء (89/6)، شذرات الذهب (194/1).

٣- هو: زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، يكنى أبا أسامة، أو أبا عبد الله، الفقيه، المفسّر، روى عن ابن عمر، وسلمة بن الأكوع، وجابر بن عبد الله-ﷺ-، توفي سنة: 136هـ.

انظر: طبقات المفسّرين للداودي (175)، الأعلام (56/3-57).

٤- هو: أبو عمرو، عامر بن شراحيل بن عبد ذي الكبار، وذو كبار قَيْل من أقيال اليمن، وهو من حمير، وعداده في همدان، وهو كوفيٌّ تابعيٌّ جليل القدر، وافر العلم، توفي بالكوفي سنة : 103هـ، أو104هـ، أو 105هـ، أو106هـ، أو107هـ. انظر: وفيات الأعيان (12/3-15).

٥- وهذا القول مذهب الإمام مالك بن أنس- رحمنا الله وإياه-، ويحيى بن يعمر، وعبد الرحمن بن زيد، ورجّحه ابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي . انظر: أحكام القرآن للجصاص (25/3)، تفسير الماوردي (577/1)، المحرر الوجيز (181/6)، زاد المسير (150/3)، تفسير القرطبي (135/7).

٦- وهذا رواه الطبري عن السدّي، إلاَّ أنَّه قال في آخر الرواية- أعني السدي-: ثم جاء بعدها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ فكأنَّه أشار إلى النسخ.

انظر: تفسير الطبري (85/8)، تفسير الماوردي (577/1)، زاد المسير (150/3).

٧- وهو قول سعيد بن جبير، ومقاتل.

انظر: تفسير مقاتل (378/1)، بحر العلوم (523/1)، زاد المسير (150/3).

٨- وهذا القول منسوبٌ إلى عكرمة مولى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -. انظر : تفسير القرطبي (135/7)، أحكام القرآن للجصاص (25/3)، زاد المسير (150/3).

٩- أحكام القرآن للجصاص (25/3).

ومثل هذه الحدود لا تعرف إلاَّ بالاجتهاد وغلبة الظنَّ [1]، والأشدّ: جمع الشّدّ مثل فلس وأفلس، ومعنى الشّدّ: قوّة الشباب عند ارتفاعه، كما أنَّ شَدَّ النهار قوّة الضياء عند ارتفاعه[2]، ويقال: الأشدُّ واحد مثل الآنك [3]، وأمَّا تخصيص اليتيم بالذكر فلعجزه عن الانتصار بنفسه وعن منع غيره عن ماله مع كثرة الأطماع في أخذ ماله[4]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ معناه: أتمّوا الكيل والوزن بالعدل، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ جهدها وطاقتها، فهذه الآية أصل في جواز الاجتهاد في الأحكام[5]، فإنَّ كلّ مجتهدٍ مصيبٌ [6]؛ لأنَّا نعلم أنَّ المقدار المطلوب من الكيل حقيقة عند الله تعالى و لم يكلّفنا الله تعالى إصابتها، وإنَّما أمرنا بالاجتهاد فيها تعبُّداً، فإذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن ووقعت فيه زيادةٌ يسيرةٌ أو نقصانٌ يسيرٌ لم يؤاخذه الله تعالى به إذا اجتهد جهده[7]، وإذا أعيد الكيل على ذلك فزاد أو نقص لم لم يثبت التراجع إذا كان ذلك القدر من التفاوت مما يقع بين الكيلين، وقوله تعالى :

---

١- إلاَّ أن يوجد نصٌّ شرعيٌّ دالٌّ على الحكم، فيجب حينئذٍ المصير إليه . وهنا دلَّ على المعنى المراد قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء:]6 الآية. انظر: أضواء البيان (329/2).

٢- انظر: أحكام القرآن للجصاص (25/3)، تفسير القرطبي (135/7)، البحر المحيط (252/4).

٣- الآنك: هو الأُسْرُبّ، وهو الرصاص القَلعي، و لم يأت على وزن أفعُل للواحد غير : الآنك، وأشدّ، إلاَّ أنَّ أشدّ مختلف في كونها جمعاً أو مفرداً، بخلاف آنك المتفق على كونها مفرداً، فعلى القول بأنَّ أشدّ مفردة توافق آنك على ما سبق.

انظر: لسان العرب (394/10)، الدر المصون (220/5).

٤- انظر: تفسير الماوردي (577/1)، البحر المحيط (252/4).

٥- وقد استدلّ بها على ذلك عيسى بن أبان. انظر: أحكام القرآن للجصاص (25/3).

٦- لعلّ التحقيق في هذه العبارة: أنَّ المصيب واحد، وإنَّما كلّ من اجتهد واستفرغ وسعه لإصابة الحق فقد رفع الحرج عن نفسه، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر. والله تعالى أعلم.

٧- بحر العلوم (524/1).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ معناه: فاعدلوا في المقالة[1]؛ لأنَّ العدل في المقال يبعث على العدل في الفعال، ويقال : معنى قوله تعالى : ﴿فَٱعْدِلُواْ﴾ قولوا الحقّ إذا شهدتم أو حكمتم ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة من الشاهد[2]، وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ معناه: أتموا فرائض الله تعالى الذي أمركم بها[3]، كما قال الله تعالى: تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [يس:60]، ويقال: أراد بالعهد في هذه الآية النذور واليمين[4]، كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل:91]، وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ معناه: هذا الذي ذكر لكم أمركم الله تعالى به في الكتاب؛ لكي تتعظوا وتمتنعوا عن المحرّمات[5].

**قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [153]:**

من قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ بالنصب[6] فعلى معنى البناء[7]، ومن قرأ بالكسر[1] فعلى

---

١- انظر: بحر العلوم (524/1)، البحر المحيط (253/4).

٢- والتعميم أولى من تخصيصه بالشهادة والحكم؛ إذ لا دليل على التخصيص، وأغلب المفسرين على تخصيصها بالشهادة والحكم، وممن يرى العموم أبو حيَّان وابن عطية.
انظر: معاني القرآن للزجاج (305/2)، تفسير الطبري (86/8)، بحر العلوم (524/1)، تفسير البغوي (142/2)، المحرر الوجيز (181/6)، زاد المسير (150/3).

٣- انظر: تفسير الطبري (86/8).

٤- انظر: تفسير الماوردي (578/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (86/8).

٦- وهي قراءة نافعٍ، وابنِ كثيرٍ، وأبي عمرو، وعاصم، وأبي جعفر. انظر: الروضة (659/2)، النشر (266/2).

٧- وعليه فهي في محلّ نصبٍ على تقدير: واتل أنَّ هذا صراطي مستقيماً، أو على تقدير: لأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه؛ فعلى الأوَّل مفعولٌ به، وعلى الثاني مفعولٌ له . انظر: الموضح (513/1)، التبيان (549/1)، البحر المحيط (254/4).

الابتداء[2] وقرأ بعضهم بفتح الألف وسكون النون [3] على معنى و أن تعلموا وأن تؤمنوا وأن هذا صراطي مستقيماً [4]، والمراد بالصراط في الآية الشريعة [5]، وسمي الشرع طريقاً؛ لأنَّه يؤدي إلى الثواب في الجنة، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ اعتقدوا حلال هذا الدين وحرامه ومأموره ومنهيه [6]، ولا تتبعوا اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر فإنَّها سبيل الشيطان وهي طرق النار [7]، وقوله تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ معناه: فيضلكم ذلك السبيل الذي تتبعونه بهواكم عن دين الله تعالى وهو الإسلام[8]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: هذا الذي أمركم الله به في القرآن لتتقوا السبل المختلفة وتستقيموا على الإيمان، قال عبد الله بن عباس: هذه الآيات الثلاث من المحكمات وهنَّ إمام في التوراة والإنجيل والفرقان والزبور **[229/أ]** لم ينسخهنَّ شيء في جميع الكتب[9].

**قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [154]:**

---

١- وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: الروضة (659/2)، النشر (266/2).

٢- انظر: الدر المصون (233/5)، التبيان (549/1)، معاني القرآن للفرَّاء (364/1).

٣- وهي قراءة ابن عامر ويعقوب. انظر: النشر (266/2).

٤- وتوجّه هذه القراءة بأنَّ «أن» مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. انظر: الموضح (514/1)، البحر المحيط (254/4)، الدر المصون (225/5).

٥- وهي دين الإسلام. انظر: بحر العلوم (524/1)، المحرر الوجيز (182/6).

٦- واعملوا بموجب هذا الاعتقاد. انظر: تفسير الطبري (87/8).

٧- انظر: تفسير الطبري (88/8)، بحر العلوم (524/1)، تفسير البغوي (142/2).

٨- انظر: تفسير الطبري (88/8)، بحر العلوم (524/1)، تفسير البغوي (142/2).

٩- أخرجه الطبري في تفسيره (86/8-87)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، حديث رقم: (3238)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (347/2).

معناه: ثمَّ، قل: آتينا[1]، ويقال معنى: ((ثم)) معنى العطف في التلاوة؛ كأنَّه قال: تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ثم أتل عليكم ما آتاه الله تعالى موسى من التوراة[2]، التوراة[2]، وقوله تعالى: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ معناه: تماماً للإحسان على المحسنين[3]، والنبي موسى عليه السلام أحدهم، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: تماماً على على الذين أحسنوا[4]، ويقال معنى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: على ما أحسن موسى عليه السلام، أي: كان موسى محسناً في معرفة العلم وكتب المتقدِّمين فأعطيناه التوراة زيادةً على ذلك[5]، وقرأ ابن عمر: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾؛ برفع النون[6] على معنى: الذي هو أحسن[7]، وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: تتميماً للإحسان إليهم وبياناً لكلّ شيءٍ من الحلال والحرام، وهدى من الضلالة، ونجاةً من العذاب، لمن آمن به وعمل بما فيه لعلّهم بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال يقرّون

---

١- انظر: البحر المحيط (225/4).

٢- وهذا اختاره الزجاج.
انظر: معاني القرآن للزجاج (306/2).

٣- وهذا القول مرويّ عن مجاهد.
انظر: تفسير الطبري (90/8)، التفسير الصحيح (287/2).

٤- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (365/1)، تفسير الماوردي (579/1).

٥- وهذا اختيار أبي الليث السمرقندي، وأورده الزمخشري.
انظر: بحر العلوم(525/1)، الكشاف (62/2).

٦- وهذا الذي في المخطوط لعلّه سهوٌ أو خطأٌ، فهي قراءة يحيى بن يعمر، ولعلّه أراد أن يكتب: ابن يعمر، فسقطت الياء سهواً أو خطأً. انظر: المحتسب (234/1)، تفسير الطبري (91/8)، الكشاف (62/2)، البحر المحيط (256/4)، الدر المصون (228/5).
وهو: يحيى بن يعمر العدواني، الإمام أبو سليمان البصري، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الأسود الدؤلي، وسمع ابن عباس، وابن عمر، وعائشة-رضي الله عنهم-، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، كان إماماً فصيحاً، عالماً، ثقةً، توفي قبل سنة تسعين هجرية. انظر: طبقات القراء (41/1-42).

٧- انظر: البحر المحيط (256/4)، الدر المصون (228/5).

ويصدّقون[1].

قوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [155]:

معناه: وهذا كتابٌ أنزلنا فيه بركة وخيراً كثيرً لمن آمن به[2]، ومعنى البركة: ثبوت الخير ونماؤه[3]، وتبارك الله صفة ثبات لا أوَّل له ولا آخر، وهذه لفظة لا يستحقها إلاَّ الله تعالى[4]، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي: اقتدوا به في أوامره ونواهيه[5]، ونواهيه[5]، ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ مخالفته وسخطه لتكونوا على رجاء الرحمة[6].

قوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [156]:

قال الفرَّاء: معناه: لئلاَّ تقولوا[7]، أي: أنزلناه لنقطع عذركم وحجتكم[8]، وقال وقال البصريون: معناه: كراهية أن تقولوا؛ كما يقال: جئت أن أكرمك، وفعلت لك أن أكرمك، أي: محبة أن أكرمك، أو كراهة أن أكرمك، ويكون الحال ينبئ عن الضمير[9]، قال: ولا يقال: جئت أن أكرمك بمعنى أي: لا أكرمك[10]، وقوله

١- انظر: بحر العلوم (525/1).

٢- المصدر السابق.

٣- انظر: لسان العرب (395/10).

٤- ومعناها: علا وتعاظم، وهي كلمة تنزيهٍ وتعظيمٍ. انظر: البحر المحيط (312/4)،روح المعاني(138/8).

٥- انظر: بحر العلوم (525/1).

٦- انظر: البحر المحيط (257/4).

٧- معاني القرآن للفرّاء (266/1).

٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (306/2).

٩- انظر: المصدر السابق، إعراب النحاس (40/2).

١٠- والقول هنا قول الزجاج، وهذا المنع المذكور أورده-رحمنا الله وإيَّاه- على أنَّه مذهب البصريين؛ حيث لا يجيزون إضمار «لا» بعد «أن».

تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أراد به اليهود والتوراة والنصارى والإنجيل الغافلين عما فيه[1]، ويقال: معناه: وما كنَّا عن قراءة كتبهم التوراة والإنجيل إلاَّ غافلين عما فيه[2].

ويقال: إنَّ معناه: وما كنَّا إلاَّ غافلين عن دراستهم[3].

**قوله ﷻ: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [157]:**

معناه: أو كراهية أن تقولوا[4]: لو أنَّا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على اليهود والنصارى لكنَّا أسرع إجابةً منهم[5]؛ وذلك أنَّ أهل مكة كانوا يقولون: قاتل الله اليهود كيف كذبوا أنبياءهم والله لو جاءنا نذيرٌ أو كتابٌ لكنا أهدى منهم[6]، وكانوا معروفين بالأذهان وحسن الفهم، وكانوا يحفظون الأشعار والأخبار والآثار

---

انظر: معاني القرآن للزجاج (306/2).

١- انظر: الكشاف (62/2)، البحر المحيط (257/4).

٢- وهذا مذهب الكوفيّين، ونحا الزجاج نحوهم بجعل «إن» بمعنى «ما».

وذهب البصريون إلى أنَّ «إن» مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: وإنه كنا عن دراستهم غافلين.

والأوَّل أقرب؛ لأنَّ «إن» إن خفّفت ولزمت اللاَّم في أحد الجزأين بعدها لم تعمل في ظاهرٍ ولا مضمرٍ.

انظر: معاني القرآن للزجاج (307/2)، البحر المحيط (257/4)، الدر المصون (230/5).

٣- انظر: البحر المحيط (257/4).

٤- وهذا على قول البصريين كما سبق من منعهم إضمار «لا» بعد «أن». والمعنى على مذهب الكوفيين: لئلا تقولوا. واختاره الطبري. انظر تفسيره (94/8).

٥- انظر: المحرر الوجيز (185/6)، البحر المحيط (257/4).

٦- انظر: تفسير مقاتل (379/1)، تفسير البغوي (143/2)، زاد المسير (155/3).

وهم أميون لا يكتبون[1]، يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن[2] بيانٌ ودلالةٌ من ربكم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن آمن به، واتبعه رحم الله تعالى بإنزاله عباده، وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أعتى وأجرأ على الله ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها[3]. سيعاقب الذين يعرضون عن آياتنا أقبح العذاب وأشدّه بإعراضهم وتكذيبهم[4].

**قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [158]:**

معناه: ما ينتظر أهل مكة بعد نزول الكتاب وقيام الحجج عليهم إلاَّ إتيان ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم[5]، أي: لم يبق إلاَّ هذا، وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ معناه: أو يأتي أمر ربّك بإهلاكهم والانتقام منهم إمَّا بعقابٍ عاجلٍ أو بالقيامة[6]،

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (307/2)، الكشاف (62/2-63).

٢- وقيل: الرسول-ﷺ-. وخصّه بالقرآن ابن كثير، والبغوي. انظر: بحر العلوم (525/1/1)، تفسير البغوي (43/2)، زاد المسير (155/3)، تفسير ابن كثير (370/3).

٣- انظر: بحر العلوم (525/1).

٤- انظر: تفسير الطبري (95/8)، تفسير البغوي (143/2).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (307/2)، تفسير البغوي (144/2)، البحر المحيط (258/4).

٦- وهذا التفسير على أنَّ المراد بالآية أمورٌ تحصل في الدنيا. وإليه ذهب جماعةٌ كالزجاج، وأبي الليث، وابن عطية.

وذهب جماعة إلى أنَّ المراد إتيان الله-ﷻ-لفصل القضاء يوم القيامة، كالطبري، وابن كثير، والبغوي، وهو مرويّ عن مجاهد، وقتادة.

والثاني هو الأقرب حسب ظاهر النصّ، وهو أبعد عن التأويل؛ إذ القول ا لأوَّل يستلزم تقدير مضافٍ، وعدم التقدير أولى من التقدير-والله أعلم-.

انظر: معاني القرآن للزجاج (307/2)، تفسير الطبري (96/8)، بحر العلوم (525/1)، المحرر

وهذا كما يقال : قد نزل فلانٌ ببلد كذا، أو قد أتاهم فلانٌ، أي : أوقع بهم المكروه[1]، وقد يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، فكأنَّه قال: أو يأتي عذاب ربك إلاَّ أنَّه حذف ذكر العذاب[2]. وأضاف الإتيان إلى نفسه تفخيماً لقيام الدلالة **[229/ب]** من جهة العقل على أنَّ الله تعالى لا يجوز عليه الانتقال من مكان إلى مكانٍ [3]، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:57] معناه: يؤذون أولياء الله تعالى إلاَّ أنَّه حذف ذكر الأولياء لقيام الدلالة من جهة العقل على أنَّ الله تعالى لا يجوز عليه الأذى[4]، وقال بعضهم : معناه: أو يأتي ربك بجلائل آياته، فيكون ((يأتي)) في هذا الموضع متعدياً[5]، وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال الحسن: أراد به أو

---

الوجيز (136/6-137)، تفسير البغوي (144/2)، تفسير ابن كثير (371/3).

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (307/2).

٢- انظر: بحر العلوم (526/1)، تفسير القرطبي (144/7).

٣- وهذا الذي ذكره المصنِّف هنا منهجٌ غير سويٍّ ولا صحيحٍ، وهو خلاف مذهب أهل السنة، فإثبات صفة الإتيان لله-ﷻ- لا يلزم منه إثبات الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ؛ إلاَّ إذا كان هذا الإثبات خلواً من التنزيه، مشوباً بالتشبيه، فالصحيح كما قال الإمام البغوي في تفسيره: أو يأتي ربك، بلا كيفٍ لفصل القضاء بين خلقه في مواقف القيامة.
انظر: تفسير البغوي (144/2)، أضواء البيان (334/2).

٤- وتفسير آية الأحزاب بهذا التفسير غير سائغٍ؛ لما فيه من مخالفةٍ شديدةٍ لظاهر النصّ؛ لأنَّ الإيذاء هنا غير معلوم الحقيقة، ولا يلزم منه وقوع الأذى وحصوله. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة-ﷺ- قال: قال رسول الله-ﷺ-: (يقول الله-ﷻ-: يؤذيني ابن آدم، يسُبُّ الدهر، وأنا الدهر أقلّب ليله ونهاره ). رواه البخاري (4826)، ومسلم (2246). انظر: تفسير ابن كثير (480/6).

٥- ووجه تعدّيه: أنَّه نصب مفعولاً به، وإن لم يذكر لفظاً، وهذا القول لم أقف على قائله، وهو كسابقه في البعد؛ إذ الصواب —كما سبق- عدم التأويل، وإجراء النصّ على ظاهره، بإثبات صفة الإتيان لله-ﷻ- على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تأويلٍ، وتنزيهاً بلا تعطيل.

يأتي بعض آيات ربك الحاجبة عن التوبة [1]، وهو ما روي عن الرسول ﷺ أنَّه قال: (بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، ودابّة الأرض، وخروج الدجال، والدُّخان، وخويصة أحدكم -يعني موته-، وأمر العامَّة -يعني به القيامة-) [2]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (باب التوبة مفتوحٌ مِنْ قِبَلِ المغرب مسيرة أربعين سنة، ومَلَك قائمٌ على ذلك الباب يدعو الناسَ إلى التوبة، فإذا أراد الله تعالى أن يطْلِعِ الشمس من مغربها طَلعت من ذلك الباب سوداء لا نور لها، فتوسطت السماء، ثم رجعت، فيُغْلَقُ البابُ، وتُردُّ التوبةُ، ثم ترجع إلى مشرقها، تطلع بعد ذلك مائةً وعشرين سنةً، إلاَّ أنها سنون تمرّ مرّاً) [3]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعها الإيمان عند الآية التي يُضطر معها إلى الإيمان؛ لأنَّ مثل هذه الآية لا توجب الثواب لمن آمن عندها؛ إذ لو بعث الله تعالى على كلّ من لم يؤمن عذاباً لاضطر الناس إلى الإيمان به فسقط الجزاء، إنَّما الإيمان بالغيب [4]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قال السُّدي: معناها: أنَّه لا ينفع أحداً فعل الإيمان، ولا فعل خيرٍ فيه في تلك الحالة؛ لأنَّها حال زوال التكليف، وإنَّ ما ينفع فعل هذا

---

١- لم أجده عن الحسن، وأغلب المفسّرين على أنَّ المراد به طلوع الشمس من مغربها، وهو مرويّ عن ابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وقتادة، والسُّدّي، ومجاهد، ويقوّيه حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- في الصحيحين: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) واللفظ للبخاري. انظر: تفسير الطبري (96/8)، تفسير الماوردي (579/1)، زاد المسير (156/3-157)، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام، حديث رقم: (4359)، (1697/4)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان، حديث رقم: (248)، (137/1).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، بابٌ في بقيةٍ من أحاديث الدجال، حديث رقم: (2947)، (2267/4).

٣- ذكره الماوردي من حديث مجاهد عن ابن عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ولم أجده عند غيره. انظر: تفسير الماوردي (580/1).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (308/2)، بحر العلوم (526/1).

قبل تلك الحال[1]، وقيل: إنَّما قال ذلك على جهة التغليب؛ لأنَّ الغالب من حال من يؤمن أنَّه يفعل في إيمانه خيراً، وقيل معنى خيراً : إخلاصاً، أي: إذا لم تكن مخلصة قبل مجيء الآيات لا ينفعها الإخلاص بعد مجيء الآيات [2]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، أي: قل لهم يا محمد: انتظروا مجيء الآيات فإنَّنا منتظرون بكم مجيئها[3]، فإن قيل: لم جاز أن يقول هل ينظرون إلاَّ أن تأتيهم الملائكة وهم لم يكونوا مقرّين بهذه الأشياء ولا كانوا يثبتونها؟ قيل: إنَّما جاز ذلك؛ لأنَّ الرسل كانوا قد يوعدونهم بها وإن كانوا هم مكذبين بها فحسن أن يقال لهم : هل ينظرون إلاَّ هذه الأشياء تحقيقاً للوعيد.

**قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [159]:**

قال مجاهد: أراد به اليهود فإنَّهم كانوا يمالئون المشركين على المسلمين بشدة عداوتهم مع المسلمين[4]، وقال قتادة: هم اليهود والنصارى كان بعضهم يكفّر بعضاً[5]، وعن أبي

---

١- ومعناه قد رواه الطبري عنه. انظر: تفسير الطبري (103/8)، تفسير الماوردي (580/1).

٢- وهذه التقديرات بعيدةٌ-والله أعلم- والثابت في معناه ما سبق المصنِّف إلى إيراده، من أنَّه بعد ظهور الآيات لا ينفع كافراً إيمانه، ولا فاسقاً طاعته . وإنَّما أورد البعضُ مثلَ هذه التأويلات؛ للردّ على الزاعمين من المعتزلة أنَّ في الآية دلالةً على أنَّ العمل شرطٌ لصحة الإيمان، وعليه : صاحب الكبيرة مخلّدٌ في النار؛ إذ الآية في نظرهم لم تفرّق بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان، وبين النفس التي آمنت في وقته و لم تكسب خيراً، مما يدلّ على أنَّ الإيمان والعمل قرينان لا يصحّ أحدُهما مجرداً عن قرينه، وهو باطلٌ كما هو معلومٌ؛ لأنَّ الآية -كما سبق بيانه-إنَّما دلّت على أنَّه لا ينفع اكتساب الخير بعد ظهور الآيات، وأنَّ نفع الإيمان المتقدّم في السلامة من الخلود في النار . انظر: الكشاف-وبحاشيته كتاب الإنصاف لابن المنير(63/2-64)، البحر المحيط (259/4)، تفسير ابن كثير (376/3).

٣- انظر: بحر العلوم (526/1)، تفسير البغوي (144/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (105/8)، تفسير الماوردي (580/1).

٥- وهو قول الضحاك، والسُّديّ، وهو مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (105/8)، زاد المسير (158/3).

هريرة[1] رضي الله عنه قال: هم أهل الضلالة من هذه الأمّة فإنَّ بعضهم يكفر بعضاً بالجهالة [2]، ومعنى الآية- والله أعلم- : إنَّ الذين زايلوا دينهم الذي عليهم أن يعملوا به وهو دين الإسلام، وهذا نظير قول الإن سان لغيره : اعمل عملك، يريد به العمل الذي عليه أمر مصلحته، ومن قرأ ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ -بالتشديد-[3] معناه: صيَّروه فِرقاً بتكفيرهم بعضهم بعضها بالجهالة[4]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾، أي: كانوا فِرقاً مختلفةً، والشيع : جمع شيعةٍ، وهي الفِرْقة التي يتبع بعضها بعضاً[5]، يقال: شيّعت أي: اتبعت، وقال الشاعر:

ألاَ يا نخلةً من ذاتِ عرقٍ		برود الظل شَيَّعَكِ السَّلامُ [6]

أي: تبعك السلام، ويقال : شايعه على الأمر إذا اتبعه، وقيل : أصل الشيع من الظهور، يقال: شاع الأمر يشيع إذا ظهر [7]، وقوله تعالى: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ معناه: لست من مذاهبهم الباطلة في شيءٍ، أي: أنت بريء من جميع ذلك[8]، وهذه وهذه مباعدةٌ تامَّةٌ من أن يجتمع النبي ﷺ معهم في شيءٍ من مذاهبهم الفاسدة، ثمَّ أو عدهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مصيرهم ومنقلبهم إليه، ثمَّ يخبرهم

---

١- انظر: تفسير الطبري (105/8)، تفسير الماوردي (580/1).

٢- اختلف في اسمه واسم أبيه كثيراً، أسلم عام خيبر وشهدها، أكثر من روى عن النبي-ﷺ-، توفي سنة : 59هـ. انظر: الاستيعاب (1768/4-1770)، أسد الغابة (461/3).

٣- وهي قراءة العشرة غير حمزة والكسائي. انظر: البحر المحيط (260/4)، النشر (266/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (105/8-106)، الموضح (515/1).

٥- وليس كلّهم متفقين. انظر: معاني القرآن للزجاج (209/2)، لسان العرب (188/8).

٦- ذكره صاحب الخزانة بلفظ : ((شاعكم السلام))، ونسبه لثعلب، وكذا الزجاج بلفظ مغاير . انظر : مجالس ثعلب (198/1)، معاني القرآن للزجاج (209/2)، خزانة الأدب (400/1).

٧- وفي اللسان: شاع الخبر في الناس، يشيع، شيعاً، وشَيَعَاناً، ومَشاعاً، وشيوعةً فهو شائعٌ: انتشر، وافترق، وذاع، وظهر. لسان العرب (188/8).

٨- انظر: تفسير الطبري (106/8).

في الآخرة القيامة بما كانوا يعملون في ال دنيا فيندم المبطل ويفرح المحق [1]، وفي الآية حثٌّ على أن تكون كلمة المؤمنين واحدة، وأن لا يتفرّقوا في الدين، ولا يبتدعوا البدع [2]، وبالله التوفيق.

**قوله ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [160]:**

معنى الآية-والله أعلم-: من جاء بخصلة من الطاعة فله عشر حسناتٍ، ومن جاء بخصلة من المعصية فلا يجزى إلاَّ مثلها وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب [3]، وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ التفضل بالإنعام جائزٌ والابتداء بالعقاب لا يجوز [4]. **[230/أ]** وقد تكلّم أهل العلم في الحسنات العشر التي وعدها الله تعالى في هذه الآية، قال بعضهم : المراد بها التضعيف دون التحديد بالعشرة هذا كقول القائل: لئن أسديت إلي معروفاً لأكافئنك بعشر أمثاله [5]، وقال بعضهم: هو على التحديد بالعشرة [6]، ثمَّ اختلفوا، فقال بعضهم : هو جميعه تفضلٌ والثواب غير ذلك؛ فكأنَّه قال تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر حسناتٍ من النعيم والسرور في كلّ وقتٍ زيادة على ثواب حسنته، وهي أمثالها في أنّها حسناتٌ، وذلك مضمرٌ في

١- انظر: تفسير الطبري (107/8)، تفسير البغوي (145/2)، تفسير ابن كثير (378/3).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (308/2).

٣- والتعميم أولى من تخصيص الحسنة بالشهادة، والسيئة بالكفر، وإليه ذهب الطبري. انظر: تفسير الطبري (107/8).

٤- ووجه عدم جوازه عند المصنِّف-والله أعلم-: تحريم الله-ﷻ- الظلم على نفسه كما في الحديث القدسي: (يا عبادي إنِّي حرَّمت الظلم على نفسي...) الحديث.

٥- وهذا نقله أبو حيّان عن الماتريدي، واختاره الرازي . انظر: مفاتيح الغيب (9/14)، البحر المحيط (261/4).

٦- وعلى هذا جماهير المفسِّرين . انظر: تفسير الطبري (107/8)، بحر العلوم (527/1)، البحر المحيط (261/4)، تفسير ابن كثير (378/3).

الكلام، وهو معنى قوله : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾[1] [فاطر:30]، قالوا: ولا يجوز أن تساوي منزلة التفضل منزلة الثواب؛ لأنَّ الثواب لابدَّ أن يقارنه التعظيم والإجلال، ولو جاز أن تكون منزلة التفضل أعظم من منزلة الثواب لجاز أن يعطى الطفل مثل ثواب الأنبياء صلوات الله عليهم أو أكثر وذلك لا يجوز في الحكمة[2]، وقال بعضهم: جميع هذه الحسنات العشر تفضل من الله تعالى[3]، قالوا: ويجوز أن يتفضل الله تعالى على من لم يعمل بمثل ثواب العامل ابتداءً؛ لأنَّه متفضلٌ في فعله لا يُسْتَحَقُّ عليه شيءٌ[4]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ نزل في الأعراب، فقال له رجل من المهاجرين: فما لأهل القرى يا أبا عبد الرحمن؟ قال : هو أفضل من ذلك، أراد : أنَّ الله تعالى لا يظلم مثقال ذرةٍ، وإن تك حسنةً يُضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، وإذا قال الله لشيء عظيم فهو عظيم[5]، روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (إذا حسن إسلام أحدكم فكلّ حسنةٍ يعملها يكتب له عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعفٍ إلى ما شاء الله، وكلّ سيئةٍ يعملها تكتب له مثلها، حتى يلقى الله ﷻ)[6]،

---

١- ذكره الماوردي دون نسبةٍ، ونسبه الفخر الرازي إلى الجبَّائي . انظر: تفسير الماوردي (582/1)، مفاتيح الغيب (9/14).

٢- انظر: مفاتيح الغيب (9/14).

٣- وهذا القول لا يظهر لي أيّ فرقٍ بينه وبين سابقه.

٤- وهذا الكلام جائزٌ عقلاً، فالمالك له أن يتصرّف في ملكه كيف شاء، ولا يوصف في ذلك بالظلم، إلاَّ أنَّ الله-ﷻ- بيّن أنَّه يجازي الحسنة بالحسنة، ثمَّ يتفضّل بالزيادة، ويجازي السيئة بالسيئة، فهذا كأنَّه تعالى أوجبه على نفسه، وما أوجبه تعالى على نفسه واجبٌ في حقّه-ﷻ- والله تعالى أعلم.

٥- أخرجه ابن جرير في تفسيره (110/8)، وابن أبي حاتم (5338)، وفيه عطية العوفي، وهو صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلِّساً. انظر: تقريب التهذيب (ص68)، رقم: (4649).

٦- أخرج البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، حديث رقم : (42)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنةٍ كُتبت، وإذا همّ بسيّئةٍ لم تُكتب، حديث رقم:

وعن خريم بن فاتك[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الأعمال ستة، موجبتان، ومثل بمثل، وحسنة بحسنة، وحسنة بعشر، وحسنة بسبع مائة، فأمَّا الموجبتان : فهما من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، و من مات وهو يشرك بالله تعالى دخل النار، وأما مثل بمثل: فمن عمل سيئة فجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها، وأمَّا حسنة بحسنةٍ، من همَّ بحسنةٍ حتى تشعر بها نفسه ويعلمها الله تعالى من قلبه كتب له حسنة، وأمَّا حسنة بعشر: فمن عمل حسنةً فله عشر أمثالها، وأمَّا حسنةٌ بسبع مائة، فالنفقة في سبيل الله تعالى)[2] ، وقال أبو سهل الأنماري[3]: إذا عمل المؤمن حسنةً من الحسنات التي تقبل كتب في صحيفته عشرا، وإذا كان يوم القيامة يضاعف الله تعالى تلك العشر بكلّ واحدٍ عشراً فتصير الحسنة الواحدة مائة في ميزانه عند الوزن فيضاعف الله تعالى له إلى سبع مائة، ومن جاء بالسيئة التي لا تُغفر لا يجُزى إلاَّ مثلها سيئةٌ تسوءه عاقبتها كما ساءت الحفظة معصيته، وقال الزجاج : أراد بقوله تعالى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أنَّ كلّ واحد من العشر هو النهاية في التقدير في النفوس ثم يضاعف الله تعالى المثل الواحد إلى عشرة أضعافٍ إلى سبع مائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ[4]، وأمَّا الحسنة فهي اسم للأعلى في الحسن؛ لأنَّ الهاء دخلت للمبالغة فيدخل فيها الفروض والنوافل ولا يدخل فيها المباح الذي لا يستحق عليه حمد ولا ثواب[5].

---

(129)، كلاهما بلفظ: (إذا أحسن أحدكم إسلامه)، وليس عند البخاري لفظ: (حتى يلقى الله ﷻ).

١- هو: خُرَيم بن فاتك بن الأخرم بن شدَّاد بن فاتك الأسدي، أبو أيمن، أو أبو يحيى، له صحبة، توفي- ﷺ- بالرقة زمن معاوية. انظر: الإصابة (209/3)، التقريب (ص296)، رقم: (1718).

٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند (1826)، والطبراني في الكبير (4043)، والأوسط (4207)، وابن حبان في صحيحه (6277)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2604).

٣- لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مصادر.

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (310/2).

٥- والمباحات يثاب فاعلها إن نوى بها الخير، كمن يأكل ليتقوى على الطاعة، وفي الحديث : (وفي بضع أحدكم أجر، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في

قوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [161]:

معناه: قل لهم يا محمد: إنَّني وفّقني وأرشدني ربِّي إلى دين الحق الذي أدعو الخلق إليه[1]، وقوله تعالى: ﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾ معناه: دين هو غايةٌ في الاستقامة [2]؛ فمن قرأ ﴿قَيِّماً﴾ – بفتح القاف وكسر الياء [3]– فهو اسم[4]، ومن قرأ: ﴿قِيَمٗا﴾ – بكسر القاف ونصب الياء[5]–فهو مصدر كالصغر والكبر[6]، ولم يقل: قِوَماً؛ كما قال: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف:108]؛ لأنَّ قيماً من قولك: قام يقوم قياماً وقيماً [7]، وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ﴾ معناه: دين إبراهيم؛ وإنَّما أضاف هذا الدين إلى إبراهيم؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام كان معظَّماً في قلوب العرب وفي قلوب سائر أهل الأديان، أو كلّ أهل دين يزعمون أنَّهم ينتحلون دين إبراهيم عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿حَنِيفٗاۚ﴾ أي: مائلاً عن الشرك وجميع الأديان الباطلة ميلاً لا رجوع معه [8]، وهذا نصب على الحال، كأنَّه قال: عرَّفني دين إبراهيم في حال حنيفيته[9]، وقوله تعالى:

---

حرامٍ أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ–رضي الله عنه– (1674).

١– انظر: تفسير الطبري (111/8).

٢– المصدر السابق.

٣– مع تشديد الياء، وهي قراءة نافعٍ وابنِ كثيرٍ، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب . انظر : النشر (267/2).

٤– وهو فَيْعَلٌ من قام. انظر: الموضح (517/1).

٥– وهي قراءة عاصمٍ وحمزة والكسائيِّ وخلفٍ، وابنِ عامرٍ. انظر: النشر (267/2).

٦– انظر: معاني القرآن للزجاج (310/2)، الموضح (517/1).

٧– انظر: معاني القرآن للزجاج (311/2)

٨– انظر: المصدر السابق.

٩– انظر: إعراب النحاس (42/2)، التبيان (553/1).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معناه: ما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين[1].

**قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُۥ [ /ب] وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [162-163]:**

معناه: قل لهم يا محمد: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾، أي: الصلوات الخمس المفروضة[2]، ﴿وَنُسُكِي﴾ يعني: طاعتي، وأصل النُّسك كلّما ما يتقرّب به إلى الله تعالى، ومنه قولهم للعابد: ناسكٌ[3]، وقال سعيد بن جبير[4]: معناه: قل إنَّ صلاتي ونسكي في الحج لله لله ربِّ العالمين[5]، ويقال: أراد بالصلاة صلاة العيد، وبالنسك: الأضحية[6]، وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ معناه: وحياتي وموتي ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ربّ الخلائق كلّهم؛ وإنَّما أضاف المحيا و الممات إلى الله وإن لم يكن ذلك مما يُتقرّب به إليه؛ لأنَّ الغرض من الآية التبري إلى الله تعالى من كلّ حولٍ وقوّةٍ والإقرار له بالعبودية، قيل: إنَّ المراد بذلك أنَّ الله تعالى هو المختصّ بأن يحيي ويميته ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذاك، وكما يجب الإخلاص له في العبادة يجب الإخلاص له في الاعتراف بنعمته في المحيا

---

١- انظر: تفسير الطبري (111/8).

٢- انظر: المحرر الوجيز (192/6)، زاد المسير (161/3).

٣- انظر: لسان العرب (498/10).

٤- هو: سعيد بن جبير بن هشام، الأسدي الوالبي مولاهم، أبو عبد الله، مقرئ مفسر فقيه محدّث، أحد أعلام التابعين، أخذ عن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم-، حدث عنه خلقٌ كثيرٌ منهم: سليمان الأعمش، وأيوب السختياني، قتله الحجاج سنة: 95هـ بواسط.

انظر: طبقات القراء (43/1-45)، وفيات الأعيان (371/2-373).

٥- وبمثله قال مجاهد، وقتادة، والسُّديّ، والضحاك. انظر: تفسير الطبري (112/8)، زاد المسير (161/3)، التفسير الصحيح (294/2).

٦- انظر: البحر المحيط (262/4).

والممات[1]، وقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ أي: ليست تقربني إلى الله تعالى كما يفعل المشركون[2]، وقولــه تعالى : ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ معناه: أنَّ الله أمرني بذلك [3]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ معناه: أنا أوَّل من استقام على الإيمان من أهل هذا الزمان[4]، وعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ أنَّه قرَّب كبشاً أملح أقرن وقال: (لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين )، إلى آخر الآيتين، ثمَّ ذبح ثمَّ قال : (شعره وصوفه فداء لشعري من النار، وجلده فداء لجلدي من النار، ودمه فداء لدمي من النار، ولحمه فداء للحمي من النار، وعظمه فداءٌ لعظمي من النار، وعروقه فداءٌ لعروقي من النار )، فقالوا: يا رسول الله هنيئاً مريئاً، هذا لك خاصة؟ قال: (لا، بل لأمّتي عامَّة إلى أن تقوم الساعة، أخبرني بذلك جبريل عليه السلام عن ربِّي تبارك وتعالى)[5].

قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [164]:

معناه: قل لهم يا محمد أغير الله أطلب إلهاً لي ولكم[6]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ

---

١- انظر: تفسير البغوي (146/2)، زاد المسير (161/3)، البحر المحيط (262/4)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (238/4)، روح المعاني (70/8-71).

٢- أراد المصنِّف بذلك ما زعمه المشركون من كون الأصنام تقرّبهم إلى الله حال عبادتهم إيَّاها، كما قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:3].

٣- ويحتمل المعنى: أمرني الله بألاَّ أشرك به، أو : أمرني الله بالصلاة والذبح لوجهه تعالى وحده، والمعنيان متداخلان، كما هو ظاهرٌ. انظر: المحرر الوجيز (192/6).

٤- وهو مرويّ عن قتادة، ونسبه ابن الجوزي للحسن. انظر: تفسير الطبري (112/8)، زاد المسير (161/3).

٥- لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر، إلاَّ أنَّ ما كان من إيراد البرسوي له في تفسيره، ولم يزد على إيرادا نصّ الحديث. انظر: روح البيان (129/3).

٦- انظر: تفسير الطبري (113/8)، بحر العلوم (528/1)، تفسير ابن كثير (383/3).

﴿كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ أي: هو مالكي ومالككم ومالك كلّ شيء، فكيف أطلب النفع من مربوبٍ مثلي ومثلكم وأدع سؤال ربٍّ يملكني ويملككم؟ فهل يجوز هذا؟ وهل يحسن هذا؟ لابدَّ من أنَّ يكون جوابه لا، وأمَّا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾ فمعناه: لا تعمل كلّ نفسٍ طاعةً ولا معصيةً إلاَّ عليها، قال أهل الإشارة[1]: ولا تكسب كلّ نفسٍ من خيرٍ أ و شرٍّ إلاَّ عليها؛ أمَّا الشرّ فهو مأخوذ به، وأمَّا لخير فمطلوبٌ منه صحّه قصده وخلوّه من الرياء والعجب والافتخار ورؤيته من نفسه والاعتماد عليه، فإذا حصلت هذه الوجوه وجدت عمل الخير عليه لا له إلاَّ أن يعفوَ العفوُّ[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ قيل: إنَّه جوابٌ عن قول الكفار للنبي ﷺ: نحن كفلاء لك بما يصيبك من عبادة الأصنام [3]، معناه: أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي : لا يحمل أحدٌ ذنب غيره [4]، والوزر في اللغة : هو الثقل[5]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ معناه: ثمَّ إلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه أحدٌ غير الله تعالى مصيركم ومنقلبكم فيخبركم باختلافكم في الدين في

---

١- يقصد بهم أصحاب التفسير الإشاري، وهو تفسيرٌ قائمٌ على الإشارات، وأغلب ما في الكتب منه يبعد حمل ألفاظ القرآن عليه، وما يصحّ منه قليلٌ، وممن اهتمّ به : أبو عبد الرحمن السُّلمي، والقشيري، والتستري، ومن المتأخرين: حقي البرسوي، والألوسي.

٢- وهو توجيهٌ فيه بعدٌ لا يخفى، وتكلُّفٌ؛ حيث إنَّه جعل الحسنات والسيئات على صاحبها، فالمعلوم أنَّ الحسنات هي لصاحبها لا عليه، بخلاف السيئات، ولعلّه اكتفى بأحد حرفي الجرّ- اللاَّم وعلى- عن الآخر.

والله أعلم. انظر: روح البيان (130/3-131).

٣- انظر: تفسير مقاتل (381/1)، زاد المسير (162/3).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (312/2)، تفسير البغوي (147/2).

٥- قال في اللسان: الوِزر: الحمل الثقيل. اهـ.

لسان العرب (282/5).

دار الدنيا[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [165]:**

معناه: وهو الذي جعلكم يا أمَّة محمد خلفاء في الأرض[2]، والخلائف جمع الخليفة، وكلّ قرنٍ خليفة للقرن الذي كانوا قبلهم في الأرض[3]، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: فضائل في المال والمعاش والجاه[4]، تقديره: إلى درجات ثمَّ حذف إلى وانتصب درجات[5]، ويقال إنَّ الدرجات مفعول على تقدير: ورفعكم درجات؛ كما يقال: كسوت فلاناً ثوباً، أو اكتسى ثوباً، فيكون الثوب مفعولاً[6]، وقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ أي: ليختبركم فيما أعطاكم؛ يختبر الغني بالفقير والفقير بالغني فيظهر للناس شكر الشاكرين وصبر الصابرين[7]؛ وإنَّما سمّى التعبد البلوى لأنَّه يظهر به حال المتعبّد في الطاعة والمعصية، كما يظهر بالاختبار حال الشيء، والاختبار من الله تعالى إظهار معلومه في الأزل للخلائق به

١- انظر: تفسير الطبري (113/8)، البحر المحيط (263/4).

٢- وإلى جعل الخطاب لأمَّة محمد-ﷺ- ذهب جماعةٌ منهم الزجاج، والطبري، وهو مروي عن السُّديّ، وقد نُسب إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والحسن جعل الخطاب عامّاً للناس؛ إمَّا على أنَّهم خلفوا الجنَّ، أو على أنَّ بعضهم يخلف بعضاً.
انظر: تفسير الطبري (114/8)، معاني القرآن للزجاج (312/2)، زاد المسير (163/3)، روح المعاني (71/8).

٣- انظر: بحر العلوم (529/1)، تفسير ابن كثير (384/3).

٤- انظر: المحرر الوجيز (195/6)، تفسير ابن كثير (384/3).

٥- انظر: التبيان (515/1).

٦- وأراد هنا: انتصابها على أنَّها مفعولٌ ثان لرفَعَ، على تضمين الفعل معنى الإعطاء، و «أعطى» تنصب مفعولين. انظر: الدر المصون (26/5).

٧- انظر: بحر العلوم (529/1)، الكشاف (65/2)، تفسير ابن كثير (285/3).

يستوجبون الثواب والعقاب[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: إذا عاقب فعقابه [231/أ] سريعٌ؛ وإنَّما قال: ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ مع أنَّ الله تعالى موصوفٌ بالحلم والإمهال؛ لأنَّ كلّ ما هو آتٍ قريبٌ[2]؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[النحل:77] وإذا انتهى الإنسان إلى الشدة كان ما سلف كلمح البصر، وقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أنَّه يعاقب كلّ من استحقّ العقاب في دار الدنيا متى شاء وأراد من غير أن يحتاج إلى تفكر في عقابه[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: إنَّه لغفورٌ لمن تاب من الذنوب، رحيمٌ بمن مات على التوبة[4]، وقد تقدَّم ذكر فضل هذه السورة، وما ورد فيه من الخبر في أوَّلها، والله ولي التوفيق.

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (312/2)، زاد المسير (163/3).

٢- انظر: بحر العلوم (529/1/1)، معاني القرآن للزجاج (312/2)، تفسير البغوي (147/2)، تفسير البيضاوي (239/4)، المحرر الوجيز (195/6).

٣- انظر: تفسير الطبري (114/8)، تفسير البغوي (147/2)، المحرر الوجيز (195/6)، البحر المحيط (263/4).

٤- انظر: بحر العلوم (529/1).

# سورة الأعراف

مكية عند أكثرهم، وعن ابن عباس وقتادة أنَّهما قالا: إلاَّ خمس آياتٍ منها، هي قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [163] إلى آخر الآيات الخمس فإنَّهنَّ نزلن بالمدينة[1]، وعدد آيات هذه السورة مائتان وخمس آياتٍ عند أهل البصرة والشام، وست عند أهل الكوفة والحجاز[2].

**﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ :الٓمٓصٓ - كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1-2]:**

روي عـــن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنَّ معناه : أنا الله أعلم وأفصـــل[3]، وقـــال الحســـن: هو اسم هذه السورة[4]، كأنَّه ذهب إلى قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ إشارة إلى لقب هذه السورة كما يسمي الرجل ولده الذي يولد له محمد يقصد به الفرق بينه وبين غيره، وقوله تعالى :﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: هذا القرآن كتابٌ أنزل إليك فلا يقع في قلبك شكٌّ منه[5]. خاطب به النبي ﷺ وعنى به الخلق كلّهم، أي: لا ترتابوا ولا تشكوا، ويقال: الحرج: الضيق

---

١- انظر: زاد المسير (164/3).

٢- انظر: البيان في عد آي القرآن ص155.

٣- وأثبت منه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ ﴿الٓمٓصٓ﴾ قسم أقسمه الله-ﷻ، وما ذكره المصنّف مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق عطاء بن السائب عن أبي الضحى عنه-رضي الله عنه- والطريق الأوَّل أصحّ.

انظر: تفسير الطبري (115/8)، التفسير الصحيح (95/1).

٤- انظر: زاد المسير (165/3).

٥- وهذا المعنى مرويّ عن قتادة، ومجاهد، والسدي.

انظر: تفسير الطبري (116/8)، التفسير الصحيح (297/2).

الذي لا يجد الإنسان له منفذاً[1]. والمراد بالضيق هنا: لا يضرِقِ[2] صدرك من تأدية ما أرسلت به، ولا تخافن من إبلاغ الرسالة فإنَّك في أمانٍ والله يعصمك من الناس[3]، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ معناه: أنزل إليك ﴿لِتُنذِرَ﴾ أي: لتخوّف بالقرآن أهل مكة، وليكون عظةً لمن اتبعك[4]، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ في موضع رفعٍ على معنى وموعظة[5].

**قوله ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [3]:**

معناه: اعملوا بما أنزل إليكم من ربكم، وحقيقة اتباع القرآن تصرف الناس بتصريف القرآن لهم وتدبرهم بتدبيره، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ أي: لا تتخذوا من دونه أوثاناً ولا تتولوا أحداً إلاَّ لوجهه[6]، وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يجوز أن يكون معناه قليلاً ما تتعظون، وتكون ما زائدة في الكلام[7]، ويجوز أن يكون المعنى قليلاً الشيء الذي تتعظون[8].

**قوله ﷻ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [4]:**

---

١- وهذا القول ذهب إليه الزجاج، ونُسِب للحسن، وأبي العالية. انظر: معاني القرآن للزجاج (315/2)، تفسير البغوي (148/2)، زاد المسير (165/3).

٢- هكذا في المخطوط بياء بعد الضاد، وهو لحن؛ إذ الفعل مجزومٌ بلا الناهية، فيلتقي ساكنان أوَّلهما لين فحقّه الحذف. والله أعلم.

٣- معاني القرآن للزجاج (315/2).

٤- انظر: بحر العلوم (530/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (117/8)، إعراب النحاس (44/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (316/2)، بحر العلوم (530/1).

٧- وزيادة «ما» هنا للتوكيد، وهذا اختيار الزجاج، والنحاس. انظر: معاني القرآن للزجاج (316/2)، إعراب النحاس (45/2).

٨- انظر: الدر المصون (246/5)، التبيان (1-90).

معناه: كم من قرية أهلكنا أهلها بألوان العذاب فجاءها عذابنا ليلاً [1]. وسمي الليل بياتاً لأنَّه يبات فيه كما سُمّي البيت بيتاً لهذه العلّة [2]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ معناه: أو وقت الظهيرة [3]، وإنَّما خصَّ هذين الوقتين بمجيء العذاب؛ لأنَّها من أوقات الغفلة، ويقال: إنَّها من أوقات الراحة، ومجيء العذاب في حالة الراحة أغلظ وأشدّ [4]، وقد أهلك الله تعالى قوم شعيبٍ في نصف النهار وفي حرٍّ شديدٍ وهم قائلون [5]، وفائدة هذه الآية التهديد والوعيد على معنى إن لم تتعظوا أتاكم العذاب ليلاً أو نهاراً كما أتى الأوَّلين الذين لم يتعظوا، ثمَّ أخبر جلَّ ذكره عن حالٍ من أتاهم العذاب [6].

**فقال عزّ من قائل: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [5]:**

معناه: لم يكن قولهم ودعاؤهم حين جاءهم عذابنا إلاَّ الاعتراف بالظلم والشرك [7]، أي: اعتبروا بهم، وكما لم ينفعهم تضرعهم عند رؤية البأس كذلك لا ينفعكم إذا جاءكم العذاب [8]، قال سيبويه: إنَّ الدعوى تصلح أن تكون في معنى الدعاء، وأنشد:

ولت ودعواها كثير صخبه [9]

---

١- انظر: تفسير الطبري (118/8).
٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (317/2)، بحر العلوم (531/1).
٣- انظر: تفسير البغوي (148/2).
٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (317/2)، تفسير البغوي (148/2)، تفسير ابن كثير (388/3).
٥- انظر: بحر العلوم (556/1)، الكشاف (67/2).
٦- انظر: تفسير الطبري (117/8-118).
٧- انظر: مجاز القرآن (210/1)، تفسير الطبري (119/8).
٨- انظر: بحر العلوم (531/1).
٩- نسبه سيبويه لبشير بن النكث، و لم أقف على تمام البيت. انظر: لسان العرب (257/14).

ويجوز أن يقال: اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين ودعاء المسلمين، وقيل: إنَّ المراد بقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الدعوى المعروفة كأنَّه قال: فما حصلوا مما انتحلوا من الدين إلاَّ على الاعتراف بكونهم ظالمين[1]، فإن قيل: الهلاك يكون بعد البأس فكيف قال: أهلكناها فجاءها بأسنا؟ قيل: لأنَّهما يقعان معاً كما يقال: أعطيتني فأحسنت **[231/ب]** وزرتني فأكرمت[2]، ويجوز أن يكون المعنى: فأهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا بياتاً أو في وقت القيلولة[3].

**قوله ﷻ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [6]:**

إخبارٌ عن حالهم يوم القيامة، ودخول الفاء في أوَّل هذه الآية ليترتب ما بين الهلاك وسؤال المرسلين يوم القيامة[4]، كما قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر :1]، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[5] [الأنبياء :1]، ومعنى الآية: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ هل بلغتكم الرسل ما أرسلوا به إليكم و ما ذا أجبتموهم؟ ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هل بلغتم قومكم ما أرسلتم به وما ذا أجابوكم[6]؛ فإن قيل: فلماذا يسأل يسأل الله المرسلين مع العلم بأنَّهم لم يقصّروا؟ قيل: ليتبيَّن عند مسألته أولياء الله تعالى ما ينالهم من كرامته فيكون ذلك حسرة على أعدائه يومئذ[7].

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (318/2)، الكشاف (67/2).
٢- انظر: معاني القرآن للفراء (371/1)، تفسير الطبري (118/8).
٣- انظر: الكشاف (67/2).
٤- انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (249/4)، روح المعاني (81/8).
٥- ففي الآيتين أشار إلى قرب الساعة، وفيها يكون السؤال المذكور؛ فلذلك عطف السؤال الأخروي على ما ذكر من حالهم في الدنيا بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب؛ للقرب بينهما. والله تعالى أعلم.
٦- انظر: تفسير الطبري (120/8)، بحر العلوم (531/1).
٧- انظر: تفسير الرازي (14/22-23)، البحر المحيط (270/4).

**قوله ﷻ: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [7]:**

معناه: لنخبرنَّهم بما عملوا بعلمٍ منا، أي: لا يسألهم ليعلم وإنَّما سألهم لإقامة الحجة عليهم[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ معناه: إنَّا كنَّا عالمين كل شيءٍ من تبليغ الرسالة وجواب الأمم[2]؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ البعد والقرب لا يجوز على الله تعالى[3].

**قوله ﷻ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [8-9]:**

معنى الآية: وزن الأعمال يوم القيامة الحق ولا ينقص من إحسان محسنٍ ولا يزاد على إساءة مسيء[4]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم الظافرون بالمراد والبغية[5]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا حظ أنفسهم بما كانوا بمحمد ﷺ والقرآن يجحدون[6]، ومعنى الخسران: ذهاب رأس المال، ورأس مال الإنسان نفسه فإذا هلك هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه، وقد تكلَّم الناس في ذكر الموازين يوم القيامة، وقال عبد الله بن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسانٌ و كفتان توضع فيه أعمالهم، فأمَّا المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل

١- انظر: تفسير الطبري (121/8).

٢- انظر: تفسير ابن كثير (389/3).

٣- إلاَّ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييفٍ ولا تم ثيلٍ. قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:186].

٤- انظر: تفسير الطبري (122/8)، بحر العلوم (531/1)، تفسير القرطبي (164/7).

٥- انظر: تفسير الطبري (123/8)، بحر العلوم (531/1).

٦- انظر: تفسير الطبري (124/8).

حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنة عند منازله، ثمَّ يقال له: الحق بعملك، فيأتي منازله فيعرفها بعمله، قال: وهم أعرف بمنازلهم في الجنة بأعمالهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا منها إلى منازلهم، وأمَّا الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورةٍ فيوضع في كفة الميزان فيخفّ-والباطل خفيف- ثم يرفع ويلقى في النار، ثمّ يقال له: الحق بعملك، فيأتي منازله في النار [1]. وقيل: إنَّ المراد بالعمل في هذا الخبر أنَّ الله تعالى يجعل للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة قبيحة، لا أنَّ عين الأعمال توضع في الميزان؛ لأنَّ أعمال العباد أعراضٌ منقضيةٌ لا تعاد [2]، وقال عبد الله بن عمر: يؤتى بصحف الطاعات وصحف المعاصي فتوزن الصحف [3]، وكان يروي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (يؤتى بالعبد المؤمن إلى الميزان يوم القيامة ثم يؤتى بتسعة وتسعين سِجّلاً كلّ واحدٍ منهم مدّ البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم تخْ رج بطاقة من تحت العرش بمقدار الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلاَّ الله فتوضع في كفةٍ أخرى، فيقول العبد: يا ربّ ما تزن هذه البطاقة مع هذه الصحف؟فيأمر الله تعالى أن توضع البطاقة في كفةٍ أخرى، فإذا وضعت طاشت الصحف ورجحت البطاقة ) [4]،

---

١- أخرجه البيهقي في الشعب في الثامن من شعب الإيمان، باب حشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهو طريق ضعيفٌ لاتهام الكلبي بالكذب . انظر: شعب الإيمان (260/1)، تهذيب التهذيب (178/9)، الدر المنثور (325/6).

٢- وهو مرويّ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير البغوي (149/2)، تفسير الرازي (26/14)، محاسن التأويل (7/9-10).

٣- انظر: تفسير الماوردي (10/2)، البحر المحيط (271/4)، تفسير القرطبي (156/7).

٤- وهذا الحديث مشهورٌ بحديث البطاقة، وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند (213/2)، رقم : (6994)، والترمذي في السنن، في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألاَّ لا إله إلاَّ الله، رقم : (2639)، وحسّنه، وكذلك أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب الإيمان، رقم : (9) جميعهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، لم يخرّج في الصحيحين، وهو صحيحٌ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وقال بعضهم: يوزن الإنسان[1] كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : (يؤتى بالرجل العظيم الأكول الشروب فيوزن، فلا يزن جناح بعوضةٍ، اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف:105])[2]، وقال مجاهد: معنى الميزان : العدل[3]، وهذا كما يقال: هذا الكلام وزن ذلك الكلام، أي: في مقداره، ويقال : وزن الشعر ووزن الرَّجز، ويراد به المساواة[4]، وحقيقة الميزان في الجملة لا يمكن معرفتها إلاَّ بالإخبار إلاَّ أنَّ الآية دالّة على أنَّ جملة أعمال العباد م وزونةٌ على غاية العدل والحق، ولا يمتنع أن يكون الوزن على هذه الوجوه كلّها[5]-والله أعلم-، وأمَّا ذكر الموازين بلفظ الجماعة؛ لأنَّ الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين والخيوط [6]، ويقال: إنَّه يكون هناك موازين لكلّ نوعٍ من الطاعات ميزانٌ على حدة[7].

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ [ أُنْزِلَ مَآ/أ] قَلِيلًا مَّا

---

١- وهذا القول نسبه الماردي لعبيد بن عمير . انظر: تفسير الماوردي (10/2)، محاسن التأويل (11/7-12).

٢- أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة- ؓ- بلفظ: (إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضةٍ ...) الحديث، في كتاب التفسير، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، رقم: (4452)، وكذا أخرجه مسلم باللفظ المذكور من حديث أبي هريرة- ؓ- في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: (18).

٣- انظر: تفسير الطبري (122/8)، تفسير الماوردي (10/2).

٤- قال في اللسان: هذا وزن هذا، وإن لم يكن مما يوزن، وتأويله: أنَّه قد قام في النفس مساوياً لغيره. اهـ . لسان العرب (446/13).

٥- قال الحافظ ابن كثير بعد إيراده للأقوال في الموزون: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كلّه صحيحاً، فتارةً توزن الأعمال، وتارة توزن محالّها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم . اهـ. من تفسير ابن كثير (390/3).

٦- بحر العلوم (532/1)، تفسير البغوي (149/2).

٧- انظر: تفسير البيضاوي (252/4)، روح المعاني (84/8).

﴿تَشْكُرُونَ﴾ [10]:

معناه -والله أعلم-: مكناكم بالتمليك والإقدار ورفع الموانع، وجعلنا لكم في الأرض ما تعيشون به من الرزق[1]، وهو ما يخرج من الأرض من الحبوب ومن الأشجار من الثمار، ويقال معنى المعايش: الوصلة إلى ما يعاش به بالحراثة والتجارة وأنواع الحرف والصناعات[2]، قرأ نافعٌ[3] في رواية خارجة[4] ﴿مَعَائِشَ﴾[5] بالهمز كالكبائر والصغائر والصحائف على وزن فعائل، والباقون على ترك الهمزة على وزن فعاعل، قالوا: وهذا أصح؛ لأنَّ الياء هاهنا أصليةٌ؛ لأنَّ المعايش من العيش والياء في الصحائف زيادةٌ وإنَّما همزت الياء الزائدة؛ لأنَّه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها فأوجبوا فيها الهمز، وأمَّا مصائب جمع المصيبة فقد أجمع النحويون فيها على الهمز؛ لأنَّ أصلها مصاوب فأبدلت الهمزة من الواو، كما قالوا في وسادة: إسادة[6]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فهو استبطاءٌ للشكر وأمر وأمر بالشكر على نعمه كأنَّه قال: شكركم فيما أصنع إليكم قليلٌ[7].

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (320/2)، تفسير البغوي (150/2).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (320/2)، تفسير الماوردي (10/2)، البحر المحيط (271/4).

٣- هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولاهم، المدني، أبو رويم، المقرئ، أحد الأعلام، قرأ على ما يقارب السبعين من التابعين، كان إمام الإقراء في عصره، توفي سنة : 167هـ. طبقات القراء (104/1-109)، شذرات الذهب (270/1).

٤- هو: خارجة بن مصعب، أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافعٍ، وأبي عمرو، وله شذوذٌ كثيرٌ عنهما، لم يُتابَع عليه، توفي سنة : 168هـ. انظر: غاية النهاية (243/1)، شذرات الذهب (265/1).

٥- وهي قراءة الأعرج، وزيد بن علي، والأعمش. انظر: البحر المحيط (271/4)، الدر المصون (258/5).

٦- انظر: المصدرين السابقين، معاني القرآن للفراء (373/1-374)، تفسير الطبري (125/8)، بحر العلوم (532/1).

٧- انظر: زاد المسير (172/3).

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [11]:

قال بعضهم: خلقنا آدم الذي هو أصل خلقكم، ثمَّ صوّرناه إنساناً، ثمَّ قلنا من بعد خلقه من التراب وتصويره للملائكة الذين كانوا في الأرض مع إبليس: اسجدوا لآدم سجدة تحيةٍ[1]، فسجد المأمورون إلاَّ إبليس لم يكن من الساجدين من الملائكة لآدم عليه السلام[2]، قالوا: وإنَّما أضاف الخلق والتصوير إلينا في أوَّل الآية وأراد بذلك أبانا؛ لأنَّ من عادة العرب أنَّهم يخاطبون الأبناء ويريدون به أسلافهم، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة :63، 93]، وإنَّما رفع الطور وأخذ الميثاق على آبائهم، وكذلك قال عز من قائل : ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:91] وأراد بذلك قتل آبائهم الأنبياء عليهم السلام[3]، وقال بعضهم: معنى الآية: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم نطفاً، ثمَّ علقاً، ثمَّ مضغاً، ثمَّ عظاماً، ثمَّ لحماً، ثمّ صوّرناكم ؛ الحسن والذميم، والطويل والقصير، وصوّرنا لكم عظماً من العين والأنف والأذن واليد والرجل وأشباه ذلك[4]، قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ قال الأخفش: معنى ثمّ هاهنا بمعنى الواو، أي: [وقلنا للملائكة اسجدوا

---

١- وجعلها سجدة تحية لا دليل عليه، وقد اختاره أبو الليث، ولا أعلم دليله، فنوع السجود هنا ابتلاء وامتحانٌ لا يعلم حكمته إلاَّ الله. انظر: تفسير الطبري (127/8)، بحر العلوم (532/1).

٢- وهذا اختيار الزجاج والطبري، وأبي الليث. انظر: تفسير الطبري (127/8)، معاني القرآن للزجاج (321/2-322)، بحر العلوم (532/1)، الكشاف (68/2)، تفسير ابن كثير (391/3).

٣- انظر: معاني القرآن للأخفش (512/2)، زاد المسير (173/3).

٤- وهذا القول مرويّ عن معمر، ونسبه البغوي إلى يمان، ولعلّه يمان بن رباب، أو ابن رئاب، حيث ذكره في موضعٍ آخر. انظر: تفسير الطبري (127/8)، تفسير الماوردي (11/2)، تفسير البغوي (150/2-184).

لآدم سبق خلقنا وتصويرنا ][1]، وهذا كما قال الله تعالى : ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد:14] على قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد:17] معناه: وكان من الذين آمنوا، وأنكر سيبويه والخليل أن يكون حرف ثمَّ بمعنى الواو، ولكن يكون للتراخي[2]، ويجوز أن يكون معنى ثمّ هاهنا للتراخي من حيث الإخبار دون ترادف الحال[3].

**قوله ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ - قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [12-13]:**

قيل: معنى الآية: ما منعك أن تسجد، و«لا» زائدةٌ في الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الحديد:29]معناه: ليعلم[4]، وقيل: إنَّ لا هاهنا صلةٌ مؤكدةٌ للجحد؛ كأنَّه قال: ما منعك من السجود أن تسجد، ويقال: معناه : ما دعاك إلى أن لا تسجد وما أحوجك وما ألجأك؟[5] وقد علم الله تعالى ما منعه من السجود لكن مسألته إيَّاه توبيخاً له وإظهاراً أنَّه معاند ركب المعصية خلافاً لله ﷻ[6]، ومن خالف الله تعالى في أمره ولم ير ذلك واجباً عليه فهو كافرٌ[7]، وقوله

---

١- ما بين المعقوفتين كتب هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد : وقولنا للملائكة: اسجدوا لآدم سبق خلقنا وتصويرنا. والله تعالى أعلم.

٢- وقد ردَّ الطبري هذا القول، وكذلك الزجاج.
انظر: معاني القرآن للأخفش (512/2)، تفسير الطبري (128/8)، معاني القرآن للزجاج (321/2).

٣- انظر: البحر المحيط (272/4)، الدر المصون (260/5).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (322/2-323)، بحر العلوم (532/1)، البحر المحيط (273/4).

٥- انظر: مفاتيح الغيب (31/14-32)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (254/4).

٦- انظر: الكشاف (68/2).

٧- وقد أثبت الله-ﷻ-ذلك حين قال عن إبليس- لعنه الله- : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:34].

تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ ليس بجوابٍ عما سأله الله تعالى من جهة اللفظ؛ لأنَّ هذا الجواب جواب أيكما خير، إلاَّ أنَّ هذا جوابٌ من جهة المعنى؛ فإنَّ معناه إنَّما منعني من السجود إلاَّ أنِّي كنت أفضل منه [1]، وكان هذا القول من اللّعين تجهيلاً منه لخالقه كأنَّه قال: إنَّك فضّلت الظلمة على النور، وليس ذلك من الحكمة، فأعلم الله تعالى أنَّه صاغرٌ بهذا القول، وليس الأمر على ما قاله الملعون؛ لأنَّه رأى أنَّ جوهر النار أفضل من جوهر الطين في المنفعة، وليس كذلك؛ لأنَّ عامّة الثمار والحبوب والفواكه من الطين، كذلك الملابس كلها لا تحصل إلاَّ من الطين، وعمارة الأرض من الطين، وهو موضع القرار عليه لا يستغنى عنه في حالٍ من الأحوال، وأمَّا النار فهي للخراب وإن كان فيها بعض المنافع [2]، وإن رأى أنَّ جوهر النار أشرف من جوهر الطين لفضلية جوهر النار في نفسه فليس لأحدهما شرفٌ على الآخر من هذا الوجه، وإنَّما كان الشرف لاكتساب الفضيلة، ولا يوجد ذلك في واحدٍ من الجوهرين [3]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ [ /ب] مِنۡهَا﴾ قيل: معناه: اهبط من الجنَّة [4]، ويقال: اهبط من السماء [5] ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ﴾ في الجنة ولا في السماء فإنَّ ذلك ليس بموضع المتكبرين، ويقال: معناه: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾

---

انظر: معاني القرآن للزجاج (322/2).

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (322/2)، تفسير البيضاوي (255/4)، تفسير القرطبي (170/7)، زاد المسير (174/3).

٢- انظر: بحر العلوم (533/1)، زاد المسير (174/3).

٣- انظر: مفاتيح الغيب (33/14)، روح المعاني (89/8).

٤- وهو اختيار الطبري وجماعة. انظر: تفسير الطبري (123/8)، بحر العلوم (533/1)، تفسير البغوي (151/2).

٥- وهو منسوبٌ إلى الحسن، واختاره الزمخشري، والقرطبي. انظر: تفسير الماوردي (11/2)، الكشاف (69/2)، زاد المسير (175/3)، تفسير القرطبي (173/7).

اخرج من الأرض والحق بجزائر البحور[1]، وهذا كقول الرجل: هبطت إلى الأرض من كذا، ولم ينزل من مكان إلى مكانٍ، وقوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ معناه على هذا القول: ليس لك أن تتعظم في الأرض على بني آدم، فاخرج إنَّك من الذليلين[2]، يقال: إنَّه لا يتعظم إلاَّ في جزائر البحور، ولا يدخل الأرض إلاَّ كهيئة السارق وعليه أطمارٌ يروغ فيها حتى يخرج منها[3].

## قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ - قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [14-15]:

معناه: قال إبليس حين خشي أن يعاجله الله بالعقوبة: أجّلني وأمهلني وأخّر جزائي إلى يوم يبعثون من قبورهم[4]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ أي: من المؤجَّلين، وهذا ليس بإجابة له إلى ما سأل؛ لأنَّ الله تعالى أخبر في هذه الآية أنَّه من المنظرين وأبهم الوقت وبيّنه في آيةٍ أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ - إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 37-38، ص: 80-81]، قال عبد الله بن عباسٍ: أراد الخبيث بقوله: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أنَّه لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأبى الله تعالى أن يعطيه ذلك فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ - إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني إلى النفخة الأولى يموت حينئذ أهل السماوات والأرض ويموت إبليس معهم[5]، وبين النفخة الأولى والثانية أربعين سنةً، وقد اختلفوا في أنَّ

---

١- وهذا القول منسوبٌ إلى الكلبي. انظر: بحر العلوم (533/1).

٢- انظر: انظر: بحر العلوم (533/1).

٣- انظر: بحر العلوم (533/1)، تفسير البغوي (151/2)، تفسير القرطبي (173/7).

٤- وقد يكون إبليس-لعنه الله- سأل الله-ﷻ- الإنظار بالحياة إلى يوم البعث لئلا يذوق الموت.
انظر: تفسير الطبري (132/8)، بحر العلوم (533/1)، تفسير الماوردي (12/2).

٥- انظر: تفسير الطبري (132/8-133)، بحر العلوم (533/1)، تفسير البغوي (151/1)، تفسير القرطبي (173/7-174).

أنَّ الله تعالـــى هل يجيب دعوة الكافـــر أم لا؟ قال بعضهم : لا يجب؛ لأنَّ إجابة الـــدعاء يكـــون تعظيماً للداعي؛ ولهـــذا يُمدح الإنسان بأنَّه مُجاب الدعوة، ولا يحســـن مـــن الله تعالى أن يعلم أحداً مدة حياته؛ لما في ذلك من الإغراء بالمعاصي[1]، وكيف يجوز أن يجيب الله تعالى إبليس إلى ما سأل ولم يكن سؤاله على جهة التضرع والتخشّع والرغبة إلى الله تعالى، وإنَّما سأل ليغوي الناس ويضلّهم، وقال بعضهم: يجوز إجابة الكافر استدراجاً واستصلاحاً له أو لغيره، ولا يكون إجابة الكافر تعظيماً له بوجهٍ من الوجوه[2].

## قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [16]:

قـــال عبد الله بن عباس : معنـــاه: فبمـــا أضللتني عـــن الهدى[3] لأقعدنّ لهم علـــى طريقك المستقيـــم[4]، أي: لأرصدنَّ على طريق بني آدم، وأصدنّهم عن دينك المستقيـــم الذي لا عوج فيه، وهذا كما يقـــال: ضرب فلانٌ الظهـــر والبطن، أي: على الظهر والبطـــن، وإنَّما جعل كلمة «على» مضمـــراً؛ لأنَّ قاطع الطريـــق إنَّما يقعـــد على الطريـــق[5]، وقـــال الحســـن : معنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾:

---

١- وهذا الكلام باطلٌ، فكيف يُنْفَى الحسن عما فعله الله- ﷻ-بل كيف يُحْكَم على فعله بالحسن أو القبح، وقد قال-ﷻ-: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:23]، وقد أخبر الله- ﷻ- إبليس وأعلمه بمدة حياته، ووقَّتها له بالأجل المعلوم، وإبليس أحد الخلق، ولا شك أنَّ ذلك منه تعالى لحكمةٍ بالغةٍ تظهر بعض جوانبها، وبعضها لا يعلمه إلاَّ هو-ﷻ-. والله تعالى أعلم.

٢- انظر: تفسير الماوردي (13/1).

٣- وهذا القول مرويّ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وعن ابن زيد، وعليه الجمهور. انظر: تفسير الطبري (133/8)، زاد المسير (175/3)، التفسير الصحيح (305/2).

٤- انظر: معاني القرآن للفرَّاء (375/1)، معاني القرآن للزجاج (324/2)، بحر العلوم (533/1).

٥- وهذا القول ذكره الزجاج، والزمخشري، وضعّفه أبو حيّان، واختار نصب الصراط بتضمين فعل القعود معنى فعل يتعدى بنفسه؛ فيكون التقدير : لألزمنَّ بقعودي صراطك المستقيم . وحجّته أنَّ حذف حرف الجرّ لا ينقاس في مثل هذا.

لعنتني[1]، ويقال معنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: خيبتني[2]، وقد يكون الغي بمعنى الخيبة، قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ومن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِما[3]

أي: من يخب على طلبته لا يعدم على الخيبة لائماً؛ لأنَّه ذكر الغي في مقابلة قوله: فمن يلق خيراً، قيل: معنى ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: بما دعوتني إلى شيءٍ غويت به[4]، وهذا كرجلٍ يكون في قلبه أن لا يحضر باب الملك فيدعوه إنسانٌ إلى حضور بابه فيظهر العصيان في ذلك ثمَّ يقول لذلك الرجل: إنَّك أعصيتني[5]، وعن زُفر بن سليمان[6] أنَّه قال: معنى الصراط المستقيم: طريق مكة، ما من رفقة تخرج إليه إلاَّ ويجهّز إبليس مع كلّ رفقة رفقتين من الشياطين[7].

---

انظر: معاني القرآن للزجاج (324/2)، الكشاف (70/2-71)، تفسير البيضاوي (258/4)، البحر المحيط (276/4).

١- وهذا منقولٌ عن الحسن، وقد نُقل عنه غيره، فنسب له الماوردي أنَّه قال: أغويتني بمعنى عذبتني. والقولان متداخلان؛ فالملعون مطرودٌ من رحمة الله- ﷻ- وهو لا شك معذّب. والله أعلم. انظر: تفسير الماوردي (13/2-14)، البحر المحيط (373/4).

٢- وقد ذكره جماعةٌ من المفسّرين غير معزوّ. انظر: تفسير الماوردي (13/2)، البحر المحيط (375/4)، تفسير القرطبي (147/7).

٣- البيت للمرقش الأصغر، ربيعة بن شعبان. انظر: الحماسة البصرية: 33/2، لسان العرب (140/15).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (325/2)، بحر العلوم (533/1).

٥- بمعنى تسببت لي في عصيان الملك، بأن دعوتني إلى أمرٍ لم أجب إليه.

٦- هو: زُفر بن سليمان السجستاني، روى عن عبد الله بن إدريس، قال عنه عثمان بن أبي شيبة: ثقة. انظر: تاريخ أسماء الثقات ص:94.

٧- وهذا القول مرويّ عن مجاهد، وعون بن عبد الله، ونسبه الماوردي لابن مسعود- ﷺ-، وأولى منه حمل الصراط على دين الإسلام، فيدخل فيه المذكور وغيره من القرب التي دعا لها الشارع، والأخير اختيار جماعةٍ كالطبري، وأبي الليث، وابن كثير، وأبي حيان. انظر: تفسير الطبري (134/8)، بحر العلوم (533/1)، تفسير الماوردي (14/2)، البحر المحيط (276/4)، تفسير ابن كثير (394/3)، تفسير

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [17]:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: معناه: إنَّ إبليس لعنه الله قال: لآتينّهم من قبل آخرهم ولأخبرنّهم أنّه لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أي: من قبل دنياهم وآمرنَّهم بجمع الأموال مخافة الفقر والخوف على ذراريهم من بعدهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: من قبل دينهم فأزيّن لهم ضلالتهم، وإن كانوا على هدى شبّهته عليهم حتى أخرجهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أي: من قبل اللذات والشهوات فأزينها لهم[1]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ لنعمتك، وروى أسباط[2] عن السُّديّ أنّه قال: قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أراد به الدنيا أدعوهم إليها، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾أراد به الآخرة أشككهم فيها، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال: الحق، أشككهم فيه،﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ قال: الباطل، أحقّقه عليهم وأرغّبهم فيه[3]، ويقال: أراد بقوله: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ جهة الحسنات، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ جهة السيئات[4]؛ فإنَّ الحسنات تضاف إلى اليمين والسيئات إلى

---

البغوي (151/2)، الدر المنثور (337/6).

١- وهذا التفسير مرويّ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بسندٍ قويٍّ، ونحوه عن قتادة بإسنادٍ حسنٍ. انظر: تفسير الطبري (136/8)، التفسير الصحيح (305/2-306).

٢- هو: أسباط بن نصر الهمْدامي-بميمٍ ساكنةٍ- روى عن السدي، وسماك وعنه علي بن قادم، وجمع، صدوق كثير الخطأ يغرب، ولم أقف على سنةوفاته . انظر: الكاشف (91/2)، (268)، تقريب التهذيب ص124، (323).

٣- في المخطوط: [أحقّقه] بالقاف المثناة، والرواية عند الطبري بإسناده عن أسباط عن السدي وفيها : [أخففه] بالفاء الموحدة. وما في تفسير الطبري أقرب للمعنى؛ فإنَّ الشيطان يسعى لتخفيف الباطل على المتلبسين به حتى لا يعودوا عنه، ويستعظموه، فيكون ذلك سبباً في توبتهم منه . والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (136/8-137)، بحر العلوم (533/1/1)، تفسير الماوردي (14/2).

٤- وهذا القول رواه عطية العوفي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير البغوي (152/2).

الشمال، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة :27]، وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ [ وَفَٰكِهَةٖ /أ] ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة:41]، و يقال: معنى الآية: ثمَّ لأحتالنَّ في إغوائهم من كل وجه[1]، قال قتادة: أتاك يا ابن آدم من كلّ وجهٍ غير أنَّه لا يستطيع أن يحول بينك وبين رحمة ربك إنَّما تأتيك الرحمة من فوقك، وإنَّما ذكر ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ وذكر ﴿عَنۡ﴾ في قوله: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾؛ لأنَّ القُدَّام والخلف يكون لابتداء الغاية والغاية تذكر بحرف من، وأمَّا جهة اليمين والشمال إنَّما تكون للانحراف والانحراف يذكر بعن[2]، فإن قيل: من أين علم إبليس أنَّه لا يكون أكثر الناس شاكرين؟ قيل : فيه قولان؛ أحدهما: أنَّه ظنَّ بهم ظنّاً فوافق ظنّه مظنو نه، كما قال: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ:20]، وإنَّما ظنَّ ذلك؛ لأنَّه لما تمكن من استز لال آدم وحواء عليهما السلام علم أنَّ ولدهما أضعف منهما[3]، فيكون تمكنه من ذلك منهم أكثر، والثاني: أنَّه لما رأى الجنة والنار مخلوقين علم أنَّ لهما أهلاً[4]، ويقال: كان يخالط الملائكة فعلم ذلك بإخبار الملائكة[5].

**قوله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[18]:**

معناه: قال الله تعالى له: اخرج من الجنة[6]، ويقال: من السماء[1] ﴿مَذۡءُومٗا﴾ أي:

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (324/2)، تفسير الماوردي (14/2-15)، زاد المسير (177/3).

٢- انظر: الكشاف (71/2)، تفسير البيضاوي (259/4)، البحر المحيط (277/4-278).

٣- وهو منسوبٌ للحسن. انظر: تفسير الماوردي (15/2)، تفسير البغوي (152/2)، تفسير ابن كثير (395/3).

٤- وهذا القول لم أقف عليه، والأوَّل أظهر منه وأقوى لتأييد آية سبأ له. والله أعلم.

٥- انظر: تفسير الماوردي (15/2)، الكشاف (71/2)، روح المعاني (96/8).

٦- وهو اختيار ابن جرير، وجماعة، انظر: تفسير الطبري (138/8)، بحر العلوم (533/1)، البحر المحيط

أي: مذموماً يقال: ذأمت الرجل أذأمهُ ذأْماً إذا عبته وذممته [2]، والذآم والذيم شدة العيب [3]، وقوله تعالى: ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ أي: مبعداً مقصىً من الخير والرحمة [4]، والدحر: الدفع على وجه الهوان والصَّغَار [5]، واللاَّم في قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ لام القسم دخلت على لفظ الشرط والجزاء لمعنى التأكيد والمبالغة كأنَّه قال عزّ من قائل : من اتبعك لأبالغنَّ في تعذيبه عذاباً شديداً [6]. فذلك قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

**قوله ﷻ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [19]:**

معناه: وقلنا: يا آدم اسكن، وهذا أمر بالسكنى دون السكون [7]، وفي قوله تعالى: ﴿وَزَوۡجُكَ﴾ بغير حرف التاء ما يدلّ على أنَّ المراد به زوجتك؛ لأنَّ الإضافة إليه دليلٌ على ذلك، وحذف التاء أحسن؛ لما [8] فيه من الإيجاز من غير إخلالٍ بالمعنى [9]، وأمَّا الجنة التي أسكنهما الله تعالى فيها، فهي جنة الخلد في قول أكثر أهل العلم [10]،

---

(278/4)، تفسير القرطبي (176/7).

١- انظر: تفسير الماوردي (15/2)، تفسير ابن كثير (396/3).

٢- انظر: معاني القرآن للأخفش (514/2)، مجاز القرآن (211/1)، معاني القرآن للزجاج (324/2).

٣- انظر: تفسير الطبري (138/8).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (324/2).

٥- انظر: لسان العرب (278/4).

٦- انظر: تفسير الطبري (139/8)، معاني القرآن للزجاج (325/2)، إعراب النحاس (47/2).

٧- انظر: تفسير الطبري (139/8)، بحر العلوم (534/1).

٨- «اللام» ساقط من المخطوط، وهي زيادة لا بد منها لإتمام المعنى. وهي في تفسير الطبراني(125/3).

٩- انظر: بحر العلوم (111/1)، لسان العرب (291/2).

١٠- انظر: تفسير الطبري (139/8)، تفسير ابن كثير (397/3).

بخلاف ما يقوله بعضهم إنَّها إنَّما كانت بستاناً في السماء غير جنة الخلد [1]؛ وذلك لأنَّ الله تعـالى عرّف الجنة بالألف واللاَّم ؛ على جهة التشريف، وكان المراد بها : الجنة المعروفة كما أنَّ المراد بقوله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:41، و67] الرسول المعروف؛ لما في ذلك من التعريف بالألف واللاَّم على جهة التشريف، وكما إذا ذكر السماء في القرآن كان السماء المعروف دون بعض السقوف، وقوله : ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ معناه: من أي شيءٍ شئتما موسعاً عليكما[2]، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: لا تقرباها للأكل إلاَّ أنَّه حذف ذكر الأكل [3]؛ لأنَّ في الكلام ما يدلّ عليه من حيث هذا معطوفٌ على قوله : ﴿فَكُلَا﴾، ومن حيث وقع العتاب على الأكل بعد ذلك وقد تقدَّم في سورة البقرة [35] أن ﴿هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أيَّ شجرة كانت[4]، وقوله تعالى : ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يجوز أن يكون منصوباً؛ لأنَّه جواب النهي، ويجوز أن يكون مجزوماً بالعطف على النهي [5]، ومعناه: فتصيرا من الضارين بأنفسكما[6].

**قوله ﷻ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا**

---

١- انظر: تفسير الماوردي (16/2).

٢- انظر: تفسير الطبري (139/8).

٣- انظر: بحر العلوم (534/1).

٤- وقد ذكر المصنّف عند تفسيره لآية البقرة : ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ...﴾[35] ثلاثة أقوال في نوع الشجرة؛ وهي: الحنطة، والكرم، والتين. وذكر غيره أقاويل أخرى منها: الحنظل، والكافور، ولم يثبت شيءٌ من ذلك من طريق الشارع، ولا فائدة في معرفته، ولا ضير في جهله.

انظر: تفسير الماوردي (16/2).

٥- انظر: إعراب النحاس (47/2).

٦- انظر: بحر العلوم (534/1).

﴿رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [20]:

معناه: زيّن لهما إبليس الأكل من الشجرة ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، والوسوسة: إلقاء المعنى إلى النفس بصوتٍ خفيٍّ[1]، والفرق بين وسوس له و وسوس إليه: أنَّ معنى وسوس له: أوهمه، ومعنى وسوس إليه: ألقى إليه[2]، وكان يجوز في القراءة: ما أورى عنهما، بالألف[3]. إلاَّ أنَّ في المصحف: ﴿مَا وُۥرِىَ﴾والقراءة سنة متبعة، وإنَّما سميت العورة سوءة؛ لأنَّها يسوء الإنسان انكشافها؛ ولهذا إذا بولغ في صفة القبيح قيل: سوءة سَوْءاء[4]، وقوله تعالى : ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[5] علمان الخير والشر، [وإن لم تكونا ملكين تكونا من الخالدين الخالدين لا تموتان][6]،وقرأ بعضهم: ﴿مَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللاَّم[7]. استدلالاً بقوله

---

١- انظر: تفسير البيضاوي (262/4)، لسان العرب (254/6).

٢- وبمثل هذا المعنى قال الماوردي، والزمخشري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وجعل ابن جرير التركيبين بمعنى واحد. انظر: تفسير الطبري (140/8)، تفسير الماوردي (17/2)، الكشاف (72/2)، البحر المحيط (279/4)، الدر المصون (275/5).

٣- وهي قراءةٌ شاذّةٌ بإبدال الواو الأولى همزة، وهو إبدال جائزٌ مثل : ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات11]، وهي منسوبة لعبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-. انظر: إعراب النحاس (47/2)، الكشاف (72/2)، البحر المحيط (279/4)، الدر المصون (275/5).

٤- انظر: بحر العلوم (534/1/1)، الكشاف (72/2)، لسان العرب (95/1).

٥- في المخطوط سقطة كلمة «ربكما».

٦- العبارة غير مفهومةٍ، ولعلّ فيها سقطاً، فإدراج لفظ «لم» بين لفظ «ملكين» ولفظ «تكونا» الثاني يجعل العبارة واضحة المعنى. والله تعالى أعلم. انظر: بحر العلوم (534/1).

٧- وهي منسوبة لابن عباس، والحسن بن علي- رضي الله عنهما- والضحاك، ويحيى بن كثير، والزهري. انظر : تفسير الطبري (140/8)، الكشاف (72/2)، البحر المحيط (280/4)، التبيان (560/1)، تفسير ابن كثير (397/3).

تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾[1] [طه:120]، فإن قيل : كيف أوهمهما أنَّهما إذا أكلا من تلك الشجرة تغيرت صورتهما إلى صورة الملك ويزاد في حياتهما؟ قيل: فيه قولان؛ أحدهما: جواز أنَّه أوهمهما أنَّ من حكم الله تعالى أنَّ من أكل من تلك الشجرة صار ملكا أو لا تبيد حياته، والثاني: انَّه لم يطمعهما في أن تصير صورتهما كصورة الملك **[233/ب]**وإنَّما أطمعهما في أن تصير منزلتهما منزلة الملك في العلوِّ والرِّفعة[2].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [21]:**

في ما أقول[3]، وإنَّما قال: قاسمهما على لفظ المفاعلة؛ لأنَّه قابلهما بالحلف، وهذا وهذا كما يقال: عاقبت اللص، وناولت الرجل[4]، والنصح: إرشاد الغير إلى الشيء مع إرادة الخير له[5].

**قوله ﷻ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [22]:**

قال بعضهم: [معنا][6]: حدرهما من الأعلى إلى الأسفل كما يقال : فلانٌ متدل إلى الشر، وذلك أنَّ الخيرَ عالٍ، والشرَّ سافلٌ[7]، وقال بعضهم: معناه قرّبهما مما أراد

١- انظر: الكشاف (72/2)، البحر المحيط (280/4).

٢- انظر: تفسير الماوردي (17/2).

٣- انظر: تفسير الطبري (141/8)، تفسير الماوردي (17/2).

٤- ويحتمل أنَّهما طلبا منه القسم، فأقسم لهما، فجعل ذلك مقاسمة بينهم. انظر: الكشاف (72/2-73).

٥- وأصله: الخلوص. وهو ضدّ الغش. انظر: لسان العرب (615/2).

٦- هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد «معناه» بأمارة إثباته لها في المخطوط بألف ممدودة، هكذا «معنا».

٧- انظر: تفسير الماوردي (18/2)، تفسير البغوي (153/2).

من التدلية وهي التقريب مأخوذ من إدلاء الدلو [1]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿بِغُرُورٍ﴾ والغرور ما تقدَّم ذكره من قوله لهما : ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وفي بعض الروايات أنَّ آدم عليه السلام كان يقول وقت توبته في بعض مقالته : ما ظننت يا ربّ أنَّ أحداً يجترئ فيحلف باسمك كاذباً [2]، وقوله تعال : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ دليلٌ أنَّهما لم يبالغا في الأكل ولكن [كما] [3] وصل إلى جوفهما تهافت عنهما لباسهما فظهر لكلّ واحدٍ منهما عورة صاحبه فاستحييا [4] ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي: عمدا وأخذا يلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين [5]، ومعنى الخصف: إلزاق بعضه على بعض كما يعمل الخصاف الذي يرقع النعل [6]، ويجوز في القراءة: ﴿يَخِصّفَا﴾[7] -بكسر الخاء وفتحها مع تشديد الصاد- بمعنى يختصفان[8]، يختصفان[8]، ومعنى ﴿طَفِقَا﴾: أخذا في العمل[1]، يقال: بات يفعل كذا إذا فعل

١- انظر: بحر العلوم (534/1).

٢- انظر: بحر العلوم(534/1)، تفسير الماوردي(17/2)، تفسير البغوي (153/2)، تفسير القرطبي (180/7).

٣- هكذا في المخطوط، ولعلّ الكلمة «لمَّ»، والواقع هنا خطأ نسخي. والله أعلم.

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (328/2)، تفسير البغوي (153/2)، الكشاف (73/2).

٥- وهذا القول مرويّ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وهو مذهب جماعة من المفسّرين، ونسب إليه بعضهم أنَّه ورق الزيتون. وقيل: ورق الموز، ولم تثبت تعيينهما لا في القرآن ولا في حديثٍ صحيحٍ.
انظر: تفسير الطبري (142/8)، تفسير الماوردي (18/2)، البحر المحيط (281/4).

٦- انظر: الكشاف (73/2)، لسان العرب (71/9).

٧- سقطت نون الرفع من الفعل في المخطوط.

٨- وبفتح الخاء قرأ الحسن، وقرأ بكسرها أيضاً في رواية محبوب عنه، ومعه الأعرج، ومجاهد، والزهري، وابن بريدة، وابن وثاب.
وأصلها: يختصفان، فأدغمت التاء في الصاد، إلاَّ أنَّه في الثانية كسر لالتقاء الساكنين، أو على اتباع التاء للصاد، وفي الأولى فتح بإلقاء حركة التاء على الخاء.

فعل في الليل، وظلّ يفعل كذا إذا فعل النهار، وطفق يفعل كذا إذا فعل في أي وقتٍ كان[2]، وفي الآية بيان أنَّ التكشف قبيحٌ من لدن آدم عليه السلام[3]، وعن هذه الآية قال بعض الحكماء: إنَّ المعصية شؤمٌ تضر صاحبها وتجعله عرياناً كما فعل بآدم عليه السلام[4]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ ظاهر المراد، وقوله تعالى: ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ أي: ألم أقل لكما إنَّ إبليس لكما عدوٌّ مبينٌ، وقد أبان عداوته لكما[5]، وقد ذكرنا في سورة البقرة أنَّ هذا الأكل كان منهما معصية صغيرة في جنب ما كان منهما من الطاعات[6].

**قوله ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[23]:**

معناه: أنَّهما اعترفا بالخطيئة على أنفسهما، وقالا: إن لم تتجاوز عن ذنوبنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين بالعقوبة، فتاب الله تعالى عليهما كما قال جلَّ ذكره في سورة البقرة[7]: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة:37] إلى آخر الآية[8]، وإنَّما قالا: ﴿ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ وإن كانت معصيتهما وقعت مغفورة؛ لأنَّ من شأن الصالحين

---

انظر: إعراب النحاس (48/2)، الكشاف (73/2)، التبيان (561/1)، البحر المحيط (281/4)، الدر المصون (284/5).

١- ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص:33].

٢- انظر: لسان العرب (225/10).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (227/2-228)، الكشاف (72/2).

٤- وهذا لم أقف على قائله، ولعلّه من تفسير أهل الإشارة. وقد ذكره أبو الليث من غير نسبةٍ. انظر: بحر العلوم (536/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (143/8).

٦- انظر: تفسير الماوردي (18/2)، الكشاف (73/2).

٧- انظر: بحر العلوم (535/1).

٨- وتمام الآية: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

إذا ندرت منهم معصية أن يبادروا إلى التوبة؛ لأنَّهم إن لم يتوبوا منها كانوا مص رِّين عليها، والإصرار على المعصية معصيةٌ أخرى[1].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[24]:

معناه: قال الله تعالى: اهبطوا من الجنة إلى الأرض في حال عداوة بعضكم لبعضٍ، ولكم في الأرض موضع قرارٍ ومنفعةٍ إلى منتهى الآجال[2].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [25]:

معناه: قال في الأرض تعيشون، وفي الأرض تقبرون، ومن الأرض تخرجون من قبوركم[3].

قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [26]:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنزل الله تعالى المطر من السماء فكانت الكسوة منه يعني أنَّ لباسهم من نبات الأرض من القطن والكتان، وهو من ماء السماء، وما يكون من الكسوة من أصواف الأغنام فقوام الأنعام أيضاً من ماء السماء، فذلك قوله تعالى : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾[4] أي: يستر

---

١- وكذلك الإصرار على الصغيرة يصيّرها كبيرة. انظر: بحر العلوم (535/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (145/8).

٣- انظر: المصدر السابق، تفسير ابن كثير (399/3).

٤- وهو منسوبٌ إلى الحسن، ولم أقف عليه عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-ولعلّ الحسن أخذه من ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. والله أعلم. انظر: بحر العلوم (535/1)، تفسير الماوردي (20/2)، زاد المسير (181/3)، تفسير البغوي (154/2)، البحر المحيط (282/4)، تفسير القرطبي (184/7)، حاشية الشهاب الخفاجي (267/4).

عوراتكم[1]، ويقال: إنّما قال: ﴿أَنزَلۡنَا﴾ لأنَّ البركات كلّها تضاف إلى السماء، كما قال: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:25]، وإن كان الحديد يستخرج من المعادن[2]، وقوله تعالى: ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ فيه قراءتان؛إحداهما: هذه، والثانية: ﴿وَرِيَاشا﴾[3] ومعنى الريش: كل ما يستتر به الرجل في جسمه ومعيشته، يقال : [يعيش][4] فلان إذا صار له ما يعيش به، ومن ذلك ريش الطائر [5]، وأنشد سيبويه[234/أ]:

فريشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما [6]

ويقال معنى الريش: ما يُتَأَثَّثُ به من متاع البيت، ويقال: هو الزينة[7]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ من قرأ ﴿وَلِبَاس﴾ -بنصب السين-[8] فهو معطوفٌ على قوله قوله تعالى: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾[9]، ومن قرأ بالرفع[1] على الابتداء [2].

---

١- تفسير الطبري (146/8)، بحر العلوم (535/1).

٢- انظر: تفسير الماوردي (20/2)، تفسير البغوي (154/2).

٣- وهذه القراءة الثانية شاذّة، وبالأولى قرأ العشرة بلا خلافٍ في المتواتر عنهم . والشاذة منسوبةٌ لعثمان، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وأبي رجاء، وزيد بن علي، وأبيه علي بن الحسين، وعاصم، وأبي عمرو في رواية عنهما. انظر: تفسير الطبري (147/8)، إعراب النحاس (49/2)، التبيان (562/1)، البحر المحيط (283/4)، الدر المصون (287/5).

٤- هكذا في المخطوط. والعبارة عينها عند الزجاج في المعاني: تَرَيَّش فلان: إي صار له ما يعيش به . انظر : معاني القرآن للزجاج (238/2).

٥- انظر: لسان العرب (308/6).

٦- والبيت في الكتاب أوَّله بالواو بدل الفاء، وقد نسبه للراعي النميري. وهو في ديوان جرير بلفظ: «وهواي فيكم». انظر: الكتاب (318/3)، ديوان جرير ص410.

٧- وفيه أقوال أخر. انظر: تفسير الماوردي (20/2).

٨- وهي قراءة نافعٍ، وابن عامر، والكسائي، وأبي جعفر. انظر: البحر المحيط (283/4)، النشر (268/2).

٩- انظر: معاني القرآن ل لزجاج (328/2)،إعراب النحاس (49/2)،التبيان (562/1)، البحر

واختلفوا في لباس التقوى، قال ابن جريج وقتادة والسُّدي: لباس التقوى : العمل الصالح[3]؛ لأنَّه يقي من العذاب والعقاب، كأنَّه قال : لباس التقوى خيرٌ من الثياب؛ لأنَّ الفاجر وإن كان حسن الثياب فإنَّه بادي العورة، قال الشاعر:

إنِّي كأنِّي أرى من لا حياء له　　　ولا أمانة وسط القوم عريانا [4]

ويقال: لباس التقوى: ما يلبس من الثياب للتضرع والخشوع، مثل الصوف والثياب الخشنة هو خير من لباس التكبر[5]، وقال بعضهم: معنى قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: ستر العورة لباس المتقي وهو خيرٌ من العُرِي[6]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معناه: أنَّ الله أنزل اللباس من دلائل الله تعالى على إثبات وحدانيته

---

المحيط(283/4).

١- وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر . انظر: النشر (268/2)، الدر المصون (288/5).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج(328/2)،إعراب النحاس(49/2)،التبيان(562/1)،الدر المصون(288/5).

٣- والمنقول عنهم في معنى لباس التقوى : أنَّهم فسّروه بالإيمان. وتفسيره بالعمل الصالح مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. والقولان متداخلان؛ فالإيمان الذي يقي من العذاب يستلزم العمل الصالح. والله أعلم.
انظر: تفسير الطبري (149/8)، تفسير الماوردي (21/2)، زاد المسير (183/3)، تفسير ابن كثير (401/3).

٤- لم أقف على قائل هذا البيت، وهو في الظرف والظرفاء ص : 110، ديوان المعاني (139/1). وروايتهما له:

إنِّي كأنِّي أرى من لا حياء له　　　ولا أمانة وسط الناس عريانا

ولعلّ هذا من تفاسير أهل الإشارة، واللفظ يدلّ عليه.

٥- وذكر الألوسي أنَّ هذا القول اختاره الجبائي.
انظر: روح المعاني (104/8).

٦- وهو مرويّ عن ابن زيد، واختاره الزجاج.
انظر:تفسير الطبري (150/8)، معاني القرآن للزجاج (329/2).

ونعمه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتعظوا فيعرفوا أنَّ ذلك كلّه من الله ﷻ[1]، وذهب بعض أهل الإشارة إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ نداء تعيير كأنَّه يا أولاد المذنبين والمقصّرين لا تنظروا إلى نفوسكم ولا تغتروا بلباسكم وثيابكم[2]. وبالله التوفيق.

**قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [27]:**

معنى الآية: لا يضلنكم الشيطان بالدعاء إلى الغي والمعصية، كما استنزل أبويكم آدم وحواء من الجنة، يتَسَبَّبُ في نزع لباسهما بحملهما على المعصية[3]، وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ أي: ليظهر لهما عوراتهما [أنَّ ذلك يغطيهما][4]، والفتنة: المحنة المحنة بالدعاء إلى المعصية على وجه الشهوة[5]، وإنَّما أضاف الإخراج من الجنة إلى الشيطان؛ لأنَّ ذلك بوسوسته وإغوائه[6]، واختلفوا في لباسهما في الجنة؛ فقال بعضهم: كان ثوباً من ثياب الجنة[7]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: كان

---

١- انظر: تفسير الطبري (151/8)، بحر العلوم (536/1).
٢- وقد ذكر نحو ذلك الألوسي، وهو بعيدٌ؛ لأنَّ جماهير المفسّرين على أنَّ الخطاب هنا خطاب امتنانٍ من الله، ولم أقف على أيَّ خطاب لبني آدم جميعاً سمّي بخطاب تعيير. والله أعلم. انظر: تفسير ابن كثير (399/3).
٣- انظر: تفسير الطبري (152/8)، تفسير البغوي (155/2).
٤- هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد: لأنَّ ذلك اللباس الذي نزعه عنهما كان يغطيهما. فنزعه يظهر عورتهما . والله أعلم.
٥- انظر: لسان العرب (317/13).
٦- انظر: تفسير الطبري (152/8)، الكشاف (72/2).
٧- وهذا القول منسوبٌ للقاضي أبي يعلى.
انظر: زاد المسير (184/3).

كان لباسهما من الظفر[1]، وأراد به أنَّه كان يشبه الظفر في أنَّه كان مخلوقاً عليهما خلقة الظفر[2]، كما روي أنَّ لباس قوم موسى عليه السلام في التيه كان من الظفر[3]، وقال وهب بن منبّه[4]: كان لباسهما من النور[5]، فإن قيل: ما معنى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾؟ وكيف يصحّ نهي الإنسان عن فتنة الشيطان؟ قيل: ليتحرز عن فتنته، أي: كونوا على حذرٍ من ذلك فإنَّه عدوّ لكم، وهذا اللفظ أبلغ من أ ن يقول: لا تقبلوا فتنة الشيطان[6]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ فمعناه: إنَّ الشيطان ونسله يرونكم وأنتم لا ترونهم[7]، وإنَّما قال هذا؛ لأنَّا إذا لم نرهم لم نعرف قصدهم بالكيد والإغواء حتى نكون على حذرٍ فيما نجده من نفوسنا ومن

---

١- وهو مرويّ عن عكرمة، وبه قال ابن زيد، وقتادة.
انظر: تفسير الطبري (152/8)، تفسير الماوردي (21/2)، تفسير البغوي (153/2/2)، زاد المسير (184/3).

٢- وهذا المذكور لم أجد عليه دليلاً، والظاهر أنَّه أراد أنَّ لباسهما كان من جنس الظفر المعروف في أصابع الإنسان، ويقويه ما ذكر في الرواية عن ابن عباسٍ أنَّ الظفر المشاهد الآن ترك ولم ينزع تذكرةً وزينةً، وهذا يدلّ على أنَّ المنزوع كان من جنسه . والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (152/8)، تفسير الماوردي (21/2).

٣- وهذا لا دليل عليه، ولعلّه من الإسرائيليات، ولم أقف عليه.

٤- هو: أبو عبد الله وهب بن منبّه اليماني، صاحب الأخبار والقصص، له معرفةٌ بأخبار الأوائل، وقيام الدنيا، وأحوال الأنبياء، وسير الملوك، توفي في المحرم سنة: 110هـ، أو 114هـ، أو 116هـ، بصنعاء من اليمن، وله تسعون سنةً. انظر: صفة الصفوة (493/2-495)، وفيات الأعيان (35/6-36)، سير أعلام النبلاء (544/4-557).

٥- انظر: تفسير الطبري (152/8)، تفسير الماوردي (21/2).

٦- وذهب بعضهم إلى أنَّه نهي للشيطان، والخطاب يقوي قول المصنّف . انظر: الكشاف (74/2)، البحر المحيط (284/4).

٧- وتفسير ﴿قَبِيلُهُ﴾ بنسله مرويّ عن ابن زيد، ونُسب إلى ابن عباس، وقيل: قبيله: جنده. انظر: تفسير الطبري (153/8)، تفسير البغوي (155/2)، مفاتيح الغيب (54/14).

وساوسه، وفي هذا بيان أنَّ أحداً من البشر لا يرى الجنَّ بخلاف ما يقول بعضهم: إنَّ منَّا من يراهم، وإنَّما لا يراهم البشر؛ لأنَّهم أجسامٌ رقيقة يحتاج في رؤيتها إلى فضل شعاعٍ، والله تعالى لم يعطنا من الشعاع قدر ما يُمَكِّننا أن نراهم، وأمَّا هم فإنَّهم يروننا؛ لأنَّهم؛ يرى بعضهم بعضاً مع أنَّهم أجسامٌ رقيقة، فلأن يرونا مع أنَّا أجسام كثيفةٌ أوْلى، وذهب بعض الناس إلى أنَّه يجوز أن يراهم البشر بأن يكثفوا أجسام أنفسهم، قال: وهم ممكنون من ذلك، وقيل: إنَّ هذا لا يصحّ؛ لأنَّهم لو أمكنهم أن يكثّفوا أجسام أنفسهم لأمكنهم أن يكثفوا أجسام غيرهم [1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ معناه: جعلناهم قرناء للذين لا يقرّون ولا يصدّقون وسوّينا بينهم وبين الكفار في الذهاب عن الله ﷻ [2]؛ كما قال سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:67]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة :71] [3]، والمراد بالجعل الاختيار والحكم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف:19] أي: جعلوهم بالاختيار والحكم [4]، ويقال: معناه: جعلنا الشياطين

---

١- وخلاصة هذه المسألة: أنَّ رؤية البشر للجنّ ممكنةٌ، كما حدث ذلك مع النبي- ﷺ- في الحديث الصحيح،ولولا دعوة سليمان-عليه السلام- لربط الشيطان إلى سارية من سواري المسجد، وكذا رأى أبو هريرة-رضي الله عنه- شيطاناً أثناء حفظه لتمر الصدقة . وهو حديثٌ صحيحٌ. أمَّا كيف يقع ذلك، وهل ذلك ناتجٌ عن تكثيفهم لأنفسهم، أم لقوةٍ طارئةٍ لبعض الأبصار تمكّن أصحابها من رؤيتهم أم لأمر آخر فأمر غيبيّ، ولا دليل يرشد إليه، ولا طائل تحته. والله تعالى أعلم.

انظر: الكشاف (75/2)، تفسير البيضاوي (269/4)، مفاتيح الغيب (54/14، تفسير القرطبي (186/7-187)، الإنصاف لابن المنيّر (74/2-75)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (269/4).

٢- انظر: بحر العلوم (536/1-537).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (330/2)، تفسير القرطبي (187/7).

٤- ولعلّ المصنّف أراد بهذه العبارة ردّ توهّم الجبر في ضلال الكفار. والله تعالى أعلم.

أولياء: التخليةُ بين الشياطين وبين الذين لا يؤمنون؛ كقوله: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [مريم:83]، أي: أرسلناهم عليهم بالتخلية بينهم وبينهم[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [28]:**

معناه–والله أعلم– أنَّ كفار مكة كانوا إذا فعلوا معصيةً عَظُمَ قبحها نحو طوافهم بالبيت عرايا وتحريمهم ما أحل الله **[234/ب]** تعالى من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قالوا: وجدنا على هذا آباءنا وأسلافنا وهذا دينهم والله تعالى أمرنا بهذه الأشياء[2]. قل لهم يا محمد: إنَّ الله تعالى لا يأمر بالمعاصي[3]، وقوله: ﴿**أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ استفهام بمعنى الإنكار على جهة إلزام الحجة؛ لأنَّهم إن قالوا: نقول على الله ما لا نعلم فضحوا أنفسهم، وإن قالوا: لا نقول على الله تعالى ما لا نعلم لزمتهم

---

١- انظر: الكشاف (75/2)، البحر المحيط (286/4).

٢- والمفسّرون يكادون يطبقون على أنَّ الآية وردت في الذين كانوا يطوفون حول البيت عراة، وذكر الماوردي أنَّه قول أكثر المفسّرين.

وذهب بعضهم إلى تخصيص الفاحشة بالشرك، كالحسن البصري، وخصّها بعضهم–كالكلبي– بتحريم السائبة والبحيرة والوصيلة والحام.

ولا شك أنَّ الأولى حملها على العموم، كصنيع المصنّف هنا، وإن كانت نزلت فيمن طاف بالبيت عارياً إلاَّ أنَّ الجواب المذكور فيها هو ديدن المشركين، كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:23]، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والله تعالى أعلم.

انظر: تفسير الطبري (153/8-154)، بحر العلوم (537/1)، تفسير الماوردي (22/2)، الكشاف (75/2)، تفسير البغوي (155/2)، زاد المسير (184/3-185)، مفاتيح الغيب (55/14)، تفسير القرطبي (187/7).

٣- انظر: بحر العلوم (537/1).

الحجة؛ لأنَّهم لم يكن عندهم حجةٌ على ما قالوا [1]، قال الحسن ﷺ: كان أهل الشرك في الجاهلية أهل إ جبار [2]، وكانوا يقولون: لو كره الله تعالى منا ما نحن عليه لنقلنا إلى غيره [3].

**قوله ﷻ: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ - فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [29-30]:**

معناه: قل: أمر ربي بالعدل والصواب [4]، وأصل القسط العدول إلاَّ أنَّه إذا كان عدولاً إلى الحق كان عدلاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات:9]، وإذا كان عدولاً إلى الباطل كان جو راً؛ كما قال: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [5] [الجن:15]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ قال مجاهد والسدي: توجهوا إلى القبلة في الصلاة عند كلّ مسجدٍ [6]، وهذا يدلَّ على وجوب فعل المكتوبات في الجماعة [7]، وقد روي في الخبر ما يدلّ على

---

١- انظر: مفاتيح الغيب (56/14)، روح المعاني (106/8).

٢- بمعنى أنَّهم كانوا من أهل الجبر السالبين مشيئة العبد، كأنَّه ريشةٌ في مهبّ الريح، تحرّكه الأقدار دون تصرف منه، وقد سبق الكلام على الجبرية، وبيان فساد مذهبهم.

٣- انظر: الكشاف (75/2)، البحر المحيط (286/4).

٤- وهذا القول مرويّ عن مجاهد والسدي-رحمنا الله وإياهما-. انظر: تفسير الطبري (155/8).

٥- يقال فيمن عدل: قسط وأقسط، وأما من جار فلا يجوز فيه إلاَّ قسط. انظر: لسان العرب (377/7).

٦- وإليه ذهب عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كذلك. انظر: تفسير الطبري (155/8)، زاد المسير (185/3).

٧- وهذا المذكور مذهب الأوزاعي، وأبي ثور، وبه قال ابن مسعود، وعطاء، وذهب مالك، والثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، إلى عدم وجوبها. والأظهر-والله أعلم- الأوَّل؛ لتظافر الأدلّة عليه، كحديث التحريق، وحديث الأعمى الذي لا قائد له، ومع ذلك فهي ليست شرطاً في صحة الصلاة، كما نقل عن الإمام أحمد، وقوّاه ابن قدامة. انظر: المغني (3/5-6-7).

ذلك؛ نحو: قوله ﷺ: (من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له )[1]، وقوله ﷺ: (لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلى قوم يتخلفون عن الجماعات فأحرّق عليهم بيوتهم)[2]، وقوله ﷺ: (بشر الماشي في ظلم الليالي إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)، وفي رواية: (بشر المشائين)[3]، وقال الربيع بن أنس[4]: معنى ﴿أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: أخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة ولا تشركوا به وثناً ولا غيره[5]، وقال الكلبي[1]: معناه: إذا حضرت الصلاة

---

١- أخرجه الحاكم في المستدرك، من حديث ابن عباس من طريق هشيم عن شعبة عن عدي بن ثابتٍ عن سعيد بن جبير عنه، وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص (372/1)، رقم: (893)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، كتاب الصلاة (337/2).

٢- الحديث متفقٌ عليه، أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ قريب من المذكور من حديث أبي هريرة- ﷺ-، في كتاب الجماعة والإمامة، باب: وجوب صلاة الجماعة، حديث رقم: (618)، وأخرج مسلم في صحيحه بلفظ قريبٍ كذلك من حديث أبي هريرة-ﷺ-، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجامعة وبيان التشدد في التخلف عنها، حديث رقم: (252).

٣- أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أنس-ﷺ-في الحادية والعشرين من شعب الإيمان، وهو في الصلوات، فضل المشي إلى المساجد، رقم: (2902)، بلفظ: (بشر المشائين)، وكذا أخرجه أبو داود من حديث بريدة الأسلمي، في باب ما جاء في المشي إلى المساجد رقم: (561)، والترمذي في السنن من حديث بريدة الأسلمي في باب فضل العشاء والفجر في الجماعة رقم: (223)، وابن ماجه في السنن من حديث أنس في باب المشي إلى الصلاة رقم: (781)، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، من حديث سهل بن سعد الساعدي، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص، وهو عنده كذلك من حديث أنسٍ رقم: (768)، (769)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: (315)، (425)، في باب الترغيب في المشي إلى المساجد، وفي باب الترغيب في صلاة العشاء والصبح.

٤- هو: الربيع بن أنس البكري، بصري، نزيل خراسان، أخذ عن أنس- ﷺ-، وأبي العالية، والحسن، وعنه الثوري، وابن المبارك، صدوقٌ له أوهامٌ، رمي بالتشيع، توفي سنة: 139هـ أو140هـ.
انظر: الكاشف (393/2)، (1524)، تقريب التهذيب ص318، (1892).

٥- وهذا اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري (155/8-156)، تفسير الماوردي (22/2).

الصلاة وأنتم في مسجدٍ فصلُّوا لله فيه ولا يقولنَّ أحدكم أصلي في مسجدي [2]، ويقال: أراد بالمسجد وقت كل صلاةٍ، وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فمعناه: اعبدوه مخلصين له الطاعة والعبادة [3]؛ والإخلاص: هو إخراج الشائب من كلِّ جنسٍ، ومنه قولهم: ذهبٌ خالصٌ، وفضةٌ خالصٌ [4]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ قال عبد الله بن عباس: معناه: خلقكم حين خلقكم مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً، فكما خلقكم فكذلك تعودون إليه يوم القيامة [5]، ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم المؤمنون علم الله تعالى منهم أن يؤمنوا [6]، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ وهم أهل الكفر [7]، ويقال: معناه: كما بدأكم في الخلق الأوَّل تعودون إليه في الخلق الثاني [8]؛

---

١- هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسّر، روى عن الشعبي، وجماعة، وعنه ابنه وأبو معاوية، ويعلى بن عبيد، وخلق، متهم بالكذب، و رمي الرفض، وله تفسيرٌ مشهورٌ، وكتاب في الناسخ والمنسوخ في القرآن، توفي سنة: 146هـ.

انظر: طبقات المفسّرين للداوودي (144/2)، (491)، سير أعلام النبلاء (248/6)، شذرات الذهب (217/1).

٢- وبه قال ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والضحاك، ولعلّ الكلبي رواه عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -. انظر: بحر العلوم (537/1)، زاد المسير (185/3).

٣- وقد روي نحوه عن الربيع بن أنس.

انظر: تفسير الطبري (156/8)، بحر العلوم (537/1).

٤- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 292.

٥- وهو مرويّ عنه من طريق علي بن أبي طلحة، وروي أ يضاً عن أبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد، والسدي، وسعيد بن جبير، وهو اختيار

الفرَّاء. انظر: معاني القرآن للفراء (376/1)، تفسير الطبري (156/8)، التفسير الصحيح (310/2).

٦- فأكرمهم بالهداية والإيمان. انظر: بحر العلوم (537/1).

٧- انظر: المصدر السابق.

٨- وهذا القول مرويّ عن الحسن، وقتادة، وابن زيد، وهو اختيار الزجاج، وهو مرويّ عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من طريق محمد بن سعد، ومن طريق العوفي، والقول الأوَّل أثبت عنه . انظر: تفسير الطبري

كما روي في الحديث : (يحشر الناس حفاة عراة )[1]، ويقال: معناه: تعودون في الآخرة على ما متم عليه في الدنيا؛ إن متم على الكفر فعلى الكفر، وإن متم على الإيمان فعلى الإيمان[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ بطاعتهم لهم فيما دعوهم إليه، ويظنون أنَّهم على الهدى[3]، وفي هذا دليلٌ أنَّ الكافر إذا لم يعلم أنَّه كافرٌ لم يخرج من أن يكون كافراً؛ لأنَّ عليه أن يتبع الحجة، قال الله جلّ ذكره : ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾[4] [ص:27].

**قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [31]:**

وذلك أنَّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراةً، ويقولون: لا نطوف بالثياب التي أذنبنا فيها ودنسناها بالذنوب، ويقال: كانوا يتعرَّون عن الثياب تفاؤلاً للتعري عن الذنوب، فكانت المرأة منهم تطوف عريانةً بالليل إلاَّ أنَّها كانت تتخذ سيوراً مقطَّعةً تشدها في حقويها[5] تسمي العرب ذلك الرهط [1]، وكانت السيور لا

---

(158-157/8/8)، تفسير الماوردي (32/2)، زاد المسير (186/3)، معاني القرآن ل لزجاج (331/2).

١- أخرجه ابن حبَّان في صحيحه، حديث رقم : (7318)، وابن أبي شيبة في مصنّفه، حديث رقم : (35949)، وأبو نعيم في الحلية (270/3).

٢- أخرج مسلم نحوه عن جابر-ﷺ- في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (2206/4)، رقم: (2878).

وهو في تفسير الطبري (157/8).

٣- انظر: بحر العلوم (537/1).

٤- انظر: تفسير الطبري (159/8)، معاني القرآن للزجاج (331/2).

٥- الحقو-بكسر الحاء المهملة وفتحها-: معقد الإزار من الجنب.

تسترها ستراً تاماً؛ كما حكي أنَّ امرأةً كانت تطوف بالبيت وعليها رهط، وكانت تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه		وما بدا منه فلا أحله [2][3]

وكان الحُمْسُ وهم: قريش وكنانة وخزاعة[4] يصلون ويطوفون في ثيابهم، وكانوا لا يأكلون من الطعام إلاَّ قوتاً، ولا يأكلون دسماً في أيام حجّهم يعظم ون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[5]، ومعناها: البسوا ثيابكم عند كلّ مسجدٍ[6]، وفي هذا دليلٌ أنَّ ستر العورة فرضٌ في الصلاة[7]، ولو لا ذلك لم يكن لذكر المسجد في الآية فائدةٌ، ويدلّ على

---

انظر: لسان العرب (189/14).

١- وفي اللسان: الرهط: جلد قدر ما بين السرة والركبة تلبسه الحائض، وكانوا في الجاهلية يطوفون عراةً، والنساء في أرهاطٍ. أ.هـ.

لسان العرب (305/7)، وانظر: المسلسل في غريب اللغة ص 119.

٢- أخرجه مسلم عن ابن عباس في كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (2320/4)، رقم: (3028)، والواحدي والسيوطي في أسباب النزول . انظر: أسباب النزول للواحدي ص151، أسباب النزول للسيوطي ص169، أثر رقم: (497).

٣- البيت منسوبٌ لضباعة بنت عمر بن صعصعة من بني سلمة بن قشير، أو ضباعة بنت عمرو بن قرط، وقيل: هو لأسماء بنت مخربة، أمَّ أبي جهلٍ، ولا يخفى بعده. انظر: أحكام القرآن لابن العربي (305/2)، الروض الأنف (352/1)، الإصابة (137/13)، (10938).

٤- هم أبناء حارثة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبةَ بن مازن بن الأزدِ، وإنَّما سمُّوا خزاعة لتخزُّعِهم، أي: لتفرّقهم. انظر: نسب معد واليمن الكبير (439/2).

٥- وما بعد البيت نسبه البغوي للكلبي، غير أنَّه ذكر بني عامر، وفي ورواية الواحدي، ذكر أهل الجاهلية، وهنا جاء ذكر بعض الحُمس و لم يُستوفوا؛ فالحمس: قريش وكنانة وخزاعة وفهم وعدوان وبنو عامر بن صعصعة. و لم أجد هذا الجزء من سبب النزول عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ولعلّ الكلبي-والله أعلم- رواه عنه. انظر: تفسير البغوي (157/2)، أسباب النزول للواحدي ص152، لسان العرب (57/6).

٦- انظر: بحر العلوم (538/5).

٧- وهو مذهب الأئمة الأربعة. انظر: أحكام القرآن لابن العربي (306/2)، تفسير القرطبي (190/7).

ذلك من جهة السرة قوله ﷺ: (لا يقبل الله صلاة حائض إلاَّ بخمارٍ )[1]؛ وأراد الحائض التي بلغت أن تحيض، وبهذه الآية أمر الإنسان **[235/أ]** أن يلبس أحسن ثيابه في الأعياد والجمع، قال مجاهد رحمه الله: هذا أمرٌ بلبس الثياب في الصلاة ولو بعباءة[2]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ معناه: كلوا اللحم والدسم، واشربوا من ألبان السوائب والبحائر[3]، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي: لا تتجاوزوا تحريم ما أحل الله تعالى لكم، والإسراف: مجاوزة حدِّ الاستواء، فتارةً يكون بمجاوزة الحلال إلى الحرام، وتارةً يكون بمجاوزة الحدِّ في الإنفاق، وتارةً أن يأكل الإنسان فوق الشبع فيؤديه ذلك إلى الضرر[4]، قال بعض الأطباء: وجدت الله تعالى جمع الطبّ كلّه في هذه الآية[5]، وأمَّا قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فمعناه: أنَّ الله تعالى لا يرضى عملهم ولا يثني عليهم[6]، وقد روي أنَّه لما أنزل الله ﷻ هذه الآية فطاف المسلمون في ثيابهم وأكلوا اللحم والدسم عيَّرهم المشركون بذلك، فأنزل الله ﷻ[7].

---

١- أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث عائشة- رضي الله عنها-، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، كتاب الصلاة (380/1)، رقم: (917).
وصححه الألباني في إرواء الغليل، كتاب الطهارة، رقم: (196).

٢- انظر: تفسير الطبري (161/8).

٣- وما ذكره المصنّف هنا أفرادٌ داخلةٌ في عموم ما أحلّه الله- ﷻ- وإنَّما الآية عامّةٌ فيما لم يرد فيه التحريم .
انظر: تفسير الطبري (162/8).

٤- انظر: تفسير الطبري (162/8)، معاني القرآن للزجاج (333/2).

٥- انظر: بحر العلوم (538/1)، تفسير البغوي (157/2)، الكشاف (76/2).

٦- ولا شكّ أنَّ ما ذكره المصنِّف من لوازم عدم محبة الله لهم، إلاَّ أنَّ الأولى تفسير الآية على ظاهرها بإثبات صفة المحبة لله-ﷻ- على ما يليق بجلاله وعظمته، ومثلها صفة البغض، ونفي الأولى عن المسرفين، وإثبات الثانية لهم.
انظر: تفسير الطبري (162/8)، تفسير ابن كثير (408/3).

٧- انظر: بحر العلوم (538/1)، زاد المسير (189/3).

قوله : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [32]:

معناه: قل يا محمد: من حرَّم الثياب التي يتزين بها الناس[1]، ومن حرم المستلذات من الرزق، ويقال: أراد بالطيبات الحلال من الرزق[2]، وقوله تعالى : ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ معناه: هي للمؤمنين في الحياة الدنيا مشتركة يشترك فيها البَرُّ والفاجر والمؤمن والكافر، وهي للمؤمنين خالصة يوم القيامة لا يشاركهم غيرهم فيها[3]، وقال بعضهم: هي للمؤمنين في الحياة الدنيا غير خالصةٍ من الهموم والأحزان والأحزان والمشقة[4]، قرأ نافع ﴿خَالِصَةٌ﴾ -بضم التاء-[5] على الخبر بعد الخبر [6]، وأمَّا قراءة الباقين بالنصب[7] على الحال؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في تأويل تأويل الحال؛ كأنَّه قال: ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة[8]، القيامة[8]، وقال مقاتل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: قل: من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا قل :هي للذين آمنوا خالصة يوم

---

١- وهذا اختيار الطبري، وأبي الليث، وذهب الزجاج وجماعةٌ أنَّ المراد بالزينة ستر العورة في الطواف، والأوَّل أعمّ. انظر: تفسير الطبري (163/8)، معاني القرآن للزجاج (333/2)، بحر العلوم (538/1)، تفسير الماوردي (24/2)، تفسير البغوي (157/2).

٢- انظر: تفسير الماوردي (24/2)، زاد المسير (189/3).

٣- انظر: تفسير الطبري (164/8)، معاني القرآن للزجاج (333/2).

٤- وهذا القول منقولٌ عن الجبائي. انظر: روح المعاني (112/8).

٥- انظر: البحر المحيط (293/4)، النشر (269/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (333/2)، إعراب النحاس (51/2).

٧- انظر: النشر (269/2).

٨- انظر: تفسير الطبري (165/8)، معاني القرآن للزجاج (333/2)، إعراب النحاس (50/2)، التبيان (565/1).

القيامة[1]، وقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ معناه: كما فصلنا لكم الدلائل والأوامر والنواهي هكذا نفصّلها لقوم يفقهون أمر الله تعالى[2]، ثمَّ عيّن جلّ ذكره ما حرّم عليهم، فقال عز من قائل:

**﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [32]:**

معناه: إن كنتم تتحرجون عن الثياب التي قارفتم فيها الذنوب فتحرّجوا عن الذنوب فإنَّ الله تعالى حرَّم عليكم الذنوب و لم يحرِّم عليكم الثياب ولا الطيبات [3]، وأمَّا ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: فهي الكبائر ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: علانية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ منها يعني سرّاً[4]، ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: يتناول كلَّ ذنبٍ وإن لم يكن فيه حدٌّ [5]؛ وفائدة ذكر الإثم بيان بيان أنَّ التحريم غير مقصورٍ على الكبائر، ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾: يتناول الإقدام على الغير بغير حقٍّ[6]؛ لأنَّ تحريم القتل والقهر قد يزول بسببٍ من الأسباب، كما قال الله تعالـى: تعال ـــى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[7][الأنعام :151،

---

١- انظر: تفسير مقاتل (389/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (166/8).

٣- انظر: تفسير الطبري (166/8).

٤- المصدر السابق.

٥- وخصّه الفراء بالذنب الذي لا حدّ فيه، وهو منسوبٌ لابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- والضحاك، وما ذكره المؤلِّف مرويّ عن مجاهد. انظر: معاني القرآن للفراء (378/1)، تفسير الطبري (166/8)، تفسير البغوي (158/2)، زاد المسير (191/3).

٦- والبغي: هو التعدي على الناس وظلمهم. انظر: البحر المحيط (295/4).

٧- وهذا مسلّمٌ به، غير أنَّ قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هنا حالٌ مؤكدة؛ لأنَّ البغي لا يكون بحقٍّ، فأمَّا ما كان من القتل بحقّ القصاص، وقتلُ الكفار الحربيّين فهو حقٌّ، وليس بغياً ولا تعدياً. والله أعلم.انظر : المحرر الوجيز (50/7)، البحر المحيط (295/4)، الدر المصون (307/5).

الإسراء:33]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ معناه: وحرَّم عليكم أن تشركوا بالله ما لم ينزل به عذراً ولا حجةً[1]، ثمَّ بيَّن جلّ ذكره ما يصير جامعاً للمحرمات كلّها، وهو تحريم القول الذي لا علم لقائله به[2]، ويقال: أراد بقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ التعري عن الثياب في الطواف، وقوله تعالى : ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا [3]. وبالإثـــم: كل المعاصي[4]، وبقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ طلب الترؤس على الناس بالقهر والاستطالة عليهم بغير حق[5].

قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [34]:

تخويفٌ ووعيدٌ لهم معناه: لكلّ أهل دينٍ مهلةٌ، ولكلّ وقت مؤقت، فإذا انقضت مهلتهم لا يستأخرون من بعد الأجل ساعة ولا يستقدمون الأجل [6]. وليس ذكر الساعة في الآية على وجه التحديد فإنَّهم لا يستأخرون ولا يستقدمون ساعةً ولا أقل من ساعةٍ، ولكن ذكرت؛ لأنَّها أقلّ أسماء الأوقات بين الناس [7]، ويقال: أراد بالأمة

---

١- انظر: تفسير الطبري (167/8).

٢- انظر: الكشاف (77/2).

٣- وهذا القول منسوبٌ لمجاهد-رحمنا الله وإيَّاه-. انظر: زاد المسير (190/3-191).

٤- سبقت نسبته لمجاهد.

٥- وهذا الأخير لم أقف على نسبته . وهو داخل تحت ظلم الناس والتعدي عليهم، والاستطالة عليهم . انظر : معاني القرآن للفراء (378/1).

٦- وجَعْلُ الأجل هنا أجل الحياة مذهب الزجاج، وأغلب المفسِّرين جعلوه أجل العذاب، ولا تخفى مناسبته للسياق. انظر: تفسير الطبري (167/8)، بحر العلوم (538/5)، معاني القرآن للزجاج (334/2)، المحرر الوجيز (50/7-51).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (334/2)، الكشاف (77/2)، المحرر الوجيز (51/7)، زاد المسير (193/3)، تفسير أبي السعود (165/2).

أهل كلّ عصرٍ؛ لأنَّهم يتقاربون في الأعمار[1]، وفي الآية دلالةٌ على بطلان القول بأنَّ الإنسان يقتل قبل أجله ويقطع عليه أجله إذا قتل ظلماً[2]، فإذا قيل: لم جاز فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون؟ وكيف يطلب الإنسان التقدم على وقتٍ عند مجيئه؟ قيل : معناه: إذا قرب أجلهم لا يستقدمون؛ كما يقال : إذا جاء الصيف وجاء الشتاء، إذا قرب مجيئه[3]، فإن قيل: لم قال: ولا يستأخرون ولم يقل: يتأخّرون؟ قيل: معناه: لا يطلبون التأخر من ذلك لأجل اليأس عنه[4].

**قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [35]:**

معناه: يا بني آدم إن يأتكم رسلٌ من جنسكم يقرءون ويعرضون عليكم كتابي وكلامي [235/ب] ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله تعالى واتبع الرسل، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العمل[5]، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما خلَّفوا في الدنيا[6]، ثمَّ بيَّن جلَّ ذكره عقوبة من لا يتقي فقال عزَّ مِنْ قائل:

**﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [36]:**

وهذا ظاهر المراد، والاستكبار: رفع النفس فوق منزلتها[7].

---

١- انظر: تفسير القرطبي (202/7).

٢- انظر: البحر المحيط (295/4)، تفسير ابن كثير (409/3).

٣- انظر: مفاتيح الغيب (68/14)، روح المعاني (114/8).

٤- انظر: تفسير البيضاوي (276/4).

٥- انظر: تفسير الطبري (167/8)، تفسير البغوي (158/2).

٦- انظر: تفسير الطبري (167/8-168)، بحر العلوم (539/1).

٧- وأعظم التكبر: الامتناع عن قبول الحق. وفي المفردات: أنَّ الاستكبار المذموم هو تشبّع الإنسان فيظهر من نفسه ما ليس له. وعليه يحمل الاستكبار في هذه الآية. وأمَّا طلب الإنسان أن يكون كبيراً بفعل ما يجب،

قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [37]:

معناه: لا أحد أفحش ظلما ممن اختلق على الله باطلاً أو كذّب بالأعلام التي تدلّ على توحيده ونبوة أنبيائه [1]، ولفظ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظ استفهامٌ والمراد به الإخبار وإنَّما الإخبار على وجه الاستفهام ليرد المخاطب إلى نفسه فلا يجد جواباً إلاَّ هذا [2]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ﴾ أي: ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم من مما قضى الله تعالى عليهم في الكتاب وهو سواد الوجوه وزرقة الأعين [3]، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾[الزمر :60]، وقال عز من قائل: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:71]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ معناه: إذا جاءهم ملائكة العذاب عذاباً في الآخرة [4]؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ﴾

---

في مكانه، وزمانه، المناسبين، فهو استكبارٌ محمودٌ، وليس مراداً هاهنا . والله أعلم. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص696-697.

١- انظر: تفسير الطبري (168/8)، بحر العلوم (539/1)، تفسير ابن كثير (409/3).

٢- وهو ما يسمى بالاستفهام التقريري. انظر: المحرر الوجيز (54/7)، فتح القدير (211/2).

٣- وهذا قول مقاتل بن سليمان، ونسبه أبو الليث إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهو من رواية عطية العوفي، كما صرّح به البغوي.

انظر: تفسير مقاتل(390/1)، بحر العلوم (539/1)، تفسير البغوي (159/2).

٤- وهذا القول ذكره الزجاج و لم يضعفه، وجعله من باب : قد قتلتُ فلاناً بالعذاب. وإن لم يمت. وجماهير المفسّرين على أنَّ التوفي هنا المراد به قبض أرواحهم بواسطة ملك الموت وأعوانه.

انظر: تفسير الطبري (172/8)، معاني القرآن للزجاج (335/2-336)،بحر العلوم (539/1)، تفسير الماوردي (26/2)، تفسير البغوي (159/2)، الكشاف (77/2)، زاد المسير (193/3-194).

[إبراهيم:17]فتقول الملائكة وهم خز نة جهنم:﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، ويقال: أراد بقوله: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رزقهم وأجلهم في الدنيا إلى وقت مجيء ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم [2] ﴿قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يقول لهم الرسل: أينما كنتم تعبدون من الأصنام من دون الله؟ يقولون ذلك لهم توبيخـــاً وتبكيتاً لهم وحسرة عليهم وسروراً للمؤمنين [3]، فيقول الكفار عند ذلك : ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: ذهبت الأصنام عنا فلم يقدروا لنا على نفعٍ ولا على دفع ضرٍّ [4]، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقروا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ في الدنيا[5]، قال مقاتل: يشهدون على أنفسهم بعد ما شهدت عليهم الجوارح بما كتمت الألسن[6].

**قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [38]:**

معناه: قال لهم الله تعالى: ادخلوا النار مع أممٍ قد مضت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار، وهذا كقوله تعالى : ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [الفجر :29]، أي: مع

---

١- وهذا على القول الذي أورده الزجاج وتبعه فيه المصنّف هاهنا، وأمَّا على قول الجمهور فالسائل هنا ملك الموت وأعوانه عند قبض الروح. المصادر السابقة.

٢- وهو مروي عن الربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. انظر: تفسير الطبري (171/8-172)، تفسير الماوردي (26/2)، زاد المسير (193/3).

٣- انظر: تفسير البغوي (159/2)، تفسير القرطبي (204/7).

٤- انظر: تفسير الطبري (172/8)، تفسير ابن كثير (410/3).

٥- انظر: بحر العلوم (539/1).

٦- انظر: تفسير مقاتل (390/1)، بحر العلوم (539/1).

عبادي[1]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: يبدأ بالأوَّل فالأوَّل فأوَّل من يُبدأ به قابيل بن آدم وولده[2]، حتى إذا تداركوا، وتلاحقوا، واجتمعوا، يعني القادة والأتباع[3] فآتاهم عذاباً ضعفاً في النار، أي: قال آخر الأمم المكذّبة لأوَّل الأمم[4]: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون الرؤوس والمقدّمين[5] ﴿أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى بإلقاء الشبهة علينا[6] ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، أي: زد في عذابهم، واجعل عذابهم مُضاعَفاً من ما علينا[7]، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ من الأوَّلين والآخرين ﴿ضِعْفٌ﴾ من العذاب[8] ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ أنتم شدَّة ما عليهم[1]، ومن قرأ ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾

---

١- وهذا المعنى الذي ذكره المصنِّف – بجعل «في» بمعنى «مع»– مذهب جماعة كأبي الليث، والبغوي، والزمخشري، وجعلها جماعة على بابها كالطبري، والبيضاوي، ورجّحه ابن عطية، واختاره أبو حيّان؛ والمعنى حينئذ: أدخلوا ضمن جماعاتٍ، أو في جملة جماعاتٍ. انظر: تفسير الطبري (173/8)، بحر العلوم (539/1)، تفسير البغوي (159/2)، الكشاف (78/2)، المحرر الوجيز (56/7)، تفسير البيضاوي (278/4)، البحر المحيط (297/4).

٢- وهذا المعنى ذكره أبو الليث، وإنَّما يستقيم على المعنى الذي نسب لابن عباس– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– من أنَّ المراد بالمتداركين في النار المتخاطبين: أوَّل أمَّةٍ وآخر أمَّةٍ بين الأمم، فمعلومٌ أنَّ أوَّل الأمم ولد آدم الأوَّلين، ومنهم قابيل وهابيل وما كان بينهما مشتهرا، وأمَّا ولد قابيل فلا أدري كيف جزم بأنَّهم كائنين في النار؟!. والله تعالى أعلم. انظر: بحر العلوم (539/1)، زاد المسير (195/3).

٣- انظر: بحر العلوم (540/1)، تفسير الماوردي (26/2).

٤- والظاهر من لفظ المؤلِّف أنَّه أراد آخر الأمم المكذّبة على الإطلاق، وأوَّل من كذّب من الأمم، فإن كان هذا مراده، فقد سبق بيان نسبته لابن عباس–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–.

وتحتمل العبارة أن يراد بها آخر كلّ أمَّةٍ مكذّبةٍ، وأوَّل تلك الأمَّة المكذّبة نفسها. وهذا مروي عن السدي، واختاره الطبري.

انظر: تفسير الطبري (173/8)، زاد المسير (195/3).

٥- انظر: الكشاف (78/2).

٦- انظر: تفسير الطبري (173/8)، معاني القرآن للزجاج (336/2).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (337/2)، بحر العلوم (540/1).

٨- انظر: تفسير الطبري (173/8)، معاني القرآن للزجاج (337/2).

بالياء[2] فمعناه: لا يعلم كلّ فريقٍ منكم مقدار عذاب الفريق الآخر[3].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [39]:**

معناه: وقال أوَّل الأمم لآخر الأمم، والمتَّبَعون للتابِعين: لم يكن لكم علينا فضلٌ في شيءٍ حتى تطلبوا من الله تعالى أن يزيد في عذابنا، وينقص من عذابكم؛ إذ كان عليكم أن تنظروا لتعرفوا الحق، كما كان ذلك علينا، فنحن وأنتم سواءٌ[4]، وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن يكون من قول الأوَّلين للآخرين، ويجوز أن يقول الله لهم ذلك[5].

**قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[40]:**

معناه: إنَّ الذين كذَّبوا بحجَّتنا، وأعلامنا التي تدلّ على توحيد الله ﷻ، وعلى نبوّة أنبيائه، وتعظموا على الإيمان بها، لا تفتَّح لأرواحهم أبواب السماء إذا ماتوا؛ هواناً لهم، وتفتح للمؤمنين؛ كرامةً لهم[6]، ويقال: معنى قوله : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ

---

١- انظر: بحر العلوم (540/1).

٢- وبهذه القراءة قرأ أبو بكر بن عياش في روايته عن عاصم. انظر: النشر (269/2).

٣- انظر: تفسير الطبري (174/8)، معاني القرآن للزجاج (337/2)، البحر المحيط (299/4)، الموضح (526/2).

٤- انظر: تفسير البغوي (59/2)، المحرر الوجيز (58/7)، تفسير القرطبي (205/7).

٥- انظر: الكشاف (78/2)، المحرر الوجيز (58/7).

٦- وهو مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وعن السديّ. انظر: تفسير الطبري (175/8-176)، تفسير الماوردي (27/2).

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: لا تفتح لأعمالهم أبواب السماء[1]؛ لأنَّهم ليس لهم عملٌ صالحٌ فيقبل، ولكن يهوى بعملهم إلى [236/أ] الأرض السابعة، فيرقم في الصخرة التي تحت الأرضين، كما قال الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ - وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ - كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾[2] [المطففين:7-9]، وفي قوله تعالى : ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ قراءتان: قرأ الأكثرون ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بالتاء المشدَّدة[3]؛ لأنَّه راجعٌ إلى جماعة الأبواب[4]، وقرأ بعضهم ﴿لَا يُفْتَحُ﴾ بالتخفيف والياء[5]؛ لأنَّ تأنيث الأبواب ليس بحقيقي[6]، وقوله تعالى :﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ معناه: لا يدخلون الجنَّة أبداً، كما لا يدخل البعير في خرت[7] الإبرة[8]، الإبرة[8]، وهذا تمثيلٌ في الدلالة على يأس الكفار من دخول الجنة؛ لأنَّ العرب إذا أرادت تأكيد النفي علّقته بما يستحيل كونه، كما قال الشاعر:

---

١- وهذا التفسير مروي عن مجاهد وإبراهيم وسعيد بن جبير، وقد روي كذلك عن ابن عباس- رَضِيَ الله عَنْهُمَا- وهو عنه أثبت من الأوَّل؛ لأنَّه مروي من طريق علي بن أبي طلحة، وأمَّا الأوَّل فمروي من طريق الضحاك، والضحاك طريقه منقطعة عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-؛ إذ لم يلقه. انظر: تفسير الطبري (176/8)، التفسير الصحيح (318/2).

٢- وهذا التفسير مروي عن كعب الأحبار، ومجاهد، وقتادة، واختاره الطبري . انظر : تفسير الطبري (94/30-95).

٣- وهي قراءة العشرة غير حمزة والكسائي وأبي عمرو وخلف .انظر : النشر (269/2)، البحر المحيط(299/4).

٤- انظر: التبيان (567/1).

٥- وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر (269/2).

٦- انظر: التبيان (567/1)، الموضح (527/2).

٧- قال في اللسان: الخَرت والخُرت: الثقب في الأذن والإبرة والفأس وغيرها.أهـــ. لسان العرب(29/2).

٨- وهذا التفسير مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-وعن الحسن، ومجاهد، والضحاك، وروي كذلك عن ابن مسعود-رضي الله عنه-.

انظر: تفسير الطبري (178/8-179)، تفسير الماوردي (28/2).

إِذَا شَابَ الغُرَابَ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ القَارُ كَاللَّبَنِ الحَلِيب [1]

والخياط والمخيط: بمعنى واحد، كما يقال: إزارٌ ومئزرٌ، وقرام ومقرم [2]، وعن ابن ابن مسعودٍ-ﷺ- سئل عن الجمل فقال: زوج الناقة، كأنَّه استجهل من سأله، وتعجّب منه [3]، وفي قراءة عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ﴿حَتَّى يَلِجَ الجُمَّلُ ﴾ بضم الجيم وتشديد الميم [4]، وهو القلس: حبل السفينة [5]، فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فمعناه: كما جزينا هؤلاء فكذلك نجزي المشركين [6].

قوله ﷻ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[41]:

معناه: لهم من جهنَّم فراشٌ من النار، يضطجعون، ويقعدون فيه، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ أي: غاشية فوق غاشيةٍ [7]، كما قال جلّ ذكره في موضعٍ آخر: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ﴾[الزمر:16]، والأصل في قوله تعالى:﴿غَوَاشٍ ۚ﴾ غواشيُ بإثبات الياء مع الضمة، جمع غاشية، وهو في موضع رفعٍ عطفاً على ﴿مِهَادٌ﴾؛ إلاَّ أنَّ الضمة حذفت لثقلها، فأدخلت النون عوضاً منها من ذهاب

---

١- والبيت لم أقف على اسم قائله، وقد ذكره أبو نعيم في الحلية، وهو في حياة الحيوان الكبرى بدون اسمٍ لقائله كذلك. انظر: حلية الأولياء (289/7)، حياة الكبرى (278/3).

٢- انظر: معاني القرآن للفراء (379/1)، تفسير الطبري (178/8).

٣- انظر: تفسير الطبري (178/8)، معاني القرآن للزجاج (338/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (180/8)، البحر المحيط (300/4)، الدر المصون (320/5).

٥- والمعنى الأوَّل أثبت، وأقوى سنداً عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: البحر المحيط (300/4)، التفسير الصحيح (318/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (338/2)، بحر العلوم (541/1).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (338/2)، بحر العلوم (541/1).

حركتها[1]، قال الخليل وسيبويه: الحركة التي في غواش ليست بتنوينٍ وإن كانت تشبه التنوين، ولكنها بدلٌ من الياء المحذوفة؛ لأنَّ غواشي فواعل، والفواعل لا يتصرّف، ويقال: يجوز أنَّ تنوَّن عند حذف الياء منها[2].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تأكيدٌ للوعيد، وزيادةٌ في الإنذار والتخويف، والظالمون: هم الكافرون[3].

**قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [42]:**

معناه: والذين أقروا بالله ورسله وعملوا الطاعات المفروضة في إيمانهم بوسعهم لا نكلّف نفساً إلاَّ ما تتسع له قدرتها، أولئك أصحاب الجنة هم فيها مقيمون دائمون[4].

**قوله ﷻ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[43]:**

معناه: ونزعنا ما في صدورهم من الأحقاد بأن لطفنا بهم حتى تابوا منها، فغفرنا لهم[5]، ويقال معناه: ألقينا التوادد في قلوبهم في الآخرة حتى لا يحسد بعض أهل الجنة

---

١- انظر: معاني القرآن للأخفش (517/2)، إعراب النحاس (53/2).
٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (338/2-339).
٣- انظر: بحر العلوم (541/1).
٤- انظر: تفسير الطبري (182/8)، بحر العلوم (541/1).
٥- انظر: تفسير الماوردي (28/2).

الجنة بعضاً بأن يراه أرفع درجةً منه [1]، وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ استئناف على القول الأوَّل، وهو في موضع الحال على القول الثاني [2]؛ كأنَّه قال: تجري من تحت شجرهم وغرفهم الأنهار في حال نزعنا الغل من قلوبهم، قال عبد الله بن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وعمَّار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذرٍّ الغفاري ينزع الله سبحانه في الآخرة ما كان في قلوبهم [غش] [3] بعضهم لبعضٍ في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله ﷺ، والأمر الذي اختلفوا فيه فيدخلون إخواناً على سرر متقابلين [4]، قال: وأوَّل ما يدخلون الجنة يعرض لهم عينان تجريان فيشربون من أحد العينين فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غلٍّ، ثمَّ يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم، وتصفوا وجوههم، ويلبسون الجمال والبهاء والنور، ويطيب الله ريحهم به [5]، فعند ذلك يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: أرشدنا إلى ما صرنا إليه حتى شربنا واغتسلنا من العينين [6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ قرأ ابن عامر ﴿مَا كُنَّا﴾ بغير الواو، وقرأ الباقون بالواو [7]، ومعناه: ما كنا

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (339/2).

٢- المصدر السابق، إعراب النحاس (53/2).

٣- هكذا في المخطوط، ولعل قبله «مِن» ساقطة، وقد تكون الكلمة بدلاً من الموصول «ما» وحينئذ لا حاجة لحرف الجر «من». والله أعلم.

٤- وهو مروي عن علي- ﷺ- وأبي صالح. انظر: تفسير عبد الرزاق (229/2)، تفسير الطبري (183/8)، زاد المسير (200/3).

٥- وهذا مروي نحوه عن السدي، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ولعلّ السدي أخذه عنه. انظر: تفسير الطبري (183/8-184)، تفسير البغوي (161/2)، زاد المسير (200/3).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (339/2)، بحر العلوم (541/1).

٧- انظر: النشر (269/2)، البحر المحيط (302/4).

لنهتدي إلى هذا الذي أكرمنا الله تعالى به لولا أن هدانا الله تعالى [1]، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ شهادة منهم بتبليغ الرسل الحقّ إليهم، أي : جاءونا بالصدق فصدقنا بهم [2]، وقوله تعالى : ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ معناه : ناداهم الملائكة أنَّ هذه الجنة تلك التي وعدتم بها في الدنيا [3]، يجوز أن تكون «أن» هاهنا في معنى تفسير النداء، أي: قيل لهم: هذه تلكم [4]، ويجوز أن تكون «أنَّ» الشديدة[236/ب] خفّفت المعنى: ونودوا أنَّه تلكم الجنة [5]، وذهب بعضهم إلى أنَّه أنَّه يقال لهم ذلك حين يعاينون الجنة قبل أن يدخلوها، فيكون قوله : ﴿تِلْكُمُ﴾ إشارة إلى ما يرونـه؛ كما تقول لمن تراه: ذلك أخوك، ولو قلت: هذا الرجل أخوك؛ لأنَّه يراك جـاز؛ لأنَّ هذا وهو لما قرب منك، وذاك وتلك لما بعد، رأيته أو لم تره [6]، وقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ معناه: أنزلتموها، كما يرث مال الميت من بقي بعده [7]، بعده [7]، وقال الحسن- رضي الله عنه-: معناه: أورثتم مساكن آبائكم الذين ماتوا على الكفر من الجنة [8]، وقوله تعالى : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بأعمالكم في الدنيا [9]، وروي في في الخبر أنَّه يقال لهم يوم القيامة : جوزوا الصراط بعفوي، وادخلوا الجنة برحمتي،

---

١- انظر: تفسير الطبري (184/8).

٢- انظر: بحر العلوم (542/1)، الكشاف (79/2).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (340/2)، بحر العلوم (542/1).

٤- وهو اختيار الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (340/2)، المحرر الوجيز (63/6)، زاد المسير (201/3).

٥- وهذا اختيار الأخفش والزمخشري. انظر: معاني القرآن للأخفش (518/2)، الكشاف (79/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (340/2)، بحر العلوم (542/1).

٧- انظر: زاد المسير (203/3).

٨- ولم أجده منسوباً إلى الحسن، وقد استبعده أبو حيان بحجة أنَّ الآية عامَّة في جميع المؤمنين، ولم يكونوا جميعاً أبناء كفار. انظر: البحر المحيط (302/4).

٩- انظر: بحر العلوم (542/1).

واقتسموها بأعمالكم[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[44]:**

وذلك حين يستقرّ أه ل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار، ويقال حين تفتح أبواب الجنان وأبواب النيران[2]، ينادي أصحاب الجنّة أصحاب النار أن قد وجدنا ما ما وعدنا ربّنا من الثواب والكرامة حقّاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقّاً؟ قالوا: نعم، فاعترفوا على أنفسهم في وقتٍ لا ينفعهم الاعتراف[3]، وفي قوله ﷻ: ﴿نَعَمۡ﴾ قراءتان: قرأ الكسائي[4] وحده ﴿نعِم﴾ بكسر العين في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالنصب[5]، وهما لغتان[6]؛ وإنَّما سأل أهلُ الجنّة أهلَ النار بهذا السؤال؛ السؤال؛ لأنَّ الكفار كانوا يكذّبون المؤمنين فيما يدّعون لأنفسهم من الثواب، ولهم من العقاب، فيسألهم المؤمنون في الآخرة هذا السؤال تبكيتاً لهم؛ ليكون ذلك حسرةً للكافرين وسروراً للمؤمنين[7]، وقوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ روي في الخبر أنَّه

---

١- وهو منسوبٌ إلى الحسن البصري- رحمنا الله وإياه- وهو الصحيح، جمعاً بين الأدلّة؛ لأنَّه ثبت في الحديث الصحيح أنَّه لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله، حتى رسول الله- ﷺ-.
انظر: الكشاف (465/1)، البحر المحيط (66/3)، تفسير ابن كثير (416/3).

٢- وإلى القول الأوَّل ذهب الطبري، وابن كثير.
انظر: تفسير الطبري (186/8)، تفسير ابن كثير (416/3)، روح المعاني (122/8).

٣- انظر: بحر العلوم (542/1).

٤- هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي، شيخ القراءة، والعربية، قرأ عرضاً على ابن أبي ليلى، وحمزة، توفي بالري سنة: 189هـ. انظر: إشارة التعيين ص217-218، العقد الثمين ص173-175.

٥- انظر: البحر المحيط (303/4)، النشر (269/2).

٦- انظر: تفسير الطبري (187/8)، معاني القرآن للزجاج (240/2)، إعراب النحاس (54/2).

٧- انظر: الكشاف (80/2)، المحرر الوجيز (64/6)، زاد المسير (203/3)، تفسير ابن كثير (416/3).

ينادي منادٍ بين الجنّة والنار يسمعه الخلائق كلّهم أنَّ رحمة الله تعالى على المحسنين، وأنَّ لعنة الله تعالى على الظالمين[1]، والظالمون: هم الكافرون[2]، وقرأ بعضهم : ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾ بتخفيف أن وضم التاء[3]. على معنى تفسير النداء[4].

**قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾[45]:**

معناه: هم الذين يصدون عن الدين، الذي هو طريقٌ جعله الله تعالى إلى جنّته[5]، جنّته[5]، وقوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ معناه: يطلبون لها غيرا وزيغا بإلقاء الشبهة التي التي يلبّسون بها على الناس، فيكون قوله : ﴿عِوَجًا﴾ مفعولاً، أي : يفعلون لهذا الغرض[6]، ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، أي: بالبعث بعد الموت جاحدون[7].

**قوله ﷻ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[46]:**

معناه: وبين الجنّة والنار سورٌ يحجب بين الفريقين؛ كما قال الله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[8] [الحديد:13]، وقوله تعالى: تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ معناه: وعلى أعالي السور، يقال لكلّ عالٍ : عرفٌ،

---

١- انظر: بحر العلوم (542/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (187/8)، بحر العلوم (542/1).

٣- وهي قراءة نافع وأبي عمرو ويعقوب عاصم، وقنبل في بعض الطرق عنه، وقرأ الباقون بتشديد النون، ونصب لعنة على أنّها اسم أن الثقيلة. انظر: تفسير الطبري (187/8)، النشر (269/2).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (241/2)، الكشاف (79/2-80).

٥- انظر: تفسير الطبري (187/8).

٦- انظر: تفسير الطبري (187/8)، المحرر الوجيز (65/7).

٧- انظر: بحر العلوم (542/1).

٨- انظر: تفسير الطبري (188/8)، بحر العلوم (542/1)، زاد المسير (204/3).

وجمعه: أعرافٌ، ومنه عرف الديك، وعرف الفرس [1]، ويقال: رجالٌ على معرفة أهل الجنّة، وأهل النار [2]، ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، أي: يعرفون أهل الجنّة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه [3]، قال عبد الله بن عباس : هؤلاء أصحاب الأعراف قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيّئاتهم بينهم وبين الجنّة، فلم يكن لهم حسناتٌ فاضلةٌ يدخلون بها الجنّة، ولا سيّئاتٌ فاضلةٌ يدخلون بها النار، فوقفوا على السور بين الجنّة والنار، يعرفون الكلّ سيماهم، فمن دخل الجنّة عرفوه ببياض وجهه، أغرّ محجّلاً من أثر الوضوء، ضاحكاً مستبشراً، ومن دخل النار عرفوه بسواد وجهه، وزرقة عينه [4]، وقال الحسن: هؤلاء الرجال فضلاء المؤمنين، الذين هم شهداء الله على الخلق بأعمالهم [5]، وعن أبي مجلز [6] أنَّه قال: هم الملائكة، فبلغ ذلك مجاهداً [7] فقال: كذب أبو مجلز، يقول الله ﷻ ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ فقال أبو مجلز: هم الملائكة ليسوا بإناث، وصورهم صورة

---

١- انظر: مجاز القرآن (215/1)، بحر العلوم (542/1)، تفسير البغوي (162/2).

٢- ذكره ابن الجوزي ونسبه للزجاج، واستبعده، وهو في معاني الزجاج.
انظر: معاني القرآن للزجاج (343/2)، زاد المسير (206/3).

٣- وهذا القول منسوبٌ إلى السديّ، وقد ذكره الشيخ الشنقيطي في الأضواء.
انظر: بحر العلوم (542/1)، أضواء البيان (355/2).

٤- والقول بأنَّ أصحاب الأعراف قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم مرويٌّ عن حذيفة وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة-ﷺ- وكذا عن الشعبي وقتادة . انظر: تفسير الطبري (190/8-191)، بحر العلوم (543/1).

٥- وقد نسبه الماوردي لمجاهد. انظر: تفسير الماوردي (29/2).

٦- هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، مشهورٌ بكنيته، ثقة، لحق كبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس-ﷺ-، توفي سنة: 106، أوسنة: 109هـ.
انظر: مشاهير علماء الأمصار ص147، التقريب ص1046، (7540)، شذرات الذهب (134/1).

٧- كتبت الكلمة في المخطوط هكذا: «مجاهد» بدون ألفٍ بعد الدال، وكتابتها الصحيحة بالألف؛ لأنَّه منصوبٌ منونٌ، وتنوين النصب يكتب بألفٍ في آخره تاءاً مربوطةً. والله أعلم.

الرجال[1]، وأمَّا قوله ﷻ: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فمعناه: أنَّ أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أصحاب الجنّة قالوا لهم: سلام عليكم، فردّ عليهم أهل الجنّة السلام، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾، أي: لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة، وهم يطمعون في دخولها؛ بأن يغفر الله لهم سيّئاتهم ويدخلهم الجنّة بحسناتهم[2]، ويقال: ما جعل الله الطمع في قلوب أصحاب الأعراف إلاَّ لكرامةٍ يريدهم بها[3]، قال عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: ثمّ يدخلون الجنّة برحمة الله تعالى[4]، وأمَّا من قال إنَّ أصحاب الأعراف هم الأنبياء[5] وفضلاء المؤمنين[6] فمعنى قوله: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ يتيقّنون أنَّهم يدخلونها؛ كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:32] وكان على يقين بأنَّه يغفر له[7].

**قوله [237/أ] ﷻ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[47]:**

وإذا نظر أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار[8] دعوا الله تعالى، واستعاذوا من

---

١- وقد ضعّف الطبري رأي أبي مجلز. انظر: تفسير الطبري (194/8)، تفسير الماوردي (29/2).
٢- انظر: بحر العلوم (543/1).
٣- وهو مرويٌّ عن الحسن، ونسبه البغوي لأبي العالية . انظر: تفسير الطبري (196/8)، بحر العلوم (543/1)، تفسير البغوي (163/2).
٤- انظر: تفسير الطبري (196/8).
٥- وهذا القول عزا ابن الجوزي حكايته إلى ابن الأنباري، انظر: زاد المسير (206/3).
٦- وهذا القول سبقت نسبته لمجاهدٍ والحسن.
٧- وتفسير الطمع باليقين في آية الشعراء منسوبٌ للحسن، وجماهير المفسّرين على أنَّ المراد به هنا الرجاء، المناسب لحال الصفوة من خلق الله؛ إذ هم على شدّة الخوف والوجل من ذنوبهم وإن دقّت. انظر: بحر العلوم (475/2)، المحرر الوجيز (67/12)، البحر المحيط (23/7).
٨- انظر: بحر العلوم (544/1)

النار، فقالوا: يا ربَّنا لا تجعلنا مع القوم الكافرين في النار، أي: يدعون بذلك خوفاً من الله تعالى لأجل معاصيهم، وقد روي عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث [1] -رحمه الله- أنَّه قال في أصحاب الأعراف: فيؤمر بهم إلى نهرٍ يقال له الحيوان، ترابه الورس [2] والزعفران، وحافّتاه قصبٌ من ذهب مكلّلٍ باللؤلؤ، فيغتسلون فيه فيزدادون كرامةً، وحسناً، فيقال لهم: تمنّوا ماشئتم، فيتمنَّون ما شاءوا، فيقال لهم: لكم ما تمنّيتم وسبعون ضعفاً، فهم مساكين أهل الجنّة [3]. وأمَّا من يجعل أصحاب الأعراف فضلاء المؤمنين [4]، فإنَّه يقول لهم: إنَّما يدعون الله تعالى بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [5] شكراً لله تعالى، ورغبة إليه في ثوابه، كما قال الله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ - رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون:93-94]، وكما يجوز أن يريد الإنسان من الله تعالى ما لا يعلم أنَّه يفعله لا محالة، جاز أن يسأل منه ما يعلم أنَّه يفعله لا محالة [6]. وبالله التوفيق.

---

١- وهو: إما: عبد الله بن الحارث بن نوف بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، أبو محمد المدني، يلقّب «ببَّه»، نزيل البصرة، المتوفى سنة: 84هـ بعمان. أو يكون عبد الله بن الحارث الأنصاري، أبو الوليد البصري، نسيب ابن سيرين وختنه. والله تعالى أعلم بالصواب.
انظر: تهذيب التهذيب (319-317/2)، تقريب التهذيب ص498، (3283-3282).

٢- الورس: نبتٌ أصفر تُصبغُ به الثياب. انظر: لسان العرب (254/6).

٣- وقد رواه الطبري عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث، ورواه ابن أبي حاتمٍ عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (191/8)، تفسير ابن أبي حاتم (110/4)، الدر المنثور (405/6).

٤- وقد سبق نسبة هذا القول لمجاهد والحسن.

٥- كتب هذا الجزء من الآية في المخطوط بدون ﴿تَجْعَلْنَا﴾.

٦- وهذا من المؤلّف-رحمنا الله وإيَّاه- تكلّف لتوجيه الرأي القائل بأنَّ أصحاب الأعراف هم أفاضل المؤمنين وعلماؤهم، وهو قولٌ ضعيفٌ، ولم يقل به أحدٌ من المفسّرين المعتمد قولهم، كابن جرير وابن عطية وابن كثير وغيرهم، وقد استغرب هذا القول الحافظ ابن كثير-رحمنا الله وإيَّاه-.انظر:تفسير ابن كثير(421/3).

قوله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ - أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾[48-49]:

روي عــن عبد الله بن عبــاس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ أصحاب السور ينادون قبل دخول الجنّة الكبــار من الكفــار؛ كالوليــد بن المغيرة، وأبي جهــل بن هشام، وسائر رؤسائهــم: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ في الدنيــا مــن المال والولد، وما كنتم تتعظمون عن الإيمــان بالله تعالى، قــال: ثمّ ينظرون إلى أهل الجنّة فيرون فيها الضعفاء والمساكين ممن كان يستهــزئ بهم كفار مكة؛ كصهيب[1]، وسلمان[2]، وخبَّاب[3]، وعمَّار وبلال[4]، وأشباهِهم، فينادون: أهؤلاء الضعفاء من المسلمين الذين هم الذين حلفتم أنتم أيها المشركون وأنتم في الدنيا أنَّهم لا يدخلهم

١- هو: صهيب بن سنان الرومي، وهو نمريّ، من النمر بن قاسط، وإنَّما نسبوه للروم؛ لأنَّه أُسر عند الروم صغيراً فأخذ لسانهم، أحد السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى المدينة تاركاً ماله لقريشٍ، وشهد بدراً، وتوفي-ﷺ- بالمدينة في شوال سنة: 38هـ، وقيل: توفي سنة: 39هـ، ودفن بالبقيع.
انظر: الاستيعاب (726/2-733)، أسد الغابة (36/3-39).

٢- هو: سلمان الفارسي، أبو عبد الله، يقال إنَّه مولى رسول الله-ﷺ-، أصله من رام هرمز بفارس، خرج طالباً للدين الحق، حتى لحق المدينة، فلمَّا هاجر النبي-ﷺ-آمن به وتبعه، وكان من أكابر الصحابة- ﷺ- توفي سنة: 35هـ، وقيل: سنة: 36هـ. انظر: الاستيعاب (634/2-638)، الإصابة (141/3).

٣- هو: خبَّاب بن الأرتّ، حليف بني زُهرة، قيل : هو خزاعيٌّ، وقيل: تميميٌّ، كان في الجاهلية عبداً لأمِّ أنمار، سباع الخزاعية، من السابقين إلى الإسلام، وعُذّب في الله بمكة، شهد بدراً والمشاهد كلّها، يكنى أبا عبد الله أو أبا يحيى، توفي- ﷺ-بالكوفة سنة:37هـ، أو39هـ . انظر : الاستيعاب (437/2)، الإصابة (258/2).

٤- هو: بلال بن رباح، مؤذّن رسول الله -ﷺ- أبو عبد الله مولى أبي بكر الصديق- ﷺ-من أوَّل من أظهر الإسلام بمكة، وعذّب وأهين حتى اشتراه الصديق- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-وأعتقه، كان اسم أمّه حمامة، شهد بدراً، ولحق بالشام بعد وفاة النبي-ﷺ-حتى توفي بدمشق سنة: 20هـ، أو 21هـ-ﷺ-.
انظر: الاستيعاب (178/1)، أسد الغابة (1-243-245)، الإصابة (326/1).

الله تعالى الجنَّة[1]، قال عبد الله بن عباس: ثمَّ يقول الله لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ فيدخلون الجنَّة[2]؛ فإن قيل: كيف يصح هذا التأويل في الحجاب الذي بين الجنَّة والنار، ومعلوم بأنّ الجنّة في السماء والنار في الأرض؟ قيل: لم يبيّن الله تعالى حال الحجاب المذكور في الآية، ولا قدر المسافة، ولا يمتنع أن يكون بين الجنّة والنار حجابٌ وإن بعد ت المسافة[3]، وقرأ بعضهم: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡثِرُونَ﴾، أي: تجمعوا[4] المال للكثرة[5]، ويقال: أراد بقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ الجماعة الذين كانوا متعاونين على الباطل[6]، قال مقاتل-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: إذا قال أصحاب الأعراف لأصحاب النار: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾، قال لهم أصحاب النار: وأنتم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾، وأقسموا بالله لتدخُلُنّ معنا في النار، فيقول الله ﷻ أوتقول الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا يصيبهم الله برحمة، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ إلى آخر الآية[7]، وأمَّا من ذهب من المفسّرين إلى أنَّ أصحا ب الأعراف أفاضل المؤمنين وشهداء الله تعالى على الخلق، قال: إنَّ ظاهر قوله تعالى في هذه الآية ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يقتضي أنَّ هذا من أصحاب الأعراف يقولون لضعفاء المؤمنين ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾؛

---

١- وهو مرويٌّ عن الكلبي، ونسبه ابن الجوزي إلى ابن السائب، وهو عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- من رواية أبي صالحٍ.
انظر: تفسير البغوي (163/2)، زاد المسير (207/3).
٢- انظر: تفسير الطبري (199/8).
٣- انظر: مفاتيح الغيب (87/14، البحر المحيط (303/4).
٤- هكذا في المخطوط، والفعل حقّه الرفع بثبوت النون، والله أعلم.
٥- وهي قراءةٌ شاذّةٌ، ولم أجدها منسوبة لأحدٍ. انظر: البحر المحيط (306/4)، الدر المصون (332/5).
٦- انظر: الكشاف (82/2).
٧- انظر: تفسير مقاتل (393/1).

وذلك أنَّ الله تعالى يشرف أصحاب الأعراف بأن يجعل إليهم التمييز بين الفريقين، فيلحقهم السرور بذلك، وهم على يقين من عظم منازلهم[1]، ويقال : لا يمتنع أن تكون منازل أصحاب الأعراف في الجنّة عالية كعلوّ الأعراف، كما روي في الخبر أنَّ: (أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب من أفق السماء، وأنَّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما)[2].

**قوله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[50]:**

قال عبد الله بن عباس : وذلك أنَّه لما سكن أهل الجنّة في الجنّة، وسكن أهل النار النار، وحُرِم أهلُ النار الماء والثمار، مع ما هم فيه من ألوان العذاب، نادوا أصحاب الجنّة أن اسقونا شيئاً من الماء، أو صبّوا وأفرغوا علينا، أو أطعمونا شيئاً مما رزقكم الله تعالى من ثمار الجنّة، فيجيبهم أهل الجنّة بقولهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: شراب الجنّة وثمارها[3] ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾، وإنَّما جعل شراب الكافرين الحميم الذي يُصْهرُ

---

١- وهذا المذكور أحد القولين الذين ذكرهما الزجاج . وأغلب المفسرين على أنَّ الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾من الله تعالى لأصحاب الأعراف، وهو الذي ساقه المؤلف أوَّلاً.
انظر: تفسير الطبري (198/8-199)، بحر العلوم (544/1)، معاني القرآن ل لزجاج (343/2-344)، تفسير البغوي (163/2).

٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند من غير ما وجهٍ عن أبي سعيدٍ الخدري- ﷺ- بالأرقام : (11222-11229-11485-11605-11708-11900-11958)، وصححه الألباني من حديث أبي سعيدٍ في صحيح سنن ابن ماجه (50/1-51)، رقم: (79)، وصححه كذلك في صحيح سنن الترمذي (500/3)، رقم: (3658)، في باب فضائل أصحاب رسول الله -ﷺ- عند ابن ماجه، وعند الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب الصديق-ﷺ-.

٣- وقد روي نحوه عن عطاء عن ابن عباس. انظر:تفسير البغوي(163/2-164)، زاد المسير(208/3).

يُصْهرُ به ما في بطوهم، وطعامهم الضريع والزقّوم [1]، والمراد بالتحريم المذكور في الآية تحريم المنع دون تحريم التعبد [2]، كما في قوله [تعالى] [3]: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:12]، أي: منعنا منه المراضع إلاَّ ثدي أمّه [4]، وجاء في الخبر أنَّ أهل [237/ب] النار يستغيثون بمالك، فيقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[الزخرف :77]، فيستغيثون بالشراب فـ ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[الكهف :29]، فيستغيثون بالطعام، فيغاثوا بالزقوم والضريع، فيقبلون على الصبر، فلا يغني عنهم، ثمَّ يقبلون على الجزع، فلا يغني عنهم، ثمَّ ينادون أهل الجنّة: يا أهل السعادة منكم الآباء والأمّهات والأبناء والأخوات والجيران والمعارف والأصدقاء، أفيضوا علينا من الماء حتى نطفئ عنا حرَّ ما نجد من العطش، ومما رزقكم الله من الطعام فنأكله لعلّه يطفئ عنّا الجوع، فلا يُؤذن لأهل الجنّة في الجواب مقدار أربعين سنة، ثمَّ يُؤذن لهم فيقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [5]، وفي الآية بيان أنَّ ابن آدم لا يستغني عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب [6].

**قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [51]:**

---

١- قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:6]، وهو شجر الشِّبرِق، وهو شجرٌ ثمرته شائكةٌ سامَّةٌ، وهو من أخبث الطعام، أو هو نباتٌ أحمر نتن الرائحة . وقال تعالى : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ -طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:44-45].

انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 506، تفسير ابن كثير (385/8).

٢- وهو ظاهر؛ إذ لا تكليف في الآخرة. انظر: الكشاف (82/2).

٣- في المخطوط: «تعا»، وقد أثبت المراد، ولا يخفى أنّه «تعالى».

٤- انظر: تفسير ابن كثير (223/6).

٥- لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر إلاَّ ما كان من وروده في روح البيان (171/3).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (344/2)، زاد المسير (209/3).

أوَّل هذه الآية نعت للكافرين [1]، ومعناه: انَّهم اتخذوا دينهم بهوى أنفسهم، لاهين، لاعبين، ويقال: الذين اختاروا في دينهم الباطل، واللعب، والفرح، والهزؤ [2]، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: غرّهم ما أصابوه من زينة الدنيا، مع ما كانوا فيه من طول الأمل [3]؛ ولذلك كانوا يستهزؤون بالمسلمين؛ كما ورد في الخبر أنَّ أبا جهل بن هشام بعث إلى النبي -ﷺ- رجلاً يستهزئ به أن أطعمني من عنب جنتك، أو شيئاً من الفواكه، فقال أبو بكر- رضي الله عنه-: قل له: إنَّ الله حرّمهما على الكافرين [4]، الكافرين [4]، وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ معناه : اليوم، يعني يوم القيامة نتركهم الله في النار كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا [5]، ويقال معنى قوله تعالى: ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في النار كالمنسيّ، كما أعرضوا عن العمل للقاء يومهم هذا إعراض الناسي للشيء [6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ في موضع الجر نسقٌ على ما نسو [7]ا، المعنى: وبجحدهم بآياتنا

---

١- انظر: إعراب النحاس (55/2).

٢- انظر: بحر العلوم (544/1)، تفسير أبي السعود (168/2).

٣- انظر: بحر العلوم (544/1)، المحرر الوجيز (72/6).

٤- أورده بهذا اللفظ أبو الليث في تفسيره، وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه في كتاب ذكر النار، ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته (66)، وابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية (144/4)، (8563)، كلاهما عن أبي صالح. لفظ: لما مرض أبو طالب قالوا : أرسل إلى ابن أخيك هذا فيأتيك بعنقود من جنته لعلّه يشفيك به، فجاء الرسول، وأبو بكر عند النبيِّ- ﷺ- جالس، فقال أبو بكر-رضي الله عنه-: إنَّ الله حرّمهما على الكافرين. انظر: بحر العلوم (544/1)، الدر المنثور (413/6).

٥- وهذا القول مروي عن مجاهد، واختاره الزجاج، والبغوي، وأبو الليث وجماعة. انظر : تفسير الطبري (202/8)، معاني القرآن للزجاج (341/2)، بحر العلوم (544/1)، تفسير البغوي (164/2).

٦- وهذا المعنى حكاه ابن الجوزي عن ابن الأنباري، وقول الزمخشري غير بعيد منه. انظر: الكشاف (82/2)، زاد المسير (209/3).

٧- انظر: إعراب النحاس (55/2)، البحر المحيط (306/4).

الدالّة على التوحيد والنبوة.

**قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[52]:**

معناه: جئناهم بالقرآن الذي أتينا به آيةً بعد آيةٍ، وسورةً بعد سورةٍ، على علمٍ مِنّاَ بأنَّ ذلك أقرب إلى التدبّر [1]، وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ نصب على تقدير هادياً [2]، وذا رحمة لقومٍ يصدّقون به أنَّه من عند الله تعالى [3].

**قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[53]:**

معناه: ما ينظر أهل مكة إلاَّ عاقبة ما أوعدهم الله تعالى به في القرآن أنَّه كائن منه ما يكون في الدنيا ، ومنه ما يكون في الآخرة [4]، ويقال معناه: هل ينتظرون إلاَّ ما يؤول إليه أمرهم من البعث [5]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي: يوم تأتي عاقبة ما وعدوا فيه، وهو يوم القيامة [6]، يقول الذين كفروا وتركوا العمل له في دار الدنيا: الدنيا: قد جاءت رسل ربِّنا بالصدق في أمر البعث بعد الموت فكذبناهم [7] ﴿فَهَل لَّنَا ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ أي: يقولون هذا القول حين يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين،

---

١- وتخصيص العلم هنا بأنَّه متعلّقٌ بكون التفصيل أدعى للتدبّر لم أجده، والتعميم أولى . انظر: تفسير الطبري (203/8)، تفسير البغوي (164/2)، زاد المسير (210/3).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (341/2)، إعراب النحاس (55/2-56).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (341/2)، بحر العلوم (545/1).

٤- وبه قال الحسن وقتادة. انظر: تفسير الطبري (203/8)، بحر العلوم (545/1)، تفسير الماوردي (31/2).

٥- وهذا القول اختاره الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (341/2)، تفسير الماوردي (31/2).

٦- انظر: بحر العلوم (545/1).

٧- المصدر السابق.

فيقال لهم: ليس لكم شفيعٌ، فيقولون : فهل نردّ إلى الدنيا، فنصدّ ق الرسل، ونعمل الأعمال الصالحة[1]، فذلك قوله تعالى : ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾، وجواب الاستفهام بالفاء يكون نصباً[2]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ معناه: غبنوا حظّ أنفسهم من الجنّة، فورثهم المؤمنون[3]، وقوله تعالى : ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، أي: ذهبت عنهم آلهتهم، وهي التي كانوا يفترون بها على الله تعالى أنَّها شفعاؤهم[4]، ويقال: معناه: وضل عنهم حينئذ افتراؤهم على الله تعالى[5].

**قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[54]:**

وذلك أنَّ الله تعالى لمَّا عيّر المشركين بعبادة الأصنام بقوله تعالى : ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ سألوا رسول الله- ﷺ- فقالوا: يا محمد من ربّك الذي تدعونا إليه؟ فأرادوا أن يجحدوا معنى في اسمه، أو في شيءٍ من أفعاله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فتحيّروا وعجزوا عن الجواب[6]، ومعنى الآية- والله أعلم- : إنَّ خالقكم ورازقكم هو الله الذي ابتـــدأ خلق السماوات والأرض لا على مثال سبق، فوحّدوه يا أهل مكة، واعبدوه، وأطيعوه، ودعوا هذه الأصنام، فإنَّها لم تخلق سماءً ولا

---

١- المصدر السابق.

٢- والنصب هنا في الفعلين «فيشفعوا»، و«فنعمل»؛ إذ كلٌّ منهما جاء جواباً للاستفهام، مقروناً بالفاء . انظر: معاني القرآن للزجاج (342/2)، إعراب النحاس (56/2).

٣- انظر: تفسير الطبري (205/8)، بحر العلوم (545/1).

٤- انظر: المصدرين السابقين.

٥- انظر: تفسير البغوي (164/2)، البحر المحيط (309/4).

٦- انظر: بحر العلوم (545/1).

أرضاً[1]، قولـــه تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قـــال[238/أ] عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: هي ستة أ يامٍ من أَيَّام الآخرة، أوَّلها يـــوم الأحد، وآخرها يـــوم الجمعة، طول كلّ يومٍ كألف سنةٍ ممـــا يعدّ أهلُ الدنيـــا [2]، وقال الحسن- رضي الله عنه-: هي ستة أيَّام من أيَّام الدنيا [3]، ويقـــال: في ستِّ ساعاتٍ من ستة أيَّامٍ من أوَّل أيَّـــام الدنيا، ولـــو شـــاء الله لخلقها في لحظةٍ ولكنه علّم عباده التأني والتدبير في الأمور[4]، فكان حدوث حادثٍ بعد حادثٍ أدلّ على عالم مدبّر وأمكن للمعتبر في الاعتبار بأن يعتبر حادثاً بحادثٍ على التدبير [5]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد تعلّقت المشبهة بظاهره، وقالوا: يجوز على الله المكان بدلالة هذ ه الآية، وهذا باطلٌ عند أهل السنة والجماعة [6]؛ لأنَّ الله تعالى كان ولا مكان، ولا يجوز

---

١- انظر: تفسير الطبري (205/8)، بحر العلوم (545/1).

٢- وهو قول كعب، ومجاهد، وعبد الله بن سلام-رضي الله عنه- واختاره الطبري.
انظر: تفسير الطبري (205/8)، زاد المسير (211/3).

٣- انظر: بحر العلوم (545/1).

٤- وهذا القول أورده أبو الليث من دون نسبةٍ، ولكنه قال: في ست ساعاتٍ من ستة أيام من أطول أيام الدنيا.
انظر: بحر العلوم (545/1).

٥- انظر: تفسير الماوردي (32/2)، زاد المسير (212/3).

٦- أراد بالمشبهة هنا: المثبتون للصفات. والتشبيه مذهبٌ باطلٌ، يثبت أصحابه الصفات لله-عز وجل- من غير تنزيه للخالق عن مشابهة المخلوقين، ومن أشهر المشبهة: الرافضة، ولا شكَّ أنَّ وصف المصنّف هنا لمثبتي المكان لله -عز وجل-بالمشبّهة غير دقيقٍ؛ لأنَّ إثبات المكان -كما سبق إيضاحه- إن أريد به المكان الخارج عن العالم المباين لجميع الخلق مع إثبات غنى الخالق عنه، كان جائزاً في حقّ الله- عز وجل- كما قرّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وعليه يحمل حديث الجارية التي سئلت بحضرة النبي-صلى الله عليه وسلم- عن الله-عز وجل- فقالت: إنَّه في السماء، فوصفها النبي-صلى الله عليه وسلم- بالإيمان. والحديث أخرجه مسلمٌ في الصحيح في كتاب المساجد.
والحاصل أنَّ عبارة المصنِّف إن كان يريد بها من أثبت المكان في حقّ الله- عز وجل- مريداً به أنَّ شيئاً من خلقه يحويه، أو هو محتاجٌ إلى هذا المكان، فهو كلامٌ لا غبار عليه، وإن أريد بها كلّ من اثبت المكان في حقّ الله- عز وجل- وإن كان منزِّهاً. ففيه ما لا يخفى. والذي حمل كثيراً من المتكلّمين على نفي المكان إطلاقاً أنَّه- على

عليه الحاجة والتغيير عما كان [1]، ثم اختلف المفسِّرون في هذه الآية؛ قال بعضهم : يطلق الاستواء كما ورد به القرآن ولا يكيّف، كما يثبت الله تعالى . ولا يكيفه[2]، وهذا القول يحكى عن مالك بن أنس[3]؛ فإنَّه –رحمه الله– سئل عن معنى هذه الآية، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقولٍ، والسؤال عنه بدعة [4]، وسئل يزيد بن هارون [5] عن تأويله فقال : تأويله الإيمان به [6]، وقال بعضهم : معنى استوى

---

زعمهم- يوجب إثبات الجسمية، وهو باطلٌ كما قرّره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل وا لنقل. انظر: درء تعارض العقل والنقل (3/211-221)، بيان تلبيس الجهمية (1/521).

١- وهذه العبارة الجزء الأخير منها باطلٌ؛ إذ يلزم منه أنَّ الله- ﷻ- لم يستو على عرشه؛ لأنَّه كما روى أبو رزين العقيلي عن النبي -ﷺ- أنَّ الله-ﷻ- قبل أن يخلق السماوات والأرض كان في عماءٍ، ما فوقه هواءٌ، وما تحته هواءٌ، والحديث حسنٌ عند البعض، ونصّ الآية يُثبت أنَّه تعالى خلق السماوات والأرض ثم استوى على العرش، و«ثم» في الآية للترتيب الزماني، فلو كان- ﷻ- لا يجوز عليه التغيير عمَّا كان لانتفى ما سبق إثباته من كونه استوى على عرشه تبارك وتعالى. انظر: بيان تلبيس الجهمية (1/564)، اجتماع الجيوش الإسلامية (1/92)، مشكاة المصابيح (3/244)، (5725).

٢- وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات الاستواء لله-ﷻ-كما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيلٍ. انظر: تفسير البغوي (2/265)، تفسير ابن كثير (3/427).

٣- هو: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، إمام دار الهجرة، وأحد الأعلام، أخذ عن نافع بن أبي نعيم القراءة عرضاً، وأخذ عن نافع مولى ابن عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وسمع الزهري، وعنه روى الأوزاعي، ويحيى بن سعيد، ولد سنة: 95هـ، وتوفي سنة: 179هـ.رحمه الله.انظر: صفة الصفوة (2/434)، مشاهير علماء الأمصار ص223، وفيات الأعيان (4/135-137)،

٤- والعبارة المشهورة عنه-رحمه الله-: الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ. والمعنى واحدٌ في العبارتين، ونحوه منسوبٌ إلى ربيعة الرأي- رحمنا الله وإياهم-. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (3/195)، إعلام الموقعين (4/246).

٥- هو: يزيد بن هارون بن زاذي بن ثابت، أبو خالد السلمي، مولاهم، من أهل واسط، سمع من يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التيمي، وعاصم الأحول، وغيرهم، كان ثقةً متقناً عابداً، ولد سنة : 118هـ، وتوفي سنة: 206هـ.
انظر: تاريخ بغداد (14/338)، تقريب التهذيب ص 1084.

٦- انظر: بحر العلوم (1/545).

استولى، كما يقال: استوى الأمير على بلد كذا، أي: استولى عليه، ويقال: فلان قد استوى على المال والضِّياع، أي : احتوى عليهما وأحرزهما، وقد استوت الأمور لفلانٍ لا يراد بذلك الجلوس والانتصاب[1]، قال الشاعر:

قَدِ استوَى بِشْرٌ على العراقِ		مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مهْرَاقِ[2]

أراد بذلك بشر بن مروان[3] واستيلاؤه على العراق بالملك، إلاَّ أنَّه قد اعتدل ببدنه بأن قام أو قعد[4]، وقال آخر:

فلمَّا علونا واستوينا عليهم		تركناهم صرعى لنسر وكاسر[5]

وقال بعضهم إنَّ لفظ الاستواء في الآية كناية عن نفاد الأمر وعظيم القدر؛ فإنَّ المتعارف فيما بين الناس أنَّ الملِك إذا تمَّ تدبيره وتكامل أمره استوى على سريره، فجعل الاستواء على العرش كناية عن ذلك[6]، وهذا معنى قول الحسن في هذه الآية:

---

١- وهو قولٌ باطلٌ، وفيه ابتعادٌ عن ظاهر النص، وأئمة اللغة : كأبي عبيدة والخليل وابن الأعرابي ذكروا أنَّ استوى لا تفيد الاستيلاء، وأنَّ العرب لا تعرف ذلك، وكذا على التسليم بهذا المعنى يلزم منه القدرة على الشيء بعد العجز عنه، ويلزم منه وجود منازع على المستوى عليه، والله تعالى منزه عن ذلك كلّه. انظر : زاد المسير (213/3)، لسان العرب (408/14)، بيان تلبيس الجهمية (336/2)، البحر المحيط (310/4)، اجتماع الجيوش الإسلامية (107/1).

٢- والبيت منسوبٌ للأخطل التغلبي، كما في البداية والنهاية في حوادث سنة : (74هـ)، عند ذكره من توفي فيها من الأعيان. انظر: البداية والنهاية (7/9).

٣- بشر بن مروان بن الحكم الأموي، أخو الخليفة عبد الملك، أحد الأجواد، ولي العراقين في زمن أخيه، مدحه كثيرٌ من الشعراء كالفرزدق والأخطل، توفي سنة : 74هـ، أو 75هـ بالبصرة. البداية والنهاية (7/9)، سير أعلام النبلاء (145/4)، شذرات الذهب (83/1).

٤- وهذا البيت ذكر غير واحدٍ من أهل اللغة أنَّه مصنوعٌ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام، ولو صحّ فالمراد به استواؤه على كرسي ملك العراق، وليس المراد مجرّد الاستيلاء، وبالله التوفيق. انظر : مجموع الفتاوى (375/17).

٥- لم أقف على قائله، وهو في تفسير القرطبي، وفي البحر المحيط : والكاسر: العقاب. انظر: تفسير القرطبي (278/3)، البحر المحيط (280/1)، لسان العرب (139/5).

٦- وهذا القول فيه ما لا يخفى من التأويل الذي لا دليل عليه، مع ما فيه من مخالفةٍ صريحةٍ لظاهر النص الكريم،

الآية: استوى أمره على الملك[1]، وفي الآية ما يدلّ على صحّة هذا القول؛ لأنَّه تعالى عقبه بقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ فإن قيل: ما معنى دخول «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وثمَّ تكون للحادث، واستيلاء الله تعالى واقتداره وملكه للأشياء ثابتٌ فيما لم يزل و لم يزال؟ قيل معناه : ثمَّ رفع العرش فوق السماوات واستوى عليه؛ وإنَّما دخل «ثمَّ»على رفع العرش وإن كان متصلاً في اللفظ بالاستواء؛ لأنَّ الدلالة قد دلَّت م ن جهة العقل على أنَّ اقتداره على الأمور ثابت في ما لم يزل [2]، وهذا كقوله ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[محمد:31]، أي: حتى يجاهد المجاهدون منكم ونحن عالمون به؛ لأنَّ الدلالة قد دلَّت على أنَّ الله تعالى عالمٌ فيما لم يزل ولا يزال [3]، ويقال: معنى ثم في هذا الموضع بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخي، فإنَّ خلق العرش والاستيلاء عليه كان قبل خلق السماوات والأرض، كما قال الله تعالى في آيةٍ أخرى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:7]، وقد يذكر ثم بمعنى الواو، كما قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

الكريم، وقد وصف بعض الأئمة هذا القول بالشذوذ، وهو وصفٌ لا غبار عليه. انظر : المحرر الوجيز (75/7)، زاد المسير (213/3)، البحر المحيط (310/4).

١- انظر: تفسير البيضاوي (290/4-291)، البحر المحيط (310/4).

٢- وهذا الكلام المذكور هنا لا طائل تحته؛ إذ هو تقرير لمذهب التأويل الذي سبق إبطاله، والصحيح في «ثم» أنَّها للترتيب الزماني لا لمجرّد الجمع كما ذكر بعضهم . انظر: بيان تلبيس الجهمية (577/1-578)، اجتماع الجيوش الإسلامية (107/1، 113، 114، 136)،حاشية ابن القيم على سنن أبي داود(16/13).

٣- والمراد: عالم بما كان وبما يكون، وهو كلامٌ ظاهر الصحة، إلاَّ أنَّ الاستدلال به هنا فيه نظرٌ؛ إذ الفرق جليّ بين الصفات الفعلية كالاستواء، والغضب، والنزول، ونحوها، وبين الصفات الذاتية كالعلم، والمشيئة، والقدرة، ونحوها، فالأولى تكون من الله–ﷻ– متى شاء، والثانية لازمة لذاته العلية. والله تعالى أعلم. انظر: درء تعارض العقل والنقل (226/2)، مجموع الفتاوى (410/5-411).

ءَامَنُواْ﴾[1] [البلد:17]، ويقال: معنى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾: أخبر أنَّه استوى على العرش فكان دخول كلمة ثم للتراخي في الإخبار لا لترادف الحال [2]، وقد روي في الخبر أنَّ أوَّل شيء خلقه الله تعالى القلم ثمَّ اللوح فأمر الله تعالى القلم أن يكتب في اللوح ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ثمَّ خلق العرش، ثمَّ خلق حملة العرش، ثمَّ خلق السماوات والأرض [3]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ فمعناه: يغشي بظلمة الليل ضوء النهار، و لم يقل : ويغشي النهار الليل؛ لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وقد بيّن في آية أخرى، فقال عزّ من قائل : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[4] [الزمر:5]، ومن قرأ ﴿يُغۡشِى﴾ بالتخفيف[5] فهو من باب الإفعال [1]، وقوله

---

١- وهذا التوجيه كسابقه من باب أنَّ فيه ما هو حقّ، وما هو غير ذلك، فأمَّا الحقّ الذي فيه فهو : أنَّ خلق العرش تقدَّم على خلق السماوات والأرض، وأمَّا خلافه: فهو أنَّ الله-ﷻ- استوى على عرشه قبل خلق السماوات والأرض؛ إذ هو مخالفٌ لصريح الآية الكريمة، مع ما فيه من تأويل الاستواء بالاستيلاء، وهو ما سبق رده بالحجة. والحمد لله. انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (118/1).

٢- وهذا توجيهٌ آخر لمذهب التأويل، وإلاَّ فما المحظور في الأخذ بظاهر النصوص، وإثبات خلق العرش قبل السماوات والأرض، وبعد خلقهما استوى الله-ﷻ-على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته.

٣- الوارد في الأثر أنَّ أوَّل شيءٍ خلقه الله-ﷻ-هو القلم، ثم النون-وهي الدواة-، وقيل: الحوت الأعظم الذي بُسطت الأرض على ظهره، كما روي ذلك عن ابن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -رواه عنه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة القلم، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين و لم يخرجاه، رقم : (3799)، ووافقه الذهبي في التلخيص، والجزء الأوَّل من الأثر المتعلّق بخلق القلم أوّلا مرويّ عن النبي-ﷺ- من حديث عبادة بن الصامت- رضي الله عنه-، وقد أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب السنة، باب القدر، رقم: (4702)، وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب القدر، باب ما جاء في القدر، رقم : (2155)، وأمَّا تقدَّم خلق العرش على خلق السماوات والأرض فيدلّ عليه حديث أبي رزين حين سأل عن أين كان الله قبل أن يخلق السماوات والأرض فأجابه النبي- ﷺ- بأنَّه كان في عماء، ثم خلق العرش، ثم استوى عليه، والحديث أخرجه ابن ماجه في السنن، في باب ما أنكرت الجهمية، رقم : (187).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (342/2)، بحر العلوم (546/1).

٥- وهي قراءة نافعٍ، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأبي جعفر، ورواية حفص عن عاصم، وقرأ غيرهم بالتشديد، من «غَشَّى» المضعف. انظر: النشر (269/2)، البحر المحيط (311/4).

تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، أي: يطلب سواد الليل ضوء النهار سريعاً حتى يغلب سواده بياضه[2]، وكلّ واحدٍ منهما في طلب صاحبه، وتسييره ما بقيت الدنيا[3]؛ وإنّما ذكر الطلب توسعاً في الكلام على معنى سرعة إتيان الليل في أثر النهار كالطالب له [4]، والحثيث: السريع في السَّوْق من غير فتورٍ [5]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾، أي: وخلق هذه الأشياء مذللات بالمسير في ساعات الليل والنهار جاريات على مجاريهنَّ لمنافع بني آدم بأمر الله ﷻ وتدبيره وصنعه [6]، ومن قرأ ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ كلّها بالضم[7] فعلى معنى الابتداء[8]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ كلمة تنبية معناه: اعلموا أنَّ خلق الأشياء كلّها لله تعالى، ومن الله ﷻ، فإنَّ أمره، وهو القضاء نافذٌ في خلقه [9]، وأمر الله تعالى على وجهين: أمرٌ فيه إنفاذ مشيئته، وأمر يلزم **[238/ب]** العبادَ فيه الطاعةُ، فأمَّا الأوَّل فهو كائنٌ كما أمر، كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[10]، وكما قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]،

---

١- لعلّه أراد بالإفعال هنا: الإغشاء؛ لأنَّ قراءة التخفيف من «أغشى» أي: حصل منه الإفعال الذي هو الإغشاء. انظر: الموضح (530/2)، المحرر الوجيز (75/7).

٢- وقد روي نحو هذا عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وعن السدي. انظر: تفسير الطبري (206/8)، التفسير الصحيح (325/2).

٣- انظر: بحر العلوم (546/1).

٤- انظر: تفسير الماوردي (33/2)، تفسير البغوي (165/2).

٥- وأصلحه الحث، وهو الإعجال في اتصال. لسان العرب (129/2).

٦- انظر: بحر العلوم (546/1)، تفسير الماوردي (33/2).

٧- وهي قراءة ابن عامر وحده، وباقي العشرة بالنصب في الكلمات الأربع. انظر: النشر (269/2)، البحر المحيط (311/4).

٨- ويكون الخبر «مسخرات» على قراءة الرفع. انظر: الموضح (631/2)، البحر المحيط (311/4).

٩- انظر: تفسير الطبري (206/8)، بحر العلوم (546/1).

١٠- من مواضعها، سورة هود: (107).

وأمَّا الثاني: فهو أمره بالإيمان به والتوحيد له، والاستسلام لقضائه، والجري على أوامر ونواهيه، فإن فعلوا استحقوا الثواب، وإن خالفوا استوجبوا العقاب [2]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تعالى الله، وهو ثابت لم يزل ولا يزال؛ لأنَّ من أصل البركة الثبوت [3]، ويقال: تبارك: تفاعل من البركة، أي: البركة كلّها من الله ﷻ، واسمه بركة لمن ذكره [4]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: خالق الخلق أجمعين، فلما وصف الله تعالى نفسه في هذه الآية، ودلَّ عباده بخلق السماوات والأرض وغيرهما على وحدانيته وقدرته، علّمهم كيف يدعونه ويعبدونه [5].

**فقال عزَّ من قائل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[55]:**

قال بعضهم: معناه: فادعوه علانية وسراً، فإنَّ التضرع من الضراعة، وهي إظهار شدّة الحاجة [6]، ويقال: معنى التضرع التملّق والتخشع والميل في الجهات [7]، يقال: ضرّع يضرع ضرعاً إذا مال بأصبعه يميناً وشمالاً خوفاً وذُلاًّ، ومنه ضرع الشاة؛ لأنَّ اللّبن يميل إليه [8]، والمضارعة: المشابهة؛ لما فيها من الميل إلى التشبيه [9]، وقوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: ادعوه بالخضوع في السِّرِّ دون العلانية [10]، فكأنَّ الله تعالى أمَرَنا

---

١- من مواضعها، سورة البقرة: (117).

٢- انظر: شفاء الغليل (47/1-48).

٣- وهذا القول نسبه البغوي إلى المحقّقين، وفي مفردات الراغب: أنَّ البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء. انظر: تفسير البغوي (165/2)، مفردات ألفاظ القرآن ص119، نظم الدرر (42/3-43).

٤- انظر: بحر العلوم (546/1)، تفسير البغوي (165/2)، زاد المسير (214/3).

٥- انظر: بحر العلوم (546/1)، نظم الدرر (43/3).

٦- انظر: المحرر الوجيز (78/7)، روح المعاني (139/8).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (344/2).

٨- ومنه ضرّعت الشمس إذا دنت ومالت للمغيب. انظر: لسان العرب (221/8).

٩- المصدر السابق .

١٠- انظر: تفسير الطبري (206/8)، بحر العلوم (547/1)، تفسير البغوي (166/2).

في الدعاء أن نجمع بين أن نخفيه، وبين أن نفعله على نهاية الخضوع والانقطاع إليه؛ لأنَّ ذلك أبعد من الرياء، وهذا القول أصحَّ من الأوَّل [1]، على ما روي من الأخبار، الأخبار، قال -ﷺ-: (خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي ) [2]، وعن الحسن- رضي الله عنه- أنَّه قال: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا يسمع إلاَّ همساً [3]، وعن سالم [4] عن أبيه عن عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -أنَّه قال: كان رسول الله- ﷺ- إذا رفع يديه في الدعاء لا يردّهما حتى يمسح بهما وجهه [5]، وعن أبي موسى الأشعري [6]-رضي الله عنه- قال:

---

١- أراد بالقول الأوَّل قول من قال : إنَّ المعنى علانية وسرّاً. والقول الذي قوَّاه المصنّف هو قول جماهير المفسّرين كابن جرير والبغوي، والقرطبي، وابن كثير وغيرهم . انظر: تفسير الطبري (206/8)،تفسير البغوي(166/2)،زاد المسير(215/3)،تفسير القرطبي(223/7)،تفسير ابن كثير(428/3)، فتح القدير (222/2).

٢- أخرجه البيهقي في الشعب من طرق متعددة عن سعد بن أبي وقّاص- رضي الله عنه- في فضل إدامة ذكر الله-عز وجل-، رقم: (452)، (453)، (454)، وقد أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال إنَّ رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة فمختلفٌ فيه، وقد ضعّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، في كتاب التوبة والزهد، رقم: (1873)، وفي كتاب البيوع، رقم: (1060).

٣- انظر: تفسير الطبري (206/8)، تفسير البغوي (166/2)، تفسير ابن كثير (428/3).

٤- هو أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي- رضي الله عنهم- أحد فقهاء المدينة، من سادات التابعين وثقاتهم، روى عن أبيه، وعنه الزهري، ونافع، توفي - رحمه الله- في آخر ذي الحجة سنة: 108هـ.انظر: مشاهير علماء الأمصار ص108، صفة الصفوة (390/2).

٥- أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمر-رضي الله عنه- في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، رقم: (1967)، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، في باب ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء، وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، وضعّفه الألباني في إرواء الغليل عند كلامه على حديث الحسن بن علي-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في دعاء القنوت، رقم: (431)، (178/2).

٦- هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضَّار بن حرب بن عامر الأشعري، أبو موسى، مشهور باسمه وكنيته معاً، أمه ظبية بن وهب، من عكّ، أسلمت وماتت بالمدينة، سكن مكة وحالف سعيد بن العاص، ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة، وقيل : رجع إلى قومه ولم يهاجر، روى عن النبي- ﷺ- وعن الخلفاء الربعة، ومعاذ، وابن مسعود، وغيرهم-رضي الله عنهم-، كان حسن الصوت بالقرآن، وفي الحديث أنَّه أوتي مزماراً من مزامير آل داود، توفي-رضي الله عنه- سنة: 42هـ. الاستيعاب (979/3-981)، أسد الغابة (367/3-

قال: كنا مع النبي- ﷺ-فسمعهم يرفعون أصواتهم، فقال : (يا أيّها الناس إنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً )[1] ، وقد قال الله تعالى لعبدٍ صالحٍ رضي دعاءه : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾[مريم:3][2] ، وفي هذا كلّه دلالة على أنَّ إخفاء التأمين بعد قراءة الفاتحة أفضل من إظهاره [3] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ معناه: إنَّه لا يحب المتجاوزين الحد [4] ، روي في الخبر عن رسول الله- ﷺ- أنَّه قال : ( إيَّاكم والاعتداء في الدعاء فإنَّ الله لا يحب المعتدين )[5] ، واختلفوا في الاعتداء في الدعاء : فقال بعضهم: هو أن يدعوَ باللعنة والخزي، فيقول: لعن الله فلانا، وأخزى الله فلاناً،

---

369)، الإصابة (6/339-342).

١- أخرجه البخاري في كتاب القدر، في باب لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، رقم: (6236)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، في باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (2704)، بلفظ: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم...) الحديث، وفي آخره: (إنَّما تدعون سميعاً بصيراً) عند البخاري، وعند مسلم (إنَّكم تدعون سميعاً قريباً).

٢- والمقصود بهذا العبد زكريا- عليه السلام- كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ -إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:2-3]. وهذا الذي ذكره المصنف مرويّ عن الحسن البصري . انظر: تفسير الطبري (8/206)، تفسير البغوي (2/166).

٣- وهو مذهب الحنفية، ورواية عن مالكٍ، وذهب الشافعيّ ومالكٌ –في روايةٍ- إلى الجهر. انظر : أحكام القرآن للجصاص (3/34)، تفسير القرطبي (1/129-130)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (3/371).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/344).

٥- ولم أقف على هذا الخبر كما عبّر عنه المصنّف. والمرويّ في هذا الباب ما أخرجه أبو داود في السنن من حديث عبد الله بن مغفل في كتاب الطهارة، في باب الإسراف في الماء أنَّ رسول الله- ﷺ- قال : (إنَّه سيكون في هذه الأمة قومٌ يعتدون في الطهور والدعاء)، وأخرجه كذلك ابن ماجه في السنن في باب الدعاء باب كراهية الاعتداء في الدعاء، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء برقم: (1979)، وقال : حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم : (87)، وفي إرواء الغليل (1/171)، رقم: (140).

أو يدعوا بما لا يحلّ فيتجاوز حدّ ا لعبودية[1]، وقال بعضهم: هو أن يسأل لنفسه منازل الأنبياء- صلوات الله عليهم- [2]، أو يسأل الله تعالى شيئاً من حكمه أن لا يفعلـــه في الدنيا[3]، ويقال: هو أن يقول أسألك بحق جبريل وبحق الأنبياء أن تعطيني كذا وكذا[4]، ويقال: هو أن يدعو بالصياح[5]، وقيل: هو كفعل القُصَّاص يا رّب- بتشديد الراء- [6]، وقيل: أن يعمل عمل الفجار، ويسأل مسألة الأبرار[7].

**قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[56]:**

معناه: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي بعد ما عمل فيها بالحلال، قال عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كلّ أرضٍ قبل أن يبعث إليها نبيٌّ فاسدةٌ، وفسادُها في عملهم بالمعاصي، وسفك الدماء، والدعاء إلى غير عبادة الله تعالى، حتى يبعث إليها بالرسول فيأمر بالحلال، وينهى عن الحرام، فيُصلِحَ الأرض بالطاعة [8]. ويقال: معنى

---

١- وهو منسوبٌ لسعيد بن جبير، وعطية العوفي، واختاره مقاتل. انظر: تفسير مقاتل (395/1)، تفسير الماوردي (33/2)، تفسير البغوي (166/2)، زاد المسير (215/3)، البحر المحيط (313/4).

٢- وهذا مروي عن أبي مجلز. انظر: تفسير الطبري (207/8)، تفسير الماوردي (33/2).

٣- كأن يسأل الله الخلود في الدنيا. انظر: فتح القدير (222/2).

٤- لم أقف على هذا القول، وقد يكون المصنّف يرى أنَّ هذا داخلٌ تحت الاعتداء في الدعاء، والله أعلم.

٥- وهو قولٌ مرويّ عن ابن جريج، ونسب إلى الكلبي. انظر: تفسير الطبري (207/8)، الكشاف (83/2)، البحر المحيط (313/4).

٦- وهذا لم أقف عليه، ولعلّه داخلٌ في ما ذكره القرطبي من فعل بعضهم باختيار أدعية مسجوعة مفقرة وترك المأثور. انظر: تفسير القرطبي (226/7).

٧- انظر: المصدر السابق.

٨- وهذا المذكور عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لم أقف عليه عنه-ﷺ- وإن كان بعض المفسّرين أورده ضمن معاني الإفساد المنهي عنه والإصلاح الممتنّ به.
انظر: تفسير الطبري (207/8)، تفسير الماوردي (33/2).

الآية: لا تجوروا في الأرض فتخرّبوها؛ لأنَّ الأرض قا مت بالعدل، وقد أصلحها الله تعالى بالنعمة [1]، وقوله تعالى : ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ معناه: واعبدوه خائفين من عذابه، طامعين في رحمته [2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ معناه: إنَّ إنعام الله تعالى قريبٌ من المحسنين [3]، وهم [4]، ويقال : إنَّ المحسن من أخلص حسناته من الإساءة [5]، وإنَّما قال : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، و لم يقل : قريبةٌ؛ لأنَّ الرحمة والعفو والغفران في معنى واحدٍ، وما لا يكون فيه تأنيثٌ حقيق ي كنت بالخيار؛ إن شئت ذكّرته، وإن شئت أنّثته [6]، وقد روينا عن رسول الله–ﷺ– أنَّه قال: (لن يدخل الجنّة أحدٌ بعمله)، قالوا: ولا أنت يا

---

١– وهذا الوجه أورده أبو الليث السمرقندي، وكذلك الماوردي، و لم ينسبه.

والأولى الحمل على العموم بجعل الإفساد عامّاً، والإصلاح كذلك، وحمل أي تخصيص ورد على التمثيل لا الحصر.

انظر: بحر العلوم (547/1)، تفسير الماوردي (33/2)، البحر المحيط (313/4).

٢– انظر: معاني القرآن للزجاج (344/1).

٣– وفي هذا المعنى المذكور عدم مراعاةٍ لظاهر النص، فالرحمة معلومةٌ، وهي من صفات الله–ﷻ–، التي تُثبت له كما يليق بجلاله وعظمته بلا كيف.

ولا شكّ أنَّ حملها على الإنعام غير سائغٍ.

انظر: تفسير ابن كثير (429/3).

٤– والمراد هاهنا غير واضحٍ، ولعلّ المصنّف أراد بيان المراد بالمحسنين وأنَّهم [هم المؤمنون]. كما ذكر ذلك أبو الليث في تفسيره (547/1)..

٥– والظاهر أنَّ أولى ما يبيّن به الإحسان هنا ما فسّره به النبي–ﷺ– من أنَّه عبادة العبد ربّه كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّ ربه يراه، ولا شكّ أنَّها مرتبة أعلى من مرتبة الإيمان؛ حيث استحقّ صاحبها معية الله الخاصة كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:128]. والله تعالى أعلم بالصواب.

٦– انظر: معاني القرآن للزجاج (344/2)، الكشاف (83/2)، المحرر الوجيز (80/7).

رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلاَّ أن يتغمّدني الله برحمته)[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[57]:**

وذلك أنَّ الله تعالى لَمَّا ذكر صلاح الأرض وفسادَها في الآية التي قبل هذه الآية، أتبعه بذكر سبب الإصلاح في ذلك، وكيف تظهر النعم في الأرض وماسببه، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى [ تأويلنا/أ]يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ ﴾[2] والإرسال: الإطلاق، بتحميل معنى؛ كإطلاق الإنسان بتحميل الرسالة، فلما أطلقت الريح بتحميل البشارة بالغيث، وصفت بأنَّها قد أرسلت [3]، وقرأ بعضهم: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيحَ﴾ بلفظ الوحدان[4]، واختار أبو عبيدة[5] لفظ الجماعة[6]، وكان يقول: يقول: كلّ ما كان في القرآن من لفظ الرياح فهو للرحمة، وكلّ ما كان من ذكر

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة- ﷺ- بلفظ: (لن يدخل أحداً عمله الجنة ...) الحديث، وفي آخره: (إلاَّ أن يتغمّدني الله بفضلٍ ورحمةٍ)، في كتاب المرضى، باب تمنّي المريض الموت، ورواه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة- ﷺ- كذلك بلفظ: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة) في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

٢- انظر: نظم الدرر (44/3).

٣- انظر: المحرر الوجيز (83/7)، التحرير والتنوير (178/8).

٤- وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالجمع. انظر: النشر (223/2)، الموضح (523/2).

٥- هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء- تيم قريش- البصري النحوي العلامة، روى عنه جماعةٌ منهم: القاسم بن سلاَّم، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، وتصانيفه كثيرةٌ تقارب المائتين، وقد كان يميل لمذهب الخوارج، توفي سنة: 209هـ، أو 210هـ. انظر: وفيات الأعيان (235/5-243)، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ص350-351، العقد الثمين في تراجم النحويين ص24-26.

٦- انظر: مجاز القرآن (271/1).

الريح فهو للعذاب[1]، واحتجّ بما روي عن النبي- ﷺ- أنَّه كان إذا هبّت ريح قال : (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً )[2]، والنُّشُر[3]: جمع النَّشُور، وهي الريح التي تهبّ من كلّ جانبٍ فتنشر السحاب، كصَبُور وصُبُر وشَكُور وشُكُر[4]، ومن قرأ: ﴿نُشْراً﴾ بضمّةٍ واحدةٍ[5]؛ حذف إحدى الضمتين للتخفيف، كما يقال : رسْل ورسُل[6]، ومن قرأ : ﴿نَشْراً﴾ بنصب النون[7]؛ فعلى معنى وينشر السحاب نشراً، والنشر خلاف الطي؛ كنشر الثوب بعد طيّه، فلمَّا كانت الرياح بمنزلة المنطوي في امتناع الإدراك، ثم صارت تدرك الآفاق، كانت كنشر الثوب بعد طيّه[8]، وقال الفرَّاء: النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب[9]، ومن قرأ: ﴿بُشْرًا﴾ بالباء

---

١- انظر: بحر العلوم (547/1).

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم : (11533)، وأبو يعلى في مسنده رقم : (2456)، والشافعي في مسنده، في كتاب العيدين، رقم: (361)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (195/10)، رقم: (17126): رواه الطبراني ، وفيه حسين بن قيس الرجبي، أبو علي الواسطي الملقب بحنش وهو متروك، وكذا المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (505/2)، وعزاه للطبراني عن ابن عباس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بإسنادٍ ضعيفٍ، وقيل: حسن، وقال فيه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع وزياداته : ضعيفٌ جداً (994/1)، رقم: (9938)، كذلك قال في السلسلة الضعيفة رقم: (4217).

٣- بضمّتين على النون والشين، وهي قراءة نافعٍ وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب . انظر : النشر (270/2).

٤- وعليه: نَشور هنا بمعنى فاعل، أي: ناشر. انظر: معاني القرآن للزجاج (345/2)، المحرر الوجيز (83/7)، البحر المحيط (319/4)، الدر المصون (347/5).

٥- وهي قراءة ابن عامر. انظر: الروضة (666/2)، النشر (270/2).

٦- انظر: الكشاف (83/2-84)، الموضح (533/2)، المحرر الوجيز (84/7).

٧- وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: الروضة (666/2)، النشر (270/2)،.

٨- انظر: المحرر الوجيز (84/7)، الموضح (533/2).

٩- انظر: معاني القرآن للفراء (381/1).

والضم[1]، فهو جمع بشيرٍ، كما قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾[2]، [3] وقول تعالى : ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قدّام المطر[4]، وقوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾، أي: رفعت وحملت سحاباً ثقالاً بالماء[5]، والإقلال حمل الشيء بأسره حتى تقلّ طاقة الحامل له لقوة جسمه[6]، وتسمى الكيزان قلال؛ لأنَّها تُقلّ بالأيدي، أي: تُحمل فيشرب ما فيه ا[7]، والسحاب: جمع السحابة، وهي وهي الغيم الجاري في السماء، من سحبه سحباً[8]، وقوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ مَّيِّتٍ﴾ يعني السحاب يمرّ بأمر الله تعالى إلى أرض ليس فيها نباتٌ[9]، قال عبد الله بن بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: يرسل الله تعالى الريح فتحمل السحاب فتمريه كما يمري الرجل الناقة أو الشاة حتى يدرّ ثم يمطر، فيخرج بالمطر من كلّ الثمرات[10]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ أي: أنزلنا بالسحاب، ويقال : بالبلد الميت[11]، وهو

---

١- وهي قراءة عاصم. انظر: النشر (270/2)، الروضة في القراءات الإحدى عشرة (666/2).

٢- هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم:46].

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (345/2)، الموضح (534/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (210/8)، بحر العلوم (547/1).

٥- انظر: المصدرين السابقين.

٦- الكشاف (84/2)، مفاتيح الغيب (140/14).

٧- وفي اللسان: و القلّة الحب العظيم، وقيل : الجرة عامّة، وقيل: الكوز الصغير، والجمع: قُلل وقِلال. لسان العرب (563/11).

٨- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص399.

٩- انظر: بحر العلوم (547/1)، المحرر الوجيز (84/7).

١٠- انظر: روح البيان (180/3).

١١- وعلى الأوّل تكون الباء للسببية، أو بمعنى «من» أي: منه، وعلى الثاني تكون ظرفية بمعنى «في». انظر : معاني القرآن للزجاج (345/2)، بحر العلوم (548/1)، المحرر الوجيز (84/7-85)، البحر المحيط (321/4).

الذي لا ماء ولا كلأ فيه، قد عفت مزارعه، ويبست مشاربه، ينزل الله تعالى به المطر، فيخرج به من ألوان الثمرات [1] ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، أي: بمثل ذلك الإخراج الذي ذكرناه في إحياء الأرض الميتة، كذلك نخرج الموتى من قبورهم يوم القيامة، لعلّكم بما بيّنا لكم تستدلّون على توحيد الله تعالى، وأنَّه يبعث من في القبور [2]، قال عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: وذلك إذا مات الناس كلّهم في النفخة الأولى مطرت السماء أربعين يوماً قبل النفخة الآخرة مثل منيّ الرجال، فينبتون من قبورهم بذلك المطر، كما ينبتون في بطون أمّهاتهم، ثمّ يخرجون في النفخة الأخرى إلى البعث [3].

قوله ﷻ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[ ٱلْأَعْرَاف ]:

معناه: إنَّ المكان الزاكي من الأرض يخرج ريعه بغير كدٍّ ولا نكدٍ ولا عناء، فيُنتفَعَ به، والذي خبث ترابه، وهو الأرض السبخة، لا يخرج ريعها إلاَّ بكدٍّ وعناءٍ ومشقّةٍ [4]، قال عبد الله بن عباس : هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر؛ فإنَّ المؤمن يسمع الموعظة فينتفع و ينفعه القرآن، كما ينفع المطر البلد الطيب، والكافر لا يسمع الموعظة ولا يعمل عملاً من الطاعة إلاَّ شيئاً يسيراً [5]، والنكد في اللغة : هو القليل الذي لا ينتفع به، ويقال: رجل نكد إذا كان عسراً ممتنعاً من إعطاء الخير على وجه

---

١- انظر: تفسير البغوي (167/2)، تفسير ابن كثير (430/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (210/8)، بحر العلوم (548/1).

٣- وهو مرويّ عن أبي هريرة- ﷺ- كذلك. انظر: تفسير الطبري (210/8)، بحر العلوم (548/1)، تفسير البغوي (167/2)، زاد المسير (211/3).

٤- انظر: تفسير الطبري (211/8)، بحر العلوم (548/1).

٥- وقد روي نحوه عن مجاهد، وقتادة والسدي . انظر: تفسير الطبري (212/8)، التفسير الصحيح (327/2).

البخل[1]، ومن قرأ: ﴿نَكَداً﴾ بنصب الكاف[2]، أو ﴿نَكْداً﴾ بإسكانها[3] فذلك لغة[4]، ولو أراد الله تعالى أن يخرج من الأرض النكد أكثر مما يخرج من الأرض الطيب لفعل إلاَّ أنَّ تعالى أجرى العادة على هذا الوجه لضروبٍ من مصالح المكلّفين؛ لكي يعتبروا بذلك في أمر الدين، فيعلموا أنَّ الإنسان إذا احتاج إلى أن يتعب نفسه في طلب الربح اليسير الذي لا يدوم وربما يحصل، وربما لا يحصل، كان إلى إتعاب نفسه في طلب النعيم المقيم الذي لا يبيد بأعمال الطاعة أفقر وأحوج [5]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ معناه: كما صرّفنا لكم آيةً في إثر آيةٍ، فكذا نُبيِّن الآيات لقوم يشكرون نِعَم الله، ويعتبرون بآياته وأمثاله[6].

قوله ﷻ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[ ٱلَّذِينَ ]:

وذلك أنَّ الله سبحانه لَمَّا بيّن فيما مضى دلائل التوحيد، ورغَّب في الثواب، وحذّر من العقاب، ابتدأ باقتصاص أخبار الأنبياء- صلوات الله عليهم- زيادةً في الإنذار والعبرة، فقال عزَّ من قائل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[7]، أي: حمّلناه الرسالة إليهم، فقال لهم: وحّدوا الله [8]،[...][1]، وتحميل الرسالة منزلة جليلة

---

١- انظر: مجاز القرآن (217/1)، تفسير الطبري (211/8)، مفردات ألفاظ القرآن ص823.
٢- وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع. انظر: البحر المحيط (322/4)، النشر (270/2)،.
٣- وهي قراءةٌ منسوبةٌ إلى طلحة بن مصرف. انظر: إعراب النحاس (58/2)، البحر المحيط (322/4).
٤- والنكد-بفتح الكاف وسكونها- : مصدران. انظر: معاني القرآن ل لفرَّاء (382/1)، البحر المحيط (322/4)، الدر المصون (352/5).
٥- وهذا المعنى أورده الفخر الرازي في تفسيره غير معزو لأحدٍ. انظر: مفاتيح الغيب (144/14).
٦- انظر: تفسير الطبري (212/8)، فتح القدير (224/2).
٧- انظر: نظم الدرر (46/3).
٨- انظر: تفسير الطبري (213/8).

يستحق بذلك من حَمِل الرسالة من التعظيم ما لا يستحقـــه غيره [ تأ و قبل ٢٢٨/ب] من النبيّين [2]، وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ معنـــاه: أنَّه تحمّل الرســـالة إليهم، فقال لهم : وحدّوا الله، وأطيعـــوه، ولا تعبدوا معه غيره، وقولـــه تعالى : ﴿مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فيه قراءتـــان: مـــن قـــرأ: ﴿غَيۡرِهِۦٓ﴾ بالخفض [3]، فعلى اللفظ [4]، ومن قرأ : ﴿غَيۡرُهُۥٓ﴾ بالرفع [5]؛ فلأنَّ دخول «من» للتأكيد؛ كأنَّه قال: ما لكم إله غيره [6]، وقوله تعالــى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ معناه: إنِّي أخاف عليكم بالشرك والمعاصي عذاب يوم القيامة [7]، وقد تقدَّم أنَّ الخوف يذكر ويراد به اليقين [8].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [٦٠]:

معناه: قال الأشراف والرؤساء من قومه، وإنَّما سُمّوا الملأ؛ لأنَّ هم يملئون الصدر

---

١- ما بين القوسين كلامٌ جعلت عليه خطوط مائلة، وكأنَّما أريد طمسه، ونصّه: وأطيعوه ولا تعبدوا معه غيره، وقوله تعالى: ﴿من إله غيره﴾ فيه قراءتان» اهـــ.

٢- وهذا فيه إشارة إلى أنَّ الرسول أخصّ من النبي كما ذكر ذلك بعضهم . انظر: المحرر الوجيز (177/7)، تفسير القرطبي (298/7).

٣- وهي قراءة الكسائي، وأبي جعفر. انظر: النشر (270/2)، البحر المحيط (324/4).

٤- بجعل «غير» نعتاً لإله. انظر: المحرر الوجيز (87/7)، التبيان (577/1).

٥- وهي قراءة العشرة خلا الكسائي وأبي جعفر. انظر: النشر (270/2).

٦- فيكون الرفع على البدلية من موضع «إله»، أو على كونه صفة على الموضع، ومن حرف جر زائد للتأكيد. انظر: الكشاف (85/2)، التبيان (577/1)، البحر المحيط (324/4).

٧- انظر: تفسير ابن كثير (432/3).

٨- وقد يكون على بابه ويراد به الحذر، وكلاهما ثابتٌ في حقّه- ﷺ-؛ لأنَّه يعلم علم اليقين أنَّهم إن لم يؤمنوا فسوف يعذّبون، وكذا هو مشفقٌ عليهم من وقو ع العذاب حريصٌ على عدمه. والله أعلم. انظر : البحر المحيط (324/4).

هيبةً، ويقال: إنَّهم مليؤون بما يحتاج إليه منهم [1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: قالوا: إنَّا لنعلمك يا نوح، ويقال : لنراك بالبصر [2] في ذهابٍ عن الحقّ بيِّن لمخالفتك لنا [3].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[ ]:

معناه:قال: ياقوم ليس بي ذهاب عن الحق فيما أدعوكم إليه، ولكن أرسلني إليكم رب العالمين الذي يملك كلّ شيء [4].

قوله ﷻ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[ ]:

معناه: أؤدّي إليكم ما حمّلني الله تعالى من الرسالة إليكم [5]، وإنَّما قال : ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾؛ لأنَّ الرسالة تتضمّن أشياء كثيرة من الأمر، والنهي، والترغيب، والترهيب، والوعد، والوعيد، فتذكر تارةً بلفظٍ مطلقٍ يدلّ على التفصيل، وتارةً بلفظ الوحدان [6]، وقوله تعالى : ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾، أي : أنصح فيما أدعوكم إليه وأحذّركم عنه [7]، والنصح : إخراج الغشّ من القول

---

١- ولا تكون فيهم امرأة. انظر: تفسير الطبري (213/8)، بحر العلوم (549/1)، المحرر الوجيز (87/7).

٢- ويجوز أن يراد بالرؤية هنا: الرؤية القلبية، واختاره الزمخشري، وابن عطية. انظر: الكشاف (85/2)، المحرر الوجيز (88/7)، البحر المحيط (324/4).

٣- انظر: تفسير الطبري (213/8)، بحر العلوم (549/1).

٤- انظر: تفسير الطبري (213/8)، تفسير ابن كثير (432/3).

٥- انظر: تفسير الطبري (213/8).

٦- انظر: الكشاف (85/2-86)، نظم الدرر (49/3).

٧- وأنصح لك وأنصحك بمعنى واحدٍ،ومثله: أشكر لك وأشكرك.

انظر: بحر العلوم (549/1)، الكشاف(86/2).

والفعل[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: أعلم أنَّكم إن لم تتوبوا من الشرك أتاكم العذاب[2].

**قوله ﷻ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[ تأويله ]:**

الألف الذي في أوَّل هذه الآية ألف استفهامٍ دخلت على واو العطف على جهة الإنكار، فبقيت الواو مفتوحةً كما كانت[3]، وقوله تعالى: ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معناه: أن جاءكم رسالةٌ من ربّكم على آدمي مثلكم تعرفون نسبه فيكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ أي: ليعلمكم بموضع المخافة، ولتتقوا الشرك والمعاصي، ولكي تطيعوا فترحموا[4]، فإن قيل: لم أنكر عليهم تعجّبهم لإرسال الرسول إليهم؟ قيل: لأنَّ جواز جواز إرسال الرسل أمرٌ قد دلَّ العقل عليه، وهو واجبٌ في الحكمة؛ إذ كان للخلق فيه مصلحة[5]، فإن قيل: أليس التعجب إنَّما يكون من كلّ أمرٍ قد خفيَ سببُه مما هو هو خارجٌ من العادة، وقد كان مجيء الرسول إليهم أمراً خارجاً عن العادة؛ إذ لم يكن قد جاءهم رسولٌ من قبل؟ قيل: وإن كان كذلك إلاَّ أنَّ الرسول إذا كان معه آيات واضحةٌ دالّةٌ على نبوّته قد خرج أمره من حدّ الخفاء واستحال التعجب عن

---

١- وأصله الخلوص، من نصح الشيءُ إذا خلص، وفي المفردات: النصح تحرّي فعل أو قولٍ فيه صلاح صاحبه، إلى أن قال: وناصح العسل خالصه. اهـ. انظر: مفردات الراغب ص808، لسان العرب (615/2)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (302/4).

٢- انظر: تفسير الطبري (214/8)، بحر العلوم (549/1)، المحرر الوجيز (88/7).

٣- وإلى كون الاستفهام للإنكار ذهبت جماعة كالزمخشري، والبيضاوي، والفخر الرازي، والشوكاني، ويرى القاضي ابن عطية أنَّ الاستفهام للتقرير والتوبيخ، ولم يتضح لي وجهه، والأوَّل أظهر. انظر: معاني القرآن للزجاج (346/2)، الكشاف (86/2)، المحرر الوجيز (88/7)، تفسير البيضاوي (302/4)، مفاتيح الغيب (152/14)، فتح القدير (226/2)، روح المعاني (153/8).

٤- انظر: بحر العلوم (549/1)، تفسير البيضاوي (302/4، 303).

٥- انظر: المحرر الوجيز (195/7).

ما كان يدعوهم إلى تقوى الله تعالى وطاعته[1].

قوله ﷻ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[ يَقُولُوهُ ]:

معناه: فكذبوا نوحاً فخلصناه والمؤمنين الذين كانوا معه في السفينة، كانوا نحواً من ثمانين أنسانا[2]، وأهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا وآياتنا بالماء، إنَّهم كانوا قوما قد عموا عن الحق والإيمان، وواحد العمين عمٍ، وهو الذي قد عمي عن الحق[3].

قوله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[ ٱلَّذِينَ كَسَوْهُ ]:

---

١- والذي يظهر -والله أعلم-حسب مجموع ما ورد من الآيات في هذا الجانب أنَّ تعجّبهم لم يكن من مجرّد إرسال رسول إليهم، وإنَّما كان العجب من إرسالٍ مخصوصٍ، وهو: إرسال بشرٍ مثلهم، يأكل ويشرب، حيث أوهمتهم عقولهم أنَّ إرسال الملك أفضل وأقوى في إقامة الحجة.

وقد ردّ الله تعالى عليهم هذا الظنّ في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ -وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:8-9].

أو يكون التعجب من إرسال رجلٍ فقيرٍ لا رياسة له ولا أتباع، كما أوهمتهم مقايساتهم الباطلة فقال قائلهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:31].

ولعلّ الجار والمجرور «منكم» هنا يدلّ على أنَّ التعجب كان من إرسال رجلٍ من جنسهم . والله تعالى أعلم.

٢- وقد روى الطبري أنَّ الناجين مع نوحٍ كانوا ثلاث عشرة، ولعلّ جعل العدد أقلّ من ما ذكره المصنّف أولى؛ لأنَّ الله-ﷻ- قال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود:40]، وعدد الثمانين ليس بقليلٍ بالنسبة لأعداد أتباع الأنبياء الذين أخبر عنهم سيد الأنام-ﷺ- بأنَّ بعضهم يأتي ومعه الرجل، وبعضهم معه الرجلان، وبعضهم ليس معه أحدٌ-عليهم السلام-، والله تعالى أعلم.

انظر: تفسير الطبري (215-214/8).

٣- وهو مرويّ عن مجاهد، وابن إسحاق، وابن زيد.

انظر: تفسير الطبري (215/8/8)، البحر المحيط (326/4).

معناه: وأرسلنا إلى عادٍ، و هم قومٌ من أهل اليمن، كان اسم ملكهم عادٌ فنسبوا إليه[1]، وحذف لفظ الإرسال؛ لأنَّه قد سبق ذكره [2]، وقوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾، أي: أخاهم في النسب لا في الدين [3]، وإنَّما أرسل الله تعالى منهم إليهم؛ لأنَّهم لأحدهم أفهم، وإليه أسكن[4]، ويجوز أن يكون معناه: أرسلنا إليهم بشراً مثلهم من ولد أبيهم آدم-عليه السلام- [5]، وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إلى آخر الآية ظاهر المراد.

**قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[ نَسْتَوْمُوهُ ]:**

معناه: قال الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قوم هودٍ: إنَّا لنراك في جهالةٍ[6]، وحرفُ ((في)) على وجه المبالغة [7]، أي: قالوا: نراك منغمساً في السفاهة، والسفاهة في اللغة: خفّة الحلم والرأي، يقال: ثوبٌ سفيهٌ، أي: خفيفٌ[8]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أنَّهم كذّبوه في

---

١- وقيل إنَّ عاداً اسمٌ لأبيهم، ونسبوه إلى عوص بن إرم بن سام بن نوح-عليه السلام.
انظر: بحر العلوم (550/1)، زاد المسير (222/3)، البحر المحيط (326/4)، تفسير ابن كثير (433/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (215/8)، معاني القرآن للزجاج (347/2).

٣- انظر: بحر العلوم (550/1)، تفسير البغوي (169/2).

٤- وهذا يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم/4].
انظر: الكشاف (86/2).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (347/2).

٦- انظر: بحر العلوم (550/1).

٧- ويقتضي كلامهم أنَّ السفاهة قد احتوت عليه كما يحتوي الظرف على الشيء-حاشاه عليه السلام-.
انظر: الكشاف (87/2)، البحر المحيط (327/4).

٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (347/2)، المحرر الوجيز (91/7)، مفردات ألفاظ القرآن ص414.

دعوى الرسالة، ظانّين غير متيقّنين، ويحتمل أن يكـــون الظنّ بمعنى العلم، كما سبق ذكره[1].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [ فِيهِ ]:

معناه: قال لهم: يا قوم ليس بي جهالة ولكني رسول من رب العالمين إليكم في ما يأمركم به من عبادته وتوحيده[2]، وفي الآية موضع أدب للخلق وتعليم من الله تعالى تعالى حسن جواب [ يَقُولُونَ /أ] السفهاء؛ لأنَّ هوداً– عليه السلام– اقتصر على دفع ما نسبوه إليه بنفي ما قالوه فقط، ولم يقابلهم بشيء من الكلام القبيح، وكذلك فعله نوح–عليه السلام– حيث قال: ليس ﴿بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾[3].

قوله ﷻ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[ قَبْلُوهُ ]:

معناه: أبلغكم ما حملت من الرسالة إليكم[4]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ﴿أَمِينٌ﴾، أي: لبثت فيكم أميناً قبل اليوم، فكيف تتهموني اليوم[5]، ويقال: أراد بذلك الأمانة على الرسالة[6].

قوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً

١- والأظهر–والله أعلم– جعل الظنّ على بابه، وإليه ذهب ابن عطية، والزجاج، وابن الجوزي، وإلى جعله بمعنى اليقين ذهب الحسن، ونسبه أبو حيان للزجاج، والذي في معانيه الأوَّل . والله أعلم. انظر : معاني القرآن للزجاج (347/2)، المحرر الوجيز (91/7)، زاد المسير (222/3)، البحر المحيط (327/4).

٢- انظر: تفسير الطبري (215/8).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (347/2)، الكشاف (87/2)، زاد المسير (222/3).

٤- انظر: تفسير الطبري (215/8).

٥- انظر: بحر العلوم (550/1)، المحرر الوجيز (91/7).

٦- وإليه ذهب ابن جرير. انظر: تفسير الطبري (216/8)، البحر المحيط (327/4).

**﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [ تَتِمَّةٌ ]:**

قد تقدَّم تفسير أوَّل الآية [1]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ معناه: اذكروا هذه النعمة العظيمة بأن أورثكم الأرض من بعد إهلاك قوم نوحٍ–عليه السلام–[2]، والخلفاء: جمع الخليفة، جاء على غير لفظ الوحدان؛ لأنَّ لفظه يقتضي أن يجمع على خلائف، كما يقال : صحيفة وصحائف، إلاَّ أنَّه مثل طريف وطرفاء [3]، وقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾، أي: فضلة في الطول، قال عبد الله بن عباس–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: أطولهم مائة ذراعٍ، وأقصرهم ستون ذراعاً [4]، ويقال: كانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يمدّ الإنسان يده فوق رأسه باسطا [5]، وقوله تعالى: تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾، أي: احفظوا نعم الله تعالى عليكم، واعملوا بما تقتضيه نعمه؛ لتظفروا بالبقاء والنجاة [6]، وأمَّا الآلاء فواحدها إلىً كمِعاً وأمعاء [7]، ويقال: إِلْي كنِحْي وأنحاء[8]، ويقال: ألاً كرَحاً وأرحاء[9].

---

١– أراد بأوَّل الآية قوله تعالى:﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ﴾ [الأعراف:69].

٢– انظر: بحر العلوم (550/1)، تفسير البغوي (170/2).

٣– انظر: معاني القرآن للزجاج (347/2–348)، المحرر الوجيز (91/7).

٤– والمشهور عن ابن عباس–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: ثمانون ذراعاً، وقد نسب إليه هذا القول المذكور، وهو منسوبٌ إلى الكلبي والسدي.

انظر: معاني القرآن للزجاج (348/2)، الكشاف (87/2)، المحرر الوجيز (92/7)، تفسير البغوي (170/2)، زاد المسير (157/3)، البحر المحيط (328/4)، تفسير أبي السعود (174/2).

٥– وقد أورده بعض المفسّرين، و لم أقف عليه منسوباً . انظر: مفاتيح الغيب (157/14)، البحر المحيط (328/4).

٦– انظر: تفسير الطبري (216/8)، فتح القدير (227/2).

٧– انظر: معاني القرآن للزجاج (348/3).

٨– انظر: المصدر السابق.

٩– انظر: مجاز القرآن (217/1)، المحرر الوجيز (92/7).

قوله ﷻ: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٧٠]:

معناه: قالوا: يا هود تأمرنا أنَّ نعبد رباً واحداً، و نترك ما كان يعبد آباؤنا من الآلهة، فقال لهم هود- عليه السلام-: إن لم تفعلوا ما آمرك م به أتاكم العذاب، قالوا : فأتنا بما تخوّفنا به من العذاب إن كنت من الصادقين أنَّك رسول من عند الله تعالى [1] .

قوله ﷻ: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾[ ٧١]:

معناه: قال: قد وجب عليكم من ربكم عذابٌ وسخطٌ [2]، والرجس والرجز بمعنى واحد [3]، وقوله تعالى : ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ ﴾ معناه: أتخاصمونني في آلهتكم وأنتم صنعتموها بأيديكم وسمّيتموها آلهة أنتم وآباؤكم [4]، ما نزّل الله تعالى بها من سلطان، أي: لم ينزل الله تعالى بها حجةً وبرهاناً في عبادتها [5]، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾، أي: تربّصوا حلول العذاب بكم إنِّي معكم من المنتظرين أن يهلككم الله تعالى بعذابٍ من عنده [6] .

قوله ﷻ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا

---

١- انظر: تفسير الطبري (222/8)، بحر العلوم (551/1).

٢- انظر: مجاز القرآن (218/1)، بحر العلوم (551/1)، تفسير البغوي (170/2)، الكشاف (87/2-88).

٣- وهو منسوبٌ إلى أبي عمرو بن العلاء. انظر: تفسير الطبري (222/8)، المحرر الوجيز (96/7).

٤- انظر: بحر العلوم (551/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (223/8)، بحر العلوم (551/1)، تفسير ابن كثير (435/3).

٦- انظر: بحر العلوم (551/1)، تفسير البغوي (170/2).

**كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[ يـأتين]**:

معناه: خلّصناه من العذاب والذين معه بنعمةٍ مّنا عليهم، وأمرناهم بالخروج من بين الكفار قبل إنزال العذاب عليهم [1]، ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾، أي: استأصلناهم بالريح العقيم، فما بقي منهم أحدٌ [2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ بيان أنَّه لا يجوز إجراء اسم المؤمن على الكافر [3]، ويقال: معناه ما أهلكهم الله تعالى إلاَّ وكان المعلوم من حالهم أنَّه لو لم يهلكهم ما كانوا مؤمنين [4].

**قوله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[ تأويلهن]**:

معناه: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحاً [5]، وثمود اسم القبيلة، سموا بهذا الاسم؛ لأنَّهم كانوا على عينٍ قليلة الماء [6]، وموضعهم بالحجر بين الشام والمدينة [7]، والمديرة [7]، والثمد: الماء القليل [8]، وثمود في كتاب الله تعالى مصروفٌ وغير

---

١- انظر: بحر العلوم (551/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (223/8)، المحرر الوجيز (97/7).

٣- وعليه فجملة ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ هنا للتأكيد. انظر: بحر العلوم (يَوۡمَ/ ٱلَّذِينَ)، البحر المحيط (يَقُولُ/ تَأۡوِيلَهُۥ).

٤- انظر: مفاتيح الغيب (161/14)، البحر المحيط (329/4).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (349/2)، بحر العلوم (551/1)، المحرر الوجيز (97/7).

٦- ثمود إمَّا هو اسمٌ للقرية، أو هو اسمٌ للقبيلة نسبة إلى أبيها الأكبر ثمود بن عابر أو غاثر بن إرم بن سام بن نوح-عليه السلام-. انظر: تفسير الطبري (224/8)، بحر العلوم (551/1)، البحر المحيط (330/4).

٧- انظر: تفسير الطبري (224/8)، تفسير البغوي (174/2).

٨- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص176، لسان العرب (105/3).

مصروفٍ، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾[هود: ٦٨]، فصرف الأوَّل دون الثاني [1]؛ فمن صرفه جعله اسماً للحي، فيكون مذكّراً سمي به مذكّرٌ، ومن لم يصرفه جعله اسماً للقبيلة [2]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: دلالةٌ فاصلةٌ بين الحق والباطل من ربكم [3]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ إشارة إلى ناقةٍ بعينها، قال عبد الله بن عباس: أتاهم صالحٌ -عليه السلام- بناقةٍ من الصخرة الملساء بمسألتهم، فتحرّكت الصخرة بدعائه وانصدعت عن ناقة عشراء، فلم يؤمنوا [4]، وفي بعض الروايات أخرج الله تعالى من الصخرة ناقةً خلفها سقبها، أي: ولدها [5]، وقوله تعالى [...] [6]: إنَّه علامة لنبوتي؛ لتعتبروا وتوحّدوا ربكم [7]، وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾، أي: دعوها ترتع في أرض الحجر من العشب [8]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾، أي: بقتل أو ضربٍ، أو مكروهٍ [9]، فيأخذكم عذابٌ مؤلمٌ إن فعلتم ذلك [1].

---

١- وهذه القراءة بتنوين ثمود الأولى منصوبة، وفتح الثانية دون تنوين، هي قراءة العشرة إلاَّ يعقوب وحمزة والكسائي، وحفصاً عن عاصم. انظر: النشر (289/2-290).

٢- فاجتمع فيه العلمية والتأنيث فامتنع صرفه. انظر: معاني القرآن للزجاج (348)، الموضح (653/2).

٣- وهي الحجة الظاهرة على صدق ما جاء به صالحٌ -عليه السلام- وهي الناقة التي أخرجها الله لهم من صخرة صمّاء. انظر: تفسير الطبري (224/8)، بحر العلوم (552/1)، المحرر الوجيز (98/7)، فتح القدير (229/2).

٤- انظر: الكشاف (89/2)، البحر المحيط (331/4).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (249/2)، المحرر الوجيز (98/7).

٦- ما بين القوسين ساقطٌ في المخطوط، ولعلّ المراد قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾. والله أعلم.

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (249/2)، بحر العلوم (552/1).

٨- انظر: بحر العلوم (552/1).

٩- والسوء هنا نكرة في سياق النهي، فتشمل جميع أشكال السوء ومظاهره وأنواعه. انظر: الكشاف (90/2)، تفسير البيضاوي (310/4)، فتح القدير (229/2).

قوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا [ ٱلْجِبَالَآءَ /ب]وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[ يَقُولُونَ ]:

معناه: واذكروا إذ استخلفكم في الأرض من بعد هلاك عادٍ، وأنزلكم في الحجر تبنون في سهولها قصوراً في القيظ، وتنحتون الجبال بيوتاً لأيام الشتاء [2]، وقيل: إنَّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا من الجبال؛ لأنَّ السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم [3]، وقوله تعالى :﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾، أي: احفظوا نعم الله تعالى عليكم، ولا تعملوا في الأرض بالمعاصي، والدع اء إلى غير عبادة الله تعالى [4].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [ ٱلَّذِينَ ]:

معناه: قال الأشراف والرؤساء منهم الذين تعظّموا على الإيمان للذين استضعفوا من المؤمنين : أتعلمون أنَّ صالحاً مرسلٌ إليكم من ربه، وفي هذا ذمٌّ للكفار من وجهين أحدهما: الاستكبار؛ وهو رفع النفس فوق مقدارها، وجحود الحق، والآخر : أنَّهم استضعفوا من كان يجب أن يعظّموه ويبجّلوه، وفي قول قوم صالح : ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ مدحٌ لهم حيث ثبتوا على الحق، وأظهروه مع ضعفهم عن

---

١- وعليه فيكون ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جواب النهي. انظر: تفسير البيضاوي (310/4)، فتح القدير (229/2).

٢- انظر: بحر العلوم (552/1)، تفسير البغوي (174/2)، البحر المحيط (332/4).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (350/2-351)، تفسير البغوي (174/2)، فتح القدير (229/2).

٤- انظر: بحر العلوم (552/1)، تفسير الماوردي (36/2).

مقاومة الكفار[1].

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [ نَسُوِمُن ]:

معناه: قال [ضعفاؤهم][2] الذين تعظموا عن الإيمان بصالح ؏: إنَّا بالذي صدَّقتم به من رسالته جاحدون، وفي هذه الآية بيان أنَّ الله تعالى حرس المؤمنين من المستكبرين، حتى لم يزيدوا على قولهم : ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾، ثمَّ شفوا غيظهم بما هو أعظم عندهم من الإيقاع بهؤلاء المستضعفين كما قال جلَّ ذكره:

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [ مِرهِن ][3]:

---

١- وكذلك فقد أجابوا بما لا يطابق السؤال لفظاً، فالسؤال كان عن كون صالحٍ مرسلٌ من ربّه أم لا؟ فأجاب المستضعفون بأنَّهم به مؤمنون، إشارة إلى وضوح صحة رسالته، وظهور صدقه فيها، المؤدي إلى إيماهم بها. والله تعالى أعلم.

انظر: الكشاف (91/2)، البحر المحيط (333/4)، فتح القدير (229/2).

٢- هكذا كتبت في المخطوط، والسياق يخالفها؛ إذ الضعفاء من قوم صالحٍ لم يتعاظموا عن الإيمان بصالحٍ، وإنَّما الأشراف والرؤساء هم الذين كان منهم ذلك، إلاَّ إن كان الضعفاء قد انقسموا إلى مؤمنين، وكافرين، وهذا القول صادر من الضعفاء الكافرين المستكبرين عن الحق، وهذا الوجه–أعني كون المستضعفين فريقين: مؤمنين وكافرين–ذكره أبو حيان، وعليه خرجت التخريج السابق، وقد تكون زلة قلمٍ، والمراد أصلاً الأشراف، وهو كذلك في تفسير الطبراني (162/3)، والله تعالى أعلم. انظر: البحر المحيط (333/4).

٣- ولم يرد في القرآن ما يدلّ على أنَّ كفار قوم صالحٍ قد نالوا من مؤمنيهم، وكذا فإنَّ عقرهم الناقة سببه كفرهم وعنادهم، ولا يظهر لي–والله أعلم– أنَّ عقرهم لها كان سببه الغيظ الذي أصابهم من إيمان من آمن منهم، وإنَّما هو–كما يظهر– تكبّر منهم وعتوّ واستعجالٌ للعذاب الذي لم يصدّقوا بوقوعه عليهم، كما يدلّ عليه آخر الآية. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (232/8)، نظم الدرر (58/3).

معناه: عقروا الناقة التي جعلها الله تعالى لهم آية ودلالة على نبوة نبيِّهم عليه السلام، والعقر: الجرح المستأصل للشيء [1]، روي أنَّ تلك الناقة كانت كبيرة المنظر هائلة، وكانت إذا رعت في مرعىً لا يدنوا منها النوق خوفاً منها، فزعموا أنَّها أضرت في مراعيهم فقتلوها [2]، وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ معناه: تجاوزوا الحد في الكفر والفساد [3]، ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على قتل الناقة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [4].

**قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [ قَبْلُمِن ]:**

معناه-والله أعلم-: أخذهم الزلزلة [5]، ثمَّ صيحة جبريل عليه السلام كما قال عزّ من قائل في سورة هود [6]، ثم الصاعقة، كما قال في سورة حم السجدة [7]، والصاعقة: هي الاحتراق [8]، احترقوا فأصبحوا في منازلهم ميّتين، قد همدوا رماداً جثوما،

---

١- والعقر في الإبل والخيل قطع عراقيبها، فأطلق العقر على النحر في الإبل؛ لأنَّ صاحبها يعقرها ثمّ ينحرها . انظر: تفسير البغوي (174/2) ، لسان العرب (591/4).

٢- انظر: تفسير الطبري(227/8)،تفسير البغوي (176/2)، المحرر الوجيز (99/7)، البحر المحيط (333/4).

٣- وهو من الغلو في الباطل كما روي عن مجاهد . انظر :تفسير الطبري (323/8)، معاني القرآن للزجاج(351/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (232/8)، البحر المحيط (334/4).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (351/2)، بحر العلوم (552/1).

٦- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:67].

٧- وذلك في قوله- عز وجل-: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:17].

٨- والصاعقة تأتي بمعنى : الموت؛ كقوله تعالى : ﴿...فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ [الزمر :68]، وبمعنى العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿...فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت :13]، وبمعنى النار؛ كقوله تعالى: ﴿...وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ...﴾ [الرعد:13]. والذي يظهر أنَّ الصاعقة التي

والجثوم: البروك على الركب، ويقال : معنى الصيحة والصاعقة واحدٌ، فإنَّ الصاعقة اسمٌ لما يصعقون منه؛ يموتون، أو يفزعون من شدّته[1].

قوله ﷻ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [ ٧٩ ]:

معناه: أعرض صالح عليه السلام عنهم حين عقروا الناقة، وعرف أنَّ العذاب يأتيهم؛ لأنَّه كان إقباله عليهم لدعائهم إلى الخير، فلما يئس منهم أعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ في أداء الرسالة إليكم، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ﴾ من ينصح لكم، وإنَّما قال : ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ﴾؛ لأنَّ من أحبّ إنساناً قبل منه، ومن لم يحبّ إنساناً لم يقبل منه، قال عبد الله بن عباس : فخرج صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وهم مائة وعشرة، حتى إذا فصل من عندهم وهو يبكي التفت خلفه فرأى الدخان ساطعاً فعرف أنَّ القوم قد هلكوا، وكانوا ألفاً وخمسمائة أهل دار، وكانوا بالحجر فلما هلكوا رجع صالح عليه السلام ومن آمن معه فسكنوا الدار حتى توالدوا وماتوا فيها[2]، فإن قال قائل: قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ معطوفٌ في ظاهر اللفظ على قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ فكيف تكون الصيحة بعد هلاك القوم؟

---

أصابت ثمود هي عذاب اشتمل على الزلزلة والصيحة؛ لأنَّ الله تعالى جمع في سورة فصلت بين صاعقةٍ عادٍ وصاعقة ثمود، ثمَّ بيّن بعدها صاعقة عادٍ وأنَّها كانت ريحاً صرصراً في أيامٍ نحساتٍ، ولم يذكر حرقاً، وكذا في بيان صاعقة ثمود، لم يرد ذكر النار أو الحرق . والله أعلم. انظر: تفسير البغوي (175/2)، مفردات ألفاظ القرآن ص485، تفسير ابن كثير (169/7).

١- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص485، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (312/4).

٢- وهذا المذكور من رواية الكلبي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- والأشهر أنَّ صالحاً رحل بمن معه من المؤمنين فسكنوا مكة، وقد رواه الضحاك عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقيل : رحلوا إلى رملة بفلسطين. والله أعلم. انظر: بحر العلوم (553/1)، الكشاف (92/2)، المحرر الوجيز(104/7)، البحر المحيط (335/4)، تفسير ابن كثير (444/3).

قيل: إنَّ الظاهر أنَّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ للتعقيب في الأخبار لا لترادف الحال، وهذا راجعٌ إلى حال عقرهم الناقة؛ فإنَّه تعالى ساق القصة في أمرهم إلى آخرها، ثم عطف على ذلك ما فعله صالحٌ ؛ للكشف عن عذره في مسألة إنزال العذاب بهم بعد كثرة نصحه لهم وإصرارهم على فعلهم [1]، وجوابٌ آخر: الآية لا تمنع أنَّ صالحاً  قال هذا القول بعد هلاك القوم ليعتبر هو ومن كان معه من المؤمنين، وأنَّ الإنسان قد يقول مثل هذا على وجه الاعتبار عند مروره بالمقبرة [2].

**قوله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ [/أ] مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [80]:**

معناه: وأرسلنا لوطاً  ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ﴾ السيئة، وهي إتيان الذكور في الأدبار، والفاحشة: السيئة العظيمة القبح [3]، وقوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: لم يفعلها أحدٌ من العالمين قبلكم [4]، قال عبد الله بن عباس: أوَّل ما عملت به قوم لوطٍ  عملهم الخبيث؛ لأنَّ بلادهم كانت أخصبت فانتجعها أهل البلدان، فتمثل لهم إبليس في صورة شابٍ، ثمَّ دعا إلى دبره فنكح، ثم عبثوا بذلك العمل زماناَ، فلما كثر ذلك فيهم عجّت الأرض إلى ربّها، فسمعت السماء فعجّت إلى ربّها، فسمع العرش فعجّ إلى ربّه، فسمع الله تعالى، فأمر الله تعالى إلى السماء أن

---

١- فعليه يكون في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، كما أشار إليه بعضهم. انظر: تفسير البغوي (175/2)، مفاتيح الغيب (167/4).

٢- ويحتمل أن يكون خاطبهم بعد موتهم كما خاطب نبينا محمد- ﷺ- قتلى بدرٍ في القليب، وأخبر أنَّهم يسمعون، وهذا ذكره غير واحدٍ من المفسّرين، وهو منسوبٌ لقتادة. انظر: تفسير البغوي (335/2)، المحرر الوجيز (104/7)، زاد المسير (227/3)، البحر المحيط (335/4)، تفسير ابن كثير (444/3).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (352/2)، مفردات ألفاظ القرآن ص626.

٤- انظر: تفسير الطبري (235/8)، بحر العلوم (553/1).

تحصبهم، والأرض أن تخسف بهم[1].

قوله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [81]:

معناه: إنَّكم لتجامعون الرجال في أدبارهم في شهوةٍ، وتتركون إتيان النساء التي أباح الله تعالى لكم، بل أنتم قومٌ متجاوزون من الحلال إلى الحرام[2]، والشهوة: طلب النفس لما فيه اللذة[3].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [82]:

معناه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إذ قال لهم ذلك ﴿إِلَّا أَن﴾ قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً عليه السلام ومن آمن به من بلدتكم إنَّهم أناسٌ يتنَزهون عن فعلنا ويتقذروننا[4]، فعابوهم بما يمدح به استهزاءً[5]، والعرب تسمي المدينة قريةً؛ قال عمرو ابن العلاء[6]: ما رأيت من قرويين أفصح من الحسن[7] والحجّاج[8]، يعني

---

١- وهو منسوبٌ إلى الكلبي، ولعلّه رواه عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير البغوي (2/179-180).

٢- انظر: بحر العلوم (1/553).

٣- وأصلها كما في المفردات: نزوع النفس إلى ما تريده. اهـ. مفردات ألفاظ القرآن ص468.

٤- انظر: تفسير الطبري (8/235)، تفسير البغوي (2/180).

٥- انظر: الكشاف (2/92-93).

٦- والمثبت في المخطوط: عمرو بن العلاء، وهو خطأ، والصواب: أبو عمرو بن العلاء، وهو: زبان بن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري، أحد القراء السبعة، توفي سنة: 154هـ، انظر: طبقات القراء (1/91-102).

٧- والذي يظهر لي أنَّه الحسن البصري، وهو ابن أبي الحسن يسار البصري الإمام، توفي سنة: 110هـ.

٨- هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، كان حازماً فصيحاً ذا رأي، وكان له في البطش غرائب لم يسمع بمثلها، ولي الكوفة للوليد بن عبد الملك، وضبط أمرها، واستقام أهلها

رجلين من أهل المدن [1]، إلاَّ أنَّه قد كثر استعمال اسم القرية على مجتمع الناس في منازل متجاورة تأوي إليها الأكرة [2].

قوله ﷻ: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ [83]:

معناه: خلّصناه وابنتيه زعوراء وريثا [3]، وأهل الرجل، هم المختصون به اختصاص القرابة، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ معناه: إلاَّ أهله التي كانت زوجةً له ا، وكانت على دينهم و لم تؤمن به، فغبرت، مع من غبر، أي : بقيت في موضع العذاب و لم تذهب معه، فهلكت مع القوم فيما هلكوا [4]، وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر:

فَما وَنى مُحَمَّدٌ مُذ أَن غَفَر  لَهُ الإِلَهُ ما مَضى وَما غَبَر [5]

أي: وما بقي [6].

قوله ﷻ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[84]:

قال عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: أمطرت الحجارة على مسافريهم وعلى الذين لم يكونوا منهم شهوداً بالمدينة حتى هلكوا، فأمَّا المدينة فقد جعل الله تعالى عاليها سافلها [7]، ويقال: أمطروا أوّلاً بالحجارة ثم خسف بهم الأرض [1]، وأمَّا

---

لهـ توفي سنة: 95هـ. انظر: وفيات الأعيان (2/29-53)، الوافي بالوفيات (11/236-242)، شذرات الذهب (1/106-108)

١- انظر: البيان والتبيين (1/99)، الكشاف (2/125).

٢- الأَكَرَة-بفتح الهمزة والكاف والراء- : جمع أكَّار، وهو الزرَّاع . انظر: لسان العرب (4/26)، مفردات ألفاظ القرآن ص669.

٣- انظر: بحر العلوم (1/553).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/353)، الكشاف (2/93).

٥- وقد نسبه للعجاج. انظر: مجاز القرآن (1/219)، معاني القرآن للزجاج (2/353).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/353).

٧- وهو كذلك في بعض التفاسير، إلاَّ أنِّي لم أقف على نسبةٍ صريحةٍ له لابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: الكشاف (2/93)، تفسير القرطبي (7/247)، البحر المحيط (4/338).

الألف في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم ﴾ قال بعضهم: يقال لكل شيءٍ من العذاب أمطرت بالألف، وللرحمة مطرت [2]، وقال بعضهم: أمطرت ومطرت بمعنى واحدٍ [3]، وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ معناه: انظر بالتفكر دون التحديق بالعين، أي: تفكر في آخر أمر الكافرين المكذبين كيف فعلنا بهم [4]، والعاقبة في اللغة: ما أدت إليه البادرة [5].

**قوله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [85]:**

معناه: وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً، قال الضحاك- رحمه الله-: كان شعيبٌ عليه السلام أفضلهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأحسنهم وجهاً، يقال: إنَّه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره وصار أعمى، فدعا قومه إلى الله تعالى [6]، وأمَّا مدين فهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، تزوَّج ريثا بنت لوط عليه السلام فولدت له، وكثر نسله، فصار مدين مدينته أو قبيلتهم [7]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم

---

١- انظر: الكشاف (93/2)، البحر المحيط (338/4).

٢- انظر: بحر العلوم (553/1)، الكشاف (93/2).

٣- انظر: الكشاف (93/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (237/8)، البحر المحيط (338/4).

٥- والبادرة هي ما يبدر من قولٍ أو فعلٍ .وعاقبتها آخرها وما تؤول إليه. انظر: لسان العرب (611/1)، (84/4).

٦- بحر العلوم (555/1).

٧- انظر: بحر العلوم (555/1)، المحرر الوجيز (107/7-108).

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معناه: جاءكم برهانٌ ودلالةٌ من ربكم على نبوتي [1]، ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أي: أدُّوا حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام، ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم [2]، ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد إصلاح الله لها بالمحاسن، ويقال معناه : لا تظلموا الناس في الأرض بعد أمر الله تعالى بالعدل فيها [3]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إيفاء الحقوق وترك الفساد الفساد خيرٌ لكم إن كنتم مصدِّقين بالله تعالى ورسوله [4] ﷺ، وذهب الفراء إلى أنَّه أنَّه لم يكن لشعيبٍ ﷺ آية إلاَّ مجيئه إليهم وإخباره أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له؛ لأنَّ الله تعالى لم يذكر له معجزةً في القرآن [5]، وهذا لا يصحّ؛ لأنَّه تعالى لا يجوز يجوز أن يُخْلِي نبياً من الأنبياء عليهم السلام من إظهار المعجزة عليهم، وإن كان لا يدعو إلاَّ إلى ما في العقل، ولو ادَّعى مدّعٍ النبوة بغير آيةٍ ومعجزةٍ لم يقبل منه، ولا يظهر صدق مدّعي النبوة إلا بالمعجزة، والصحيح أنَّه **[241/ب]** كان لشعيب ﷺ آية تدلّ على نبوته كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلاَّ أنَّ الله تعالى لم يذكر آيته في القرآن، كما أنَّ أكثر معجزات نبينا ﷺ غير مذكورة في القرآن [6].

---

١- وفيه إشارة إلى أنَّ شعيباً- ﷺ- كانت له معجزةٌ، وردٌّ على من زعم أنَّ شعيباً- ﷺ- لا معجزة له . انظر: معاني القرآن للزجاج (353/2-354)، بحر العلوم (555/1)، الكشاف (93/2)، تفسير البغوي (180/1).

٢- انظر: تفسير الطبري (237/8)، بحر العلوم (555/1)، تفسير البغوي (180/1).

٣- وهذان الوجهان وغيرهما داخلان تحت عموم الإفساد المنهي عنه بعد الإصلاح . انظر : البحر المحيط (313/4).

٤- انظر: تفسير الطبري (238/8)، بحر العلوم (555/1).

٥- انظر: معاني القرآن للفراء (385/1).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (355)، الكشاف (93/2)، البحر المحيط (339/4).

قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[86]:

معناه: ولا تقعدوا بكلّ طريقٍ تخوّفون وتصرفون عن دين الله وطاعته [1]، وقوله تعالى: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ أي: تطلبون لها غيراً وزيغاً وعدولاً عن الحقّ [2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾، أي: احفظوا نعم الله تعالى إذ كنتم قليلاً في العدّة فكثّر عددكم [3]، ويقال معنى ﴿كَثَّرَكُمْ﴾: جعلكم أغنياء ذوي مقدرةٍ بعد أن كنتم ضعفاء فقراء [4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: تفكّروا كيف صار آخر من كان قبلكم من الكفار في إهلاك الله تعالى لهم، وإنزال العذاب بهم، فتحذروا عن سلوك مسالكهم [5].

قوله ﷻ: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[87]:

معناه: وإن كان جماعةٌ منكم صدّقوا بالذي أرسلت به وجماعةٌ لم يصدّقوا، فاصبروا حتى يقضي الله بين الكافرين والمؤمنين، وهو أعدل القاضين، سيجزي كلّ واحدٍ من الفريقين ما يستحقّه على عمله في الدنيا، فقضى الله تعالى هلاك قوم

---

١- انظر: تفسير الطبري (238/8)، معاني القرآن للزجاج (354/2).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (354/2)، بحر العلوم (555/1).

٣- وهذا اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري (239/8)، تفسير البغوي (181/2).

٤- انظر:معاني القرآن ل لزجاج (355/2)،الكشاف (94/2)، المحرر الوجيز (109/7)، البحر المحيط(342/4).

٥- انظر: تفسير الطبري (239/8)، البحر المحيط (342/4)، فتح القدير (234/2).

شعيبٍ، و لم يكن شعيب أمر بالقتال[1].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾[88]:

معناه: قال الملأ الذين تعظّموا على الإيمان به أنفةً من الإقرار بنبوّته واتباعه : لنخرجنّك يا شعيب والذ ين معك من المؤمنين بك من بلدتنا، أو لترجعنّ إلى ديننا، أي: لا يكون إلاَّ أحد الأمرين، ولا ندعكم في أرضنا على مخالفتنا، قال لهم شعيبٌ عليه السلام:﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾، يعني: أتعيدوننا في ملّتكم وتجبروننا على ذلك وإن كرهنا؟[2] فإن قال قائل: كيف قالوا لشعيبٍ عليه السلام ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ وشعيب عليه السلام لم يكن في ملّتهم قطّ؛ لأنَّ أنبياء الله تعالى لا يجوز عليهم الكفر في حالٍ من الأحوال؟ قيل : يجوز أن يكون المراد بهذا الخطاب قومه الذين كانوا على ملّتهم، فلما أدخلوه معهم في الخطاب قالوا : لتعودنّ في ملّتنا على تغليب خطاب قومه عليه [3]، ويحتمل أنَّهم توهّموا أنَّ شعيباً عليه السلام كان على ملّتهم؛ لأنَّهم لم يروا منه المخالفة لهم إلاَّ في

---

١- وهذه العبارة الأخيرة المتعلّقة بعدم فرضية القتال على شعيبٍ- عليه السلام- وقومه تدلّ ضمناً على أنَّ المصنّف يرى أنَّ الخطاب بقوله: «فاصبروا» متوجّهٌ للمؤمنين بشعيبٍ-عليه السلام-، وقد حكاه منذر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-، وذهب جماعةٌ من المفسّرين إلى أنَّ الخطاب للكفار، واختاره الزمخشري وابن عطية، وذهبت جماعة إلى أنَّ الخطاب للفريقين-مؤمنين وكافرين-وهو ظاهر عبارة الطبري وأبي الليث، ونسبه أبو حيان لأبي علي-ولعلّه الجبائي-والأخير أظهر؛ لما فيه من تعميم الخطاب لكلّ من يصلح له. انظر: تفسير الطبري (240/8)، بحر العلوم (555/1)، الكشاف (95/2)، المحرر الوجيز (110/7)، البحر المحيط (343-342/4).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (355/2)، بحر العلوم (555/1)، تفسير البغوي (181/2)، تفسير ابن كثير (448/3)، فتح القدير (235/2).

٣- وهذا الجواب ذكره الماوردي، والبغوي، والزمخشري . انظر: تفسير الماوردي (39/2)، تفسير البغوي (181/2)، الكشاف (96/2).

الوقت الذي دعاهم إلى نبوّته [1]، وجواب آخر: أنَّ لفظ العودة يطلق وإن لم يكن هناك رجوعٌ إلى شيءٍ سابقٍ، كما يقال: عاد عليّ من فلانٍ مكروهٌ، وإن لم يكن سبق منه مكروهٌ قبل ذلك؛ وإنَّما تأويله أنَّه لحقني منه مكروهٌ [2]، قال الشاعر:

لئن كانت الأيام أحسنّ مرةً إليَّ لقد عادت لهنَّ ذنوب [3]

قوله ﷻ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[89]:

معناه: قد اختلقنا على الله كذباً في العود في ملّتكم [4]، ويقال معناه: قد اختلقنا على الله الكذب فيما دعوناكم له إن عدنا في ملّتكم بعد إذ خلّصنا الله تعالى منها، بالدلالة على بطلانها بتبيّن الحق لنا وقبولنا له [5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ اختلفوا في معناه؛ قال بعضهم معناه: ما نعود فيها إلاَّ أن يكون في علم الله تعالى ومشيئته أن نعود فيها، قالوا: وتصديق ذلك، قوله تعالى من بعد: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ [6]، وعن الحسن رضي الله عنه معناه: إلاَّ أن يريد الله تعالى أن يلزمنا سمة الكفو لذنبٍ يكون منّا؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ﴾

١- انظر: البحر المحيط (345/4)، التحرير والتنوير (6/9).

٢- فيكون العود على معنى الابتداء. انظر: معاني القرآن للزجاج (355/2)، تفسير الماوردي (39/2)، زاد المسير (231/3).

٣- البيت لطفيل الغنوي. انظر: الكشف والبيان (425/1)، البحر المحيط (347/2).

٤- انظر: بحر العلوم (555/1)، المحرر الوجيز (111/7).

٥- وهذا الوجه ذكره البقاعي في نظم الدرر (69/3).

٦- وهذا القول ذكره الزمخشري، ولم يذكر المشيئة بل خصّ ذلك بالعلم، وكذا اختاره الزجاج، كما ذكره المصنّف جامعاً بين العلم والمشيئة. وهو المذهب الصحيح. انظر: معاني القرآن للزجاج (355/2-356)، الكشاف (96/2)، تفسير القرطبي (250/7).

[النساء:88]، وقال تعالى : ﴿ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1] [المطففين:14]، ويقال: معناه: إلاَّ أن يشاء الله أن يتعبدنا منها بشيءٍ، ويجوز أن يُتعبّد به في العقل، كما تعبّدنا بتعظيم الحجر الأسود [2]، ويقال: هذا على طريق التبعيد دون الشرط، كما تقول: حتى يشيب الغراب، ويَبْيضَّ القار [3]، ويقال معناه: إلاَّ أن يشاء الله تعالى أن نُكره عليه بالقتل فتظهرَ كلمةُ الكفر مع طمأنينة بالإيمان [4]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ ﴾ فمعناه: أحاط ربّنا كل شيءٍ علماً، فهو يعلم ما هو أصلح لنا فتعبَّدنا به، وهو أعلم بأنَّا ندخل في ملّتكم أو لا ندخل [5]، وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ أي: به وثقنا في الانتصار عليكم [6]، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾، أي: اقض بيننا وبينهم بما يدلّ على أنَّا على الحقّ، وهم على

---

١- وهذا القول لم أقف عليه عن الحسن-رحمه الله وإياك-.

٢- وهذا القول أورده ابن عطية، وضعّفه أبو حيان. وحجّته أنَّ المؤمنين قالوا: ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾ وذلك يعني النجاة من الكفر والمعاصي، لا من أعمال البر. انظر: المحرر الوجيز (112/7)، البحر المحيط (346/4).

٣- وهذا القول منسوبٌ للمعتزلة، كما ذكره غير واحدٍ من المفسّرين. انظر: بحر العلوم (556/1)، المحرر الوجيز (112/7-113)، مفاتيح الغيب (178/14).

٤- و هذا القول لم أقف عليه، وفيه تأويلٌ لا يخفى، وابتعادٌ عن ظاهر النص؛ لأنَّ الصحيح أنَّ الله- ﷻ- يشاء الكفر والمعاصي، ولا يصير في ملكه شيءٌ إلا بمشيئته، ولكنه مع ذلك لم يأمر إلاَّ بما أحبّ، وهذا الفرق بين الإرادة الكونية، والشرعية، فإذا علم هذا لم يحتج إلى مثل هذه التأويلات، والتخريجات؛ لأنَّ المشيئة هنا كونيةٌ قدريةٌ، لم يأمر بها الله-ﷻ-، وإنَّما شاءها كوناً لا شرعاً. والله تعالى أعلم.

٥- وكذلك إن شاء كُفْرنا وعَوْدنا في ملتكم فقد شاء ذلك عن علمٍ ولحكمةٍ. انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (324/4).

٦- والتوكّل هنا عامٌّ يدخل تحته ما ذكره المصنّف وغيره، من الحماية من أذى المشركين، والثبات على الإيمان، وغيرها من المرادات. انظر: بحر العلوم (556/1)، زاد المسير (232/3)، تفسير البيضاوي (324/4)، فتح القدير (235/2).

الباطـــل[1]، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾، والفاتح: هو الحاكم بلغة أهل عمان [2]، قال القتبي: الفتح: هو أن يفتح شيئاً مغلقاً، ويسمَّى القضاء [242/أ] فتحاً؛ لأنَّه فصل الأمور، وفصل المشكلات[3]، وقيل: يجوز أن يكون معنى الفتح: أظهر أمرنا بإهلاك العدوّ عدوّنا حتى ينفتح ما بيننا وبينهم، أي: يظهر وينكشف[4].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[90]:**

معناه: قال الأشراف الذين كفروا بشعيب ﷵ من قومه: لئن اتبعتم شعيباً في ما دعاكم إليه إنَّكم إذاً بمنزلة من ذهب رأس ماله لإفنائكم العمر في ترك الشهوات مع أنَّه لا يجدي عليكم نفعاً، فتكونون مغبونين جاهلين[5].

**قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[91]:**

روي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في معنى هذه الآية: أنَّه أخذهم الزلزلة الشديدة، رجفت بهم الأرض رجفةً وأصابهم حرٌّ شديدٌ فرفعت لهم سحابة فخرجوا إليها يطلبون الرَّوْح فيها فلمّا كانوا تحتها سالت عليه بالعذاب ومعه صيحة جبريل ﷵ كما قال الله تعالى في هذه القصة في سورة هود [6]، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾، أي: بقرب دارهم تحت الظلة[7]، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ

---

١- انظر: بحر العلوم (556/1)، تفسير البغوي (182/2).

٢- انظر: معاني القرآن للفرّاء (385/1).

٣- انظر: بحر العلوم (556/1).

٤- انظر: الكشاف (96/2).

٥- وبالغبن فسّر ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-الخسران هنا، وفسّره عطاء بالجهل، والضحاك بالعجز. انظر: بحر العلوم (556/1)، تفسير البغوي (182/2)، البحر المحيط (346/4).

٦- ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[هود:67].
انظر: بحر العلوم (556/1)، تفسير البغوي (182/2)، المحرر الوجيز (114/7).

٧- وهذا التأويل لا داعي له؛ لعدم امتناع كون السحابة رفعت لهم داخل قريتهم، ويمكن جعل الدار هنا يراد بها القرية. انظر: تفسير البيضاوي (325/4).

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:189]، وقوله تعالى: ﴿جَٰثِمِينَ﴾، أي: ميتين على وجوههم وركبهم، روي أنَّهم احترقوا تحت السحابة فصاروا ميتين بمنزلة الرماد الجاثم. أجسام ملقاةٌ على الأرض محترقة [1]، وأمَّا دخول الفاء في أوَّل هذه الآية فهو على وجه الجواب لما تقدَّم من كلامهم، كأنَّه قال : فكان جوابهم أخذ الرجفة لهم [2].

**قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [92]:**

معناه: يقول الله تعالى : الذين كذبوا شعيباً كأن لم ينزلوا في ديارهم [3]، قال الأصمعي [4]: المغنى: المنزل، والمغاني المنازل التي كانوا بها، يقال : غنينا بمكان كذا وكذا، أي: نزلنا به [5]، ويقال معنى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ كأن لم يقيموا فيها مقام المستغني [6]، ويقال معناه: كأن لم يعيشوا و لم يكونوا [7]، كما قال الشاعر:

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (358/2)، تفسير الماوردي (37/2)، البحر المحيط (334/4).

٢- والأظهر-والله أعلم- أنَّها فاء العطف، والمراد منها بيان قرب نزول العذاب بهم بعد مقولتهم السابقة . انظر: البحر المحيط (334/4-335).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (358/2).

٤- هو: أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر الأصمعي الباهلي، كان صاحب لغةٍ ونحوٍ، وإماماً في الأخبار والنوادر، سمع شعبة، والحمَّادين، ومسعر بن كدام، وغيرهم، وروى عنه أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، وأبو الفضل الرياشي، وغيرهم، وله تصانيف عديدة؛ منها : خلق الإنسان، ونوادر الأعراب، وغيرها كثير، توفي سنة : 215هـ، أو 216هـ. انظر: أخبار النحويين البصريين ص72-83، وفيات الأعيان (170/3-175)، إشارة التعيين ص193-194.

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (358/2).

٦- وهذا معنى قول قتادة واختاره ابن عطية انظر: المحرر الوجيز (116/7).

٧- وهذا القول مشتملٌ على قولين؛ فتفسير «يغنوا» بيعيشوا قال به الأخفش، وتفسيرها بيكونوا قاله ابن زيد ومقاتل. انظر:تفسير مقاتل(403/1)،تفسير الماوردي (40/2)، زاد المسير (232/3)، البحر المحيط (348/4).

غَنَيْنَا زماناً بالتصعلك والغِنى     وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهرُ

فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ     غنانَا ولا أزرى بأَحسابنا الفَقرُ [1]

معنى غنينا بالتصعلك : عشنا بالفقر، تقول العرب للفقير : الصعلوك[2] ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ فيه بيان أنَّ الخسران حلّ بهم دون المؤمنين وشعيب عليه السلام[3]؛وإنَّما أعاد ذكر الذين كذّبوا شعيباً عليه السلام للتغليظ عليهم[4] .

عليهم[4] .

**قوله ﷻ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [93]:**

معناه: فلمّا رأى إقبال العذاب عليهم أعرض عنهم بعد الإياس منهم وخرج من بين أظهرهم [5] ، ولم يعذّب قومٌ قطّ حتى يخرج نبيّهم من بين أظهرهم[6] ، ثمَّ أتاهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ معناه: معناه: فكيف يشتدّ حزني على قومٍ كافرين حلّ العذاب بهم باستحقاقهم له، بعد أن نصحتهم فلم يقبلوا[7] .

---

١- والبيتان شاهدٌ لقول من قال إنَّ المعنى: يعيشوا. والبيتان لحاتم الطائي، وفي ديوانه:

غَنِيْنَا زماناً بالتصعلك والغِنى     كما الدهر في أيامه العسر واليسر

لبسنا صروف الدهر ليناً وغلظة     وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بأواً على ذي قرابةٍ     غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

انظر: ديوان حاتم الطائي ص67/66.

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (358/2)، لسان العرب (455/10).

٣- انظر: بحر العلوم (556/1)، تفسير البيضاوي (326/4).

٤- وهو محكي عن ابن الأنباري. انظر: زاد المسير (233/3).

٥- انظر: بحر العلوم (556/1)، تفسير البغوي (183/2).

٦- انظر: تفسير الطبري (234/8)، تفسير الماوردي (37/2).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (359/2)، بحر العلوم (556/1)، المحرر الوجيز (116/7-117).

قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾[94]:

معناه: ما أرسلنا في مدينةٍ من رسولٍ فكذّبوه إلاَّ عاقبنا أهلها بالبأساء والضراء[1]؛ قيل: إنَّ البأساء:ما نزل بهم من الشدة في نفوسهم، والضراء: ما نزل بهم من الضرر في أموالهم [2]، وقيل: على عكس من هذا [3]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ معناه: لكي يتضرعوا؛ أدغمت التاء في الضاد، وأقيم التشديد مقامه [4]، ويقال معناه: عاملناهم معاملة الشاكّ في حالهم، فابتليناهم بالشدائد؛ لكي يرغبوا إلينا في كشفها، وبلوناهم بالنعم؛ ليرغبوا إلينا في استدامتها، فما نفعهم هذا ولا ذاك[5].

قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[95]:

معناه: ثمَّ حوّلنا مكان الشدة و [الكروبة][6] العافيةَ والخصبَ والسعةَ، حتى كثروا

١- وعليه ففي الآية محذوف دلّ عليه السياق.انظر: بحر العلوم (556/1)، المحرر الوجيز (117/7)، زاد المسير(223/3).

٢- وهذا القول نسب الماوردي حكايته لعلي بن عيسى. انظر: تفسير الماوردي (41/2).

٣- وعلى هذا المعنى قول ابن مسعود- ﷺ- بأنَّ البأساء: الفقر، والضراء: المرض. انظر: معاني القرآن للزجاج (359/2)، المحرر الوجيز (117/7)، تفسير البغوي (183/2)،.

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (359/2)، 557، الكشاف (97/2).

٥- وهذا القول لم أقف عليه كما ذكره المصنّف- رحمه الله وإيانا- ولم يتضح لي كيف أجرى ذكر النعم في معنى الآية وهي لم تذكر بعد؟ وإنّما سيرد ذكرها في الآية التالية، إلاَّ إن كان هذا المعنى للآيتين معاً، وأورده المصنّف قبل شروعه في تفسير الآية الأخرى . وكذا فإنَّ الفخر الرازي ذكر بأنَّه لا يمكن حمل الآية على الشك، وبالرغم من أنَّ المصنّف قد احترز من هذا المحمل، إلاَّ أنَّ فيما أورده بعدٌ ومظنّة لبسٍ، والأولى ما ذكره أوّلاً. والله أعلم. انظر: مفاتيح الغيب (183/14-184).

٦- كتبت اللفظة هكذا في المخطوط، ولم يتضح لي وجه صياغتها؛ إذ المصدر منها الكرب، وجمعه كروب، والاسم كُربة، وجمعها كرائب. انظر: لسان العرب (711/1).

كثروا وكثرت أموالهم ومعايشهم [1]، وإنَّما سمّى الشدة سيئة؛ لأنَّها تسوء الإنسان، كما يسمّى الإحسان حسنةً؛ لأنَّه يحسن على الإنسان أثره [2]، وإلاَّ فالسيئة هي الفعلة القبيحة، والله تعالى لا يفعل القبيح [3]، وقال الحسن ﷺ: معنى ﴿عَفَواْ﴾ سمنوا، وأراد به السمن في المال لا بعظم الجسم [4]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ معناه: هكذا[...] [5] الزمان أن يسيء تارةً ويحسن أخرى، وهكذا كانت عادته مع آبائنا، فثبتوا على دينهم، ولم ينتقلوا عنه، فاثبتوا أنتم أيضاً على دينكم ولا تنتقلوا عنه [6]، يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، أي: أخذناهم بالعذاب فجأةً من حيث لم يشعروا بالعذاب، وهذا كلّه مما أخبر الله ﷻ من الأمم السالفة؛ ليعتبروا بذلك أمة محمدٍ ﷺ [7].

قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ [ /ب]ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ يَكْسِبُونَ

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (359/2)، بحر العلوم (557/1)، تفسير ابن كثير (449/3-450).

٢- انظر: مفاتيح الغيب (184/14).

٣- وهذه العبارة تحتاج إلى تنقيح وبيان؛ لاستعمال بعض المبطلة لها في تقرير مذاهبهم، فإن أريد بها أنَّه- ﷻ- لا يفعل القبيح بذاته كالظلم ونحوه، فهي عبارةٌ صحيحةٌ سليمةٌ؛ لأنَّ فعل القبيح لا يكون إلاَّ عن جهلٍ، والله-ﷻ- منزّهٌ عن ذلك، وإن أريد بالعبارة إثبات أنَّ الله تعالى ليس خالقاً لأفعال عباده على أنَّ قبيحها الصادر منهم يكون حينئذ منسوباً إليه فذلك باطلٌ؛ لأنَّ الله- ﷻ- خلقه في غيره، ولم يقم بذاته- ﷻ- فالمتصف به من قام بالفعل لا من خلقه في غيره، كما لو خلق في غيره لوناً أو ريحاً، ونحوه . انظر: النبوات (251/1).

٤- وهذا القول مرويّ عن الحسن. ولا أدري ما وجه تخصيص المؤلِّف لمعناه بالسمن في المال، مع أنَّ ظاهره يفيد سمن الجسم وعظمه، الذي هو ناتجٌ ولا بدّ عن رغدٍ في العيش، وكثرةٍ في الخيرات. انظر : تفسير الماوردي (42/2)، البحر المحيط (349/4).

٥- لعل هنا سقط يتم به الكلام، وهو لفظة: «عادة» ، أي: هكذا عادة الزمان أن يسيء...، والله أعلم.

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، تفسير البغوي (183/2)، المحرر الوجيز (118/7-119).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، تفسير ابن كثير (450/3).

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[96]:

معناه، ولو أنَّ أهل القرى التي أهلكنا أهلها بتكذيبهم الرسل قالوا: آمنَّا بالله تعالى وبالرسل-عليهم السلام-، واتقوا الشرك والمعاصي [1] لفتحنا عليهم بركاتٍ ناميةً وهي القطر والمطر من السماء، والنبات والثما ر من الأرض [2]، ولكن كذبوا الرسل -عليهم السلام- فأخذناهم بالعذاب بما كانوا يكسبون من المعاصي [3]، وفي الآية دلالةٌ أنَّ الكفاية والسعة في الرزق من سعادة المرء إذا كان شاكراً، والمراد بقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف:33] الكثرة التي تكون وبالاً على من لا يشكر الله تعالى [4].

قوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[97]:

معناه: أفأمن أهل القرى المكذِّبة بك يا محمد أن ينزل عليهم عذابنا ليلاً وهو نائمون في فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعقاب لغفلتهم [5].

قوله ﷻ: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[98]:

معراه: أو أمن أهل القرى المكذِّبة لك أن يأتيهم عذابنا نهاراً وهم مشتغلون بلهوهم ولعبهم [6]، يقال لمن هو في باطلٍ لا ينفعه : إنَّما أنت لاعبٌ [7]، والضحى:

---

١- واعتقدوا ذلك في قلوبهم؛ إذ الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ.

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، تفسير البغوي (183/2).

٣- انظر: تفسير البيضاوي (331/4).

٤- انظر: بحر العلوم (557/1).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، تفسير البغوي (183/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، تفسير البغوي (183/2).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، الكشاف (98/2)، تفسير القرطبي (254/7).

صدر النهار عند ارتفاع الشمس[1].

قوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[99]:

معناه: أَبَعْدَ هذا كلّه أمنوا عذاب الله لهم من حيث لا يعلمون؟[2] وإنّما سمّي العذاب مكراً على جهة الاتساع والمجاز؛ لأنَّ المكر ينزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر به[3]، وأمَّا المكر الذي هو الاحتيال للإظهار بخلاف الإضمار فذلك لا يجوز على الله تعالى[4]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ ففيه ما يدلُّ على الإيجاز والاختصار؛ كأنَّ قائلاً قال: قد أمنوا مكر الله، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، ودخلت الفاء للجواب[5]، فإن قيل: أليس الأنبياء صلوات الله عليهم قد أمنوا عذاب الله تعالى وليسوا من القوم الخاسرين؟ قيل: معنى الآية: لا يأمن من عذاب الله تعالى من العصاة، أو لا يأمن عذاب الله تعالى من المذنبين إلاَّ القوم الخاسرون، والأنبياء لا يأمنون عذاب الله تعالى على المعصية؛ ولهذا لا يعصون بأنفسهم[6].

---

١- انظر: تفسير البغوي (184/2)، لسان العرب (474/14).

٢- وتفسير المكر بالعذاب مرويّ عن عطية العوفي، وبه قال بعض المفسّرين. انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، بحر العلوم (557/1)، تفسير البغوي (184/2)، تفسير القرطبي (254/7).

٣- وعليه يحمل قول من قال: إنَّ المكر هنا استدراجهم بالنعم حتى يأخذهم بغتة. انظر: تفسير البغوي (184/2)، تفسير القرطبي (254/7).

٤- وعليه فالأسلم أن يجرى المكر هنا مجرى الصفات فيثبت لله- ﷻ- كما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تأويل، ولا تعطيلٍ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]، وليس المكر كالمكر.

٥- والأظهر أنَّ قوله: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ بيانٌ لحال من أمن مكر الله. وتكون الفاء للتفريع، والتقدير: أفأمنوا مكر الله فهم خاسرون. انظر: فتح القدير (238/2)، التحرير والتنوير (24/9).

٦- وهذا هو المعنى الذي ذكره جلّ المفسّرين، أعني أنَّ المراد بالآمن من مكر الله هو العاصي والمكذب للرسل.

قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[100]:

من قرأ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بالياء[1]، فمعناه: أو لمن يبيّن الله تعالى للذّين يخلفون في الأرض من بعد أهلها الذين أهلكهم الله تعالى بتكذيب الرسل- صلوات الله عليهم[2]-، ومن قرأ ﴿أَوَلَمْ نَهْدِ﴾ بالنون[3]، فمعناه: أو لم نهد نحن، وهو إخبار عن الله تعالى[4]، وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ذكر المبَيَّن لهم كأنَّه قال: أو لم نبيِّن لهم مشيئتنا لإصابتهم بعقاب ذنوبهم كما أخذنا من كان قبلهم بذنوبهم[5]، وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال الزجاج: هذا ليس بمحمولٍ على أصبناهم؛ لأنَّه لو حمل عليه لكان ولطبعنا؛ لأنَّ قوله: أصبناهم على لفظ الماضي[6]، فكان معنى قوله: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ونحن نطبع على قلوبهم، أي: نختم عليها عقوبةٍ لهم[7]، قال: ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ بمعنى الماضي؛ لأنَّ معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ لو شئنا، ألا ترى أنَّه قال: ﴿أَصَبْنَاهُم﴾ وهذا كما قال جلّ ذكره: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:91]، أي: فلم قتلتم أنبياء الله تعالى[8]، وأمَّا معنى

---

انظر: معاني القرآن للزجاج (360/2)، المحرر الوجيز (120/7)، تفسير القرطبي (253/7).

١- وهي القراءة المتواترة عن القراء العشرة. انظر: النشر (270/2)، الدر المصون (393/5).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (361/2)، بحر العلوم (558/1).

٣- وهي قراءة مجاهد، وأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: إعراب النحاس (64/2)، الدر المصون (394/5).

٤- وعليه فالنون للعظمة. انظر: تفسير البغوي (184/2)، الدر المصون (394/5).

٥- انظر: بحر العلوم (558/1)، المحرر الوجيز (121/7).

٦- معاني القرآن للزجاج (361/2).

٧- انظر: تفسير البغوي (184/2)، المحرر الوجيز (121/7).

٨- وهذا العطف أجازه الفراء على أنَّ الماضي والمستقبل هاهنا يقعان بمعنى واحد؛ كما في آية الفرقان : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [10]. انظر:

الطبع فقد تقدَّم ذكره أنَّ ذلك على وجه المجازاة [1]، ومعنى الختم على قلوبهم بأنَّهم لا يؤمنون على جهة الذمِّ لهم تشبيهاً بمن هو مطبوعٌ على قلبه [2]، أي: يكون ذلك علامة [يجعل][3] الله تعالى على قلب الكافر لمن يطلع على ذلك من الملائكة، فيعلم بتلك العلامة أنَّه لا يؤمن، وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ معناه: لا يقبلون الوعظ[4]، كما يقول القائل لغيره: وعظتك فلم تسمع.

**قوله ﷻ: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[101]:**

معناه: تلك القرى التي أهلكنا أهلها بجحودهم لآيات الله نقصّ عليك يا محمد في القرآن من أخبارها كيف أهلكت؛ لما في ذلك من العبرة لمن تدبّر حالهم، ولقد جاءهم رسلهم بالحجج والبراهين القاطعة لتي لو اعتبروا بها لاهتدوا [5]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ قال مجاهد: فما أهلكناهم إلاَّ وقد كان في معلومنا أنَّهم لا يؤمنون أبداً [6]، وقال الحسن ﷺ: معناه: فما كانوا ليؤمنوا لعتوهم وتمرّدهم في

---

معاني القرآن للفراء (386/1)، معاني القرآن للزجاج (361/2)، إعراب النحاس (64/2).

١- انظر: بحر العلوم (558/1).

٢- والذي يظهر أنَّه لا مانع من جعل الطبع على حقيقته، وأنَّه ختمٌ يحيط بقلبه حقيقةً حتى لا تنفعه موعظة، ولا يجدي فيه نصحٌ ولا إرشادٌ، وهو الران، كما في الحديث: (إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتةٌ سودا ء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران)، في المستدرك في كتاب الإيمان في الحديث السادس وصححه، وكذا أخرجه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، سورة المطففين. وقال: حسنٌ صحيحٌ.

٣- هكذا في المخطوط، ولعلّ المراد: يجعلها. والله أعلم.

٤- انظر: بحر العلوم (558/1)، تفسير البيضاوي (335/4).

٥- انظر: تفسير البغوي (184/2)، تفسير ابن كثير (452/3).

٦- انظر: بحر العلوم (558/1)، تفسير البغوي (184/2)، تفسير القرطبي (255/7).

الباطل[1]، وقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ معناه: مثل ذلك يطبع الله على قلوب الذين يكفرون بك[2].

**قوله ﷻ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[102]:**

معناه: وما وجدنا لأكثر المُهلَكين من **[243/أ]** وفاءٍ فيما أمروا به؛ تقول العرب: فلانٌ لا عهد له، أي: لا وفاء له بالعهد[3]، وهذا العهد الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية يجوز أن يكون هو ما أودع الله تعالى في العقول من وجوب شكر النعمة، والقيام بحقّ المنعم، ووجوب طاعة المحسن، وترك المقابح إلى المحاسن[4]، ويجوز أن يكون ما أخذ عليهم على ألسنة الرسل- صلوات الله عليهم- من هذه الأمور[5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ معناه: إنَّا وجدنا أكثرهم ناقضين العهدَ، تاركين لما أمروا به من الحلال والحرام[6]، وأمَّا دخول «إن» واللام في مثل هذا فعلى وجه التأكيد، كما يقال: إن ظننت زيداً لقائماً، ويريد بذلك تأكيد

---

١- وهذا القول لم أقف عليه، والذي يظهر أنَّه لا يختلف عن قول مجاهد في المؤدّى.

٢- والأولى حمل اللفظ على العموم ليشمل كلّ من كفر بالله ورسله في أي زمن، وقد حمله بعضهم على الكفار في زمن سيدنا محمد-ﷺ- كما صنع المصنّف، وهو لا يمنع التعميم؛ إذ العبرة بعموم اللفظ. انظر: تفسير البغوي (285/2)، الكشاف (100/2)، فتح القدير (240/2).

٣- انظر: مجاز القرآن (223/1)، تفسير البغوي (185/2).

٤- وهذا الوجه ذكره ابن عطية في المحرّر، وأبو حيان في البحر بلا نسبةٍ، انظر: المحرر الوجيز (124/7)، البحر المحيط (355/4).

٥- أي: أمور التوحيد، وترك عبادة غير الله. وهو المنقول من قول الحسن، وقد يكون العهد هنا المأخوذ عليهم يوم الميثاق وهم في صلب آدم-عليه السلام-. وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:172]. انظر: بحر العلوم (558/1)، تفسير البغوي (185/2)، المحرر الوجيز (124/7)، زاد المسير (236/3).

٦- انظر: بحر العلوم (558/1).

الظنِّ[1].

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[103]:

معناه: ثمَّ بعثنا من بعد أولئك الرسل- صلوات الله عليهم- الذين سبق ذكرهم موسى بن عمران- عليه السلام- بدلائلنا وحججنا من العصا واليد والطمس[2] وغير ذلك إلى فرعون وأشراف قومه[3]، واسم فرعون أعجمي لا ينصرف اجتمع فيه العجمة والتعريف[4]، كانوا يسمون كلّ من ملك مصر بهذا الاسم[5]، وكان فرعون الذي في زمن موسى- عليه السلام-هو الوليد بن مصعب[6]، وقوله تعا لى:﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ معناه: جحدوا الآيات، وسمَّاه ظلماً ؛ لأنَّهم جعلوا بدل الإيمان بها الكفر، وذلك من أبين الظلم[7]، وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ معناه: فانظر بعين قلبك كيف صار آخر أمر المفسدين في العذاب، قال عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كان طول عصا موسى- عليه السلام- عشرة أذرعٍ على طول موسى- عليه السلام-، وكانت من آس الجنة، فكان هو يضرب بها الأرض فيخرج بها النبات، ويلقيها فإذا هي حيةٌ تسعى، ويضرب بها الحجر فينفجر، وضرب بها باب

---

١- و «إن» هنا هي المخفّفة من الثقيلة، واللاَّم هي الفارقة، للتفرقة بين المخفّفة وغيرها، وهما هنا للتأكيد. انظر:معاني القرآن للزجاج(362/2)،الكشاف(100/2)،المحرر الوجيز (124/7)،البحر المحيط (355/4).

٢- لعلّ المراد به الطمس الوارد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[يونس:88].

٣- انظر: بحر العلوم (559/1)، تفسير ابن كثير (453/3).

٤- إلاَّ أنَّه علم جنس، لا علم شخصٍ، كقيصر، وكسرى، ونحوها من الأعلام التي لا تختص بشخصٍ بعينه. انظر: البحر المحيط (355/4).

٥- انظر: المحرر الوجيز (125/7)، تفسير البيضاوي (338/4).

٦- انظر: بحر العلوم (559/1)، الكشاف (100/2)، المحرر الوجيز (125/7).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (362/2)، تفسير البغوي (185/2).

فرعون ففزع منها فشاب رأسه فاستحيا فتخضَّب بالسواد، فأوَّل من خضب بالسواد فرعون[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[104]:**

وذلك أنَّه- ؑ- دخل على فرعون ومعه أخوه هارون بعثهما الله تعالى إليه بالرسالة، فقال موسى- ؑ-: يا فرعون إنِّي رسولٌ إليك من ربّ العالمين، فقال له فرعون: كذبت، فقال موسى- ؑ-:[2]

**﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ - قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[105-106]:**

معناه: جديرٌ بأن لا أقول على الله إلاَّ الحقَّ[3]، قال الفرَّاء: هذا كما تقول العرب: رميت على القوس وبالقوس، وجاءني فلانٌ على حال حسنةٍ، بحال حسنةٍ[4]، وفي قراءة نافع: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ بتشديد الياء[5]، أي: واجبٌ عليَّ أن لا أقول على الله إلاَّ الحقّ[6]، وقوله تعالى: ﴿جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: برهانٌ وحجةٌ من ربّكم[7]، فأطلقْ بني إسرائيل من عقال التسخير، ولا تستعبدهم؛ لأحملهم

١- وهذه من الروايات الإسرائيلية التي امتلأت بها بعض كتب التفسير، وهذه الرواية من القسم الثالث من الإسرائيليات، وهو ما لا يصدّق ولا يكذّب.

انظر: بحر العلوم (559/1)، تفسير الماوردي (44/2)، البحر المحيط (357/4).

٢- انظر: بحر العلوم (559/1)، تفسير البغوي (185/2)، الكشاف (101/2).

٣- انظر: تفسير البغوي (185/2)، المحرر الوجيز (126/7)، البحر المحيط (356/4).

٤- انظر: معاني القرآن للفراء (386/1).

٥- انظر: البحر المحيط (256/4)، النشر (270/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (362/2)، بحر العلوم (559/1)، تفسير البغوي (185/2).

٧- وهي العصا، واليد البيضاء، كما يدلّ عليه السياق بعده، وقيل: هي التسع آيات المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ [النمل:12]. انظر: تفسير البغوي (185/2)، المحرر الوجيز (126/7)، البحر المحيط (357/4).

لأحملهم إلى الأرض المقدَّسة، وكان فرعون وقومه القبط يكلّفون بني إسرائيل الأعمال الشاقَّة؛ مثل عمل الطين، وبناء المنازل، وحمل الماء، والأمور التي يكلّف فيها المماليك[1]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ فمعناه: قال له فرعون: إن كنت جئت بعلامة لنبوَّتك فأت بها إن كنت من الصادقين في أنَّك رسولٌ من الله تعالى[2].

**قوله ﷻ: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ - وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [107-108]:**

معناه: كان جواب موسى- عليه السلام- لفرعون أن ألقى عصاه من يده، والفاء فاء الجواب[3]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ معناه: فصار ثعباناً بيّناً ليس فيه شكٌّ، ولا يشتبه على أحدٍ أنَّه ثعبان[4]، والثعبان الحية الصفراء الذكر الأشعر، أعظم الحيَّات لها عرفٌ كعرف الفرس[5]، وروي في الخبر أنَّها ملأت دار فرعون، ثمَّ فتحت فاها وأخذت قبَّة فرعون بين فكّيها، وتضرّع فرعون إلى موسى- عليه السلام- وهرب الناس واستغاثوا بموسى- عليه السلام-، فأخذها موسى- عليه السلام- فإذا هي عصى بيده كما كانت هي كما طرحها لها شعبتان، فجعل الناس يضحكون مما صنع موسى- عليه السلام-، فقال له فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال له: نعم، قال: ما هي؟ قال: يدي، فأراه إيَّاها، ثمَّ قال: يا فرعون ما هذه؟ قال: يدك، فأدخلها في جيبه ثمّ أخرجها من جيبه فإذا عليها نورٌ غلب نور الشمس يومئذٍ، ثمَّ أدخلها في جيبه فصارت كما كانت، وكان موسى- عليه السلام- شديد الأدمة، وكان إذا أخرج يده

---

١- انظر: بحر العلوم (559/1)، تفسير البغوي (185/2)، تفسير البيضاوي (341/4)، تفسير القرطبي (256/7).

٢- انظر: بحر العلوم (559/1)، الكشاف (101/2).

٣- وقد تكون فاء التعقيب الدالة على سرعة إظهار موسى لآيته من غير مهلةٍ. انظر: نظم الدرر (80/3).

٤- انظر: مجاز القرآن (225/1)، معاني القرآن للزجاج (363/2)، البحر المحيط (358/4).

٥- انظر: معاني القرآن للفراء (387/1)، تفسير البغوي (185/2)، تفسير البيضاوي (341/4).

ويقال: من تحت إبطه أضاءت للناظرين، لها ،شعاعٌ يغلب نورها نور الشمس، ثم أدخلها في جيبه صارت كما كانت[1]، ومعنى قوله: ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي يتعجّب ويتحيّر فيها الناظرون، ويقال: في هذا إخبار أنَّ ذلك بياضٌ كان الناس يحبون أن ينظروا إليه، لا كالبرص الذي يكرهونه[2].

قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن [ إِسْرَٰٓءِيلَ /ب]قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [109]:

معناه: قال الأشراف من قوم فرعون: إنَّ هذا لساحرٌ حاذقٌ بالسّحر، وقيل: إنَّهم إنَّما قالوا هذه المقالة تصديقاً لفرعون فإنَّه هو الذي قال أوَّلاً إنَّ هذا لساحرٌ عليمٌ، كما ذكره الله تعالى في سورة الشعراء[3].

قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[110]:

معناه: قال الملأ: يريد موسى –عليه السلام– أن يستميل قلوب بني إسرائيل إلى نفسه ويتقوّى بهم فيقتلكم ويخرجكم من بلدكم[4] ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي: تشيرون في أمره، كأنَّهم خاطبوا فرعون ومن بحضرته، ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ خطاباً لفرعون وحده، كما يقال للرئيس المطاع : ما تـرون في هذا، أي: ما ترى أنت وحدك[5]، ويقال: إنَّ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ مقالة فرعون لقومه[6].

---

١- انظر: بحر العلوم (559/1)، الكشاف (101/2-102).

٢- المصدرين السابقين.

٣- وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء:34]. انظر: معاني القرآن ل لزجاج (364/2)، بحر العلوم (559/1).

٤- انظر: تفسير البغوي (186/2)، تفسير ابن كثير (456/3).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (364/2)، زاد المسير (238/3)، البحر المحيط (359/4).

٦- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف:110] فيما يظهر هي من قيل الملأ؛ لاتصالها بما قبلها، و لم أقف على من جعلها من قيل فرعون .انظر:الكشاف(102/2)،البحر المحيط (358/4-

قوله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ - يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [112-111]:

معناه: قالوا لفرعون : احبسه وأخاه [1]، أي : أخّر أمرهما ولا تعجل بقتلهما فتكون عجلتك حجة عليك [2]، وقرأ بعضهم : ﴿أَرْجِئْهُ﴾ بالهمزة[3]، ويقال : رجأ وأرجأ إذا أخّر الأمر [4]، ويقرأ : ﴿أُرجِئْهُو﴾-بالهمزة والضم مشبعاً [5]-، ويقرأ : ﴿أَرۡجِهۡ﴾ بإسكان الهاء بغير همز [6]، وأكثر أهل النحو على أنّ هاء الإضمار لا يجوز إسكانها[7]، وجوّزه بعضهم [8]، ويحتمل أن يكون معنى : أرجه وأرجئه اجعله على رجاء أ ن تصدق به [9]، وقوله تعالى : ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ معناه: ابعث الشرط في المدائن حولك يحشرون السحرة إليك، فإنّك إذا أرسلت إليهم أتى كلّ

---

359).

١- وأصله من الإرجاء، وهو التأخير، وفسّره بالحبس قتادة، والكلبي، والحبس داخلٌ في التأخير. انظر : بحر العلوم (559/1)، تفسير الماوردي (44/2).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (365/2)، بحر العلوم (559/1).

٣- وهي قراءة أبي عمرو، ويعقوب. انظر: الموضح (543/2)، البحر المحيط (359/4)، الدر المصون (409/5).

٤- انظر: الموضح (543/2).

٥- أي: بواو بعد هاء الضمير. وهي قراءة ابن كثير، وهشام عن ابن عامر. انظر: البحر المحيط (359/4)، الدر المصون (409/5).

٦- وهي قراءة عاصم، وحمزة. المصدرين السابقين.

٧- وهذا مذهب جماهير النحاة؛ كما أشار إليه الز جاج، وأبو البقاء. انظر: معاني القرآن للزجاج (365/2)، التبيان (272/1).

٨- وممّن جوّز ذلك الفراء، وذكر شواهد عليه، إلاّ أنّ الزجاج ضعّف استشهاداته، والمعوّل هنا على الرواية، فالقراءة سنّةٌ متّبعةٌ، والنحو يُفترض أن يكون تابعاً لها. انظر: معاني القرآن للفراء (388/1)، معاني القرآن للزجاج (365/2-366).

٩- وعليه يكون معنى أرجئه وأرجه: أطمعه. انظر: المحرر الوجيز (129/7)، البحر المحيط (359/4).

ساحرٍ حاذقٍ بالسحر [1]، ومن قرأ ﴿سَحَّارٍ﴾[2] فعلى جهة المبالغة في السحر [3]، والسحر في اللغة: لطف الحيلة في إظهار الأعجوبة، وأصل ذلك من خفاء الأ مر [4]، ومن ذلك سمي آخر الليل سحراً؛ لخفاء الشخص ببقاء ظلمته، والسَّحْرُ: الرئة تسمى بذلك؛ لخفاء أمرها بانتفاخها تارةً وضمورها تارةً [5].

**قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ - قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾[113-114]:**

معناه: فأرسل فرعون من يحشر السحرة، فجاءوا إلى فرعون، ويقال: قد تسامع السحرة فجاءوا من دون أن جاءهم الشُّرَطُ [6]، قال عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كانوا سبعين ساحراً شباباً غير رئيسهم [7]، قال: وكان اللذان يعلّماهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا كلّهم اثنين وسبعين ساحراً [8]، وقال محمد ابن إسحاق [9]: خمسة عشر ألفاً مع كلّ واحدٍ منهم حبلٌ وعصا [1]، وقد قيل غير

---

١- انظر: بحر العلوم (559/1)، تفسير البغوي (186/2).

٢- وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف . انظر: إعراب النحاس (66/2)، الروضة (669/2)، البحر المحيط (360/4).

٣- انظر: الموضح (546/2)، البحر المحيط (360/4).

٤- انظر: لسان العرب (348/4).

٥- ومنه قيل للجبان: انتفخ سحره. إذا امتلأ جوفه خوفاً حتى انتفخ سحره-رئته-حتى رفع القلب إلى الحلقوم. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص400، لسان العرب (348/4).

٦- والمشهور أنّه بعث من يحشرهم، وهو الذي يقتضيه السياق، وهو قول الجماعة، كما عبّر عنه الماوردي في النكت. انظر: تفسير الماوردي (44/2)، المحرر الوجيز (130/7)، البحر المحيط (360/4)، تفسير القرطبي (258/7).

٧- وقد روي عن الكلبي كذلك. انظر: تفسير البغوي (186/2)، زاد المسير (204/3).

٨- وتعيين معلميهم مروي عن الكلبي، وقد روى أبو صالح عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- حصر عددهم باثنين وسبعين. انظر: المصدرين السابقين.

٩- هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي بالولاء، المدني، صاحب المغازي والسير، ومن كتبه

هذا القول[2]، والله أعلم بعددهم، غير أنَّ قوله تعالى : ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ يقتضي كثرتهم، ومبالغتهم في أمرهم [3]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ معناه:أئن لنا لأجراً على ما عملنا إن كنَّا نحن ال غالبين لموسى–الطَّيْلاً–؟ قال لهم فرعون: نعم لكم الجعل على ذلك، وإنَّكم لمن المقرَّبين عندي في المنزلة لأقربكم إلى نفسي[4]، والأصل في قوله تعالى : ﴿أَإِنَّ﴾ أن يقرأ بهمزتين، وهي القراءة المشهورة[5]، ومن قرأ ﴿أَيِن﴾ جعل الهمزة الثانية بالتخفيف[6]، ويقرأ: ﴿إِنَّ﴾ بهمزةٍ واحدٍ بغير ياءٍ[7].

**قوله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾[115]**:

معناه: قالت السحرة: يا موسى إمَّا أن تلقي ما معك من العصا، وإمَّا أن نلقي ما معنا من العصيّ والحبال قبلك؟[8].

**قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾[116]**:

---

أخذ ابن هشام سيرته المشهورة، كان مأموناً ثقةً في الحديث، توفي سنة : 150هـ، أو151هـ ببغداد .
انظر: مشاهير علماء الأمصار ص222، وفيات الأعيان (4/276-277)، شذرات الذهب (1/230).

١- انظر: زاد المسير (3/214)، تفسير القرطبي (7/258).

٢- كقول كعب إنَّهم كانوا اثني عشر ألفاً، وقول عطاء إنَّهم كانوا سبعين ألفاً، وقول ابن جريجٍ وعكرمةٍ تسعمائة، وقد أوصلها ابن الجوزي إلى ثلاثة عشر قولاً . انظر: زاد المسير (3/240-241)، تفسير القرطبي (7/258).

٣- انظر: المحرر الوجيز (7/132)، البحر المحيط (4/361).

٤- انظر: بحر العلوم (1/560)، تفسير ابن كثير (3/456)، فتح القدير (2/242).

٥- وهي قراءة ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وروح عن يعقوب، وخلف. انظر: النشر (1/372).

٦- بتسهيل الهمزة الثانية بين بين هنا قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب. انظر: النشر (1/370-372).

٧- وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي جعفر، وحفص عن عاصم. انظر: المصدر السابق.

٨- انظر: بحر العلوم (1/560)، تفسير البغوي (2/187).

معناه: قال لهم موسى- عليه السلام-: ألقوا ما معكم من الحبال والعصيّ، فلمَّا ألقوا حبالهم وعصيّهم أخذوا بها أعين الناس، واستدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناسُ، وجاءوا بسحرٍ عظيمٍ في أعين الناس، وإلاَّ فقد كان ما فعلوه في نفسه مخرقة [1] لا حقيقة له، وفي قوله تعالى : ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ ما يدلّ على ذلك، فإنّهم كانوا قد جعلوا فيها الزئبق بعد أن صوّروها بصورة الحيَّات، فلما أوقعوها في الشمس اضطربت باضطراب ما كان فيها من الزئبق؛ لأنَّه لا يستقرّ، ومتى زاد مكثه في الشمس زادت حركتَه فخيّل إلى موسى- عليه السلام- أنَّ حبالَهم وعصيّهم حياتٌ على الحقيقة، كما كانت عصى موسى- عليه السلام-، ولو صارت تلك الحبال والعصي حيّات على الحقيقة لم يقل الله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، بل كان يقول: فلما ألقوا صارت حيات [2]، فإن قال قائلٌ: من أين يجوز من موسى- عليه السلام- أن يأمرهم بالإلقاء، وكان إلقاءهم وإرادهم مغالبة موسى- عليه السلام- كفراً ولا يجوز على الأنبياء-صلوات الله عليهم- أن يأمروا بالكفر؟ قيل: معناه: ألقُوا إن كنتم محقّين على زعمكم، ويجوز أنَّه أمرهم بالإلقاء لتأكيد معجزته [3].

**قوله ﷻ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾[117]:**

معناه: وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك التي معك من يدك، فالقاها فإذا هي

---

١- المخرقة: التمويه.
انظر: لسان العرب (339/10).

٢- وكذا قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه:6]، يدلّ على أنَّها لم تكن تسعى حقيقةً.
انظر: معاني القرآن للزجاج (366/2)، بحر العلوم (560/1)، المحرر الوجيز (132/7)، تفسير ابن كثير (456/3-457)، تفسير القرطبي (259/7).

٣- إذ لا يتأكّد صدقها إلاَّ إذا عورضت وسلمت من المعارض. انظر: مفاتيح الغيب (202/14-203)، تفسير القرطبي (259/7)، فتح القدير (243/2).

حيةٌ تلقم وتبتلع ما كانوا يكذبون أنَّها حيَّاتٌ[1]، والإفك : الكذب [2]، ويقرأ [244/أ] ﴿تَلْقَفُ﴾ بجزم اللاَّم والتخفيف[3]، قال الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تزل تلْقَف ما يأفكه الساحر [4]

وعن عبد الله بن عباس أنَّه قال : لَمَّا كانت حيّةُ موسى-الطَّيْلا- أعظم من حيَّاتهم رَقَت السحرة فازدادت حيَّاتهم وحِبالهم عظماً في أعين الناسِ، فإذا عصا موسى-الطَّيْلا- تزداد عِظَماً وهم يرقون حتى أنفدوا سحرهم فلم يبق من سحرهم شيءٌ، فعظمت عصا موسى-الطَّيْلا- حتى سدَّت الأفق، ثمَّ فتحت فاها ثمانين ذراعاً فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيّهم ثمَّ أهوت فعلقت ذنبها برأس القبة التي فيها فرعون ، ثمَّ فتحت فاها لتبتلعه فصاح إلى موسى، فأخذها فإذا هي عصا كما كانت، ونظرت السحرة فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت[5]، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [118]:

معناه: ظهر لهم الحقُّ[6]، وبطل ما كانوا يعملون من السحر[7].

---

١- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير ابن كثير (457/3).

٢- وأصله: كلّ مصروف عن وجهه الذي يحقّ أن يكون عليه، ومنه الكذب. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص79، لسان العرب (390/10).

٣- وهي قراءة حفص عن عاصم. انظر: النشر (270/2).

٤- لم أقف على قائله، وهو في غير ما كتابٍ غير معزوٍ ، وقد ذكر الزجاج أنَّه أُنشد لأبي عبيدة . انظر : معاني القرآن للزجاج (366/2-367)، تفسير الماوردي (44/2)، تفسير القرطبي (260/7)، فتح القدير (243/2).

٥- وقد أورد نحوه ابن الجوزي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وأورده أبو الليث، وابن عطية، وأبو حيان، غير منسوبٍ إليه-ﷺ. انظر: بحر العلوم (561/1)، المحرر الوجيز (133/7)، زاد المسير (241/3)، البحر المحيط (364/4).

٦- وهو مرويٌ عن مجاهد، والحسن. انظر: تفسير الماوردي (45/2)، تفسير البغوي (188/2)، التفسير الصحيح (340/2).

٧- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير البغوي (188/2).

قوله ﷻ: ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[119]:

معناه: غلب موسى-عليه السلام-السحرة والقبط[1]، ورجعوا ذليلين، فقالت السحرة بعضهم لبعضٍ: ما هذا إلاَّ من الله ﷻ ولو كان سحراً لبقيت حبالنا وعصيّنا[2].

قوله ﷻ: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ -قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ -رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[120-122]:

قال عبد الله بن عباس: وذلك أنَّه لَّما سجد موسى وهارون-عليهما السلام- شكراً لله تعالى حين غلب الحقُّ الباطل ما تمالك السحرة أن خرُّوا سجداً لسجودهما[3]، قال: وقد كانوا في اللوح المحفوظ سعداء شهداء والله تعال ألقاهم للسجود[4]، وقال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنَّهم أُلقوا[5]، وقوله تعالى : ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، أي: قالوا: صدَّقنا بربِّ العالمين، قال عبد الله بن عباس: فقال لهم فرعون: إيَّاي تعنون؟ أراد أن يُلَبِّس على قومه، قالوا: ربِّ موسى وهارون، فبهت فرعون، وندم على ما سألهم، وظهر لجميع الناس أنَّهم لم يريدوا بسجودهم ومقالتهم فرعون، وإنَّما أرادوا الإيمان بموسى-عليه السلام-[6].

---

١- القبط: هم قوم فرعون، وفي اللسان : والقبط جبل بمصر، وقيل : هم أهل مصر . اهـ. لسان العرب (373/7).

٢- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير البغوي (188/2).

٣- وقيل: سجودهم كان إلهاماً من الله لهم، لطفاً بهم . والقولان أوردهما الماوردي في تفسيره بلا نسبةٍ، تفسير الماوردي (45/2) وكذا أبو حيان، البحر المحيط (364/4)، وإنَّما عبّر بالإلقاء؛ لأنَّ الحجة والبرهان الساطعين اضطراهم إلى السجود، وكأنَّما ألقاهم مُلقٍ. انظر: زاد المسير (242/3)، تفسير البيضاوي (346/4)، تفسير أبي السعود (189/2).

٤- ونحوه عن قتادة-رحمه الله وإيانا-. انظر: الكشاف (103/2)، البحر المحيط (364/4).

٥- ولم أجده في معانيه، وقد نقله عنه غير واحدٍ. انظر : بحر العلوم (561/1)، تفسير البغوي (188/2/2).

٦- لم أجده منسوباً إلى ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقد ذكره أبو الليث في تفسيره. انظر: بحر العلوم

قوله ﷻ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[123]:

معناه: قال فرعون للسحرة: أصدَّقتم بربِّ موسى وهارون قبل أن آذن لكم في الإيمان به[1]، إنَّ هذا لَشيء واطيتموه[2] على هذا؛ أن يدّعي هو النبوة، ثم تحشرون أنتم وتظهرون مخالفته في ابتداء الأمر حتى إذا غلبكم تظهرون موافقته بع د ذلك، وأراد فرعون بهذا القول أن يموَّه على الناس ليصرف وجوههم إلى نفسه [3]، ثم أوعد السحرة فقال: فسوف تعلمون ماذا ينزل بكم من النكال[4].

قوله ﷻ: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[124]:

معناه: قال لهم: لأقطِّعنَّ أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى من خلافٍ [5]، ثمَّ لأصلبَّنكم على جذوع النخل على شاطئ نهر مصر حتى تموتوا من الجوع والعطش والألم[6].

قوله ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[125]:

معناه: قال السحرة: لا نبالي بفعلك وعقوبتك فإنَّ مرجعنا إلى الله ﷻ يوم القيامة، وإنَّ الحياة وإن طالت فإنَّها تختم بالممات[7].

---

(561/1)، تفسير البغوي (188/2).

١- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير البغوي (188/2).

٢- من المواطأة، وهي: الاتفاق على الشيء، ولعلّه أبدل همزته ياءً.

٣- انظر: الكشاف (104/2)، تفسير البيضاوي (347/4)، البحر المحيط (365/4).

٤- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير القرطبي (261/7)، روح المعاني (27/9).

٥- ويحتمل العكس؛ لأنَّ القطع من خلافٍ يكون من كلّ شِقٍّ طرفاً . انظر: الكشاف (104/2)، تفسير القرطبي (261/7)، روح المعاني (27/9).

٦- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير البغوي (188/2).

٧- انظر: بحر العلوم (561/1)، تفسير البيضاوي (348/4)، فتح القدير (345/2).

قوله ﷻ: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[126]:

معناه: قالت السحرة: ما تعيب علينا ولا تنكر إلاَّ لأنَّا صدَّقنا بعلامات توحيد ربِّنا لَمَّا ظهر لنا أنَّ ذلك حقٌّ من الله تعالى[1]، ثمَّ أُلهموا الدعاء فقالوا : ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، أي: أصبب علينا صبراً يشتمل علينا[2]، ووفقنا للثبات على الإيمان إلى وقت الوفاة[3]، قال عبد الله بن عباسٍ: فأخذ فرعون السحرة فقطَّعهم ثمَّ صلبهم على شاطئ نهر مصر، وخلَّى سبيل موسى وهارون- عليهما السلام- و لم يعرض لهما، فقال الملأ من القبط : أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض[4] كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[127]:

معناه: وقال الأشراف من قوم فرعون : أتترك موسى وقومه من بني إسرائيل ليغيِّروا عليك دينك في أرض مصر، ويدعو الناس إلى مخالفتك فينقص بذلك أمرُك وملكُك[5]، وقوله تعالى : ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معناه: وليدعك موسى-عليه السلام- ولا يعبدك، ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها[6]، قال الحسن: كان فرعون يستعبد الناس ويعبد

١- انظر: بحر العلوم (561/1)، الكشاف (104/2)، تفسير القرطبي (261/7).

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (367/2)، الكشاف (104/2).

٣- انظر: الكشاف (104/2).

٤- وقتل فرعون للسحرة، وصلبهم، مرويٌّ عن الكلبي، و لم يقم دليلٌ على أنَّه أنفذ وعيده للسحرة، كما ذكر ذلك ابن عطية . انظر: تفسير البغوي (189/2)، المحرر الوجيز (135/7)، مفاتيح الغيب (210/14).

٥- انظر: بحر العلوم (562/1)، فتح القدير (246/2).

٦- انظر: بحر العلوم (562/1).

الأصنام بنفسه[1]، وقال السدي: كان يستعبد الناس ويعبد بنفسه ما استحسن من البقر، ومنه أخذ السامري عبادة البقر[2]، ويقال: كان فرعون صنع أصناماً صغاراً وأمر فرعون قومَه بعبادها، وقال : أنا ربُّ هذه الأصنام الأعلى، وهم أربابكم[3]، وفي قراءة ابن عباسٍ- رضي الله عنه- ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾[4]، أي: عبادتك[5]، قال: وكان يُعبَد ولا يَعبُد[6]، ومن قرأ: ﴿وَيَذَرُكَ﴾ بالرفع[7]، فهو عطفٌ على أتذر؛ المعنى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾ ويذرُك موسى، أي: أتطلق هذا له[8]، ويحتمل أن يكون إلاهتك تأنيث إلهك[9].

وأمَّا قوله تعالى : ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فمعناه: قال فرعون: سنعود إلى قتل أبنائهم، واستخدام نسائهم**[244/ب]**عقوبةً لهم كما كنَّا نفعل وقت ولادة موسى[10]،

١- انظر: تفسير الماوردي (46/2).

٢- ونحوه مروي عن سليمان التيمي. انظر: تفسير الماوردي (46/2)، المحرر الوجيز (138/7).

٣- وهذا القول منسوبٌ لابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والسدي. انظر: تفسير البغوي (189/2)، زاد المسير (244/3).

٤- وهي قراءةٌ شاذةٌ منسوبةٌ لابن مسعودٍ، وعليٍّ، وابن عباسٍ، وأنسٍ- رضي الله عنهم-. انظر : البحر المحيط (367/4)، الدر المصون (424/5).

٥- انظر: تفسير الماوردي (46/2)، تفسير البغوي (189/2).

٦- وقد نُسِب هذا القول له- رضي الله عنه-، وللسدي كذلك. انظر: معاني القرآن للفراء (391/1)، تفسير الماوردي (46/2)، الدر المصون (424/5)، الدر المنثور (502/6).

٧- وهي قراءة نعيم بن ميسرة، والحسن في رواية عنه. انظر: البحر المحيط (367/4)، الدر المصون (424/5).

٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (367/2)، البحر المحيط (367/4)، الدر المصون (423/5).

٩- على ما ورد من أنَّه كان يعبد الشمس.

انظر: تفسير الماوردي (46/2)، البحر المحيط (367/4)، الدر المصون (424/5).

١٠- وجماهير المفسّرين على أنَّ استحياء النساء: تركهنَّ أحياءً.

وفسّره بعضهم بالاستخدام؛ لأنَّ فرعون وقومه كانوا يتركون نساء بني إسرائيل أحياء لأجل الخدمة .

وقيل: إنَّما قال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾؛ لأنَّه لَمَّا انقطع طمعه في تعذيب موسى- عليه السلام-؛ لما رأى من علوّ أمره، وعِظَم شأنه عدل إلى قتل الأبناء قصداً منه إلى قطع قوّة بني إسرائيل؛ لأنَّ العزّة والقوَّة إنَّما تكون في الأبناء دون النساء[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾، أي: مستعلون عليهم بالقوّة، فشكت بنو إسرائيل إلى موسى-عليه السلام-، فقال لهم موسى-عليه السلام- كما قال الله تعالى[2]:

**﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[128]**:

معناه: قال لهم موسى: استعينوا بالله في دفع بلاء فرعون عنكم، واصبروا على دينكم إنَّ الأرض التي أنتم فيها لله يسكنها من يشاء من عباده، فيورثكم هذه الأرض بعد هلاك فرعون وقومه، كما أورثها فرعون [3]، ومن قرأ : ﴿يُوَرِّثُهَا﴾ بالتشديد[4] فهو من باب التفعيل[5]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ معناه: آخر الأمر للذين يتقون الله تعالى[6]، ويقال: أراد بالعاقبة الجنة في الآخرة[7].

---

انظر: بحر العلوم (117/1)، تفسير الماوردي (47/2)، تفسير البغوي (189/2)، تفسير القرطبي (262/7).

١- ذكره الماوردي في تفسيره (46/2).

٢- انظر: بحر العلوم (562/1)، نظم الدرر (87/3).

٣- وأراد بذلك إهلاك فرعون وقومه، وتوريثها لبني إسرائيل.
انظر: الكشاف(105/2)،البحر المحيط (367/4).

٤- وهي قراءة الحسن، وهي عن حفص من طريقٍ غير متواترٍ . انظر: بحر العلوم (562/1)، البحر المحيط (367/4).

٥- وهو على معنى المبالغة. انظر: البحر المحيط (367/4)، الدر المصون (425/5).

٦- وعاقبة كلّ شيءٍ آخره، وإذا أضيفت لأحدٍ فهم منها في العرف الخير . انظر : تفسير القرطبي (263/7).

٧- انظر: تفسير البغوي (189/2)، تفسير القرطبي (263/7).

قوله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾[129]:

قال عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: وذلك لأنَّ فرعون عاد إلى قتل أبنائهم، وزاد في إتعابهم في العمل، كان يستعملهم قبل مجيء موسى- عليه السلام-بالرسالة في ضرب اللَّبِنِ، وبناء المدائن، وكان يعطيهم التبن، فلمَّا أتاهم موسى- عليه السلام- غضب وكلّفهم اللَّبِنَ والتبن من عندهم ؛ ليكون أ شدَّ عليهم، فقالت بنو إسرائيل: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا[1]، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾، معناه: لعلّ ربّكم يهلك عدوّكم فرعون وقومَه ويجعلكم سكّاناً في أرض مصر من بعدهم[2]، قال المفسِّرون: عسى: كلمة إطماعٍ وما يُطْمع الله فيه فهو واجبٌ؛ لأنَّ الكريم إذا أطمع ووعد وفى، فيصير كأنَّه أوجبه على نفسه[3].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ معناه: فيرى عملكم كيف تشكرون صنعه واقعاً منكم، لأنَّ الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه من خطاياهم التي علم أنَّهم عاملوها لا محالة؛ إنَّما يجازيهم على ما وقع منهم[4]، ويحتمل أن يكون يكون معنى النظر النعت على المنظور فيه؛ كأنَّه قال: ويستخلفكم في الأرض لكي

---

١- وهذا الذي ذكره المصنّف منسوبٌ إلى الكلبي وابن السائب، ولعلّه من رواية الكلبي عن ابن عابس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، ويحتمل أن يراد بالإيذاء هنا: تكليفهم العمل بلا أجرةٍ كما ذكر بعضهم، ويحتمل أيضاً أن يراد بالأذى قتل الأبناء، واستحياء النساء، وهو أوفق للسيا ق، واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (27/9)، بحر العلوم (563/1)، تفسير الماوردي (2/47-48)، تفسير البغوي (190/2)، زاد المسير (246/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (28/9)، تفسير البغوي (190/2).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (367/2)، تفسير الماوردي (48/2)، تفسير القرطبي (263/7).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (367/2)، زاد المسير (246/3)، تفسير القرطبي (263/7).

تعملوا بطاعة الله تعالى، فيكون حالكم مفارقة لحال القوم الذين صرفوا نعم الله تعالى في معاصيه[1]، وكما قال الله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد:31]، أي: ولنبلونَّكم حتى يجاهد المجاهدون منكم، وهو عالمٌ بذلك[2]، وإنَّما حمل النظر على أحد هذين التأويلين؛ لأنَّه لا شبهة في أنَّ الله تعالى لا يجوز عليه النظر الذي هو الفكر الذي يستفاد به العلم، ولا النظر الذي هو تقليب البصر، ولا النظر الذي هو الانتظار[3] [4].

**قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [130]:**

معناه: ولقد أخذنا آل فرعون وأهل دينه بالجوع عاماً بعامٍ إلى سبعة أعوامٍ[5]، وآل الرجل: خاصته الذي يؤول أمره إليهم وأمرهم إليه؛ ولهذا لا يقال : آل البلد، وإنَّما يقال: أهل البلد[6]، والسنون في كلام العرب : الجدوب، ويقال : مستهم

---

١- فعليه تكون الآية حثاً لهم على الطاعة، وتحذيراً لهم من العصيان.
انظر: البحر المحيط (368/4)، التحرير والتنوير (62/9).

٢- انظر: تفسير ابن كثير (322/7).

٣- وهذا الذي ذكره المصنّف منفي عن الله-ﷻ-؛ لما يلزم منه من اللوازم التي لا تليق بالله- ﷻ-؛ كالجهل، ومشابهة المخلوقين.
انظر: مفاتيح الغيب (213/14) ، تفسير ابن كثير (322/7).

٤- إلاَّ أنَّه يجب إثبات كلّ ما وصف الله تعالى به نفسه، ووصفه به رسوله-ﷺ- إثباتاً بلا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، وتنزيهاً بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ، كما يليق بجلاله وعظمته، على حدّ قوله عز من قائل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى11].

٥- وتفسير السنين بالجوع مرويٌّ عن مجاهد، وقتادة، وكل ما فسّرت به من قحطٍ أو جدبٍ يلزم منه الجوع، إلاَّ أنَّه لم يتضح لي وجه تحديد المصنّف لها بسبع سنين.
انظر: معاني القرآن للفراء (392/1)، تفسير الطبري (28/9-29)، تفسير الماوردي (48/2)، التفسير الصحيح (341/2).

٦- وذلك لأنَّ لفظ الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص كما في أهل فلانٍ تريد قرابته الأدنين،

السنة: أي: جدب السنة، وشدّة السنة[1]، وقوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يفيد بيان زيادةٍ في القحط؛ لأنَّ الثمار قوتٌ وغذاءٌ للناسِ[2]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ معناه: لكي يتّعظوا فيؤمنوا؛ فإنَّ أهوال الشدائد تُرقُّ القلب، وترغّب فيما عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:67]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[فصلت:51][3].

**قوله عَجَّلَ: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[131]:**

معناه: فإذا جاءهم الخصب والخير والرفاء في المعيشة قالوا: نحن أهلٌ لهذه الحسنة، وأحق بها[4]، ومن عادة بلادنا أن تأتي بالسعة والخصب[5].

وقولــه تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني الجدوبــة والقحط والبلاء والشدة[6] ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ أي: يتشاءموا بموسى وأصحابه[7]، فقالوا: أصابنا هذا البــلاء من شؤم

وكما في أهل البصرة، وأهل العلم، على جهة الاختصاص، وأمَّا الآل فخاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة، كما تقول: آل الرجل لقرابته وصحبته وأتباعه، ولا تقول آل البصرة، أو آل العلم. انظر: الصحاح (20/1)، الفروق اللغوية (ص508).

١- انظر: تفسير غريب القرآن ص171، تفسير الطبري (28/9)، معاني القرآن للزجاج (368/2).

٢- ويحتمل أن يكون القحط والجدب كان لبواديهم، ونقص الثمرات لحواضرهم، كما هو قول قتادة. انظر: تفسير الطبري (29/9).

٣- انظر: تفسير الطبري (28/9)، معاني القرآن للزجاج (368/2).

٤- انظر: تفسير الطبري (29/9)، معاني القرآن للزجاج (368/2).

٥- انظر: تفسير غريب القرآن ص171، تأويل مشكل القرآن ص391، تفسير البغوي (190/4).

٦- انظر: تفسير الطبري (29/9)، بحر العلوم (563/1).

٧- انظر: تأويل مشكل القرآن ص391، تفسير الطبري (29/9)، معاني القرآن للزجاج (368/2).

هؤلاء، والطيرة في اللغة: الشأمة[1]، كما روي في الخبر أنَّ النبي ﷺ (كان يحبّ الفأل ويكره الطيرة)[2]، والأصل في هذا أنَّ العرب كانوا يزجرون الطير يتفاءلون به، فإذا جاءهم طائرٌ من جهة اليمين، وهو السانح تبركوا به، وإن جاءهم من جهة الشمال وهو البارح تشاءموا به[3]، ثمَّ كثُر قولهم في الطيرة حتى استعملوه في كلِّ ما تشاءموا تشاءموا به[4]، قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ جوابٌ من الله تعالى إليهم معناه : إنَّ الذي أصابهم من الخصب والشدة كلّ ذلك من عند الله [5]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الذي أصابهم من عند الله تعالى، ويقال : معناه : إلا إنَّما الشؤم الذي[245/أ] يلحقهم هو الذي وُعِدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا؛ فإنَّ القحط الذي هم فيه قليلٌ في جنب عقوبة الآخرة[6].

**قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[132]:**

قال الخليل وغيرُه من أهل اللغة : الأصل في ﴿مَهۡمَا﴾ «ماما» أبدلت الألف الأولى هاءً لتخفيف اللَّفظ، و«ما» الأولى للجزاء والثانية زيادة لتأكيد الجزاء كما زيدت في قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾ [الأنفال :57]، ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾

---

١- وقد يستعمل في التفاؤل بالخير. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص528، لسان العرب (508/4).
٢- أخرجه ابن ماجه في السنن، في كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، رقم : (3536)، بلفظٍ كلفظ المصنّف، إلاَّ أنَّ فيه وصف الفأل بالحسن. والمتفق عليه حديث أنسٍ- ﷺ-: (أنَّه كان-ﷺ-يعجبه الفأل الحسن) كما في تلخيص الحبير رقم: (727). وحديث ابن ماجه صححه الألباني في: صحيح ابن ماجه رقم: (3526).
٣- انظر: تفسير الماوردي (49/2)، زاد المسير (247/3-248).
٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (368/2).
٥- وهذا مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- واختاره جماعةٌ من المفسّرين. انظر: تأويل مشكل القرآن ص391، تفسير الطبري (30/9)، تفسير الماوردي (49/2)، تفسير البغوي (190/2).
٦- وهذا معنى قول الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (369/2).

[الإسراء:28][1]، وكما يقال: متى ما[2]، وقال بعضهم: معنى مهما : مه، أي : اكفف، ثمَّ قال: ما تأتنا به بمعنى الشرط، أي: ما تأتنا به يا موسى من علام ة لتسحرنا بها[3]، أي: لتوهمنا أنَّها حقٌّ فما نحن لك بمصدّقين فيما جئتنا به، وكان موسى-عليه السلام-رجلاً حديداً[4]، فدعى عند ذلك، فأرسل الله تعالى عليهم الطوفان كما قال تعالى:

**﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [133]**:

قال الأخفش: الطوفان جمع طوفانة[5]، وقد اختلفوا في تفسير الطوفان، قال مجاهد: هو موتٌ غالبٌ شاع فيهم[6]، والأظهر ما روي عن ا بن عباسٍ أنَّه قال: هو المطر الدائم[7]، أرسل الله عليهم المطر ليلاً ونهاراً من السبت إلى السبت حتى خربت أبنيتهم، وانقطعت السبل، وكاد يصير المطر بحراً، فخافوا الغرق فاستغاثوا بموسى-

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (369/2)، إعراب النحاس (68/2)، بحر العلوم (563/1-564)، الكشاف (106/2).

٢- وهذا المعنى لـ"مهما" يجعلها ظرفاً للزمان، وقد أنكر ذلك جماعةٌ كالزمخشري، وشنّع على القائل به . انظر: الكشاف (107/2) ، البحر المحيط (371/4).

٣- وهذا القول حكاه الزجاج، ولم يضعّفه . انظر: معاني القرآن للزجاج (369/2)، إعراب النحاس (68/2)، المحرر الوجيز (41/7).

٤- لعلّ الأولى تجنب مثل هذه العبارات تأدباً مع أنبياء الله عليهم السلام.

٥- انظر: معاني القرآن للأخفش (531/2).

٦- وهو مرويٌ عن عائشة-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- مرفوعاً، وكذا روي عن عطاء، وعبد الله بن كثير . انظر : تفسير الطبري (31/9)، تفسير الماوردي (49/2).

٧- وقد روي عن جماعةٍ منهم: سعيد بن جبير، ومالك، والضحاك، واختاره الفراء، وابن قتيبة . انظر : تفسير غريب القرآن ص171، تفسير الطبري (30/9-31)، تفسير الماوردي (49/2)، زاد المسير (248/3).

عليه السلام-،وقالوا: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فكشف الله عنهم وأرسل الريح فجفَّفت الأرض، وخرج من النبات ما لم يروا مثله، فقالوا: هذا الذي كنا جزعنا منه كان خيراً لنا و لم نشعر، فلا والله لا نؤمن لك يا موسى ولا نرسل معك بني إسرائيل، فنكثوا العهد، وعصوا ربَّهم، وأقاموا على كفرهم،[1] فأرسل الله عليهم الجراد، وغشى مصر منه أمرٌ عظيمٌ حال بينهم وبين السماء، وغطَّى الشمس، وقع على الأرض بعضه على بعضٍ ذراعاً يأكل كلّ شيء أنبتت الأرض، فصرخ أهل مصر وقالوا : ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف:49] يعنون بالساحر العالم، يعظِّمونه، فدعا موسى- عليه السلام-ربَّه- جل جلاله-بعد سبعة أيَّامٍ من الجراد، فأرسل الله تعالى ريحاً فاحتملت الجراد فألقته في البحر، فلم يبق في أرض مصر جرادةٌ واحدةٌ، فنظر أهل مصر فإذا قد بقي لهم بقيةٌ من كلأهم وزرعهم ما يكفيهم عامهم ذلك، فقالوا : قد بقي لنا ما فيه بُلْغتُنا هذه السنة، فلا والله يا موسى لن نؤمن لك ولا نرسل معك بني إسرائيل[2]، ثمَّ أرسل الله -عز وجل- عليهم القمَّل، وهو الدبى، وهو صغار الجراد التي لا أجنحة لها[3]، ويقال: هو سوس الحنطة[4]، ويقال هي [الحميّات][5]، وهو ضربٌ من صغار القردان[1]،

---

١- وقد نسب هذا الأثر لجماعةٍ كابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وسعيد بن جبير، وقتادة، ومحمد بن إسحاق. انظر: معاني القرآن للفراء (392/1) ، تفسير البغوي (191/2).

٢- انظر: بحر العلوم (564/1)، تفسير البغوي (190/2-191).

٣- وتفسير القمل بالدبى مروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقتادة، والسدي، واختاره الفراء . انظر: معاني القرآن للفراء (392/1)، تفسير الطبري (32/9-33)، التفسير الصحيح (343/2).

٤- وهذا القول رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقال به، والأوَّل أصحّ إسناداً عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (32/9)، زاد المسير (349/3).

٥- هكذا كتبت في المخطوط [الحميّات] بياء مشدّدةٍ ممدودةٍ بعدها تاءٌ، والمنقول : الحمنان بحاء مفتوحة بعدها ميم ساكنة تليها نون ممدودة، بعدها نون . واحدها: حَمْنانة، وهو قول أبي عبيدة. انظر: مجاز القرآن (226/1)، زاد المسير (249/3).

فمكث سبتاً إلى سبتٍ فلم يبق في أرضهم عود أخضر إلاَّ أكلته، فصاحوا إلى موسى –عليه السلام– فقالوا: هذه المرة ادع لنا ربَّك، نعطيك عهداً ومواثيق لنؤمننَّ لك، فدعا موسى –عليه السلام– ربَّه جلَّ وعزّ، فأرسل الله تعالى ريحاً حارَّةً فلم يبق منه شيءٌ حيٌّ، ثمَّ احتملته الريح فألقته في البحر، قال لهم موسى– عليه السلام–: أرسلوا معي بني إسرائيل، قالوا: وما عسى ربُّك أن يفعل بنا شيئاً، وقد أهلك الله كلَّ شيءٍ من نبات هذه السنة، فعلى أي شيءٍ نؤمن بك اذهب فما استطعت أن تضرنا فضرنا [2]، فدعا موسى –عليه السلام– عليهم، فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع خرجت من البحر مثل الليل الدامس، فغشى أهل مصر، ووقع على فرشهم وثيابهم، حتى كان الرجل منهم يستيقظ و على فراشه من الضفادع ذراعٌ بعضه على بعضٍ، وكان لا يسمع بعضهم كلام بعضٍ من كثرة صوت الضفادع، فكانوا إذا قتلوا واحداً أنتن ما حوله حتى كان لا يمكنه الصبر على ذلك، فضاقت الأرض عليهم، وقالوا : يا موسى نحلف لك لئن رفعت عنا [هذا][3] الضفادع لنؤمننَّ لك، فدعا موسى –عليه السلام– فأمات الله تعالى الضفادع، ثمَّ أرسل المطر حتى احتمل الضفادع فنبذها في البحر، فقال لهم موسى– عليه السلام–: ويحكم إلى متى تُسخطون عليكم ربَّكم؟ أرسلوا معي بني إسرائيل، قالوا : نعم أخرج بهم ولا تخرج بمواشيهم وأموالهم، فقال موسى– عليه السلام–: إنَّ الله أمرني أن أخرج بهم وبأموالهم، فقالوا: إذاً لا نرسلهم معك[4]، فأرسل الله تعالى عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُبُهم[5] دماً، وبنو إسرائيل في الماء العذب الطيب، وكان الإسرائيلي يستقي ماءً عذباً صافياً، فإذا أخذه القبطي تحوَّل دماً، وكانت القبطية

---

١- واحدها قراد كغراب، وهي دويبة تعض الإبل. انظر: لسان العرب (348/3).

٢- انظر: بحر العلوم (564/1).

٣- هكذا كتبت في المخطوط، والإشارة بهذا للضفادع لحنٌ؛ إذ هو جمع لغير العاقل يشار إليه بهذه.

٤- انظر: بحر العلوم (564/1/1).

٥- لعلّه جمع قليب، وهو البئر، على وزن فُعُل بضمتين.

تقول للإسرائيلية: ويحك مجي الماء من فيك إلى فيّ، فكانت تمجُّ الماء من فيها في فم القبطية فكان يصير دماً في فم القبطية بعد أن كان ماءً في فم الإسرائيلية، فمكثوا على هذا سبتاً لا يشربون إلاَّ الدم حتى مات كثيرٌ منهم [(1)]، فقال فرعون : أقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا الرجز يعني الدم [(2)] لنؤمننَّ لك، فدعا موسى-عليه السلام-فأذهب الله تعالى عنهم الدم، فعذب ماؤهم، فعادوا إلى كفرهم، إلى أن كان من أمر الغرق ما كان [(3)]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ فمعناه **[245/ب]** دلالات واضحات، بعضها منفصلٌ من بعضٍ [(4)]، كلّ آية منها من السبت إلى السبت، وبين كلّ آيتين شهرٌ، هكذا روي عن ابن جريجٍ [(5)]، وقوله تعالى: تعالى: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ معناه: تكبّروا، وتعظّموا عن الإيمان بموسى- عليه السلام-، ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ أي: مصرّين مقيمين على كفرهم [(6)].

**﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ- فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [134-135]:**

١- انظر: بحر العلوم (564/1)، تفسير البغوي (191/2-192).

٢- وتفسير الرِّجز بالعذاب أولى، وأعم؛ لأنَّ الدم نوع من أنواع العذاب، وهم قد أصابهم أكثر من عذاب. انظر: تأويل مشكل القرآن ص471، تفسير الطبري (40/9)، معاني القرآن ل لزجاج (370/2).

٣- والقصة كاملةٌ في تفسير الطبري (34/9-39)، بحر العلوم (564/1-656)، تفسير البغوي (191/2-193).

٤- انظر: تفسير غريب القرآن ص171، تفسير الطبري (40/9).

٥- انظر: تفسير الطبري (40/9)، بحر العلوم (546/1)، تفسير الماوردي (50/2)، زاد المسير (251/3).

٦- انظر: تفسير الطبري (40/9)، بحر العلوم (565/1).

معناه: ولَمَّا وقع عليهم العذاب الذي تقدَّم ذكره قالوا: يا موسى سل لنا ربَّك بما تقدَّم به إليك أنَّه يجيب دعاءك إذا دعـوته كما أجاب دعاءك في إنزال هذه الآيات[1]، وقوله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ معناه: لئن رفعت عنا هذا العذاب لنصدِّقنَّك ولنطلقنَّ بني إسرائيل من التسخير في الأعمال الشاقة[2]، ويقال معناه: لنتركنَّهم حتى تذهب بهم إلى الأرض المقدَّسة[3]، وكانوا يقولون هذا القول كلَّما اضطروا إلى رفع العذاب فإذا رفع عنهم عادوا إلى كفرهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ أي العذاب، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ وهو الوقت الذي علم الله تعالى من حالهم أنَّ صلاحهم أ و صـلاح غيرهم ببقائهم إلى ذلك الوقت[4]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ معناه: أنَّهم جاءوا بنكث العهد في موضع موضع الوفاء بالعهد، و «إذا» في هذا الموضع للمفاجأة[5]، وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، يقال: ناقةٌ رجزاء إذا كانت ترتعد فرائصها[6]، ومن هذا رجز الشعر؛ لأنَّه أقصر أبيات الشعر بالانتقال من بيتٍ إلى بيتٍ[7]، وزعم الخليل أنَّ الرجز الرجز إنَّما هو أنصاف بيت وأثلاث بيت، ألا ترى إلى ما روي أنَّ النبي ﷺ قال: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[8]، فلو كان شعراً لم يقل، كما روي عنه ﷺ

---

١- انظر: تفسير الماوردي (51/2)، زاد المسير (252/3).

٢- وهذا القول ذكره جماعةٌ منهم الزجاج، والقرطبي. انظر: معاني القرآن للزجاج (370/2-371)، تفسير القرطبي (271/7).

٣- وهذا القول يوافق ما أشار إليه الطبري في تفسيره للإرسال هنا، وأنَّ المراد به تخلية بني إسرائيل وعدم منعهم من الذهاب حيث شاؤوا. انظر: تفسير الطبري (41/9).

٤- انظر: الكشاف (109/2)، المحرر الوجيز (145/7)، تفسير البيضاوي (357/4).

٥- انظر: الكشاف (109/2)، تفسير البيضاوي (356/4-367).

٦- انظر: تهذيب اللغة (610/10)، لسان العرب (348/4).

٧- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 341.

٨- وهذا جزء من حديثٍ مشهورٍ يصف ثبات النبي- ﷺ-يوم حنين على بغلته البيضاء، أخرجه جمعٌ لا

ﷺ أنَّه قال: (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأخبار )[1]، وإنَّما هو ويأتيك بالأخبار من لم تزود[2] [3].

قوله ﷻ: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [136]:

روي عن عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّه قال: وذلك أنَّ الله تعالى أمر موسى-عليه السلام- أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً ، فاستعار نسوةٌ من بني إسرائيل من نساء آل فرعون حليهنَّ وثيابهنَّ، وقلن: إنَّا لنا خروجاً إلى عيدنا، فخرج موسى- عليه السلام- ببني إسرائيل من أوَّل اللَّيل، وهم ستمائة ألفٍ من رجلٍ وامرأةٍ وصبيٍّ، فبلغ الخبرُ فرعون فركب ومعه ألف ألفٍ ومائتا ألفٍ، وفي عدد الفريقين أقاويل غير هذا القول، فأدركهم فرعون حين طلعت الشمس، وانتهى موسى- عليه السلام- إلى البحر،

---

يحصون من أهل الحديث منهم: البخاري في صحيحه في عدّة مواطن، أحدها في كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم: (2709)، من حديث البراء بن عازب-رضي الله عنه-، كذا أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين رقم: (4715).

١- والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد،في الألفاظ، باب: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، من حديث عكرمة أنَّه سأل عائشة-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- هل سمعت رسول الله-ﷺ- يتمثّل شعراً قط؟ فقالت: أحياناً إذا دخل بيته يقول: (ويأتيك بالأخبار من لم تزود)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، وأمَّا لفظ المصنّف فلم أقف عليه، وقال الشيخ الألباني- رحمه الله-: فمما جاء في بعض كتب الأدب أنَّه-ﷺ- كسر هذا البيت فقال: من لم تزود بالأخبار، بدعوى أنَّ الشعر لم يجر على لسانه مما لا أصل له. اهــ. انظر: صحيح الأدب المفرد (ص322).

٢- وتمام البيت:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهو لطرفة بن العبد البكري من معلقته المشهورة التي مطلعها:

لخولــة أطــلال ببــرقة ثهمــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

انظر: الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد ص66.

٣- وكلام الخليل نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة. (612-611-610/10).

فضرب بعصاه البحر، فانفلق [اثني عشرة][1] طريقاً، وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً، فعبر كلُّ سبطٍ في طريقٍ، فأقبل فرعون ومن معه حتى انتهوا حيث عبر موسى-عليه السلام- فدخلوا في تلك الطرق على أثرهم، فلمَّا دخل آخرهم وهمَّ أوَّلهم أن يخرج، أمر الله تعالى البحر فغرَّقهم [2]، وسمع أصحاب موسى-عليه السلام- خفقة البحر بهم، فقالوا: ما هذا يا موسى؟ قال: غرق فرعون وقومه، فسألوا موسى أن يريهم الله تعالى إيَّاهم، فدعا موسى-عليه السلام- ربَّه فلفظهم البحر، ولفظ فرعون فنظروا إليه وإلى من معه، فلا يقبل الماء بعد ذلك غريقاً أبداً، ورجع موسى-عليه السلام- ببني إسرائيل فسكنوا أرض مصر، ومعنى هذه الآية: فانتقمنا منهم بالعذاب وأغرقناهم في اليم، وهو البحر بلسان العبرانية [3]، وقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ معناه: عاقبناهم بتكذيبهم بآياتنا، وهي الآيات التسع التي أ تاهم بها موسى-عليه السلام-: اليد، والعصا، والسنون، والنقص من الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم [4]، وقيل: إنَّ السنين ونقص الثمرات آيةٌ واحدةٌ، والآية التاسعة هي الطمس، وهي آخر الآيات التسع التي أتاهم بها موسى [5]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ معناه:

---

١- كتبت في المخطوط كما هو مثبت، ولعلّه خطأ نسخيٌّ؛ لأنَّ اثني عشر عددٌ يوافق المعدود في جزئيه، والمعدود هنا طريق، وهو مذكّر؛ فالمفترض بالعدد أن يكون هنا اثني عشر، لا اثني عشرة.

٢- انظر: بحر العلوم (565/1).

٣- وهذا القول ذكره أبو الليث، وذكر ابن قتيبة أنَّ أصله: البحر بالسريانية، وذكر الزجاج أنَّه البحر ثمّ قال: وكذلك هو في الكُتب الأُوَّل. يعني غير القرآن كالتوراة والإنجيل، إشارة إلى أنَّ أصله ليس بعربي. والله تعالى أعلم. انظر: معاني القرآن للزجاج (371/2)، بحر العلوم (565/1)، زاد المسير (252/3).

٤- انظر: تفسير الطبري (42/9)، بحر العلوم (565/1).

٥- وهي المذكورة في سورة يونس في دعاء موسى-عليه السلام-على قومه: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس:88]، وذكر بعض المفسرين كقتادة، والضحاك، أنَّ زروعهم وثمارهم وأموالهم صارت كالحجارة المنقوشة، وقد ذكر السدي أنَّها إحدى الآيات التسع. انظر: تفسير الماوردي (197/2)،

إلاَّ عاقبناهم لتعرَّضهم لأسباب الغفلة؛ لأنَّ الغفلة مما لا يجوز أن يُعاقبَ الإنسان عليه[1].

**قوله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [137]:**

معناه: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفونهم القِبط، وهم بنو إسرائيل مشارق الأرض التي كانوا فيها ومغاربها[2]، ويقال : أراد بهذه الأرض المقدَّسة الأردن وفلسطين، باركها الله تعالى بكثرة المياه والأشجار والثمار[3]، قال عبد الله بن عباس: وذلك أنَّ المياه كلّها تخرج من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[4]، ويقال في معنى هذه: وأورثناهم مشارق الأرض ومغاربها كلَّها؛ وذلك أنَّ سليمان- عليه السلام- ملك الأرض كلَّها، وكذلك ذو القرنين، وكانا منهم[5]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ

---

تفسير البغوي (366/2)، تفسير القرطبي (374/8).

١- وذهب جماعةٌ منهم الطبري أنَّ الغفلة ليست عن الآيات، وإنَّما هي عن النقمة التي تضمّنها الفعل : انتقمنا، والأقرب جعلها متعلّقة بالآيات، ويكون معناها الإعراض عنها، وعدم التفكر فيها، والغفلة عما تضمّنته من الهدى والنجاة. انظر: تفسير الطبري (42/9)، معاني القرآن للزجاج (371/2)، تفسير البغوي (193/2)، المحرر الوجيز (146/7).

٢- وعليه فالأرض هنا هي مصر. وهذا القول استبعده الطبري، وقال: إنَّه خارجٌ عن أقوال أهل التأويل والعلم بالتفسير. انظر: تفسير الطبري (43/9)

٣- وهذا القول اختاره أبو الليث السمرقندي. انظر: بحر العلوم (565/1).

٤- وهو مرويٌّ عن أبي بن كعب-رضي الله عنه-وأبي العالية. انظر: تفسير ابن كثير (353/5).

٥- وهذا القول اختاره الزجاج، ونُسب لابن عيسى، وأكثر من ذكر هذا القول مثّل بداود وسليمان- عليهما السلام- على من ملك الأرض من بني إسرائيل، وأمَّا ذو القرنين فلم يظهر لي وجه نسبته لإسرائيل، وأشهر الأقوال في نسبته إلى اليونان، أو الرومان. والله أعلم. انظر: معاني القرآن للزجاج (371/2)، تفسير الماوردي (51/2-54)، المحرر الوجيز (146/7-147).

كَلِمَتُ لَنَا رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ معناه: تمت [246/أ] عدة ربِّك يعني قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص :5]، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] [الأعراف:129]، قال عبد الله بن عباس: فأهلك الله تعالى فرعون وقومه وأورثهم مصر، وأهلك حمالق ملك الشام وقومه وأورثهم الشام[2]، وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي: بصبرهم على دينهم أن يرجعوا إلى دين حمالق وقومه[3]، ويقال أراد بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ لَنَا رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ نعمة ربِّك، أي: وجبت لهم الحسنى يعني الجنة[4]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ فمعناه: أهلكنا ما كان يعمل فرعون وقومه من المكائد والمنازل، وما كانوا يبنون من البيوت والقصور والكروم والشجر[5]،

١- انظر: تفسير الطبري (44/9)، تفسير الماوردي (51/2-52)، زاد المسير (253/3)، غُرر التبيان ص262.

٢- وكانت الشام إذّاك تحت حكم العماليق، ولعلّ المذكور اسمه هنا ملكهم، وقد كان بنو إسرائيل أمروا بقتالهم فنكلوا فعاقبهم الله تعالى بالتيه، حتى قاتلهم يوشع بن نون، ودخل الأرض المقدّسة . انظر : تفسير ابن كثير (273/1، 80/3).

٣- ويحتمل أن يراد به صبرهم على أذى فرعون وقومه، والقولان بينهما وجه تداخلٍ؛ فإنّ صبرهم على الأذى الذي يزول عنهم بتركهم دينهم، واتباعهم فرعون هو صبرٌ على دينهم الذي شرعه موسى-عليه السلام-لهم. والله أعلم. انظر: بحر العلوم (566/1)، تفسير البغوي (194/2)، الكشاف (109/2-110).

٤- وهو منسوبٌ إلى الكلبي. انظر: بحر العلوم (566/1).

٥- والأولى قصر التدمير على ما كان يصنعه فرعون وقومه من العمارات، والمزارع. وأمَّا ذكر المكائد والمكر هنا، وجعل تدميرها بمعنى الإبطال فقد أشار إليه جماعةٌ كأبي الليث، وأبي حيان، والظاهر ضعفه، وأغلب المفسّرين على ما تقدَّم ذكره أوَّلاً. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري (44/9)، بحر العلوم (566/1)، تفسير البغوي (194/2)، الكشاف (110/2)، زاد المسير (253/3)، تفسير البيضاوي (358/4)، البحر المحيط (376/4)، تفسير ابن كثير (466/3).

ويستخدمون بني إسرائيل في بنائها ورفعها، وقيل: أراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ الأبنية التي بناها فرعون على شاطئ نهر مصر على طريق الناس [1]، وكان يدعو الناس إلى دينه، ويقول : ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف:51].

**قوله ﷻ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [138]:**

معناه: أمرنا بني إسرائيل بمجاوزة البحر وقدَّرنا ذلك لهم، ويسرناه عليهم حتى خلّفوا البحر وراءهم على سلامةٍ منهم [2]، وذلك من أعظم نعم الله تعالى عليهم، وقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ فيه بيان أنَّهم كانوا في غايةٍ من الجهل والعناد؛ فإنَّ الله تعالى خلَّصهم من عدوِّهم ونجَّاهم من الغرق، وانتهوا إلى قومٍ يواظبون على أصنامهم ويعبدونها [3]، وهم أهل الرقم، وأهل الرقم: أناسٌ كفروا بعد إبراهيم –عليه السلام– [4]، مرَّت بهم بنوا إسرائيل وهم قعودٌ حول أصنامهم، فقالوا : يا

---

١– وبهذا القول قال ابن عباس– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، ومجاهد، واختاره الطبري، والزجاج، وذهب جماعةٌ منهم: الحسن إلى أنَّ العرش هنا بمعنى الزرع . انظر: تفسير الطبري (44/9)، معاني القرآن للزجاج (371/2)، تفسير البغوي (194/2).

٢– ومجاوزتهم البحر كانت بوحي من الله–ﷻ– وأمرٌ منه كما في غير آيةٍ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:77]، ك ما ذكر بعض المفسّرين أنَّه يحتمل أن يكون ذلك اجتهاداً من موسى–عليه السلام– ليتخلّص من فرعون وقومه.
انظر: المحرر الوجيز (148/7).

٣– والعكوف من الملازمة والمواظبة، ومنه قيل للملازم للمسجد معتكف.
انظر: معاني القرآن للزجاج (371/2)، المحرر الوجيز (149/7).

٤– وقيل إنَّهم قومٌ لخم كانوا نزولاً بالرقة، وبه قال قتادة، وما ذكره المصنّف وارد في تنوير المقباس منسوباً لابن عباس–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–.
انظر: تفسير البغوي (194/2)، غرر التبيان ص262-263.

موسى اجعل لنا إلهاً نعبده كما لهم آلهةً يعبدونها، قال: إنَّكم قومٌ تجهلون صفات الله تعالى، وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه [1]، أي: لا تعرفون أنَّ الذي يتخذ إلهاً هو خالق الأجسام[2]، ثمَّ بيَّن أنَّ هؤلاء سيهلكون ويهلك ما يعبدونه فقال: كما قال الله تعالى:

**﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [139]:**

معناه: إنَّ هؤلاء مهلك ما هم فيه، وضلالٌ ما كانوا يعملون، معناه : يضمحلّ عملهم ويصير وبالاً عليهم[3]، والتبار في اللغة: الهلاك[4]، يقال: لكلّ إناءٍ مكسورٍ متبَّر، وكسارته التبر[5]، فإن قال قائل: هل كان هؤلاء القوم الذين قالوا لموسى- عليه السلام-: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ مشبهةً أم لا؟ قيل: يحتمل أنَّهم كانوا مشبهةً بأن اعتقدوا في صفات الله تعالى أنَّها مثل صفات خلقه؛ ولذلك قالوا لموسى- عليه السلام- مثل هذا القول، ويحتمل أنَّهم لم يكونوا مشبهة، ولكن طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها تقرباً إلى الله تعالى، كما حكى الله تعالى عن المشركين أنَّهم قالوا : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[6] [الزمر:3].

---

١- انظر: تفسير الطبري (45/9)، تفسير البغوي (194/2).

٢- وخالق كل شيءٍ وهو الله -عز وجل-. انظر: تفسير الطبري (45/9).

٣- انظر: تفسير الطبري (46/9)، بحر العلوم (566/1).

٤- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص162، غريب القرآن وتفسيره ص150، العمدة في غريب اللغة ص137، تحفة الأريب ص76.

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (371/2)، الكشاف (110/2).

٦- وهذا القول يضعّفه السياق؛ لأنَّهم قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ والإله هو المعبود. وقد ذكر بعض المفسّرين أنَّهم طلبوا إلهاً يشاهدونه تقيّداً منهم بالوهم، وكذا فإنَّ قوم موسى- عليه السلام-كفروا بالله-عز وجل-في غير ما حادثةٍ؛ كعبادتهم العجل، وقولهم لموسى- عليه السلام-: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[المائدة:24]،مما يدلّ دلالةً واضحةً على أنَّهم لا يرون هذا الإله الذي أنجاهم وأورثهم الأرض شيئاً، ولا يستحضرونه بوجهٍ. انظر: نظم الدرر (104/3).

قوله ﷿: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [140]:

معناه: قال لهم موسى: أسوى الله أطلب لكم ربّاً تعبدونه [1]، وهو فضّلكم على عالمي زمانكم من القبط وغيرهم، بعد ما كنتم مستعبدين أذلاَّء مقهورين [2].

قوله ﷿: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [141]:

معناه: واذكروا إذ أنجيناكم من آل فرعون يولونكم سوء العذاب [3]، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ من قرأ بالتخفيف [4] فهو الذبح، كانوا يذبحون أبناء بني إسرائيل، ومن قرأ بالتثقيل [5] والتشديد فعلى المبالغة [6]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي: يستبقون إناثكم الصغار للاستخدام [7]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فقد تقدَّم تفسيره وبالله التوفيق.

قوله ﷿: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ

---

١- انظر: تفسير الطبري (46/9)، معاني القرآن للزجاج (372/2).

٢- وتخصيص التفضيل بزمانهم مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-ومجاهد، وبه قال كبار المفسّرين. انظر: تفسير الطبري (46/9)، تفسير البغوي (194/2)، المحرر الوجيز (151/7).

٣- وتفسير يسومونكم بيُولُونكم اختيار أبي عبيدة، وأبي إسحاق الزجاج، من سمته خسفاً، أي: أوليته، وأصل السوم أن تجشّم إنساناً مشقّةً أو سوءاً أو ظلماً. انظر: مجاز القرآن (40/1)، غريب القرآن ص48، معاني القرآن للزجاج (372/2)، العمدة في غريب اللغة ص75، لسان العرب (314/2).

٤- وهي قراءة نافعٍ وحده من العشرة. انظر: النشر (271/2)، البحر المحيط (378/4).

٥- وهي قراءة العشرة غير نافعٍ. انظر: المصدرين السابقين.

٦- انظر: الموضح (550/2-551)، الدر المصون (424/5).

٧- حيث كان فرعون وقومه يستبقون إناث بني إسرائيل للاسترقاق والاستخدام، ولم يتضح لي وجه تخصيص الاستبقاء بالنساء الصغار؛ إذ هذه الآية عامةٌ في نساء بني إسرائيل، وكذا آية البقرة: [49]، وآية إبراهيم: [6]، ولم يرد في أيها تخصيص النساء المستبقيات بوصفٍ. انظر: تفسير الطبري (47/8)، بحر العلوم (566/1)، تفسير الماوردي (52/2).

لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [142]:

قال مجاهد وابن جريج: كان الله تعالى وعد موسى-عليه السلام- ليعطيه التوراة، وأمره أن يصوم ثلاثين ليلةً، يعني: شهر ذي القعدة، وعشراً من ذي الحجة[1]، كأنَّه قال : شهراً وعشرة أيامٍ، وقال بعضهم: أمر الله تعالى موسى-عليه السلام- إلى موضع وقَّته وبيَّنه له أن يعبده في ذلك الموضع ثلاثين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل؛ لِتنْزل عليه التوراة، فلما صام ثلاثين أنكر خَلوف فيه فاستاك بعود خرنوب[2] فقالت الملائكة: كنا نتنشق منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشرة أيامٍ بعد ذلك؛ ليعود ذلك الخلوف[3] فذلك قوله-عز وجل- ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾، وهو قوله تعالى تعالى في سورة البقرة[51]: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾، وهو قوله تعالى في سورة طه[80]: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ يعني بعد مضي الأربعين، فإن قال طاعنٌ في القرآن: أليس يكون هذا في حكم البداء أن يأمره الله تعالى بالثلاثين ثمَّ بالزيادة؟ قيل: قد بيَّنا فائدته، ويحتمل أنَّ الفائدة في أمرين ووعدين لتشديد المحنة على بني إسرائيل؛ لِيُعرف من الذي يوثق **[246/ب]** به ومن لا يوثق به، ويكون في ذلك ضربٌ من المصلحة لهم، أو للسبعين الذين كان اختارهم موسى- عليه السلام- للميقات ليسمعوا كلام الله تعالى[4]، وأمَّا قوله في هذه الآية : ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ معناه:

---

١- وهو مرويٌ عن مسروق، وابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الطبري (47/9)، تفسير الماوردي (53/2)، تفسير القرطبي (273/7).

٢- الخرنوب: شجر ينبت في جبال الشام له حبٌّ كحب الينبوت، وهو يابسٌ أسود النهاية. انظر: لسان العرب (351/1).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (372/2)، بحر العلوم (567/1)، الكشاف (111/2)، تفسير القرطبي (274/7-275).

٤- انظر: تفسير الماوردي (53/2)، مفاتيح الغيب (226/14).

تمَّ الوقت الذي أمره الله تعالى بالعبادة فيه أربعين ليلةً، فإن قيل: فما فائدة هذا الكلام وقد كان لا يخفى أنَّ الثلاثين والعشرة أربعين؟ قيل : فائدته البيان الذي لا يجوز معه توهم أتممنا الثلاثين بعشرة منها، كأنَّه كان عشرين من شهرٍ ثمَّ أتمَّ العشر من شهرٍ آخر، فصار جميع ذلك ثلاثين ليلةً [1]، وقوله: تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ﴾ معناه: قال لأخيه هارون قبل انطلاقه إلى الجبل الذي أمر بالعبادة فيه : قم في مقامي في قومي، وأصلح فيما بينهم، ولا تتّبع سبيل المفسدين منهم، ولا ترض بعملهم؛ وذلك أنَّ موسى-العَلِيْلا- كان يشاهد كثرة خلافهم حالاً بعد حالٍ، فأوصى أخاه هارون في أمرهم [2]، ومن قرأ: ﴿ هَٰرُونُ﴾ بالرفع [3] فمعناه: قال يا هارون [4]، فإن قيل: كيف جاز أن يخاطب موسى هارون-عليهما السلام- بهذا الخطاب وكان هارون نبياً، والأنبياء-صلوات الله عليهم- لا يخاطبون بهذا الخطاب؟ قيل : إنَّ الرسالة كانت لموسى-العَلِيْلا-على هارون-العَلِيْلا-وقومه؛ فلهذا حسن منه أن يخاطب هارون بهذا الخ طاب، وإن كان لا يحسن من هارون أن يخاطب موسى بهذا الخطاب [5].

---

١- وذلك كقولك: أتمت العشرة بدرهمين. على أنَّه لولا الدرهمان لما تمت عشرة، فجيء بالعدد مجموعاً لدفع التوهم. انظر: تفسير الماوردي (53/2)، مشكل إعراب القرآن (329/1)، زاد المسير (255/3)، تفسير القرطبي (275/7).

٢- وذلك بأن استخلفه عليهم في حياته، وذلك الاستخلاف في الحياة كالوكالة التي تنقضي بموت الموكَّل، أو عزله، ولا يقتضي تماديه في الوكالة بعد وفاة موكَّله. وبهذا يبطل ما اعتمدت عليه الإمامية في إثبات استخلاف علي-رضي الله عنه-بقوله-ﷺ-: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وقد استخلف موسى أخاه هارون بنصّ هذه الآية. انظر: المحرر الوجيز (153/7-154)، تفسير القرطبي (277/7).

٣- وهي قراءةٌ شاذّةٌ لم أجدها معزوة. انظر: معاني القرآن للزجاج (372/2)، إعراب النحاس (70/2)، البحر المحيط (379/4).

٤- بالبناء على الضم؛ لأنَّه منادى علم حكمه البناء على ما يرفع به. انظر: المصادر السابقة.

٥- و لم يتضح لي مراده بالخطاب الذي لا يحسن بموسى مخاطبته به، هل هو أمره له بالبقاء مع قومه، واستخلافه عليه؟ أم هو نداؤه له باسمه مجرداً على ما جاء في القراءة الشاذة؟ فإن كان الأوَّل فلا وجه

قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [143]:

معناه: لما انتهى موسى إلى المكان الذي وقّتناه له[1] وأمرناه بالمصير إليه بمدين[2]، والميقات قد يكون من جهة الزمان وقد يكون من جهة المكان؛ كمواقيت الإحرام[3]، وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ معناه: فكلمه من غير ترجمانٍ ولا سفيرٍ

---

لعدم جوازه؛ لأنَّ استخلافه له واعتماده عليه تشريفٌ له- ﷺ-وإن كان الثاني فلا مانع منه كذلك؛ لأنَّه ناداه باسمه وليس في ذلك ضيرٌ، وأمَّا قول المؤلّف: إنَّ موسى كان رسولا لهارون وقومه، فلم يظهر لي وجهه إلاَّ إن أراد به أنَّه كان لموسى فضلٌ في نبوّة هارون؛ إذ كان قد سأل الله- ﷻ- حينما أرسله لفرعون وقومه أن يشرك معه أخاه هارون ويجعله وزيراً له، فعلى يه يكون موسى كُلّف قبل هارون، وقد يكون مراد المصنّف أمر موسى لهارون بالإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين، ويخرَّج على أنَّ ذلك من باب التذكير والتنبيه. انظر: تفسير ابن كثير (468/3).

١- وجماهير المفسّرين على جعل الميقات هنا زمانياً، وبه قال الطبري، والزجاج، وا لبغوي، وأبو الليث، والزمخشري، وأبو حيان، والقرطبي، وقد جمع القاضي أبو محمد ابن عطية بين القولين فقال: ثمَّ أخبر تعالى عن موسى-ﷺ- أنَّه لما جاء إلى الموضع الذي حدّ له، وفي الوقت الذي عيّن له، وكلّمه ربّه قال تمنياً منه: أي رب أرني أنظر إليك. اهــ. انظر: تفسير الطبري (49/9)، معاني القرآن للزجاج (372/2)، بحر العلوم (567/1)، تفسير البغوي (195/2)، الكشاف (111/2)، المحرر الوجيز (154/7)، تفسير القرطبي (278/7)، البحر المحيط (380/4).

٢- وهي مدينة قوم شعيب، وهي تجاه تبوك على بحر القلزم، بينهما ست مراحل، وبها البئر التي استقى منها موسى لغنم شعيب. انظر: مراصد الاطلاع (1246/3).

٣- فمواقيت الحج الزمانية مثلاً هي: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة، والمكانية هي: ذو الحليفة، والجحفة، ويلملم، وقرن المنازل، وذات عرق، وهذا التفصيل من المؤلّف يقوّي ما سبق ذكره من كلام القاضي ابن عطية. والله تعالى أعلم.

كان بينهما[1]، لا كما كلَّم سائر الأنبياء-صلوات الله عليهم-على ألسنة الملائكة، و لم يذكر في هذه الآية في أي موضعٍ كلَّمه، وقد ذكر في آيةٍ أخرى أنَّه كلَّمه من الشجرة[2]، وجاء في الخبر أنَّه كلّمه في وقت إعطاء التوراة من الغمام [3]، قال ابن عباسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: انطلق موسى-الَتَلِيِّهِلاَ- إلى الجبل ومعه السبعون الذين اختارهم، فأمرهم أن ينتظروا في أسفل الجبل، وصعد موسى-الَتَلِيِّهِلاَ- وكلَّمه ربُّه، وكتب له في الألواح، وقرَّبه نجيّاً، فلمَّا سمع موسى-الَتَلِيِّهِلاَ- صرير القلم[4]، قال: ربِّ أرني أنظر إليك[5]، قال: لن تراني، ولكن انظر إلى أعظم جبلٍ بمدين، وهو جبل زبير[6]، فإن استقرَّ الجبل مكانه فسوف تراني، فلما تجلى: ظهر ربهللجبل يعني أظهر له من أمره ما شاء[7]، ويقال: ألقى عليه نوراً من الأنوار [8] جعله دكا [1]، أي:

---

١- وقد كلّمه -ﷻ- كلاما لا ككلام المخلوقين بأن أسمعه كلامه بلا واسطةٍ. انظر : المحرر الوجيز (154/7)، تفسير القرطبي (278/7).

٢- حيث قال- ﷻ-: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص:30].

٣- والمنقول أنَّ الله-ﷻ- كلّم موسى-الَتَلِيِّهِلاَ- من الغمام حينما ذهب مع السبعين لميقات الله- ﷻ-، ولكن هل في نفس الميقات أعطاه التوراة أم لا؟ وظاهر القرآن يفيد أنَّ ذهابه مع السبعين كان بعد أخذه ألواح التوراة. والله تعالى أعلم. انظر: تفسير النيسابوري (290/1).

٤- انظر: مفاتيح الغيب (134/14).

٥- وقد أشار المفسّرون لهذا المعنى عند تفسير قوله- ﷻ-: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[مريم:52]، حيث قال بعضهم : رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم، وهو منقولٌ عن الكلبي. انظر: بحر العلوم (326/2)، تفسير البغوي (198/3-199).

٦- انظر: بحر العلوم (567/1)، تفسير البغوي (196/2)، تفسير البيضاوي (366/4).

٧- وهذا قول ابن قتيبة في غريب القرآن، وقد قال الزجاج فيمن جعل التقدير هنا تجلى أمر ربّه: إنَّه أخطأ، ولا يعرف أهل اللغة ذلك. انظر: غريب القرآن ص172، معاني القرآن للزجاج (374/2)، بحر العلوم (567/1)، المحرر الوجيز (156/7).

٨- وقد ذكر نحو هذا القول عن الضحاك، وابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: بحر العلوم (567/1)،

كِسَراً: جبالاً صغاراً تقطّع الجبل من رهبة الله تعالى فصار ثماني فرق، أربع قطعٍ وقعن بمكة: ثور[2] وثبير[3] وحراء[4] وغار[5]، وأربع قطعٍ منها وقعن بالمدينة: أحد[6] وروق[7] ورضوى[8] ومهرس[9]، وقوله تعالى : ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي: مغشيّاً عليه[10]، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من غشيته، ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك من قولي ومن كلِّ سوء[11] ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من مسألتي الرؤية[12]، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وأنا أوّل

---

تفسير البغوي (197/2).

١- وبهذا وغيره من التأويلات تمسك المعتزلة لعدم تجويزهم رؤية الله- ﷻ-. انظر : المحرر الوجيز (156/7).

٢- جبلٌ بمكة فيه الغار الذي اختفى به النبي-ﷺ- في طريقه للهجرة. انظر: مراصد الاطلاع (302/1).

٣- ويسمى ثبير الأعرج، وهو جبلٌ بمكة. انظر: مراصد الاطلاع (292/1).

٤- وهو جبلٌ من جبال مكة على ثلاثة أميال.مراصد الاطلاع (388/1).

٥- و لم أجد جبلاً بهذا الاسم، والغار هو المغارة تكون في الجبل، ومنها بمكة: غار حراء الذي كان يتحنّث فيه النبي-ﷺ- قبل النبوة، وغار ثور، وبه اختفى-ﷺ-وصاحبه-رضي الله عنه- في طريق الهجرة. انظر: الأماكن (708/2)، مراصد الاطلاع (980/1).

٦- جبلٌ يقع شمالي المدينة مسافة ميلٍ تقريباً، وعنده وقعت المعركة الشهيرة في العام الثالث للهجرة . انظر: الأماكن (50/1)، معجم جبال الجزيرة (211/1).

٧- وقد كتب اسم الجبل هكذا وليس جبلاً بل هو موضعٌ في ناحية العراق من جهة البادية، ولعل المقصود: وَرِقان-بفتح الواو وكسر الراء-: وهو جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة . انظر: مراصد الاطلاع (641/2، 1434/3).

٨- جبلٌ بين مكة والمدينة قرب ينبع، على مسيرة يومٍ منها. انظر: مراصد الاطلاع (620/2).

٩- لم أقف عليه، إلاَّ أنَّ المهراس ماء بجبل أحدٍ . والمذكور في كتب التفسير أنَّه صار ست فرقٍ، وهي التي ذكرها المصنّف من دون غار ومهرس . انظر: تفسير البغوي (202/2)، تفسير الخطيب الشربيني (590/1)، مراصد الاطلاع (1338/3).

١٠- وقد أغرب من فسّر ﴿صَعِقاً﴾ بميتاً. انظر: غريب القرآن ص172، تفسير الطبري (52/8)، معاني القرآن للزجاج (373/2)، بحر العلوم (568/1)، رموز الكنوز (251/2).

١١- انظر: معاني القرآن للزجاج (373/2-374).

١٢- وقد روي عن مجاهد نحوُه، ويضعّفه أنَّ ذلك يستلزم كونها معصية والأنبياء معصومون . انظر: تفسير

المؤمنين من أهل هذا الزمان أنَّك لن ترى في الدنيا [1]، وقال الحسن والربيع بن أنس وابن زيد[2]: إنَّ موسى-ﷺ- سأل الله تعالى أن يريه نفسه ليراه ببصره من غير تشبيهٍ، فأجابه تعالى بما أجاب، قال الحسن: قال الله تعالى لموسى-ﷺ-: أعرض رؤيتي على الجبال فإن لم تحتملها مع عظمها وبقائها على مرِّ الدهر فأنت أيضاً لا تحتملها، قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي: أوحى ربُّه، قال: وما رأى نبيٌّ ربَّه قطّ، ولكن أوحى الله تعالى إلى الجبل: هل تطيق رؤيتي؟ فساح في الأرض وموسى-ﷺ- ينظر[3]، قال: ولم يكن فيما عهد الله تعالى إليه أنَّه لا يرى، ولم يكن ليسأل ما يعلم أنَّه لا يعطيه، وما لا يجوز في دينه، ومن هذا قيل: إنَّ في سؤال موسى-ﷺ- دليلُ جواز الرؤية على الله تعالى؛ لأنَّ الأنبياء- صلوات الله عليهم- عارفون بالله تعالى وبصفاته، ولا يجوز عليهم طلب المحال في صفات الله تعالى[4]، ولو كانت الرؤية مما يستحيل كونه، لم تقرن باستقرار الجبل، فإنَّ استقرار

---

القرطبي (279/7).

١- وهذا التفسير مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وعن أبي العالية، وأمَّا مسألة رؤية الله-ﷻ- في الدنيا يقظةً فهي جائزةٌ؛ لأنَّ موسى-ﷺ-سألها الله-ﷻ- وحاشاه-ﷺ- أن يسأل ما لا يجوز، إلاَّ أنَّها غير واقعةٍ؛ لأنَّ البشر لا يطيقون ذلك لضعفهم، بدليل اندكاك الجبل فكيف بابن آدم. انظر: تفسير الطبري (55/9)، معاني القرآن للزجاج (374/2)، الرد على المنطقيين (238/1)، تفسير القرطبي (279/7)، الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ ص48.

٢- هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، المدني، روى عن أبيه، ومحمد بن المنكدر، وأصْبغ، له: التفسير، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة: 182هـ. انظر: طبقات المفسرين (265/1)، شذرات الذهب (297/1).

٣- وهذا التأويل بعيدٌ؛ لأنَّ التجلي يدلّ على الظهور، ولا يدلّ على الوحي بحالٍ؛ إذ أنَّ الوحي هو الكلام الخفي، فالتضاد واضحٌ.
انظر: لسان العرب (379/15).

٤- ونحو هذا الكلام منقولٌ عن مهدي بن علي الطبري.
انظر: تفسير القرطبي (279/7)، الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف (113/2).

الجبل لا يستحيل في العقل[1]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لا يقتضي النفي بعد الموت[2]، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:95]، ثمَّ قال جلَّ ذكره: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[3] [الزخرف:77]، وقيل في معنى التجلي للجبل: إنَّه ظهور الربِّ بما أحدثه من الآيات لحاضري الجبل[4]، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:82]، أي: أهلها، وقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:29] أي: أهل السماء والأرض، وتجلى وجلَّى بمعنى واحدٍ كما يقال: حدَّث وتحدَّث، وصدَّق وتصدَّق، وكأنَّ الله تعالى جعل إظهار تلك الآيات لأهل الجبل تجلياً منه لهم من حيث أظهر ما عُرِفَ به أنَّ الله تعالى لا يُرَى في هذه الدنيا بهذه الأبصار الفانية[5]، وهذا كما يقال: تجلى لنا الرأي إذا عرفوه، ويقال: تجلّى فلانٌ لكذا **[247/أ]** وإن لم تكن ذاته عنده، كما قال الشاعر:

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وإن كان عن وقع الأسنة نائيا[6]

---

١- انظر: تفسير البيضاوي (365/4-366)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (365/4).

٢- انظر: بحر العلوم (567/1)، تفسير القرطبي (278/7).

٣- حيث نفى عنهم تمنّي الموت في الدنيا في الآية الأولى، وفي الثانية أثبت تمنّيهم الموت في الآخرة، والنفي كان بلن فيدلّ ذلك على أنَّ نفيها ليس على التأبيد.
وعلى القول بأنَّها للتأبيد تكون الأدلّة الأخرى المثبتة لرؤية أهل الإيمان ربّهم في الآخرة دالّة على أنَّ موسى-عليه السلام-يرى ربّه في الآخرة.
انظر: المحرر الوجيز (155/7).

٤- وهذا الوجه ذكره بعض المفسّرين بلا نسبةٍ، وفيه تأويلٌ لا يخفى، وبعدٌ عن الظاهر، وكذا فإنَّ نت ائج هذا التجلّي وقعت على الجبل نفسه لا على الحاضرين.
انظر: تفسير الماوردي (54/2).

٥- ونحو هذا منقولٌ عن الكعبي من المعتزلة، وردّه أبو حيان، وبنحوه قال القاضي عبد الجبار . انظر : متشابه القرآن (294/1)، البحر المحيط (382/4).

٦- لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

وقال بعضهم: معنى تجلى للجبل أبرز سبحانه من ملكوته ما تدكدك به الجبل [1]، روي في الخبر أنَّ الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل؛ لأنَّ أجسام الدنيا لا تحتمل آيات القيامة والأجسام العلوية؛ إذ من حكم الدنيا أن تفنى بآيات القيامة فلا تحتملها الدنيا [2]، وقرأ بعضهم: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ بالمدِّ والهمز [3]، أي: طار أعلى الجبل وبقي أسفله أرضاً دكاء [4]، والدكاء: واحدة الدكوات، وهي روابي روابي الأرض التي تكون ناشزةً عنها ولا تبلغ أن تكون جبلاً [5]، وناقة دكاء: إذا لم يكن لها سنا [6]، ويحتمل أن يكون معنى الدك دق الجبل في الأرض، يقال: دككت الشيء إذا دققته [7]، وذهب قتادة في قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ أي: خرَّ ميتاً مع السبعين ثمَّ أحياهم الله تعالى [8]، وقيل: إنَّ هذا بعيدٌ من القول؛ لأنَّ الله تعالى قال قال في موسى-‌عليه السلام-:﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ ولا يكاد يقال للميت: أفاق من موته [9]، وقال جلَّ ذكره في حديث السبعين: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:56]، ويحتمل أن تكون توبة موسى-عليه السلام-في قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ

---

١- انظر: تفسير الماوردي (54/2).

٢- وهذا الوجه كالذي سبقه من أوجه تأويلية فراراً من إثبات التجلّي لله-عز وجل-؛ لئلا يلزم منه تجسيمٌ، ولله درّ أبي حيان حين قال: والظاهر نسبة التجلي إليه تعالى على ما يليق. اهـ المراد منه. انظر: تفسير الماوردي (54/2)، البحر المحيط (383/4).

٣- وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. انظر: النشر (271/2)، البحر المحيط (383/4).

٤- انظر: الموضح (553/2)، الدر المصون (450/5).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (373/2)، الكشاف (114/2)، البحر المحيط (383/4).

٦- هكذا في المخطوط «سنا» بدون ميم، والمسطور في الكتب: الدكاء: هي الناقة التي لا سنام لها. انظر: معاني القرآن للأخفش (531/2)، تفسير البغوي (197/2)، المحرر الوجيز (157/7).

٧- انظر: معاني القرآن للزجاج (373/2)، تفسير البغوي (197/2).

٨- انظر: تفسير مقاتل (414/1)، تفسير الماوردي (55/2).

٩- وهذا ذكره الزجاج في معانيه (373/2).

إِلَيْكَ﴾ توبة عن المسألة قبل الإذن له في السؤال[1]، ويجوز أنَّه قال ذلك استعظاماً لمسألة الرؤية، ومن عادة الفضلاء إذا حدث بهم أمرٌ أن يجدِّدوا التوبة عن الذنوب الماضية[2]، وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ موسى- الطَيْكِلاً- لما أراد الخروج إلى الميقات واختار من قومه سبعين رجلاً حملهم مع نفسه إلى الميقات ليسمعوا كلام الله تعالى ويشهدوا له بذلك عند قومه كي لا يكذّبوه، قال له السبعون حين انتهوا إلى الميقات: إنَّ قومك كانوا قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً فاسأل الله تعالى ذلك، حتى يأتيك الجواب من عند الله تعالى فنشهد بذلك عند قومنا، فسأل الله تعالى موسى-الطَيْكِلاً- عن ذلك على جهة استخراج الجواب لقومه، فأجابه الله تعالى بما أجاب[3]، وقد كان الله تعالى أمر موسى- الطَيْكِلاً- أنَّ يسأله عن كلّ ما يسأله عنه قومه، حتى روي في الخبر أنَّ قوم موسى-الطَيْكِلاً- قالوا لموسى-الطَيْكِلاً-: أينام ربّك؟ فلما جاء موسى إلى الميقات لم يحسن أن يتفوَّه بهذه الكلمة هيبةً منه تعالى، قال الله تعالى لموسى-الطَيْكِلاً- ماذا سألك قومك؟ فقال: أنت أعلم، فأمره الله تعالى أن يأخذ قارورتين فيجعل في إحداهما ماءً وفي الأخرى دهناً ويمسكهما بيديه، ففعل موسى- الطَيْكِلاً- ذلك، فألقى الله تعالى عليه النوم فاصطكت إحدى يديه بالأخرى فسقطت القارورتان فانكسرتا، فقال الله تعالى له : قل لقومك إنِّي أمسك السماء والأرض بقدرتي فلو نمت لسقطتا كما سقط القارورتان[4].

---

١- انظر: متشابه القرآن (294/1)، تفسير الماوردي (55/2)، تفسير القرطبي (279/7).

٢- وهذا قريبٌ من قول من قال بأنَّ المعنى أنَّ من عادة المؤمنين أن يجددوا التوبة عند ظهور الآيات . وكذا قريبٌ من قول من قال: تبت إليك من قتل القبطي. انظر: تفسير الماوردي (55/2)، تفسير القرطبي (279/7)، البحر المحيط (384/4).

٣- وهذه الرواية أخذ بها القائلون بأنَّ سؤال موسى-الطَيْكِلاً- لم يكن لنفسه، وإنَّما كان لأجل أنَّ قومه سألوه طلبها. انظر: متشابه القرآن (297/1)، الكشاف (113/2)، مفاتيح الغيب (229/14).

٤- وقد أخرج هذا الأثر ابن أبي حاتمٍ بإسناده عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- برقم: (2580). انظر: تفسير ابن أبي حاتم (487/2)، تفسير ابن كثير (679/1).

والاعتراض على هذا أنَّ الله تعالى قال: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:153]، فأخبر جلّ ذكره بأنَّ الصاعقة قد أخذهم عقيب سؤالهم الرؤية كأنَّ ذلك كافيا في منع موسى- عليه السلام- أن يسأل عن قومه الرؤية بعد ذلك، ولو كان قصد موسى- عليه السلام- من سؤال الرؤية استخراج الجواب لقومه لحكى عنهم، و لم يسأل الرؤية لنفسه، ولو كانت الرؤية مما لا يجوز على الله تعالى لكان يجيب قومه ويجهِّلهم، ألا ترى أنَّهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنَّكم قومٌ تجهلون[1]، وذهب بعضهم إلى أنَّ موسى- عليه السلام- إنَّما سأل الله تعالى أن يريه آيةً من آيات القيامة يقع له عند رؤيتها المعرفة بذاته ضرورة لتزول معها خطرات الشيطان من الوسوسة والشبهة والشكوك، كأنَّه قال: ربِّ أرني آيةً أنظر إليك وأعرفك بها، قال: لن تراني، أي: لن تعرفني في الدنيا ضرورةً، ولكن انظر إلى الجبل فإن احتمل الجبل شيئاً من أنواع آيات القيامة فاعلم بأنَّك تحتمله، أو أنَّ الجبل مع عِظَمِه لا يحتمله فاعلم بأنَّك مع ضعفك لا تحتمله[2]، والاعتراض على هذا أنَّه ليس في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ بيان المرئي، فلمَّا قال: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ علم أنَّه إنَّما سأله أن يريه نفسه[3]، فلا يمكن أن تحمل هذه الآية على سؤال آية من آيات القيامة[4]؛ على أنَّ اليد البيضاء، وقلب

---

١- وهذا ردٌّ من المصنّف للقول بأنَّ موسى- عليه السلام- سأل الرؤية إجابة لسؤال قومه، وقد ذكره الماوردي في تفسيره (2/53-54).

٢- وهذا القول فيه تأويلٌ، وبعدٌ عن الظاهر، وهو احد الأقوال المنقولة عن المعتزلة في هذه المسألة. انظر: متشابه القرآن (1/294).

٣- لعلّ المقصود أنَّه ليس في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ﴾ بيان المطلوب رؤيته، فلما قال: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ دلّ ذلك دلالةً واضحةً على أنَّ المطلوب رؤيته هو ذات الله- عز وجل-.

٤- وهذا كذلك ردٌّ منه- رحمه الله- للقول بأنَّ موسى- عليه السلام- سأل رؤية آية من آيات يوم القيامة.

العصا حية، وفلق البحر، قد كانت بحيث تغنيه عن طلب آية من آيات القيامة، وفي الجملة أنَّ في كلٍّ واحدٍ من هذه التأويلات الثلاثة كلاماً كثيراً بين المتكلّمين، إلاَّ أنَّ التأويل الأوَّل هو الأصح[1]، وإليه ذهب أئمّتنا-رحمهم الله-.

**قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [144]:**

معناه: قال الله تعالى: يا موسى إنِّي اصطفيتك، أي: اتخذتك صفوةً برسالاتي التي أرسلتها إليك، بتكليمي معك من غير وحيٍ[2]، يعني اختصصتك**[247/ب]** على سائر الأنبياء-صلوات الله عليهم- بالجمع لك بين الرسالة والكلام[3]، ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾، أي: اعمل بما علّمتك من التوراة، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ لما أعطيتك وأكرمتك[4]، وفي الآية بيان تشريف موسى-عليه السلام- من حيث أنَّ الله تعالى هو الذي علّمه العلم، وأخذ الإنسان العلم من العالِم الكبير أشرف من أخذ الإنسان العلم ممن أخذ العلم من ذلك العالِم[5]، قال عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كان موسى-عليه السلام- سأل الرؤية يوم الخميس يوم عرفة فخرّ صعقاً يومئذٍ، وأعطي التوراة يوم النحر، يوم الجمعة لعشر من ذي الحجة[6].

**قوله ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ**

---

١- وهذا ترجيحٌ منه للقول بأنَّ موسى-عليه السلام- سأل الله-ﷻ-أن يريه ذاته العلية، وذلك ما يقتضيه لفظ الآية. والله تعالى أعلم.

٢- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/374-375).

٣- انظر: بحر العلوم (1/568).

٤- انظر: تفسير الطبري (9/56)، بحر العلوم (1/568).

٥- إشارة إلى تكليم الله -ﷻ- لموسى-عليه السلام- بلا واسطةٍ.

٦- وهذا القول منسوبٌ إلى الكلبي كذلك، ولعلّه من روايته عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: تفسير الماوردي (2/55)، تفسير البغوي (2/198).

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [145]:

معناه: وكتبنا له التوراة في الألواح [1]، قال عبد الله بن عباس: وهي سبعة ألواح من الزبرجد الأخضر، ويقال: من الياقوت الأحمر، على طول موسى- عليه السلام- عشرة أذرعٍ، أعطاها الله تعالى موسى- عليه السلام- [2]، وفيها التوراة كنقش الخاتم [3]، وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: من أمور الدنيا [4]، وقوله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ معناه: ما يدعو إلى الطاعة، ويزجر عن المعصية، بالوعد والوعيد، وأخبار الأمم الماضية [5]، وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: لكلّ أمرٍ من أمور الدين، في الحلال والحرام، والأمر والنهي [6]، وقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: اعمل اعمل بها بجدٍّ في طاعة الله تعالى، ومواظبةٍ عليها [7]، ويقال: بصحة عزيمةٍ [8]، ولو

---

١- انظر: تفسير البغوي (199/2).

٢- ونحو هذا منقولٌ عن سعيد بن جبير، وعن مجاهد: أنّها كانت من الياقوت، وفي عددها اختلاف بين اثنين وسبعة، والله أعلم بالصواب؛ إذ لم يثبت فيها شيءٌ، وكلّ ما ورد فيها فهو من قبيل الروايات الإسرائيلية. انظر: بحر العلوم (569/1)، تفسير البغوي (199/2)، المحرر الوجيز (159/7).

٣- وهذا يدلّ على أنّ ما في الألواح كتب عليها محسوساً لا أنّ الكتابة هنا بمعنى الفرض، كما أشار إليه بعضهم. انظر: تفسير الماوردي (55/2).

٤- وعبارات المفسّرين تكاد تكون متفقة على أنّ المراد بكلّ شيءٍ هنا ما كان له تعلّقٌ بأمور الدين، إلاّ أنّ بعضهم جمع فقال: كلّ شيءٍ يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم. انظر: تفسير الطبري (57/9)، بحر العلوم (569/1)، تفسير الماوردي (56/2)، تفسير البغوي (199/2)، زاد المسير (258/3)، تفسير البيضاوي (367/4)، فتح القدير (255/2).

٥- وهذا يوافق في المعنى قول مقاتل بأنّ المراد بالموعظة: الزواجر. انظر: تفسير الماوردي (56/2).

٦- وهذا المعنى في تفسير التفصيل هنا مرويٌّ عن مجاهد، وابن جبير، والسدي، واختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري (57/9)، بحر العلوم (569/1)، الكشاف (116/2).

٧- ونحو هذا المعنى مرويٌّ عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والسدي، واختاره أبو الليث. انظر: تفسير الطبري (58/9)، بحر العلوم (569/1)، تفسير الماوردي (856/2).

٨- وهذا القول منقولٌ عن علي بن عيسى، وقريب منه اختيار البيضاوي. انظر: تفسير الماوردي

أخذها بضعف نيةٍ لأدَّاه إلى فتور العمل بها، وقوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ معناه : مرهم يعملوا بأحسن ما بيّن لهم فيها، أي : أُمِروا بالخير ونُهُوا عن الشر، وعُرِّفوا ما لهم في ذلك، فمرهم يأخذوا بالأحسن [1]، ويقال: مرهم يأخذوا بالفرائض والنوافل دون المباح الذي لا حمد فيه ولا ثواب [2]، ويجوز أن يكون معناه : أنَّ الله تعالى ذكر فيها الانتصار من الظلم، وثواب الصبر، والصبر أحسن من الانتصار، أو ذكر فيها التخيير بين أشياء ولبعضها مزيةٌ على بعضٍ [3]، ويقال معناه: يأخذوا بالناسخ دون المنسوخ [4]، واعترضوا على هذا؛ فقالوا: إنَّ فعل المنسوخ المنهي عنه قبيحٌ، ولا يقال: الحسن أحسن من القبيح [5]، قال عبد الله بن عباس : كان موسى-عليه السلام- أشّد عبادةً من قومه، وأمر بما لم يأمروا به [6]، كما هو مذكورٌ في الآية، وقوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ معناه:سوف أريكم جهنم [7]، هي دار الخارجين عن طريقة الدين، ويقال: أراد به ما مرُّوا عليه في سفرهم من منازل عادٍ وثمود والقرون الذين أهلكوا

---

(56/2)، تفسير البيضاوي (368/4).

١- ذكره الزجاج، وأبو الليث بلا نسبةٍ لأحدٍ. انظر: معاني القرآن للزجاج (375/2)، بحر العلوم (569/1).

٢- ذكره الماوردي غير معزو. انظر: تفسير الماوردي (56/2).

٣- انظر: معاني القرآن للزجاج (375/2)، بحر العلوم (569/1)، تفسير البغوي (200/2)، الهداية (2550/4)، تفسير ابن جزي ص221.

٤- ذكره الماوردي في تفسيره بلا نسبة (57/2).

٥- إلاّ إن أريد بحسنه ما كان عليه قبل نسخه. البحر المحيط (386/4-387).

٦- وهذا القول منقول عن الكلبي، ولعلّه رواه عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر : بحر العلوم (569/1)، تفسير البغوي (200/2).

٧- وتفسير دار الفاسقين بجهنم، مرويٌ عن مجاهد، والحسن، وعطاء- رحمهم الله وإيَّانا-.انظر : تفسير الطبري (59/8)، تفسير الماوردي (56/2)، تفسير البغوي (200/2).

بالتكذيب[1].

**قوله ﷻ: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [146]:**

معناه: سأجعل جزاء المتكبرين الذين لا يؤمنون بالمعجزة، ويستخفّون بحقها الإضلال عن هداية سائر المعجزات، وعن فهم ما أودع الله تعالى في الكتاب، يقرؤونه ولا يفهمون ما أراد الله تعالى به[2]، ويقال معنى الآية: سأصرفهم عن الاعتراض على آياتي بالإبطال وبالمنع من الإظهار للناس، وهذا كما يقال: سأمنعك من فلانٍ، أي: من أذاه[3]، ويقال معناه: سأصرف عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة للأنبياء-صلوات الله عليهم-والمؤمنين هؤلاء المتكبرين بغير الحق[4]، وهم الذين يرون أنَّهم أفضل الخلق، وأنَّ لهم ما ليس لغيرهم[5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ معناه: كلّ علامة تدلّ على توحيد الله تعالى ونبوة الأنبياء-صلوات الله عليهم- لا يصدقوا بها[6]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ

١- وهذا القول منقولٌ عن الكلبي، وبعضهم نسبه لقتادة، والمروي عنه غيره. انظر: تفسير الطبري (59/9)، تفسير الماوردي (56/2)، تفسير البغوي (200/2)، المحرر الوجيز (161/7).

٢- وهذا المعنى يشتمل على قولين؛ أحدهما: أنَّ الله تعالى سيمنعهم من فهم القرآن، ويصرفهم عن الاستفادة مما فيه من الهداية، وبه قال سفيان بن عيينة، والثاني: صرفهم عن التفكر في الأدلّة المنصوبة على وحدانية الله، وبه قال ابن جريج، وقد جُمع بين القولين في اختيار الطبري، وابن عطية، كما صنع المصنف هاهنا. انظر: تفسير الطبري (60/9)، تفسير الماوردي (57/2)، المحرر الوجيز (162/7).

٣- وهذا المعنى ذكره الكعبي، والزمخشري، وابن الجوزي. انظر: تفسير أبي القاسم الكعبي ص 224، الكشاف (117/2)، زاد المسير (260/3).

٤- انظر: بحر العلوم (569/1).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (376/2)، تفسير الماوردي (57/2).

٦- انظر: تفسير الطبري (59/9).

﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: يروا سبيل الإسلام والخير لا يتخذوه ديناً لأنفسهم [1]، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ يعني طريق الكفر والضلال يتخذوه ديناً لأنفسهم [2]، ومن قرأ: ﴿سَبِيلَ الرَّشَدِ﴾ بنصب الراء والشين [3]، فالرشد في قول أبي عمرو [4]: الاستقامة على على الدين، والرُّشد بضم الراء: الإصلاح [5]، وقال الفرَّاء: هما بمعنى واحدٍ، كالسُّقم والسَّقم، والحُزن والحَزن [6]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ﴾ يحتمل أن يكون ذلك في موضع الرفع على معنى: أَمْرُهم ذلك، ويحتمل أن يكون نصباً على معنى: فَعَلَ الله تعالى ذلك بهم بتكذيبهم بآياتنا [7]، قال مقاتل: أراد بقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآيات التسع [8]، كأنَّه ذهب إلى أنَّ هذا كلّه خطاب لموسى-عليه السلام- ذكره الله تعالى في القرآن، وقال الكلبي: معنى ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: محمد-ﷺ- والقرآن، وذهب إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ﴾ خطابٌ للنبيِّ-ﷺ-، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ يجوز أن يكون معناه: وكانوا عن جوابها غافلين، كما يقال: ما أغفل فلاناً عمَّا يراد به، ويجوز أن يكون معناه: وكانوا في تركهم الإيمان بها والنظر والتدبُّر فيها بمنزلة الغافلين التاركين الناسين [9].

---

١- انظر: بحر العلوم (570/1).

٢- انظر: المصدر السابق.

٣- وهي قراءة حمزة الزيات، والكسائي، وخلف. انظر: النشر (272/2)، المحرر الوجيز (162/7).

٤- هو أبو عمرو ابن العلاء البصري، وقد سبقت ترجمته.

٥- انظر: المحرر الوجيز (162/7)، الدر المصون (457/5).

٦- وقد ذكر السمين الحلبي أنَّ هذا هو مذهب الجمهور. انظر: بحر العلوم (570/1)، التبيان (594/1)، الدر المصون (457/5)، تفسير القرطبي (283/7).

٧- انظر: الكشاف (117/2)، المحرر الوجيز (162/7)، البحر المحيط (389/4).

٨- انظر: تفسير مقاتل (415/1)، بحر العلوم (570/1).

٩- والمعنيان ذكرهما الزجاج. انظر: معاني القرآن للزجاج (376/2).

قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ [ وَتَفْصِيلًا مِن في /أ] بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [147]:

يجوز أن يكون معناه: والذين كذّبوا بدلائلنا بالبعث بعد الموت بطلت أعمالهم التي عملوها على جهة البِرِّ هل يكافئون في الآخرة إلاَّ بكفرهم وأعمالهم السيئة في الدنيا[1].

قوله ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [148]:

قال عبد الله بن عباس: وذلك أنَّ موسى –عليه السلام– كان وعد قومه الانطلاق إلى الجبل ثلاثين يوماً فلمَّا تأخّر رجوعه إليهم قال لهم السامري وكان رجلاً مطاعاً فيهم ذا قدرٍ: إنَّكم اتخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة ومنع موسى–عليه السلام– منكم فاجمعوا الحلي حتى نحرقها لعلَّ الله تعالى يردّ عليكم موسى–عليه السلام–، فجمعوا وكان السامري صائغاً فجعل الحلي في النار، واتخذ منه عجلاً ونفخ فيه التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل– عليه السلام– وكان ذلك الفرس فرس الحياة، ما وضع حافره على موضعٍ إلاَّ اخضرَّ، فلمَّا نفخ فيه شيئاً من ذلك التراب صار عجلاً جسداً له خوار فعبدوه وزفنوا[2] حوله[3]، قال الحسن–رضي الله عنه–: كان الله تعالى أجرى العادة بأنَّ من أخذ كفّاً من ترا ب تحت حافر دابة ملكٍ وألقاه في شيءٍ صار ذلك الشيء حيواناً[4]، قالوا: ولو أنَّ نبياً من الأنبياء– صلوات الله عليهم– قال

---

١– انظر: تفسير الطبري (61/9).

٢– الزفن: نوع من الرقص أصله اللعب والدفع، ومنه حديث عائشة– رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–: (قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون).

انظر: لسان العرب (197/13).

٣– انظر: بحر العلوم (570/1)، معاني القرآن للزجاج (377/2).

٤– ومعنى قول الحسن يفيد أنَّ العجل كان لحماً ودماً.

لبعض أصحابه: هذا التراب الذي أعطيك إذا طرحته على كذا صار طعاماً، وبقي التراب في يده وظهر هذا الحكم لم يكن ذلك معجزةً للذي كان التراب في يد ه، بل كان يكون معجزةً لذلك الرسول[1]، ويقال: كان السامري لمَّا صنع العجل جعل فيه خروقاً تجري فيها الريح، فكان يُسمع من تلك الخروق شبه الخوار [2]، ويقال: كان يدخل إنسان تحته فيصوّت مثل الخوار[3]، ويحتمل أنَّه كان يجري إليه من تحته ماء على سبيل الفوارة فيتوهم بنو إسرائيل أنَّه حي يخور[4]، قال الزجاج: معنى قوله : ﴿جَسَدًا﴾ أي: جثةً لا يعقل، ليس له روحٌ ولا عقلٌ ولا كلامٌ إنَّما له خوارٌ فقط، وأمَّا إضافة الخوار إلى العجل في الآية فهو كما يقال : صوت الحجر، وصوت الطست[5]، فأماَّ الحلي: فهو جمع الحلية، وهو ما يُتزين به من الذهب والفضة [6]، ومن قرأ ﴿حِلِيّهم﴾ بكسر الحاء[7] أتبع الحاء كسرة اللاَّم[1]، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ

انظر: الكشاف (118/2)، البحر المحيط (390/4).

١- وهذا من المصنّف بيان أنَّ المعجزة الكائنة في حياة العجل هي لجبريل- عليه السلام -لا للسامري، وقد يقال : إنَّ ذلك كان للسامري من باب الامتحان والابتلاء كما يحصل مع الدجال من خوارق العادات، المقصود منها ابتلاء الناس، وامتحانهم . والله تعالى أعلم.

٢- انظر: المحرر الوجيز (164/7)، البحر المحيط (390/4).

٣- انظر: البحر المحيط (390/4).

٤- ولعلّ هذا الوجه استنباطٌ من المؤلِّف-رحمه الله- إذ لم أقف عليه عند غيره، ولم يورده بلفظ القول كسابقيْه.

٥- وهذا إشارة منه-رحمه الله-إلى أنَّ العجل لم تكن فيه روحٌ، كما اختار ذلك جماعةٌ من المفسّرين، والطست: نوعٌ من الآنية.

انظر: الكشاف (118/2)، المحرر الوجيز (164/7)، زاد المسير (262/3)، لسان العرب (58/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (377/2).

٧- وهي قراءة حمزة والكسائي، وتنسب إلى الأعمش، وطلحة بن مصرف، ويحيى بن وثاب . انظر: البحر المحيط (390/4)، النشر (272/2).

﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ معناه: ألم يبصروا[2] أنَّ العجل لا يكلِّمهم بما يجري عليهم نفعاً، أو يدفع ضراً، ولا يرشدهم طريقاً إلى خير ليأتوه، ولا إلى شرٍّ لينتهوا عنه، ولو كان إلهاً لهداهم؛ لأنَّ الإله لا يهمل عبيده[3]، وفي الخبر: أنَّ ذلك العجل خار مرَّةً واحدةً و لم يعد، ويقال: كان يُسمع صوته غير مرّةٍ[4]، والله أعلم، فأمَّا قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ فيجوز أن يكون معناه: ولا يرشدهم الطريق الذي يتّخذونه، أي: الأمر الذي يشرعون فيه، ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ ابتداءً على معنى: عبدوه إلهاً وكانوا بعبادتهم كافرين[5].

**قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [149]:**

قال عبد الله بن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: معناه: لما ندموا على عبادة العجل[6]، ﴿وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ما عملنا

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (377/2)، إعراب القراءات الشواذ (562/1)، الدر المصون (459/5).

٢- وقد تكون الرؤية هنا بمعنى العلم، كما رجّحه أبو حيّان.
انظر: البحر المحيط (391/4)، الدر المصون (460/5).

٣- انظر: تفسير الطبري (62/9)، معاني القرآن للزجاج (378/2)، تفسير البيضاوي (373/4).

٤- وقد ذكر القولين البغوي بلا نسبةٍ، ونسب بعضهم القول الأوَّل لابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: بحر العلوم (570/1)، تفسير البغوي (201/2).

٥- والوجه الثاني هو اختيار جماهير المفسّرين، كابن جرير، والزمخشري، والليث، والبغوي، والبيضاوي، وابن الجوزي، وغيرهم، وهو أوفق للسياق . و لم أقف على من قال بالأوَّل . انظر: تفسير الطبري (62/9)، بحر العلوم (570/1)، تفسير البغوي (201/2)، الكشاف (118/2)، المحرر الوجيز (165/7)، زاد المسير (262/3)، تفسير البيضاوي (373/4)، تفسير القرطبي (285/7).

٦- وقد عزاه السيوطي لابن المنذر، حيث أخرج نحوه عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.
انظر: الدر المنثور (592/6).

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالعقوبة، قال الزجاج : يقال للنادم على ما فعل، المتحسِّر على ما فــرط منه: قد سُقِط فلانٌ في يــده وأُسقِط، المعنى: لَمَّا سقط الندم في أيديهم، كما يقــال: قد حصل في يد فلانٍ مكــروه، وإن كان ذلك ممّا لا يكون في اليد، وإنَّما يكون في القلب [1]، وقيل: إنَّ أصلــه أنَّ الإنسان إذا نــدم جعــل رأسه في يديــه [2]، ويقال: هذا مثلٌ يُضرب في اللُّغةِ لكلّ من أتى أمراً عظيماً علــى جهالةٍ وهو عند نفسه كالمصيب، ثمَّ تبيَّن له البطلان [3]، وقال محمد ابن جــرير [4]: أصل هذا من الاستئسار أن يصرع الرجلُ الرجلَ فيرمي به إلى الأرض ليأســره فيكون المرمي به مسقوطاً في يد الساقط [5]، فقيل: لكلّ عاجزٍ عن شيءٍ يندم على ما فاته سُقط في يديه [6]، ومن قرأ : ﴿لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا﴾ بالتاء ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب [7]، فهو على الخطاب والنداء كأنَّهم قالوا : لئن لم ترحمنا يا ربنا وتغفر لنا لنكون من الخاسرين [8].

قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ

---

١- انظر: معاني القرآن للزجاج (378/2).

٢- انظر: بحر العلوم (571/1).

٣- وهذا يرجع للمعنى الأوَّل؛ لأنَّ ما ذكره المصنّف يستلزم الندم.

٤- هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري، أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة استوطن بغداد، وبها توفي، رحل في طلب العلم، كان فقيهاً، لغوياً، مفسّراً، عالماً بالقراءات، صاحب تصانيف كثيرة، توفي-رحمه الله- في شوال سنة: 310هـ.

انظر: طبقات المفسرين للداوودي (106/2-114)، سير أعلام النبلاء (267/14-282).

٥- تتمة الكلام هنا: في يد الساقط به، وهو كذلك في تفسير الطبري (62/9-63).

٦- المصدر السابق.

٧- وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. انظر: النشر (272/2)، بحر العلوم (571/1).

٨- انظر: معاني القرآن للفراء (393/1)، الموضح (556/2).

ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [150]:

معناه: ولما رجع موسى من الجبل إلى قومه شديد الغضب حزيناً[1]، قال: بئس ما فعلتم خلفي في غيبتي بعبادة العجل[2]، ﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ يقول: أسبقتم وعد ربِّكم الذي وعدني من الأربعين ليلة، وذلك أنَّهم قد رأوا أنَّ موسى- الطَّيْلاً- قد منع منهم، أو قد رأوا أنَّه مات لَّما لم يأت على رأس الثلاثين ليلةً[3]، ويقال : معنى ﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ [248/ب] أسبقتم وعد ربِّكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم إلى عبادة غيره[4]، ويقال: عجلت الشيء إذا سبقته، وأعجلته إذا استحثيته[5]، والعجلة : التقدم إلى الشيء قبل وقته، والسرعة: التقدّم إلى الشيء في أوَّل وقته؛ ولذلك كانت العجلة مذمومة[6]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَى﴾ الألواح التي كانت فيها التوراة ألقاها من يديه[7]، ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ هارون ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ قال ابن عباس: أخذ رأسه بيده اليمنى ولحيته باليسرى[8]، فقال هارون: يا ابن أمّ إنَّ القوم استضعفوني، أي: قهروني قهروني واستذلُّوني وهمّوا بقتلي، قال: وكان هارون أخاه لأبيه وأمّه، ولكنّ ه إنَّما

---

١- وهذا فيه جمع من المؤلف بين معنيين من معاني الأسف؛ وهما : شدّة الغضب، والحزن، كصنيع ابن عطية. انظر: تفسير الطبري (9/63-64)، معاني القرآن للزجاج (2/378)، تفسير الماوردي (2/57)، المحرر الوجيز (7/167).

٢- انظر: تفسير الماوردي (2/58)، الكشاف (2/118).

٣- انظر: بحر العلوم (1/571)، تفسير الماوردي (2/58)، الكشاف (2/118)، رموز الكنوز (2/265).

٤- وهذا القول نسبه الماوردي إلى بعض المتأخرين. انظر: تفسير الماوردي (2/58).

٥- انظر: معاني القرآن للزجاج (378).

٦- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 548.

٧- انظر: تفسير البغوي (2/202).

٨- فعليه يكون أخذ بلحيته وذوائبه. انظر: تفسير البغوي (2/202)، زاد المسير (3/264).

قال: يا ابن أمّ ليرقّه عليه، وعلى هذا طريقة العرب[1]، وقوله تعالى : ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾، أي: لا تفرحهم علي، ولا تظنّن أنّي رضيت بفعل الظالمين، ولا تجعلني مع عبدة العجل في الغضب عليَّ [2]، من قرأ: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بنصب الميم[3]؛ فلأنَّ فلأنَّ النداء كلامٌ يحتمل الحذف، فجعلوا ابن وأمّ شيئاً واحداً؛ لكثرة الاستعمال، نحو: خمسة عشر[4]، وأمَّا من قرأ بكسر الميم[5]؛ فعلى معنى الإضافة إلى نفسه إلاَّ أنَّه أنَّه حذف ياء الإضافة من ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ لكثرة الاستعمال، كما يقال: يا ابن أخ [6]، وأمَّا الشماتة: فهي سرور العدوّ بسوء العاقبة [7]، والإشمات التعريض لتلك الحال[8]، الحال[8]، فإن قيل: لم جاز أن يأخذ- عليه السلام- برأس هارون يجره إلى نفسه، ولا يجوز لنبيٍّ ولا لغير نبيٍّ الاستخفاف بمن يكون نبياً؟ قيل : في هذا أقوالٌ أحدها: أنَّه كان ذلك على جهة العتاب لا على وجه الهوان، كأنَّه أراد ضمّه إلى نفسه معاتباً مستعلماً لسبب إقدام القوم على المعصية العظيمة، ومثل هذه الأفعال تختلف أحكامها بالعادة، و لم تكن العادة حينئذٍ فعلها على وجه الإهانة، ومن فعل هذا سَعٍ؛ إذ لم يَعُدَّ ذلك استخفافاً[9]، والثاني: أجراه مجرى نفسه من حيث أنَّهما كانا في النبوّة والأخوّة

---

١- انظر: بحر العلوم (571/1)، تفسير الماوردي (59/2)، زاد المسير (265/3).

٢- انظر: بحر العلوم (571/1)، تفسير البغوي (202/2).

٣- وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، وأبي جعفر، ورواية حفص عن عاصم . انظر : النشر (272/2).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (378/2)، الموضح (557/2).

٥- وهي قراءة ابن عامر، وحمزة، وا لكسائي، وخلف، ورواية شعبة عن عاصم . انظر: النشر (272/2)، البحر المحيط (394/4).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (378/2))، الموضح (558/2).

٧- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 463، لسان العرب (51/2)، نفس الصَّباح (354/1).

٨- على أنَّ الإشمات من أشمت، المتعدي بالهمز، فيكون المُشمِت فيه قد عرّض غيره للشماتة.

٩- انظر: تفسير الماوردي (58/2-59)، تفسير القرطبي (289/7).

والألفة كالنفس الوحدة، وقد يقبض الإنسان عند الغيظ على لحية نفسه ويعض إبهامه وشفيته[1]، كما روي عن ابن عمر-رضي الله عنه- أنّه كان إذا أحزنه أمرٌ فتل شاربه[2]، إلاَّ أنَّ هارون-عليه السلام-خاف أن يتوهّم جهَّال بني إسرائيل أنَّ موسى-عليه السلام- واجدٌ عليه غضبانٌ كهو على من عبد العجل فقال: يا ابن أمَّ إنَّ القوم استضعفوني إلى آخر الآية[3]، والقول الثالث: أنَّ موسى-عليه السلام-إنَّما فعل هذا بهارون بهارون في حالة الغضب الذي لا يملك الإنسان نفسه، وكان ذلك صغيرةً منه، كما أنَّه ألقى الألواح لشدّة الغضب، وكان من الواجب عليه أن يعظِّمها[4].

**قوله عز وجل: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [151]:**

معناه-والله أعلم-: قال موسى: ربِّ اغفر لي ما صنعت بأخي، ولأخي ما كان منه من التقصير في ردِّ القوم عن عبادة العجل[5]، ويقال: إنَّما استغفر لنفسه

---

١- انظر: المصدرين السابقين.

٢- و لم أقف عليه عن ابن عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهو مرويٌّ عن عمر- رضي الله عنه-، أنَّه كان إذا غضب فتل شاربه ونفخ، وقد أخرجه الطبراني في ا لمعجم الكبير برقم: (52)، وقال عنه الإمام الألباني : رواه الطبراني في المعجم الكبير بسندٍ صحيحٍ، وكذا ذكره ابن حجر في الفتح عن عمر- رضي الله عنه-، بدون ذكر النفخ، وقد يكون خطأً في النسخ بزيادة ابن. انظر: فتح الباري (348/10)، آداب الزفاف ص137.

٣- وهذا ذكره القرطبي بعد ذكره وجهاً لأخذ موسى بلحية هارون ورأسه مفاده أنَّه ضمّه إليه ليعرف ما عنده، فخشي هارون أن يظنّ بنو إسرائيل أنَّه أهانه. انظر: تفسير القرطبي (289/7).

٤- وهذا أوفق لظاهر الآية؛ لأنَّ موسى- عليه السلام- غضب لله -عز وجل- وكان ما صدر منه نتاجاً لذلك الغضب، وإن كان كما ذكر المصنّف: من صغائر الذنوب، إلاَّ أنَّه كان بسبب انتهاك حرمات الله، لا لنفسه، وإنَّما غضب لأنَّ قومه عبدوا العجل . انظر: تفسير الطبري (64/9)، الكشاف (119/2)، البحر المحيط (393/4).

٥- والصحيح أنَّ هارون-عليه السلام- لم يقصّر في ردّ قومه عن عبادة العجل، ويدلّ عليه اعتذاره لموسى-عليه السلام- بأنَّ القوم كادوا يقتلونه، وذلك لا يكون منهم إن لم يكن قد أنكر عليهم ونهاهم عن صنيعهم، وما ذكره المصنّف أشار إليه بعض المفسّرين، والصواب ما ذكر هنا، موافقاً لما ذكره إمام المفسّرين ابن

ولأخيه؛ لأنَّه لم يفعل ما فعل بأخيه لإظهار المؤاخذة والغضب عليه [1]، وقولــه تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ﴾، أي: في جنّتك [2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، أي: أرحم بنَّا منَّا بأنفسنا، ويقال: أرحم بنا من آبائنا وأمَّهاتنا [3]، وإنَّما يذكر هذا في آخر الدعوات؛لبيان شدة الرجاء من قبل الله- ﷻ- فإنَّ الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام، وسعة الرحمة تقتضي استدعاء الزيادة، كما يقال: يا أجود الأجودين، ويا أكرم الأكرمين.

**قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [152]:**

قيل: إنَّ هذا خطابٌ لموسى- عليه السلام- [4]، ومعناه: إنَّ الذين اتخذوا العجل إلهاً سيصيبهم عذابٌ من ربِّهم في الآخرة [5]، والغضب من الله تعالى إرادة الانتقام على ما سلف [6]، وقوله تعالى: ﴿وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أراد به ما أمروا به من استسلامهم

---

جرير الطبري.

انظر: تفسير الطبري (69/9)، بحر العلوم (571/1-572)، الكشاف (119/2)، تفسير البغوي (202/2/2).

١- وهذا الذي سبقت الإشارة إليه من أنَّ غضب موسى- عليه السلام- لم يكن إلاَّ في ذات الله، ولمحارمه أن تنتهك، ولم يكن مجرد غضبٍ على شخص أخيه.

٢- وهذا اختيار بعض المفسّرين، ولا شك أنَّ إدخال العبد الجنة شكلٌ من أشكال الرحمة، إلاَّ أنَّ عدم قصر الرحمة عليه أولى.

انظر: تفسير الطبري (69/9)، بحر العلوم (572/1)، فتح القدير (261/2).

٣- والأخير منقول عن الحسن-رحمه الله-. انظر: بحر العلوم (572/1)، تفسير البيضاوي (377/4).

٤- ويحتمل أن يكون خطاباً للنبي-ﷺ- وهو الذي يظهر -والله أعلم- أنَّه أقرب للصواب؛ لأنَّ الله-ﷻ- ذكر موسى-عليه السلام- وغيره من الأنبياء، وقصص أقوامهم على النبي- ﷺ-للتسلية ولأخذ العبرة مما حصل لهم، ولكلٍّ من القولين قائل به. انظر: بحر العلوم (572/1)، المحرر الوجيز (170/7).

٥- انظر: تفسير البغوي (202/2).

٦- والحق أنَّ الغضب صفةٌ من صفات الله-ﷻ- أثبتها لنفسه في غير ما آيةٍ، فتثبت له كما يليق بجلاله

للقتل بقعودهم آخذين بحبوتهم [1]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ معناه: كما جزينا هؤلاء فكذلك نجزي الكاذبين على الله [2]، وعن عبد الله بن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ هذا خطابٌ لنبيّنا-ﷺ-، وهؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هم أهل يثرب [3] الذين أدركوا النبيَّ-ﷺ- كانوا يتولّون آباءهم الذين عبدوا العجل، والمراد بالذلّة في الحياة الدنيا: الجزية [4].

**قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [153]:**

قال بعضهم: معناه: والذين عملوا المعاصي وهم الذين لم يعبدوا العجل، و لم يقاتلوا الذين عبدوا العجل، ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ بقتل الذين عبدوه من آبائهم وأمّهاتهم وبني أبيهم [5]، وقوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ أي: استأنفوا عمل الإيمان،

---

وعظمته، بلا تمثيلٍ، ولا تعطيلٍ، مع قطع الطمع عن إدراك كيفيتها، وما جرى عليه المصنّف هاهنا من تأويلها بإرادة الانتقام خطأ، وإن كان المراد بالآية هنا أنَّ متخذي العجل سينالهم مظهرٌ من مظاهر غضب الله-ﷻ- من عذاب، وقتلٍ، وعقوبة، كما ذكره بعض المفسّرين، إلاَّ أنَّ ذلك لا يمنع من إثبات هذه الصفة لله-ﷻ- إثباتاً بلا تمثيلٍ، وتنزيهه-ﷻ- عن مشابهة خلقه تنزيهاً بلا تعطيلٍ. والله تعالى أعلم. انظر: تفسير الطبري (9/69-70)، تفسير البغوي (2/202)، تفسير القرطبي (7/291)، تفسير ابن كثير (3/477)، العقيدة الأصفهانية ص29-30.

١- والمقصود به ما أمروا به من الاستسلام للقتل على يد من لم يعبد العجل منهم، حيث أمرهم موسى-عليه السلام- بأن لا يقوم أحدٌ منهم من مكانه-وكانوا قاعدين على أبواب دورهم- ولا يحلّ أحد منهم حبوته، ولا يتقي أحدٌ منهم القتل بيدٍ أو رجلٍ. انظر: تفسير الطبري (9/71)، معاني القرآن للزجاج (2/379)، بحر العلوم (1/119-120).

٢- انظر: تفسير الطبري (9/72)، تفسير البغوي (2/202).

٣- وهذا اسم المدينة قديماً، سميت باسم أوَّل من سكنها، وهو يثرب بن قانية من ولد سام بن نوح-عليه السلام- وقد غيّر النبي-ﷺ- اسمها إلى طيبة. انظر: مراصد الاطلاع (3/1474).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/379)، تفسير البغوي (2/202)، زاد المسير (3/265).

٥- ولا شكّ أنَّ من كان حالهم من بني إسرائيل كالتي ذكرها المصنّف هاهنا داخلون في عموم الآية؛ لأنَّ

ويقـــال: ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ معناه: آمنوا بأنَّ الله تعالى قابل للتوبة، ويقال : آمنوا بنفس التوبة؛ على معنى أنَّ التوبة والإيمان في معنى شيءٍ واحدٍ [1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: من بعد توبتهم لغفورٌ لذنوبهم رحيمٌ بهم بعد التوبة [2] [249/أ] وقال بعضهم: أراد بالسيئات في هذه الآية الشرك وسائر المعاصي إذا تاب صاحبها عنها [3].

**قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [154]:**

معناه: ولَمَّا سكن عن موسى- عليه السلام- الغضب وزالت قوة غضبه [4]، يقال: سكت يسكت سكتاً إذا سكن، وسكت يسكت سكوتاً وسكتاً إذا قطع الكلام، ورجلٌ سِكِّيتٌ أي: كثير السكوت، وأصاب فلانٌ سُكَّاتٌ أي : داءٌ منعه عن الكلام [5]،

---

الآية عامةٌ في كلِّ من ارتكب ذنباً جلّ أو دقّ، ثمَّ تاب وعمل صالحاً فإنَّ الله تعالى يغفر له، وأمَّا استثناء المصنِّف للذين عبدوا العجل؛ فلأنَّ الله تعالى لم يقبل لهم توبةً إلاَّ أن يقتل بعضهم بعضاً.

والذي يظهر أنَّ ذلك لا يخرجهم من الآية؛ لأنَّ القتل كان بمثابة التوبة لهم، فكلّ من أسلم نفسه للقتل منهم، فهو داخلٌ في الآية. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (71/9)، المحرر الوجيز (170/7)، الكشاف (120/2)، تفسير ابن كثير (477/3-478).

١- ذكر هذه الأوجه الماوردي في تفسيره (59/2)، وانظر: زاد المسير (266/3).

٢- انظر: تفسير الطبري (71/9)، بحر العلوم (572/1).

٣- وهذا فيه إشارة إلى ما سبق إيراده من أنَّ الآية عامة.

انظر: تفسير الطبري (71/9)، الكشاف (120/2)، المحرر الوجيز (170/7)، تفسير ابن كثير (478/3).

٤- انظر: معاني القرآن للزجاج (379/2)، تفسير المشكل من غريب القرآن ص 87، المحرر الوجيز (171/7)، تفسير القرطبي (292/7).

٥- معاني القرآن للزجاج (379/2).

والسُّكَيْت الذي يجيئ آخر الخيل في الحلبة [1]، وقال بعضهم : إنَّما قال : سكت الغضب على معنى أنَّه جعل الغضب كالناطق؛ لأنَّه يلقي ما في نفس الغاضب على المغضوب عليه، ويقتضي تشدده عليه في اللَّوم والتعنيف، فجعل زوال الغضب كالسكوت [2]، ويقال : معناه: ولَّما سكت موسى- ﷺ- عن الغضب، وهذا من المقلوب، كما يقال : أدخلت القلنسوة في رأسي، يراد به أدخلت رأسي في القلنسوة [3]، وقوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ قال ابن عباس: رفعها بعد ما ألقاها وبعد ما تكسَّرت، وقوله تعالى : ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ يقول: فيما نسخه موسى- ﷺ- ممَّا تكسّر، قال : نُسخت له، أي : أعيدت في لوحين مكا ن [الذي] [4] انكسرت [5]، وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، أي: فيها بيانٌ من الضلالة، ونجاةٌ للذين يخشون الله تعالى فيعملون له بالغيب [6]، وإنَّما أدخل اللاَّم في قوله تعالى : ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لتقديم المفعول على الفعل [7].

**قوله ﷻ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن**

---

١- وهو: العاشر في ترتيب خيل السباق، وأوَّلها المجلّى . انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (119/1-120)، لسان العرب (121/2).

٢- انظر: الكشاف (120/2)، نظم الدرر (117/3)، التحرير والتنوير (122/9).

٣- وهو منقولٌ عن عكرمة مولى ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-. انظر: معاني القرآن للزجاج (379/2)، بحر العلوم (572/1)، تفسير القرطبي (293/7).

٤- هكذا في المخطوط، والألواح جمع غير عاقل موصوله «التي».

٥- انظر: بحر العلوم (572/1)، تفسير القرطبي (293/7).

٦- انظر: بحر العلوم (572/1).

٧- وذكر الأخفش أنَّها قد تكون لام المفعول لأجله.

انظر: معاني القرآن للأخفش (535/2)، البحر المحيط (396/4)، الدر المصون (472/5-473).

﴿تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [155]:

معناه: واختار موسى-عليه السلام- من قومه، فحذف «مِنْ» ووصل الفعل إلى «قومه» فرُصب، يقال: اخترت من الرجال زيداً، واخترت الرجال زيداً[2]، وأنشدوا:

وَمِنّا الَّذي اِختيرَ الرِجالَ سَماحَةً وَجوداً إِذا هَبَّ الرياحُ الزَعازِعُ[1]

وقوله تعال: ﴿سَبۡعِينَ﴾، أي: اختار منهم سبعين للوقت الذي وقتنا له يستصحبهم مع نفسه عند الخروج إلى الميقات؛ ليشهدوا عند قومهم على سماع كلام الله تعالى، فإنَّ القوم كانوا لا يصدِّقون موسى- عليه السلام-في أنَّ الله تعالى كلّمه من الشجرة، وكانوا اثني عشر سبطاً، فاختار موسى من كلّ سبطٍ ستة نفرٍ فخلف منهم رجلين، قال لهم : أمرت بسبعين فليرجع اثنان منكم ولهما أجر من حضر، فرجع يوشع بن نون وكالوب بن يوفنَّا[3]، وذهب موسى-عليه السلام- مع السبعين إلى إلى الجبل[4]، وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ معناه: لَّما أخذهم الزلزلة الشديدة عند الجبل[5] قال موسى-عليه السلام-: ربِّ لو شئت أهلكت هؤلاء السبعين من قبل أن حملتُهم إلى الميقات بما أُوجِب عليهم من الرجفة، وقوله تعالى : ﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾، أي: أهلكتني معهم بقتلي القبطي[6]، وقوله تعالى : ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

---

١- البيت للفرزدق من قصيدة يمدح فيها آباءه، وهي في ديوانه، وهذا البيت مطلعها.
انظر: ديوان الفرزدق (418/1)، لسان العرب (264/4).

٢- انظر: معاني القرآن للفراء (395/1)، تفسير الطبري (74/9)، معاني القرآن للزجاج (380/2).

٣- كتب هكذا في بحر العلوم، وهو في غيره «كالب بن يوقنا»،وهو أحد الرجلين الذين قالا لبني إسرائيل : ادخلوا عليهم الباب. انظر: بحر العلوم(573/1)،البحر المحيط(397/4)،تفسير ابن كثير(77/3).

٤- انظر: بحر العلوم (573/1)، البحر المحيط (397/4).

٥- وهذا التفسير للرجفة منقولٌ عن الكلبي.
انظر: معاني القرآن للزجاج (380/2)، تفسير الماوردي (60/2).

٦- وهذا التخصيص في موجب الإهلاك مذهب جماعةٍ كأبي الليث، والبغوي.
انظر: بحر العلوم (572/1)، تفسير البغوي (203/2).

ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ ﴾ هذا ألف الاستفهام، ومعناه في اللغة الإنكار، وهو لم يرد به الاستفهـــام ولا الإنكار، وإنَّما أراد به إنَّك لا تهلكنا بما فعل السفهـــاء منا [(1)]، قيـــل: إنَّ موسى- عليه السلام- ظنَّ أنَّ الرجفة إنَّما أخذت هؤلاء السبعين لاتخاذ بني إسرائيل العجـــل[(2)]؛ ولذلك قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، أي: ما عبادة العجل إلاَّ بليّتك؛ إذ صار الروح في العجل، تضل بالفتنة من تشاء وتهدي في الفتنة من تشاء[(3)]، وقال بعضهم: إنَّما أراد بقوله: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ مـــا كان منهم من سؤال الرؤية[(4)]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ معناه: إن الرجفة إلاَّ محنتك تضلّ بالتخيير فيها من تشاء، وترك الصبر عليها، وتهدي بالتبصير من تشاء بالصبر عليها[(5)]، ويقال: أراد بالفتنة التشديد في التعبد[(6)]، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:126]، أي: يكلّفون الصبر على ما يصيبهم، وكما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ - أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ

---

١- وسمَّاه المبرّد استفهام استعطافٍ، وعلى رأي المصنّف هو استفهامٌ معناه النفي.
انظر: تفسير الماوردي (60/2)، تفسير البغوي (204/2)، تفسير ابن عرفة (259/2).
٢- وهو منسوبٌ إلى الكلبي.
انظر: بحر العلوم (572/1)، تفسير البغوي (204/2).
٣- انظر: بحر العلوم (573/1).
٤- وهذا مرويٌ عن السدي، ومحمد بن إسحاق.
انظر: تفسير الطبري(72/9)، تفسير الماوردي(60/2).
٥- وهذا معنى القول المروي عن ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وكذا قول قتادة. والذي يظهر أنَّ المراد من قوله: تضل بالتخيير فيها من تشاء، إثبات مشيئة العبد، ونفي الجبر، وإثبات كون تلك المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى، فيكون العبد مخيراً باعتبارٍ، ومسيراً باعتبارٍ. والله تعالى أعلم.
انظر: تفسير الطبري (77/8)، تفسير الماوردي (60/2)، التفسير الصحيح (352/2).
٦- وهو تفسيرٌ منسوبٌ للمعتزلة. انظر: اللباب (336/9).

ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:2]، أي: لا يكلّفون الصبر على الشدائد[1]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ فمعناه: أنت ناصرنا، وحافظنا، ومتولي أمرنا، وأولى بنا من أنفسنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا ولا تعذّبنا [2]، وأنت خير من يغفر عن الخطايا والسيئات[3]، وإنَّما قال: ﴿خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ لأنَّه يقال لمن عفا عن القصاص والجنايات: إنَّه قد غفر، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[4] [الشورى:43]، وفي بعض الروايات أنَّ الله تعالى لَمَّا أهلك هؤلاء السبعين بقي موسى-عليه السلام- وحده يبكي ويقول: يا ربِّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقد أهلكت خيارهم؟ فبعثهم الله تعالى[5] كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ إلى آخر الآيتين [البقرة:55-56]، وقد تقدَّم تفسير ذلك في سورة البقرة.

**قوله ﷻ: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا [مَنّ /ب]هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [156]:**

معناه: واجعل لنا في هذه الدنيا حسنة يعني العلم والعبادة وكلّما تجري به

---

١- وهذا القول روي معناه عن ابن جبير، وأبي العالية .انظر :تفسير الطبري (77/9)، زاد المسير (269/3).

٢- انظر: بحر العلوم (573/1).

٣- عدّى المصنّف هاهنا الفعل غفر بحرف الجر «عن» وهو يتعدّى بنفسه، ولعلّه قد ضمّنه معنى التجاوز، وهو من معاني الغفران. والله أعلم. انظر: بحر العلوم (573/1)، لسان العرب (25/5).

٤- ومثله في قوله: أرحم الراحمين؛ لأنَّ من عمل عملاً فيه رحمة يقال إنَّه قد رحم. والله أعلم.

٥- وقريبٌ من هذه الرواية مرويةٌ عن السدي. انظر: تفسير الطبري (72/9)، غرائب القرآن (291/1).

المغفرة[1]، وإنَّما ذكر لفظ الكتابة؛ لأنَّ المكتوب يكون أدوم وأثبت كما يقال : كتبت رزق فلانٍ في الديوان، والمراد به الإثبات [2]، وقوله-ﷻ-: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ واكتب لنا في الآخرة حسنةً، وهي الجنَّة [3]، ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾، أي: تبنا إليك ورجعنا بالتوبة [4]، يقال: هاد يهود إذا رجع [5]، ولم يؤخذ اسم اليهود من هذا، وإنَّما أخذ من يهوذا فلمَّا عرِّب قلبت ذاله دالاً [6]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ ﴾، قال الله تعالى: عذابي أخصُّ به من أشاء من العباد من كان أهلاً لذلك، ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ يعني البَرَّ والفاجرَ[7]، قال عبد الله بن عباس- عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لَمَّا نزلت هذه الآية تطاول لها إبليس، فقال : أنا شيءٌ من

---

١- وهذا يشمله قول من قال: إنَّ الحسنة في الدنيا هي الأعمال الصالحة، كما اختار الطبري- رحمنا الله وإياه-. انظر: تفسير الطبري (77/9)، زاد المسير (270/3)، تفسير القرطبي (296/7).

٢- ولذلك كانت الكتابة من مراتب القدر، وعليه فقد فسّر جمعٌ من المفسّرين «اكتب» بـــ : «اقض ». انظر: بحر العلوم (573/1)، المحرر الوجيز (174/7).

٣- وكما قال القاضي أبو محمد ابن عطية- رحمه الله وإيانا-: وحسنة الآخرة: الجنة، لا حسنة دونها، ولا مرمى وراءها. اهـــ. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها.
انظر: بحر العلوم (573/1)، تفسير البغوي (204/2)، المحرر الوجيز (174/7)، الكشاف (121/2)، زاد المسير (270/3)، البحر المحيط (399/4).

٤- وهذا المعنى مروي عن ابن عباس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد، وأبي العالية، واختاره الطبري، والزجاج، وجمع.
انظر: تفسير الطبري (78/9-79)، معاني القرآن للزجاج (380/2)، بحر العلوم (573/1)، تفسير البغوي (204/2)، تفسير البيضاوي (381/4).

٥- انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 846، لسان العرب (439/3).

٦- وقيل: بأنَّهم سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم هادوا، أي: تابوا. انظر: كتاب العين (76/4)، لسان العرب (439/3).

٧- وهذا في الدنيا، أمَّا في الآخرة فالرحمة خاصةٌ بمن آمن، وقد نُقل عن قتادة والحسن. انظر: بحر العلوم (573/1)، تفسير البغوي (204/2)، زاد المسير (371/3).

الأشياء، فأكذبه الله تعالى وأخرجه من الرحمة[1] بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معناه: سأوجبها في الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصي[2]، ويعطون الزكاة الواجبة[3]، ويقال: ويزكّون أنفسهم بفعل الصالحات[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ معناه: والذين هم بدلائل التوحيد والرسالة يصدِّقون[5]، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية قالت اليهود والنصارى : نحن أهل الكتاب القديم، فسمع الله تعالى مقالتهم، وأخرجهم من الرحمة، وبيَّن لهم لمن هي فقال عز من قائل[6]:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[157]**:

معناه: الذين يتبعون الرسول محمدا- ﷺ-وسمَّاه أمِّياً على معنى أنَّه لم يحسن الكتابة[7]، والأمّيُّ: هو الذي على ما ولدته أمُّه عليه لا يكتب ولا يقرأ[8]، ويقال:

---

١- وقد روي نحوه عن أبي بكر الهذلي، وقتادة، وابن جريج. انظر: تفسير الطبري (9/79-80)، تفسير البغوي (2/204).

٢- وهذا فيه جمعٌ بين قول ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وقول قتادة. انظر: تفسير الطبري (9/81)، تفسير الماوردي (2/61).

٣- وهذا قول الجمهور، كما عبّر عنه الماوردي في تفسيره (2/61).

٤- وهذا قول ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، والحسن. انظر: تفسير الطبري (9/81)، المحرر الوجيز (7/176)، زاد المسير (3/271-272).

٥- انظر: تفسير الطبري (9/81).

٦- وهو مرويٌّ كذلك عن قتادة. انظر: تفسير الطبري (9/80)، تفسير البغوي (2/204).

٧- انظر: بحر العلوم (1/574).

٨- انظر: معاني القرآن للزجاج (2/381)، تفسير البغوي (2/105).

الذي هو منسوبٌ إلى ما عليه أصل الأمَّة، فإنَّ أصل الأمّة على أن لم يحسنوا شيئاً حتى يعلموا [1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ يعني بنعته وصفته وخاتمه الذي بين كتفيه، ونعت أمَّته وشريعته [2]، ونعت الجمعة أنَّها لهم [3]، وقوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾، أي: بالتوحيد وشرائع الإسلام، وينهاهم عن كلِّ ما لا يُعرف في شريعةٍ ولا سنّةٍ [4]، ويحلّ لهم ما اكتسبوه من وجهٍ طيبٍ، ويحرِّم عليهم ما اكتسبوه من وجهٍ خبيثٍ، ويقال: معناه: ويحلّ لهم ما حرّم عليهم أحبارُهم ورهبانُهم، ويحرّم عليهم الخبائث التي هم أقدموا عليها [5]، وقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ يعني ثقلهم، والإصر: كلّ ما عقد من عقدٍ ثقيلٍ [6]؛ ولذلك سمي العهد إصراً من حيث يثقل حفظه، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ كناية عن الأمور الشديدة التي كانت عليهم، وأُخذ عليهم عهدها، كان إذا أصاب ثوب أحدهم شيءٌ من النجاسة وجب قطعه، وكان عليهم ألاَّ يعملوا في السبت، وكان في اليهود في القتلِ القتلُ لا غير، وفي النصارى

---

١- وعليه يكون منسوباً إلى الأمة. انظر: تفسير البغوي (105/2)، المحرر الوجيز (178/7)، البحر المحيط (402/4)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (383/4).

٢- وهذا ذكره جماعةٌ من كبار المفسّرين، كالطبري، وأبي الليث، وابن عطية، وأشار الماوردي إلى أنَّ النبيَّ محمداً -ﷺ- قد ذُكر في الإنجيل باسم «الفارقليط»، وهي كلمةٌ يونانية تعني: محمداً، وقد ورد اسمه-ﷺ- صريحاً في إنجيل برنابا. انظر: تفسير الطبري (83/9-84)،بحر العلوم (574/1)، تفسير الماوردي (62/2)، المحرر الوجيز (178/7)، نور اليقين ص30.

٣- يظهر أنَّ هذا فيه إشارة إلى أنّه جاء في الكتب السابقة ذكر الجمعة، واختصاص هذه الأمة بها، و لم أقف عليه.

٤- انظر: بحر العلوم (574/1).

٥- انظر: تفسير الطبري (84/9)، معاني القرآن للزجاج (381/2).

٦- انظر: معاني القرآن للزجاج (381/2)، مفردات ألفاظ القرآن ص 78، تحفة الأريب ص 46.

الدية لا غير [1]، فجعل الشدائد التي كانت عليهم بمنزلة الأغلال التي تكون في الأعناق، وهذا كما تقول: جعلت هذا الأمر طوقاً في عنق فلانٍ، وليس هناك طوقٌ، وإنَّما تأويله جعلت لزومه لك كالطوق في عنقك [2]، وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ معناه: فالذين صدّقوا بهذا النبيِّ وعظَّموه وأعانوه بالسيف على الأعداء [3]، ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾ يعني القرآن، الذي ضياؤه في القلوب كضياء النور في العيون [4]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هم الظافرون بالمراد، والبقاء [5]، فكان من رحمة الله تعالى التي أوجبها لهذه الأمَّة أن بعث محمداً- ﷺ- فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ووضع الآصار والأغلال [6].

---

١- و لم أقف على الجزء المتعلّق بالنصارى، والآصار الأخرى أوردها جمع من المفسّرين. انظر: معاني القرآن للزجاج (381/2)، بحر العلوم (574/1)، تفسير البغوي (206/2).

٢- انظر: المحرر الوجيز (181/7)، التحرير والتنوير (137/9)، فتح البيان (35/5).

٣- انظر: بحر العلوم (574/1)، تفسير البغوي (206/2).

٤- فالقلوب تستضيء بالقرآن والشرع، كما تستضيء العيون بالنور . انظر: معاني القرآن للزجاج (382/2)، تفسير البغوي (206/2)، المحرر الوجيز (182/7).

٥- وأصل الفلاح البقاء، والظفر. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص644، تحفة الأريب ص244.

٦- كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

# فهرس الأعلام

| العلـــــــــــــــم | الصفحة |
| --- | --- |
| صهيب بن سنان | 235 |
| الضحاك بن مزاحم الهلالي | 43 |
| طاووس بن كيسان | 41 |
| طلحة: طلحة بن عبيد الله | 228 |
| عبد الرحمن بن أبي بكر | 20 |
| عبد الله بن الحارث | 234 |
| عبد الله بن سعد بن أبي السرح | 57 |
| عبد الله بن سلاَّم | 96 |
| عبد الله بن عمر بن الخطاب | 102 |
| عبد الله بن مسعود | 38 |
| عثمان بن الأسود | 138 |
| عدي بن حاتم الطائي | 104 |
| عطاء بن أبي رباح | 102 |
| عكرمة بن عبد الله | 145 |
| عمار بن ياسر | 106 |
| عمرو بن العلاء: زبان بن العلاء بن عمار | 273 |
| الفراء: يحيى بن زياد | 17 |
| الفضيل بن عياض | 118 |
| قتادة بن دعامة | 63 |
| القتبي: عبد الله بن مسلم بن قتيبة | 44 |
| الكسائي: علي بن حمزة | 231 |
| كعب بن الأشرف | 54 |

## فهرس الموضوعات